الفضل المزيد
على بغية المستفيد
في أخبار مدينة زبيد

عبد الرحمن بن علي الدَّيْبَع

الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد

تأليف

الفقيه العالم العلّامة الحبر الفهّامة المحقّق شيخ شيوخ الإسلام وقدوة الأنام محدث الديار اليمنية وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الدَّيْبَع الشَّيْباني رحمه الله تعالىٰ ونفّع به وعلومه آمين .

تحقيق

الدكتور يوسف شُلْحُد

مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء

١٩٨٣

يطلب من دار العودة - بيروت
تلفون : ٣١٠٨٤٠ - ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس AWDA 23682 LE

و

يطلب من مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء
تليفون : ٢٠٠٤٧٠ - ٢٠٠٤٦٩
ص . ب : 1128

مقدمة المحقق

من الأنتروبولوجيا الثقافية إلى تحقيق المخطوطات

لما قمت برحلتي الأولى إلى القطر اليمني ، سنة ألف وتسعمائة وتسع وستين ، ما كنت أفكر بأني سأقوم بتحقيق مخطوطة عربية يوماً ما . إذ كان هدفي من هذه الزيارة ، التي طالت ثلاثة أشهر ، دراسة التركيب الاجتماعي ، والأعراف ، والقضاء القبلي ، وغيرها من مظاهر الحياة الاجتماعية ، درساً ميدانياً ، بعد أن مهّدت الثورة السبل أمام البحث العلمي . ثم تتابعت رحلاتي إلى هذه البقاع الجميلة ، وأسند إليّ المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي ، مسؤولية الاشراف على « برنامج البحث العلمي التعاوني عن اليمن والجزيرة العربية » ، فأكببت على هذه البلاد أنهل من معينها ، وأحقق عن طابعها الاجتماعي الخاص. فاحتككت بالأهلين في القرى ، وعشت معهم ، واطّلعت على كثير من أحوالهم ومعتقداتهم الشعبية . ثم رجعت إلى كتب التاريخ ، لأنها من المصادر الأساسية في الأنتروبولوجيا الثقافية ، فهي تسمح بربط الحاضر بالماضي ، وتعطي صورة واضحة عن تطور أسس الحياة الاجتماعية ، وعما وقع من تغيير وتبديل في الأعراف ، وقوانين القرابة والزواج . فوجدت في كتاب « تاريخ المستبصر » ، المنسوب لابن المجاور ، طرفاً من عادات أهل اليمن في الأنكحة[١] ، وملاحظات خاطفة عن الزواج بزبيد[٢] ، وعن الحفلات الشعبية التي كانت تقام في النخل متى أينع ثمره وحان قطافه[٣] ، وقد اشتهرت بعدئذ « بالسبوت » ، لأنها كانت تقع في أيام السبت . وقد ذكرها ابن بطوطة في

رحلته[٤] ، ووصفها أيضاً أبو الحسن الخزرجي في العقود اللؤلؤية[٥] . ويعلمنا رحّالة العرب والإسلام أن للغريب عند نساء زبيد مزية فلا يمتنعن من تزوجه ، ويرضين بقليل النفقة والكسوة ، ولكنهن يرفضن أشد الرفض الخروج عن بلدهن مهما بذل لهن الزوج في هذا السبيل[٦] . وهناك عادات أخرى ، وتقاليد غير التي ذكرناها ، خاصة بهذه البلد ، تكلم عنها عرضاً بعض المؤرخين ، مما دعاني إلى التحقيق عن مخلفاتها اليوم . فتجولت مراراً بالتهامة ، وزرت الحاضرة التي اختطها ابن زياد سنة أربع ومائتين هجرية ، فأُعجبت بها ، وبفنها المعماري الجميل الفريد ، وبجوامعها ، وآثارها ، وموقعها ، ولطف أهلها . وقرأت كل ما كتب عنها ، وكان على متناول اليد ، وهو قليل ،لا يفي بالمراد ، بالنسبة إلى أهمية هذه المدينة التاريخية والعلمية .

وأمام ضآلة المصادر المطبوعة ، رجعت إلى المخطوطات ، فوجدت في المكتبة الوطنية بباريس كتاب « بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد » ، للمؤرخ اليمني المشهور بابن الديبع ، المتوفي سنة تسعمائة وأربع وأربعين . فإذا به حافل بالفوائد ، غني بالملاحظات الهامة ، عن شتى نواحي الحياة الاجتماعية والعمرانية . وتعجّبت من اهمال الناشرين لهذا السفر الجليل ، وعقدت النية على تحقيقه وطبعه ، تعميماً للفائدة ، وإن كنت بعيداً جداً عن هذا الميدان . ولا جرم اني أقدمت على عمل شاق ، بعيد المنال ، لا سيما على غير المُخْتَصّين ، وعلى من ليس له المام بقراءة خطوط النساخ ، وجلد على حل رموزها . ولكن من حسن الحظ أن نسخة باريس جميلة الخط جداً ، وقديمة إذ يعود تاريخها إلى سنة ٩٨٥ هـ . ونجد ، في نهاية الكتاب ، اشارة إلى العناية الفائقة التي بذلت لتأتي هذه النسخة على أحسن وجه . فقد جرت مقابلتها « على قدر الطاقة والاجتهاد ، على الأم المنسوخ منها ، وعلى نسخة بخط المؤلف »[٧] ، فجرَّأْتُ نفسي وعملتُ بقول الشاعر :

واحزم الناس من أن فرصة عَرَضَتْ   لم يجعل السبب الموصول منقبضا

جمع النسخ

ومن البديهي أن مخطوطة واحدة لا تكفي ، مهما كان جمالها ، ودرجة اتقانها . فعملت على جمع أهم نسخ « بغية المستفيد » وهي كثيرة . ومن كمال التوفيق ، أن مكتبة باريس تحتوي على نسخة أخرى[٨] ، متأخرة عن الأولى ، ودونها جمالاً ، تمت كتابتها سنة ١٢٩٠ هـ . وهي كثيرة التصحيف والأخطاء ، ولكن فيها بعض الزيادات التي لا نجدها

في النسخة الأولى . وسواء كانت من النساخ ، كما يتبادر إلى الذهن عند قراءتها ، أو أضافها المؤلف بعد كتابة الذيل ، الذي سنأتي على ذكره ، فإن فيها من الفوائد التي تحمل المحقق على اثباتها . فأشرنا إلى هذه النسخة بحرف ب . أما النسخة الأولى فقد رمزنا إليها بحرف أ ، وكان جلّ اعتمادنا عليها وجعلناها المرجع الأول .

وكان الأستاذ الصديق ، العلاّمة ، اسماعيل بن علي الأكوع ، على معرفة برغبتي في تحقيق هذا الكتاب فتفضّل وأعلمني بوجود نسخة ، في مكتبة برلين الغربية ، كتبت في حياة المؤلف، سنة ٩٤٢ . فحصلت على ميكروفيلم عنها ، ورمزت اليها بحرف ج . وتكرّم العلاّمة ، الشيخ حَمَد الجاسر ، صاحب مجلة العرب الغراء ، فأرسل إليّ بمصورة عن المخطوطة المحفوظة لديه ، وهي جميلة الخط ، كتبت سنة ٩٧١ ، ونقلت من نسخة تمت سنة ٩٤٣ ، فأشرت إليها بحرف د . وأخيراً ، حصلت على ميكروفيلم عن مخطوطة دار الكتب المصرية ، وهي غير مؤرخة ، ولكن الذيل يحمل تاريخ سنة ١١٥٨ هـ . فأشرت إليها بحرف هـ .

وبعد جمع هذه النسخ ، أصبحت المواد جاهزة للبحث العلمي ، لا سيما بعد أن قام المؤرخ اليمني المعاصر ، ومحيي آثار الهمداني ، القاضي محمد الأكوع ، بنشر كتاب « قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون » ، لابن الدّيبع[٩] أيضاً . وهذا السفر لا يختلف كثيراً ، في معناه ومبناه ، عن الكتاب الذي نحن بصدده . إلا أن المؤلف وضعه بعد بغية المستفيد ، وتعرّض فيه ، بشيء من الإسهاب ، لأخبار صنعاء والأئمة الزيديين ، بينما أعار مدينة زبيد ، وهي مسقط رأسه ، كل اهتمامه ، في كتابه الأول .

وبعد أن جمعت النسخ والمصادر ، قمت بالتحقيق العلمي ، وفقاً للطريقة الجامعية ، وسيأتي البيان عنها في هذه المقدمة . وكنت أتفاوض مع بعض دور النشر ، عندما فوجئت بنشر « بغية المستفيد » على يد السيد عبد الله الحَبْشي[١٠] . فكانت الصدمة شديدة ، إذ أضَعْتُ وقتاً طويلاً في جمع النسخ ، والتحقيق ، ومراجعة المصادر .

الأسباب الداعية إلى إعادة طبع الكتاب

ولا شك في أن للسابق الفضل والفضيلة . ولكن ، كما يقول ابن الديبع في مقدمة « بغية المستفيد » : « كم ترك الأول للآخر » . فقد تبيّن لي ، بعد أن اطّلعت على تحقيق السيد عبد الله الحَبْشي ، أن جهدي لم يذهب سدى ، وأنه لا بدّ من إعادة طبع الكتاب ، لما وقع فيه من أخطاء لا تحصى عدّاً ، من سقط وتبديل وتحريف وخطأ في قواعد اللغة

والإعراب ، بل وقع التصحيف حتى في بعض آيات القرآن الكريم . وقد أشرت إلى بعض هذه الأخطاء في بحث انتقادي نشرته مجلة العرب[١١] . وعلاوة على ذلك ، ان هذه الطبعة خالية من الفهارس ، وهي أساس في البحث العلمي ، كما أن المحقق الشاب قد أهمل ضبط أسماء الاعلام ، وأهمل أيضاً شرح بعض الألفاظ التي كانت شائعة في عصر الرسوليين والطاهريين ، ودخلت من ثم في خبايا النسيان .

الفَضْلُ المزيد

وعندما اتّضح ، لأهل العلم ، ضعف هذه الطبعة ، أشار عليّ الصديق الكريم ، القاضي محمد الأكوع ، بتحقيق الذيل الذي وضعه ابن الديبع ، بعد عشرين سنة من تأليف « بغية المستفيد » وسمّاه « الفَضْل المزيد ، على بغية المستفيد ، في أخبار مدينة زبيد » ، لطبع الكتابين معاً . فنزلت عند رأيه ، على الرغم من ضيق الوقت . ومن دواعي الأسف أن هذا الذيل عزيز الوجود، صعب المنال ، فلم أحصل إلى تاريخ كتابة هذه المقدمة ، إلا على ثلاث نسخ : نسخة برلين ، المرموز إليها بحرف ج ، ونسخة الأستاذ الفاضل الشيخ حَمَد الجاسر ، المرموز إليها بحرف د ، ونسخة دار الكتب المصرية ، المرموز إليها بحرف هـ . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مخطوطة برلين رديئة الخط ، وأما نسخة العلاّمة ، شيخ حمد الجاسر ، فهي ممتازة جداً . غير اني لم أحصل إلا على مصورة ، منقولة آلياً ، غير واضحة أحياناً ، ولا يمكن تكبيرها كما هي الحالة في الميكروفيلم .

وقد كُتِبَتْ مخطوطة د سنة ٩٧١ ، عن نسخة تمّت سنة ٩٤٣ ، كما جاء في آخر صفحة من « بغية المستفيد » . وعليه ، فتكون نسخة ج أقدم منها بقليل ، إذ كتبت سنة ٩٤٢ . ولكن عند مقابلة النصوص ساورتني الشكوك . وذلك لأن عند ذكر الملك الظاهر عامر الطاهري ، آخر سلاطين بني طاهر ، نجد في نسخة برلين عبارات الترحم عليه ، وفي نسخة الشيخ حمد الجاسر كلمات التبجيل والتفخيم ، مثل : « أيّده الله ونصره » ، وهي تدل على أنها نقلت عن مخطوطة كتبت في حياة الملك الظاهر . ويتبادر إلى الذهن أن ابن الديبع ابتدأ بكتابة الذيل ، قبل وفاة ولي نعمته ، وأتمّه بعد معركة صنعاء ، التي ذهب ضحيتها الملك عامر وأخوه ، سنة ٩٢٣ . ولذا نجد أحياناً ، في الأم المنسوخ عنها ، عبارات الدعاء له ولذويه بطول العمر ، ثم أُبدلت بالتأسف عليه ، والترحّم على من مات من أهل بيته ، عند زوال الدولة الطاهرية في النسخ المتأخرة . وعليه ، فتكون نسخة د منقولة عن مخطوطة أقدم من التي نقلت عنها نسخة ج . إلاّ أنها ، على الرغم من جمالها واتقانها ، تكاد تكون خالية من

النقط . ولذا جعلنا اعتمادنا على نسخة برلين .

وأخيراً ، عندما زرت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، في نهاية شهر أيلول سنة ١٩٨٠ م ، وجدت في مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ميكروفيلم مأخوذاً عن مخطوطة محفوظة في أكاديمية علوم الاتحاد السوفيتي ، دون تاريخ ، أشرت إليها بحرف و . فقمت بمقابلتها ، على قدر الطاقة والوقت ، على النسخة المحقّقة . وفي المخطوطة المشار إليها ذيل على الذيل ، مجهول المؤلف ، بخط الناسخ نفسه ، فأثبتناه ، على علاّته ، في نهاية الفضل المزيد ، إتماماً للفائدة .

طريقة التحقيق

إن الهدف الأول الذي يرمي إليه من يتوخّى نشر مخطوطة ، ووضعها على متناول يد الباحثين ، هو إبراز الكتاب المطبوع بصورة صحيحة ، وفقاً لما وضعه المؤلف ، دون زيادة أو نقصان . وليس عليه أن يدخل أي تبديل في نص الكتاب ، أو يحاول أن يصلح ما قد يكون وقع فيه من أوهام ، بل يكتفي بالإشارة إلى ذلك في الهوامش ، لأن العهدة على المؤلف . أما المحقّق ، فعليه أن ينزّه الكتاب عن أخطاء الناسخين ، ويصلّح ما وقعوا فيه من سقط وتحريق وخطأ في قواعد اللغة ، وهو عندهم كثير . ولأجل الوصول إلى هذه الغاية القصوى ، عليه أن يختار أولاً نسخة تكون المرجع الذي يعتمد عليه ، إما لجودتها ، وإما لقدمها ، وإما للسببين معاً . ثم يقارن بينها وبين غيرها من النسخ ، ويثبت النص المتوارد ، ويشير في الهوامش إلى اختلاف النصوص ، ليعلم القارىء أنه قد اختار أحسن الوجوه ، وأصوب المقال ، على حسب ما يقتضيه المعنى والبيان .

وعلى الرغم من الجهد الكبير الذي يبذله المحقق ، فقد يقع أحياناً على بعض الألفاظ المبهمة ، إذ قد تكون من اللغة العامية ، أو من المصطلحات الخاصة ببلد ، أو قد تصعب قراءتها بسبب رداءة الخط ، أو عدم تنقيط الحروف . فعليه أن يثبت هذه الكلمات على علاّتها ، ويشير إليها في الهامش ، فهنالك نسخ غير التي تمكن من الحصول عليها ، ولعلها تسمح يوماً بتذليل هذه العقبات .

وليس من شروط التحقيق العلمي التعليق على الحوادث الهامة ، أو على البلاد والقرى والأماكن التي ذكرها المؤلف . ولا يطلب من المحقق أن يورد تراجم رجال السياسة والعلم والفقه ، على الرغم من الفوائد الجمة التي قد يحصل عليها القارىء من التعليق

الذي يقدمه المحقّق ، لا سيما إذا ساعد على فهم الكتاب . وذلك لأن التعليق على الاعلام والبقاع ، في كتاب جاء فيه عدد كبير جداً من أسماء الرجال ، والنساء ، والقبائل ، والبلدان ، كما في « بغية المستفيد » ، وذيله : « الفضل المزيد » ، يجعل من الكتاب المطبوع شبه دائرة معارف ، مما يزيد في نفقات الطبع ، وقد أصبحت اليوم فاحشة ، ويورث القارىء الملل ، أمام كثرة الهوامش ، ويرغم المحقق على بذل جهد كبير ، من الأولى صرفه في سبيل البحث العلمي الصحيح ، إذ لدينا في المعاجم ، والموسوعات ، والكتب المختصة ، ما يغني عن كل شرح . ولذا اكتفينا بما لا بدّ منه . غير أننا حرصنا على ذكر جميع أسماء الاعلام في الفهارس ، ليعلم القارىء أن يجد ضالته في تاريخ ابن الديبع .

وعلى ذكر أسماء الاعلام ، لا بد لنا من التنويه بالصعوبات التي يعانيها القارىء ، عربياً كان أم أعجمياً ، يمنياً كان أم شامياً ، لضبطها ضبطاً سليماً ، إذ ليس هناك من قاعدة عامة يرجع إليها . وقد لا تفيد كتب اللغة والمعاجم في هذا السبيل . فلماذا نكتب الحِوالي وليس الخَوالي ، وخطْلُبا وليس خَطْلَبا ؟ وسمعتُ يوماً أحد رجال الثقافة والعلم ، يقول البهاء الجُنْدي بدلاً من الجَنَدي . وقد وقع في مثل هذا الوهم العلّامة ، واللغوي الكبير ، أنستاس الكرملي[١٢] ، فضبط اسم المؤلف حسين العرشي بسكون الراء ، والصواب بفتحها . وهيهات أن يعلم صحة ذلك إلّا من زار اليمن واحتكّ بأهلها . وعلاوة على ذلك ، فإن اللفظ قد يتبدّل على ممر الزمن . فالمشهور مثلاً ، في كلمة يَعْفُر أنها على وزن يَشْكُر ، أي بفتح الياء ، وسكون العين ، وضم الفاء . ولكن الهمداني يعلمنا أنها كذلك عند جميع العرب ، إلّا من كان من العرب العاربة ، فهي بضم الياء ، وسكون العين ، وكسر الفاء ، أي يُعْفِر ، وزن يُغْمِد[١٣] .

المؤلف

لا نريد ، في هذه العجالة ، التعريف بالمؤلف ، وشيوخه ، وعلومه ، ومؤلفاته ، لأنه سهَّل علينا مؤ نة العمل ، فأفرد فصلاً خاصاً لترجمته ، في بغية المستفيد ، جعله خاتمة هذا الكتاب . ومنه نعلم أنه ولد في مدينة زبيد ، سنة ٨٦٦ ، في بيت والده ، وأن أباه سافر إلى الهند ، في العام الذي ولد فيه صاحب الترجمة ، وبقي هنالك إلى وفاته . فنشأ مؤلفنا في حجر جده لأمه . وعندما توفي جده ، سنة ٨٨٤ ، أقام عند خاله جمال الدين مبارز . ومن الغريب والجدير بالتنويه به ، اننا لا نجد ذكراً لأهل عمومته ، بل أن المؤلف لا يعلمنا حتى باسم أبيه ، ويكتفي بالقول اأنه قضى نحبه في أواخر سنة ٨٧٦ . فحصل له ، من ميراثه ، ثمانية دنانير ذهباً ، أنفقها في حجّه الأول ، عام ٨٨٣ . وهذا الإهمال للأعمام يدل على أن والده كان غريباً عن زبيد ، ويؤكد لنا ما قاله ابن بطوطة عن نساء زبيد ، وامتناعهن عن مغادرة بلدهن ، مهما بذل لهن الزوج في هذا السبيل . وقد يكون فيه أيضاً إشارة إلى نظام الأمومة الذي يقدم الخال على الأب والعم . وكان هذا النظام متبعاً في بعض المناطق اليمنية ، قبل الاسلام ولعله لم يتلاشَ تماماً في عصر ابن الديبع ، إذ أننا نجد بعض مخلفاته عند قبائل الحموم ، في الحضرموت ، حتى في أيامنا هذه .

ويعلمنا ابن الديبع ،أنه أخذ عن خاله المذكور علوم الدين ، واللغة ، والحساب ، والجبر ، والمساحة ، والفرائض ، والفقه ، وأنه أقام عنده إلى أواخر سنة ٨٨٥ . ثم حجّ ثانية ، وطلب العلم ، وأكبّ على التأليف . وفي سنة ٨٩٦ عاد إلى مكة المكرمة ، وأتمّ ، للمرة الثالثة ، فريضة الحج ، وأخذ العلم ، في أم القرى ، عن كبار شيوخها . ثم عاد إلى وطنه ، وألّف كتابه : « كشف الكربة في شرح دعاء الإمام أبي حربة » . ثم صنّف بعده تاريخه : « بغية المستفيد » . ومع أن حوادث هذا الكتاب تقف عند سنة ٩٠١ ، فإن ابن الديبع يعلمنا أنه حصّل هذا التاريخ تحصيلاً عظيماً ، بنوع انه انتهى من تعليقه سنة ست وتسعمائة .

أهمية كتاب « بغية المستفيد »

هو من أهم مؤلفات ابن الديبع ، لأنه رجع إلى كتب من سبقه من المؤرخين ، مثل عُمارة اليمني ، وأبي الحسن الخزرجي ، وابن المجاور ، والبهاء الجَنَدي ، وغيرهم . ومن

المتوقع أن يكون اطّلع أيضاً على كتاب : « المفيـد في أخبار زبيد » ، لجياش الحَبَشي ، إذ ذكره وقال عنه : « إنه « كتاب متسع الإفادة ، عزيز الوجود » .

وكان ابن الديبع معاصراً للدولة الطاهرية ، عائشاً في ظلها . ولما عرض كتابه على الملك الظاهر ، نبّهه السلطان على أشياء كان أهملها ، وفوائد لم يذكرها ، فأصبح تاريخه من أهم المراجع ، عن اليمن عامة ، وعن زبيد خاصة ، لأنها مسقط رأسه ، ولأنه شاهد فيها جلّ الحوادث التي ذكرها في « الفضل المزيد » ، وبعضاً من التي تحدث عنها في « بغية المستفيد » .

ولقد عرف المستشرقون فضل هذا التاريخ ، فذكروه مراراً في مؤلفاتهم . وقام العالم الالماني كارلوس يوهَانْسِنْ ، في أوائل الربع الثاني ، من القرن السابق ، بترجمته إلى اللاتينية ترجمة مختصرة ، وكتب مقدمة تاريخية مسهبة ، وطبع الكتاب في بون سنة ١٨٢٨ .

أما « الفضل المزيد » ، فهو يشكل ، مع « بغية المستفيد » ، وحدة تاريخية متماسكة ، إذ يستفيض المؤلف بالكلام عن الدولة الطاهرية ، ويعلمنا كيف تم زوالها ، على يد الجراكسة ، على أثر دخول البرتغاليين في بحر الهند . وفي هذين الكتابين فوائد شتى ، من سياسية ، واخبارية ، واجتماعية ، وعمرانية ، عن زبيد ، ومساحتها ، وأسوارها ، وأبوابها ، وأقسامها ، ونظامها الإداري .

ونريد أن نلفت نظر القارىء الكريم ، إلى بعض النقاط الرئيسية ، التي ذكرها ابن الديبع في كلامه عن زبيد ، لاعتقادنا أن المؤرخين المعاصرين لم يعطوها حقها من الأهمية ، مع أنها جديرة بكل اعتبار .

مساحة زبيد وعمرانها

من قراءة « بغية المستفيد » ، نعلم أن زبيد كانت ، في عصر المؤلف ، أعظم مدن اليمن ، وأكبر من صنعاء . وأن دور البلد كان عشرة آلاف ذراع ، وتسعمائة ذراع ، على ما رواه ابن المجاور[١٥] . غير أن المؤرخ ، أبا الحسن الخزرجي ، يرى أن ما جاء في كتاب « تاريخ المستبصر » غير صحيح ، ولو صحّ لكانت مساحة زبيد تسعمائة معاد ، وخمسة وأربعين معاداً ، ونحواً من ثلث معاد . ويضيف إلى ذلك قوله : « وقد مسحت في أيام الملك المجاهد الغساني ، سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، فجاءت ستمائة معاد وستة وثلاثين معاداً ، ونصف معاد ، وثمن معاد » . ويتابع ابن الديبع روايته فيقول : « وسمعت ذلك

ممن أثق به . ثم مسحت في الدولة الأفضلية ، سنة سبع وستين وسبعمائة ، فجاءت مساحتها يومئذ ستمائة معاد ، وأربعة وعشرين معاداً ، ونصف معاد ، من غير اختبار ، وبالاختبار ، ستمائة وثمانين معاداً . وهذا كله أقرب إلى الصواب مما قاله ابن المجاور » .

وسواء أصاب ابن المجاور ، أو أخطأ ، في عدد أبراج زبيد ، والمسافة بين كل برج وبرج ، فإن ما ذكره عن دور المدينة ، بالإضافة إلى تعليق الخزرجي على هذا الكلام ، يسمح لنا باستخراج مساحة المعاد بالأذرع المربعة ، وذلك بعملية حسابية بسيطة ، وفقاً لما هو معروف في كتب الهندسة . والواقع اننا إذا سلّمنا بأنّ دور مدينة زبيد ١٠٩٠٠ ذراع ، فإن قطر الدائرة يكون ٣٤٧٠ ذراعاً ، ومساحة هذه المدينة، بالأذرع المربعة ، ٩,٤٥٦,٩٢٢. أي أن المعاد يعادل عشرة آلاف ذراع مربع ، استناداً على ما استنتجه الخزرجي ، من كلام ابن المجاور .

والواقع ، أن مساحة المعاد ، التي استخرجناها بالحساب ، نجدها أيضاً في بعض المؤلفات القديمة . ففي مخطوطة عثرنا عليها بزبيد ، عنوانها : « هذه الإراحة في علم المساحة » ، تأليف الشيخ جمال الدين محمد بن أبي بكر الأشخر ، تأكيد لما حققناه اذ يقول : « اعلم ، أرشدني الله وإياك للصواب ، ان المعاد ، في عرف أهل اليمن ، قطعة من الأرض مربعة ، لكل جانب منها حبلان ، أي قصبتان . وتكسير ذلك : طول كل قصبة حبل وعرضها كذلك . وكل من هذه الأربع : أربعة قراريط طولاً وعرضاً . [وإذا ضربنا] أربعة في أربعة بلغت ستة عشر ، فهي جملة المعاد قراريط . وكل قيراط ، من هذه الستة عشر ، طوله خمسة وعشرون ذراعاً ، وعرضه كذلك . فإذا مَسَحْتَ القيراطَ ، بأن تضرب عرضه بطوله ، خمسة وعشرين في مثلها ، بلغ ستمائة وخمسة وعشرين . فإذا ضربت ذلك في جملة قراريط المعاد ، وهي ستة عشر ، كان الحاصل عشرة آلاف ، وهو مبلغ المعاد لبناً ، كل واحدة عرضها وطولها ذراع »[١٦] .

بقي علينا أن نعلم أن طول الذراع بالسنتيمات . وهذه المسألة معقدة جداً ، لأن الذراع يختلف طوله ، على حسب الزمان والمكان ، بل على حسب الأوقات والأيام ، إذ ينقص في المواسم ، ثم يعود إلى ما كان عليه قبل الموسم ، على ما حكاه ابن المجاور ، ويعلمنا هذا الرحالة أن الذراع اليمني زاد سنة ٦٢٢ ، وأصبح يعادل الذراع المصري[١٧] . ويجب التنبيه هنا إلى أن ذراع المساحة غير ذراع الحديد ، الذي يستعمله بائعو الأقمشة . وقد زاد هذا الذراع في عهد الملك الأفضل ، سنة سبعين وسبعمائة ، على

ما ذكره ابن الديبع ، فقال : « وأمر أن يمسح على كافة الرعايا ، في سائر جهات مملكته ، بالذراع الأفضلي ، صدقة تامة عامة » . ومفاد ذلك ، أن الذراع الجديد أطول من الذراع القديم[١٨] .

ووجدنا في هامش المخطوطة ، التي ذكرناها آنفاً ، الملاحظة التالية ، نثبتها لأهميتها : « ذراع اليد عندنا ، أربعة [كذا] وعشرون اصبعاً معترضات . والاصبع ستة [كذا] شعيرات معتدلات ، معترضات . وذراع الحديد ذراع وربع . ولكن المصطلح عليه ، في المساحة ، بوادي زبيد ، غير الذراعين المذكورين . وهو ستة [كذا] قبضات ، وترفع الابهام في القبضة السابعة . وحيث قد استمر العمل بالذراع المذكور ، فينبغي أن تحرر الحبال عليه ، ويستمر العمل به » .

ومن المعلوم أن القبضة تساوي ست أصابع . ونتيجة ذلك أن ذراع المساحة ، بوادي زبيد يعادل أربعين اصبعاً ، أي ذراع اليد وثلثيه . فإذا سلمنا بما يقول المستشرق هنز ، في بحث له عن الأوزان والمكاييل في الاسلام[١٩] ، يكون طول ذراع اليد ٤٩,٨ سنتيم ، وطول ذراع المساحة ، بوادي زبيد ، ٨٣ سنتيم ، أي انه يعادل الذراع الهندي . وينتج من هذا الحساب أن مساحة زبيد ، في العصر الرسولي ، كانت نحو أربعمائة هكتار ، أو أكثر أو أقل ، على حسب طول الذراع .

ومهما يكن من أمر ، فإن زبيد كانت مدينة واسعة ، مترامية الأطراف ، تحيط بها البساتين ، والقصور ، وشجر النخل . وقد زارها ابن بطوطة ، في أيام الملك المجاهد الرسولي ، فأعجب بها ، ووصفها وصفاً عاماً فقال : هي « مدينة عظيمة . . . وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها ، ولا أغنى من أهلها ، واسعة البساتين ، كثيرة المياه ، والفواكه ، من الموز وغيره . . . كثيرة العمارة ، بها النخل والبساتين والمياه »[٢٠] . ويعلمنا الخزرجي أن السلطان ، الملك الأشرف ، اسماعيل بن العباس الرسولي ، أنشأ في وادي زبيد بستاناً رائعاً سماه سرياقوس[٢١] . ومن العجب أن ابن الديبع لا يتكلم عن سبوت النخل . وفي وصفها يقول ابن بطوطة : « ولأهل هذه المدينة سبوت النخل المشهورة . وذلك انهم يخرجون في أيام البسر والرطب ، في كل سبت ، إلى حدائق النخل ، ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ، ولا من الغرباء ، ويخرج أهل الطرب وأهل الأسواق لبيع الفواكه ، والحلاوات ، وتخرج النساء ممتطيات الجمال ، في المحامل »[٢٢] .

نظام زبيد الإداري وأقسامها

وليس هنا مقام البحث عن زبيد ، وعمرانها ، وازدهارها ، وحضارتها بوجه عام ، كما تظهر لنا من كتب التاريخ . إنما نقتصر على ما جاء في « بغية المستفيد » ، وذيله : « الفضل المزيد » . ومن هذين الكتابين نأخذ صورة غير واضحة ، وغير كاملة ، عن نظام زبيد الإداري ، وأقسامها ، لأن ابن الديبع لم يعطِ هذين الموضوعين حقهما من الأهمية ، بل تكلم عنهما عرضاً في يوميّاته ، وحديثه عن الحروب ، والوقائع ، والأمور السياسية . فهو يعلمنا بالوظائف الكبرى ، التي كان يعهد بها السلطان الى أمنائه . ومن أهمها وظيفة المشد ، والمستوفي ، والمتصرف ، ومباشر الحلال ، وضامن الخراج ، وضامن البلد ، والزمام ، والنقيب ، والمقدم . . . وكان الحاكم عليهم جميعاً أمير البلد ، باعتباره خليفة السلطان ، أو نائبه ، وقت غيابه . أما الفقهاء والعلماء ، فهم للقضاء والتعليم والاستشارة وأمور الدين . ولكن منهم من كان يتولى زمام الأمور ويقود العساكر السلطانية .

وكانت زبيد مقسمة إلى أرباع وحارات وحافّات . أما الأرباع فهي التالية : ربع الجامع ، وربع المعاصر ، والربع الأعلى ، وربع المجنبذ . وقد تكلم ابن المجاور عن الجنابذ ، وهو يعلمنا أنها قبب كانت خارج مدينة زبيد(٢٣) . أما الحافّات فكانت في ضواحي المدينة ، يسكنها إجمالاً الأجانب الذين يمتّون إلى أصل واحد ، أو هاجروا من نفس البلد ، فهنالك حافة الهنود، وحافة الزيالع وغيرهما .

ويتحدث ابن الديبع عن عادة الاستجارة بقبور الأولياء ، وبيوت الفقهاء . والعلماء ، وأهل الصلاح والدين ، منهم المناصب وأصحاب الكرامات . وكان الرجل المظلوم ، أو الخائف على نفسه ، يلجأ أحياناً إلى مدرسة قام بانشائها أحد أقرباء السلطان . وكان في اليمن بعض الأماكن المقدسة ، هي أشبه شيء بالحمى ، من دخلها أصبح آمناً على روحه وماله .

لمحة عن بعض الحوادث التاريخية

وبالإضافة إلى الحوادث السياسية التي لها علاقة مباشرة بتاريخ زبيد ، لا يغفل ابن الديبع عن الإشارة إلى كل أمر خطير ، له علاقة بالتاريخ العام . ومن ذلك دخول البرتغاليين في بحر الهند ، واستيلاؤ هم على بعض الموانىء ، ومحاولتهم احتلال بندر

عدن ، ودخول المماليك ، على اثرهم ، في البحر الأحمر ، كما نجده مفصلاً في « الفضل المزيد » .

وكانت زبيد على اتصال كبير بالعالم الخارجي . وكانت الهدايا تصل إلى عاهل اليمن ، من الهند، والسند ، وسيلان ، بل من الصين أيضاً . فقد قدم قاصد صاحب الصين ، على الملك الناصر ، « بثلاثة مراكب عظيمة ، فيها من الهدايا النفيسة ما قيمته عشرون لكاً من الذهب . . . » ثم جهّز الناصر ، لصاحب الصين ، « من الوحوش البرية ، والثياب الفاخرة السلطانية ، جملة مستكثرة » .

وهناك أيضاً حكاية عن يهودي حاول التسلط على بيجان ، وتبعه خلق كثير من اليهود ، وخصوصاً من الذين تهوّدوا منهم بعد اسلامهم . فغزاه الملك الظافر الطاهري ، سنة أربع وتسعمائة ، وقبض عليه ، وعلى أهل بيته ، واستولى على جميع آلاته[٢٤]

ويجد الباحث الذي يهتم بالانواء ، والزلازل ، والأحوال الجوية ، في كتابي ابن الديبع ، ملاحظات عديدة ، يستدل منها على أن اليمن كانت عرضة للهزّات الأرضية ، والأمطار الشديدة ، والسيول العظيمة التي تجتاح المباني والبهائم والآدميين .

ويتحدث المؤلف عن وقوع برد ، بكثرة ، سنة خمس وتسعين وستمائة ، وعن نزول بردة عظيمة ، كالجبل الصغير ، « فكان يدور حوله عشرون رجلًا ، لا يرى بعضهم بعضاً » . وتناثرت النجوم ، في بعض الليالي ، وانقضى كوكب عظيم من المشرق إلى المغرب . وفي خامس شعبان ، سنة ٧٨٣ ، ظهر عامود من نور ، في ناحية المشرق ، كان يرى كالمنارة الكبرى . . . إلى غير ذلك من الخوارق ، والأمور الشاذة النادرة ، التي لا تخفى فائدتها على علماء الفلك والبراكين ، إذا صحّت .

لغة المؤلف

ولا بدّ لنا ، ختاماً ، من حديث وجيز عن لغة المؤلف . فهي لغة عربية فصيحة ، ولكنها لا تخلو من التكلّف ، لأن ابن الديبع يستهل ، بالسجع ، كل فصل من فصول الكتاب ، على ما جرت عليه عادة المؤلفين في ذلك العصر . ولا نجد في كلامه جزالة كبار الكتبة ، ولا جمال التعبير ، وحسن الإنشاء . وعلاوة على ذلك ، انه لا يتحاشى الألفاظ العامية أو الخاصة بالقطر اليمني، مثل قوله : والناس قائلون أي مستريحون، والتهمّم بمعنى الاهتمام ، والماجريات بمعنى ما يجري من الأمور ، والفراسة بمعنى الفروسية . وقد

يأخذ عليه النحاة واللغويون بعض التعديات الشاذة ، والتعابير غير المستقيمة ، ولا نستطيع أن نقرر إذا كانت من النساخ أو من المؤلف ، إذ نجدها في جميع النسخ التي بين يدينا . فمن ذلك قوله : « وأرسله [السمَّ] له مع الجارية » . والصواب في أرسل أن تتعدى بالباء ، في الأول ، لما لا يرسل بنفسه ، وبإلى في الثانية . وكان عليه أن يقول : وأرسل به اليه مع الجارية . ويردد الخطأ في مكان آخر فيقول : « وأرسل الى بلده للآلات » والصواب : بالآلات . ومن ذلك قوله : « فلما قتل مَنَّ الله سيدَها . . . فجعل » والصواب حذف الفاء في جعل لأنه جواب الشرط . ومن ذلك أيضاً : « واطلعوا رأسه » ، والصواب : فطلعوا برأسه . ومن ذلك أيضاً : « فرغبت الرعية لغرس النخل » والصواب : في غرس النخل . ومن ذلك أيضاً : « ورد له بعض ما أخذ عليه » والصواب : ورد عليه بعض ما أخذ منه . ومن ذلك أيضاً : « وتظلم به الناس » والصواب : وتظلم منه الناس . ومن ذلك أيضاً : « وهو اذ ذاك بها أميراً » والصواب : أميرٌ . . .

وهناك أيضاً أخطاء واضحة في الأعداد ، وهي لا شك من النساخ ، كقوله : خمسة عشر سنة ، وعام ثلاث وعشرين . ولكن هنالك غيرها ، تردد في مواضع كثيرة من الكتاب ، ولعلها من النساخ أيضاً . وذلك أن ابن الديبع لا يراعي دائماً القاعدة التي تقول بتذكير واحد واثنين ، مع المذكر ، وتأنيثهما مع المؤنث . والغريب أنه يكتب دائماً : سنة احدى وستين ، مثلاً ، كما هو الصواب ، ولكنه كثيراً ما يكتب « سنة اثنين وستين » ، مثلاً ، بدلاً من « اثنتين وستين » . ويكتب أحياناً قلائل : « في ليلة كذا الرابعة والعشرين » مثلاً ، كما هي القاعدة في العدد الترتيبي . ولكنه لا يتبعها إلّا نادراً ، بل يكتب غالباً : « في ليلة كذا الثالث والعشرين » . ونلاحظ أيضاً أن ابن الديْبَع تارة يؤنث كلمة « رأس » وتارة يذكرها . والغالب عنده التذكير عندما تشير إلى رأس الانسان والتأنيث عندما تدل على الواحد من الحيوان . ولكننا نجد أحياناً عكس ذلك[٢٥] . والمشهور في « رأس » التذكير[٢٦] ، كما جاء في تاج العروس وأكّده صاحب البستان في المثل التالي : « اشتريتُ عشرة رؤوس من الغنم » . والأخطاء التي ذكرناها كثيرة الوقوع ، تتردد في جميع النسخ ، فلم نَرَ اصلاحها بل اكتفينا بالإشارة اليها . وكثيراً ما نجدها في المؤلفات التي قام بتحقيقها الثقات من أهل العلم[٢٧] .

وهنالك أيضاً عدد من الاصطلاحات الدخيلة ، من مصرية ، وتركية ،

وعجمية . . . مثل : الجوامك والشفاليت والفناجرة والديودار وطبلخانة واتابك . ونجد أيضاً بعض الكلمات العربية المستعملة في غير معناها اللغوي ، مثل أزِمَّة ، جمع زمام ، بمعنى الحاجب الكبير ، وجهات ، جمع جهة ، لقب يستعمل لبنات الملوك ونساء كبار رجال الدولة ، ومناصب ، وعوارين . وقد أفردنا فهرساً للكلمات الغريبة والنادرة والعامية ، مع شرحها .

وختاماً أرفع عبارات الشكر إلى كل من أعانني على إتمام هذا العمل وابرازه إلى حَيِّز الوجود ، وَهُم كثيرون ، من أساتذة وعلماء أجلّاء ومؤرخين أخذت عنهم واقتديت بهم واحتذيت مثالهم . إنما أخصّ بالذكر الصديقين الكريمين والعالمين الفاضلين الأستاذين محمداً واسماعيل ابني علي الأكوع الحِوالي ، لما لهما عليَّ من أياد كريمة بيضاء من يوم وطأت أقدامي الأراضي اليمنية ، والصديق الكريم ، علاّمة الأردن بأحوال البادية ولهجاتها وقبائلها الأستاذ روكس بن زائد العُزَيْزي نصحه وارشاده . وأراني عاجزاً عن شكر العلاّمة ، شيخ الباحثين وقدوة المحققين ، الأستاذ حَمَد الجاسر ، صاحب مجلة العرب الغراء ، إذ تكرَّم بارسال مصورة « بغية المستفيد » وأتبعها بمصورة « الفضل المزيد » دون سابق معرفة بيننا . ثم ساعد على نشر هذا التاريخ وكاد أن يتولّى طبعه ، ثم رضي بالتنازل عن حقوقه ، فزاد على فضله فضلاً وعلى كرمه سماحة .

ولا تفوتني الإشارة إلى الجهد الذي بذله الدكتور عبد العزيز المقالح ، رئيس « مركز الدراسات والبحوث اليمني » لتحقيق هذا المشروع وما أولاه من عناية واهتمام لِيَتمّ نشره ضمن مطبوعات « المركز اليمني » ، فَلَهُ خالص شكري وتقديري .

وبدءاً وختاماً الحمد لله إذ مَنَّ على رجل عشق اللغة العربية في صباه أن يعود إليها بعد أن فرّقت الأيام بينهما مدة تزيد على ثلاثين سنة .

باريس في ١ شباط ١٩٨٢ الموافق ٧ ربيع الثاني ١٤٠٢

يوسف شُلْحُد

هوامش المقدمة

(١) ابن المجاور ، تاريخ المُسْتَبْصِر ، ص ٥٦ ، ٧٠ ، ٨٠ . تحقيق أوسكر لوفغرين ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٥١ (في جزءين)

(٢) ابن المجاور ، نفس المصدر ، ص ٧٠ ، ٨٠ .

(٣) ابن المجاور ، نفس المصدر ، ص ٧٩ ـ ٨١ .

(٤) ابن بطّوطة ، رِحْلة ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ؛ دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت ١٩٦٠ (على الرغم من أن هذه الطبعة منقولة عن طبعة باريس فقد وقع فيها عدد كبير من الأخطاء . بل إننا نجد بعض الأغلاط التاريخية في المقدمة الوجيزة التي كتبها كرم البستاني !) .

(٥) أبو الحسن الخزرجي ، كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ج ١ ص ١١٩ ، و٣٢٨ ، وقد أتى ذكر السبوت في صفحات عديدة من هذا الكتاب (ج ٢ ص ٧٩ ، ٩٠ ، ١٣٣ ، ١٦٤ ، ١٩٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٢٦١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠٤) ، تحقيق الشيخ محمد بسيوني عسلّ ، ليدن ، بريل ، ١٩١٣ . أنظر أيضاً : يحيى بن الحسين ، غاية في أخبار القطر اليماني ج ١ ، ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، دار الكاتب العربي ، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

(٦) ابن بَطّوطة ، رحلة ، ص ٢٤٨ .

(٧) المكتبة الوطنية ، المخطوطات الشرقية ، القسم العربي ، رقم ٦٠٦٩ .

(٨) المكتبة الوطنية ، المخطوطات الشرقية ، القسم العربي ، رقم ٥٨٩٧ .

(٩) ابن الديبع ، كتاب قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحِوالي ، القاهرة ١٣٩١ (الجزء الأول) ، ١٣٩٧ (الجزء الثاني) .

(١٠) ابن الديبع ، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زُبَيْد (كذا) ، تحقيق عبد الله الحَبْشي ، صنعاء ، مركز ألدراسات اليمنية ، ١٩٧٩ .

(١١) يوسف شُلْحُد ، نقد كتب ، كتاب بغية المستفيد ، مجلة العرب ، ج ٩ و١٠ ، ص ٧٧٧ ـ ٧٨٤ ، س ١٥ ، الرياض ، ١٤٠١ هـ .

(١٢) حسين بن أحمد العَرَشي ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، تحقيق الأب انستاس ماري الكرملي ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

(١٣) الهمداني ، كتاب الاكليل ، ج ٢ ص ٧١ ، تحقيق محمد علي الأكوع ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م . (كذا) .

(١٤) نجم الدين عُمارة بن علي اليمني ، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، تحقيق محمد علي الأكوع ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

(١٥) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٧٤ .

(١٦) أما ما قاله الأستاذ محمد علي الأكوع عن المعاد فقد يكون صحيحاً في العرف اليمني اليوم ، ولكن من الأولى عدم الاعتماد عليه من الوجهة التاريخية (ابن الديبع ، قُرّة العيون ، ج ١ ص ٣٣٢ هـ ٣) .

(١٧) ابن المجاور ، نفس المصدر ، ص ١٢ .

(١٨) يقول الخزرجي في العقود اللؤلؤية · وأجرى الملك الأفضل للرعية « الذراع الشراعي في المساحة ، وبينه وبين الذراع الأرضي فرق » (ج ٢ ص ١٥٨) .

(١٩) هِنْز W HINZ, Islamische Masse and Gewichte ، ص ٥٤ وما بعدها ، ليدن ، ١٩٥٥ . ونجد خلاصة لهذا البحث في دائرة المعارف الاسلامية ، كلمة دراع (الطبعة الجديدة ج ١ ، ص ٢٣٨ من النشرة الفرنسية) .

(٢٠) ابن بطوطة ، رحلة ، ص ٢٤٧ .

(٢١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١٩٢ ، ٢٧٢ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ .

(٢٢) ابن بطوطة ، رحلة ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢٣) ابن المجاور ، نفس المصدر ، ص ٧٥ .

(٢٤) وذكر أيضاً هذه الحادثة با فقيه الشحري في كتابه « تاريخ الشِّحْر على حوادث السنين » (مخطوطة المُكَلاَّ ، ورقة ١٦) .

(٢٥) ومن ذلك قوله : « ثلاثة عشر رأساً من الزيديينْ » (ص ٢٢٢) . ولكنه يكتب أيضاً : « سبع رؤوس من أهل ذئينة » (ص ٢٢٨) . ويقول : « ست رؤوس من الغنم » (ص ٢٢٨) و« عشر رؤوس من الخيل » (ص ٢٤٨) ، ونجد أيضاً : « تسعة رؤوس من الخيل » (ص ٢٦٦) .

(٢٦) أنشد لبيد :

إنْ تري رأسي أمسى واضحاً   سلّط الشيب عليه فاشتعل

وفي تاج العروس : « الرأس معروف ، وأجمعوا على أنه مذكر » .

(٢٧) قُطْب الدين النَّهْرَوالِيّ ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، ص ٤٢ و٤٦٧ ، أشرف على طبعه حَمَد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م . وأيضاً ، ابن الديبع ، قُرَّة العيون ، ج ١ ص ١٩٠ ، ٢٣٨ ، ٢٥٦ . . .

فهرس « بغية المستفيد

صفحة

تمهيد

في فضل علم التاريخ
واقسام الكتاب

تمهيد

[في فضل علم التاريخ وأقسام الكتاب]*

١/٢ / بسم الله الرحمن الرحيم ، [وبه ثقتي يوم الحساب][١] . الحمد لله رب العالمين ، الذي علمنا ما لم نكن به عالمين ، وورثنا علوم الأولين والآخرين ، وأتوكل عليه وأستنصر به وأستعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإن من أجل العلوم مقداراً ، وأرفعها شرفاً ومناراً ، علم التاريخ الذي به يعرف الإنسان أحوال القرون الماضية ، في الأيام الخالية ، لما قصّ الله تعالى من أخبار الأمم السالفة في أم الكتاب . وقال تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ ، وجاء في حديث سيد المرسلين كثير من أخبار الأولين ، كحديثه عن بني إسرائيل ، وما غيروه من التوراة والإنجيل ، وغير ذلك من أخبار العرب والعجم ، بما يقضي متأمله العجب[٢] . فلهذا كان علم التاريخ مما يتعين

(*) العنوان من المحقق , أما الأرقام في الهامش فهي تشير إلى ورقات المخطوطة المعتمد عليها مثلاً ١/١٥ معناه ورقة رقم ١٥ الصفحة الأولى من مخطوطة باريس (أ) .

(١) الزيادة من (ج) . وفي (هـ) : وبه استعين وأتكل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وهذه العبارات المضافة من النساخ .

(٢) في (ب) : مما يفيض على متأمله العجب .

معرفته على المحدثين خصوصاً ، وعلى سائر العلماء المعتبرين عموماً . وهو[1]
٢/٢ عند أئمة الحديث المتقنين ، وحفاظه المحققين، مما يجب تقديم التهمّم[2] به، /
والاعتناء بحفظه ومطالعة كتبه ، لكونه يعرف به الصادق من الكاذب ، والمطلوب من الطالب . قال بعضهم : لولا التاريخ لقال من شاء ما شاء . وقال سفيان الثوري : لما استعمل الرواة الكذب ، استعملنا لهم التاريخ ، لنعرف به الكاذب من الصادق . وقال حسّان بن يزيد : لم نَسْتَعِنْ على الكاذبين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ سنة كم ولدت ؟ فإذا أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه . ولو لم يكن من فوائده إلاّ واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودي لكفى ذلك . وذلك أن بعض اليهود أظهر كتاباً وادعى فيه أنه كتاب رسول الله ، ﷺ ، بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة جمع من الصحابة ، رضي الله عنهم ، منهم علي بن أبي طالب ، وحُمِل الكتابُ إلى رئيس الرؤساء ، فعرضه على الحافظ أبي بكر ، خطيب بغداد ، فتأمله ، فقال : هذا مزور فقيل : من أين لك هذا ؟ فقال : فيه شهادة معاوية ، وهو أسلم عام الفتح ، وفتح خيبر سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن مُعاذ ، ومات سعد يوم بني قُرَيْظة ، قبل خَيْبَر [بسنتين][3] انتهى . فأي فضيلة أعظم من هذه الفضيلة ،
٣/١ وأي منقبة أشرف من هذه المنقبة الجليلة ؟ وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : /
من علم التاريخ زاد عقله . ومنافعه كثيرة ، وفوائده غزيرة ، إذ به يطلع على أخبار الزمان ، والعلماء والأعيان ، ووقوع الحدثان ، في ماضي الزمان . وفي ذلك ترويح للخاطر ، وعبرة لأولي الألباب والبصائر ، كأن الإنسان يشاهد ذلك عياناً ، وعاش أحقاباً كثيرة وأزماناً . قال الشاعر :

إذا عرف الإنسان أخبار مَن مضى ... تخيلتهُ قد عاش حيناً من الدهر[4]

وقد ألف جمع من العلماء ، لا يحصون كثرة ، كتباً في التاريخ لا يمكن حصرها ، ولا يجهل قدرها . وانتشرت تصانيفهم في أقطار البلاد ، واشتهرت تواليفهم بين الحاضر والباد . وأحببت الاقتداء بهم فيما فعلوه ، والسلوك في سبيلهم الذي انتحلوه ، راجياً من الله تعالى ورعايته الكافية ، أن يلحقني بهم في خير

---

(٢) كذا في جميع النسخ ، والصواب : الاهتمام .
(٣) كلمة ساقطة في (ب) .
(٤) كذا في النسخ ، والرواية المعروفة : « توهمته قد عاش من أول الدهر » .

وعافية . فجمعت ، في كتابي هذا ، أخبار مدينة زَبيد ، ومن أسسها ووليها من الملوك ، منذ أسست إلى زماننا هذا ، في أواخر المائة التاسعة ، مما ذكره الأئمة المؤرخون ، والعلماء المحققون ، كالفقيه عُمارة اليمني ، وإلبهاء الجَنَدي ، والعلّامة جمال الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد القُرَشي ، والمؤرخ الكبير النسابة أبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي، وشيخ شيوخنا المُصْقَع ، شرف الدين اسماعيل بن أبي بكر المُقْري ،والمُقرىءالصالح عفيف / الدين عثمان بن عمر الناشري ، رحمهم الله ، وأجزل ثوابهم ، وجعل جنة الفردوس ، على حسن عملهم ، مآبهم . وكان من أعظم البواعث لي [على ذلك][1] ، إني لم أجد أحداً ممن تقدمني أرَّخ دولة ملوكنا ، أئمة الزمن ، وعظماء ملوك اليمن ، أهل الملك القاهر ، والعز الباهر ، والأصل الطاهر ، والعدل الظاهر ، الملوك بني طاهر ، أدام الله أيامهم ، وأعلا في الخافقين أعلامهم ، التي هي خير الدول ، والأخيرة التي فاقت الأول . فجمعت من اتفاقاتها ما لم أسبق إليه ، وكنت في ذلك أول قادم عليه ، وليس الفضل على الأول بقاصر ، [ولا عن الآخر متقاصر][2] ، فكم ترك الأول للآخر . وقد تلقيت ما أوردته من ذلك من مشايخي المحققين ، حتى رويت[3] عنهم فيه علم اليقين ، وضممت إلى ذلك من النكت والفوائد ، والصلات[4] والعوائد ، ما تقر به العيون ، ويعتمده المصنفون والمنصفون ، مما فيه كفاية للطالب ، وإعانة للراغب . ومن طلب شيئاً وجدّ وجد ، ولله درّ القائل :

٣/٢

وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يحاوله ... واستشعر الصبر إلا فاز بالظَّفرِ
كم حاجة بمكانِ النجم قربها ... طول التردد في الروحات والبكرِ /

٤/١

وبالغت في الاختصار ، ولم أقصد التطويل والإكثار ، إذ المراد حفظ ملوكها وولاتها ، منذ اختطت إلى زماننا هذا ، على التوالي والنسق ، والتلميح ببعض ما وقع في دولهم من الماجريّات[5] واتفق ، وإذا ضبط المؤرخ ابتداء الدولة وانتهاءها

---

(١) ساقطة في (أ) .
(٢) الزيادة من (ج) .
(٣) في (أ) : حتى ورثت .
(٤) في (ب) : والصلة .
(٥) في (ج) : المأجريّات . وفي (هـ) : المجربات .

بالتاريخ، فهو غاية المطلوب ، فكيف إذا انضمّ إلى ذلك بعض ما حصل في خلالها من الوقائع المشهورة والحروب . .

وحصرتُ هذا الكتاب في مقدمة وعشرة أبواب .

فالمقدمة : في ذكر اليمن وفضله وإسلام أهله ، وفي ذكر ابتداء التاريخ الإسلامي ، وسبب عمله . وفي ذكر ولاة رسول الله ،ﷺ ، وولاة أصحابه ومن بعدهم على قطر اليمن [المبارك][1] الحميد ، إلى زمن اختطاط محمد بن عبدالله بن زياد مدينة زبيد . وأما الأبواب :

فالباب الأول : في ذكر مدينة زبيد وفضلها ، وصفتها ومحلها ، وأشجارها وأنهارها ، واختطاطها وأسوارها ، وأبوابها ومساحتها ، وعدد أبراج سورها .

الباب الثاني : في ذكر تملك بني زياد ووزرائهم[2] لها .

الباب الثالث : في ذكر ملوك الحبشة باليمن من آل نجاح ، وذكر الصُّلَيْحيين .

الباب الرابع : في ذكر وزراء آل نجاح .

٢ / ٤ الباب الخامس : في ذكر قيام السيد علي بن مهدي / بن محمد بن علي بن داود بن محمد الرُّعَيْني ثم الحميري ، القائم باليمن ، وزوال ملك الحبشة وانقضاء دولتهم .

الباب السادس : في ذكر دولة الملوك بني أيوب وأول دخولهم اليمن .

الباب السابع : في ذكر دولة الملوك بني رسول الغسانيين باليمن .

الباب الثامن : في ذكر الدولة الغرّاء ، الطاهرية الزهراء ، وقيام السلطان الملك المجاهد شمس الدين علي[3] ، وأخيه الملك الظافر صلاح الدين عامر ، إبني طاهر ابن مَعُوْضَة بن تاج الدين بن معوضة بن محمد بن سعيد بن عامر بن مسعود بن فِهْر بن وَهْب بن حَرْب القُرَشي الأموي العُمَري .

(١) كلمة ساقطة في (ج) .
(٢) في (ج) : ذرارهم .
(٣) في (هـ) : شمس الدين وعلي أخيه .

الباب التاسع : في ذكر الدولة السعيدة ، المباركة الحميدة ، المنصورية التاجية ، الداودية الطاهرية ، دولة مولانا السلطان ، الآمر بالعدل والإحسان ، الملك المنصور ، ذي المعالي والمفاخر ، تاج الدين عبدالوهاب بن داود بن طاهر .

الباب العاشر : في ذكر دولة مولانا السلطان ابن السلطان ، واسطة عقد جيد الزمان ، إنسان العين وعين الإنسان ، سيد السلاطين والملوك ، الباذل في مرضاة الله اللكوك[1] ، صلاح الدنيا والدين ، قامع الطغاة / والملحدين ،الإمام الملك ١/٥ الظافر ذي النصر ، صلاح الدين عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر ، أدام الله أيامه ، وأعلا بكلمة الحق أعلامه ، وهو خاتمة الأبواب وزبدة الكتاب .

وسميته : « بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد » . والحمد لله على ما هدى إليه من جمعه وألهم ، وفتح البصيرة لإدراك ما أودعنا فيه وفهم ، وهو المستعان ، وعليه التكلان ، وهذا[2] حين الشروع في ذلك ، أرشدنا الله تعالى لأحسن المسالك .

---

(١) اللكوك جمع لُك: قطعة من الذهب وزنها عشرة آلاف دينار .
(٢) كذا في جميع النسخ .

المقدمة

في ذكر اليمن وفضله وإسلام أهله ، وفي ذكر ابتداء التاريخ الإسلامي وسبب عمله ، وفي ذكر ولاة رسول الله ﷺ ، وولاة أصحابه ، رضي الله عنهم ، ومن بعدهم ، على اليمن ، إلى [زمن][1] اختطاط مدينة زبيد .

قال المؤلف ، وفقه الله تعالى وسدده[2] ، وألهمه الصواب وأيده :

اعلم أن اليمن قطر واسع ، عظيم الفضل ، ظاهر البركة ، جليل المقدار ، وردت بفضله الأخبار والآثار . فمن ذلك ما روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي مسعود البَدْري ، رضي الله عنه ، قال : أشار النبي ﷺ ، بيده إلى اليمن ، وقال : ألا إن الإيمان ها هنا . وروى ابن حِبّان ، في صحيحه ، عن ابن عباس / ٢/٥ رضي الله عنهما قال : بينما النبي ﷺ ، بالمدينة إذ قال : الله أكبر ، جاء نصر الله ، وجاء الفتح ، وجاء أهل اليمن ، نقية قلوبهم ، لينة أفئدتهم[3] ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية . وروى الترمذي ، في جامعه ، عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ ، قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا وفي نجدنا ، قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك

---

(١) كلمة ساقطة في (ج) .
(٢) في (ج) : وشدده .
(٣) في (أ) و(هـ) : طاعتهم :

لنا في يمننا ، قالوا : وفي نجدنا ، قال: هناك الزلازل والفتن . والأحاديث في فضله كثيرة شهيرة[1] .

واختلف العلماء في تسمية اليمن . فقال جمهورهم : اليمن اسم لولد قحطان بن الهَمَيْسَع بن يَيْمَن بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام ، سموا باسم أبيهم الأكبر ، وهو ييمن بن نابت ، وبهم سميت الناحية التي سكنوها ، كما سمي كثير من البلدان باسم من سكنها ، كالشوافي ، وبَعْدان ، وذُؤالة ، ولِعْسان ، وقَفَاعة ، وشَرْعب ، ووُحاظَة[2] ، ويَحْصَب . وقال آخرون سمي اليمن يمناً ليمنه . وقيل : إنما سمي بذلك لأنه عن يمين الكعبة[3] .

٦/١ واليمن يمنان : أعلى وأسفل . فالأعلى قصبة[4] صنعاء ، / وهي إحدى جنان الأرض ، ولمسجدها فضل عظيم وقصرها غُمْدان[5] ، من أعظم العجائب . والذي عمره سام بن نوح ، عليه السلام ، بعد بنائه صنعاء . واحتفر بها البئر التي هي مقابلة لأول باب من أبواب جامعها ، من ناحية المشرق . وأما اليمن الأسفل فقصبة[6] زبيد . وهي إحدى البقاع المقدسات المرحومات ، كما روى كعب الأحبار ، عن من أدركه من أصحاب شق وسطيح الكاهنين ، أن في اليمن أربع بقاع مقدسات ، أو قال مرحومات ، وهي الكثيب الأبيض ، والجَنَد ، ومأرب وزبيد . وفي كتاب دلائل النبوة ، للإمام أبي بكر البَيْهَقي ، بسنده إلى عبدالرزاق عن معمر قال : بلغني أنه لما قدم الأشعريون من اليمن على رسول الله ﷺ قال لهم : من أين جئتم ؟ قالوا : من زبيد ، قال النبي ﷺ : بارك الله في زبيد قالوا : وفي رِمَع يا رسول الله ، قال : بارك الله في زبيد ، قالوا : وفي رِمَع يا رسول الله ، قال في الثالثة : وفي رِمَع .

قلت : والبركة ظاهرة في زبيد ، لا شك فيها ، ببركة دعاء رسول الله ﷺ ، ٦/٢ هذا . وقد أجمع العلماء على أن كافة / أهل اليمن أسلموا على عهد رسول الله

(١) في (هـ) : مشهورة .
(٢) في جميع النسخ المنقطة : وحاطة ، إنما المشهور وحاظة .
(٣) في (ج) : عن يمين البيت .
(٤) كذا في النسخ ، والصواب قصبته . لأن القصبة : المدينة الكبيرة .
(٥) غُمْدان وغَمْدان .
(٦) كذا في النسخ والصواب : قصبته .

ﷺ ، وذلك أنه ، ﷺ ، بعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كُلَال الحِمْيري ، ملك اليمن ، يدعوه وقومه إلى الإسلام ، فأسلموا . وقيل ان أول من بعثه رسول الله ﷺ ، إلى اليمن وَبْر بن يُحَنّس الخزاعي ، بعثه إلى صنعا بعد موت باذان . فأنزله دادَوَيه في كنيسة صنعاء ، عند امرأته أم سعد البُرْزُخية[1] . فقرأ عليها القرآن فأسلمت وحسن إسلامها . وكانت أول من أسلم من أهل اليمن باليمن ، وتعلمت القرآن ، وصلّت في منزلها . ثم فشى الإسلام في اليمن ، فهاجر إليه ﷺ ، من أهلها فَرْوَةُ بن مُسَيْك المرادي ، مفارقاً لملوك كندة ، ومباعداً لهم . فاستعمله رسول الله ﷺ ، على مراد ومذحج وزُبَيْد كلها . وهاجر إليه الأشعث بن قيس الكندي في ثمانين راكباً من كندة ، ومن زُبَيْد ، بضم الزاي ، عمرو بن معدي كَرِب الزُّبَيْدي والأشعث بن قيس ، وكانا مدة حياة رسول الله ﷺ ، مسلمين ثم ارتدا بعد موته ، ثم أسلما في أيام أبي بكر ، رضي الله عنه . وهاجر إليه ﷺ ، الأبيض بن جمال[2] ، وهو جد بني الكَرَنْدي ، ملوك المعافر /. وهاجر إليه الأشعريون ، من اليمن ، من وادي زبيد ومن رمع ، فيهم أبو موسى عبدالله بن قيس الأشعري ، وأخوه[3] أبو بردة ، وأبو رُهْم ، واثنان وخمسون رجلاً من قومهم ، ولما فشى الإسلام باليمن ، بعث رسول الله ﷺ ، عماله باليمن ، وهم علي بن أبي طالب ، ومُعاذ بن جبل ، وأبو موسى الأشعري ، وخالد بن الوليد المخزومي ، وزياد بن لبيد الأنصاري ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والطاهر بن أبي أهالة ، ويَعْلى بن أمية ، وعمرو بن حَزْم ، وعُكّاشة بن أبي ثور ، ومعاوية بن كِنْدة ، وجرير بن عبدالله البَجَلي ، وعامر بن شهيد ، وشَهْر بن بادام . ومع علي ، كرم الله وجهه ، بريدة الأسلمي والبراء بن عازب ، وقد قيل ان علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، دخل عدن ابين وخطب على منبرها .

٧/١

فصل

في ذكر ابتداء التاريخ الإسلامي وسبب عمله

قال الجوهري في صحاحه : التاريخ معرفة الوقت والتوريخ مثله ، يقال

---

(١) كذا في النسخ . وفي تاريخ صنعاء : البُرْزُجِية (ص ١٤٠) نسبةً إلى النعمان بن بُرْزُج والدها .

(٢) في (ب) : جمّال . (٣) في (ب) : وأخواه .

أرخت وورّخت ، ويقال أول ما حدث التاريخ من الطوفان . وذكر أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن في تاريخه ، أن أول من عمل التاريخ في الإسلام ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، في سنة سبع عشرة من الهجرة . / وسبب ذلك أن أبا موسى ٧/٢ الأشعري كتب إلى عمر ، رضي الله عنهما ، [سنة سبع عشرة من الهجرة][١] : أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ . فجمع عمر الناس فاستشارهم . فقال بعضهم : أرخ بالمبعث ، وقال بعضهم : أرِّخ بالهجرة . فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرّخوا بها . فلما اتفقوا قال بعضهم : ابدأوا برمضان . فقال عمر ، رضي الله عنه : بل بالمحرم فإنه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه . وأما ما روى الحاكم ، في الإكليل ، بسنده عن ابن شهاب الزهري ، أن رسول الله ﷺ ، لما قدم المدينة أمر بالتأريخ ، فكتب في ربيع الأول ، فهو معضل ، والمشهور خلافه . وروى ابن أبي خيثمة ، من طريق ابن سيرين ، أنه قال : قدم رجل من اليمن فقال : رأيت باليمن شيئاً يسمونه التاريخ ، يكتبونه من عام كذا أو شهر كذا . فقال عمر : هذا حسن فأرّخوا . فلما أجمع على ذلك ، قال قوم : أرّخوا للمولد . وقال قوم : للمبعث ، وقال قائل[٢] : من حين خرج مهاجراً ، وقال قائل : من حين توفي . فقال علي : أرّخوا من خروجه من مكة إلى المدينة . ثم قال: بأي شيء نبدأ ؟ فقال قوم: برجب ؛ وقال قائل : برمضان . فقال عثمان : ٨/١ أرّخوا بالمحرم ، فإنه شهر حرام ، وهو أول السنة ، ومنصرف / الناسمن الحج . قال ، وكان ذلك في سنة سبع عشرة في شهر ربيع الأول . فاستفدنا بهذا أن التاريخ الإسلامي كان إجماعاً من عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . قال بعضهم : وإنما جعل ابتداء التاريخ شهر المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان فيه ، إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة ، وهي مقدمة الهجرة ، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة ، هلال المحرم ، فناسب أن يجعل مبتدأ . قال الحافظ شهاب الدين بن حجر : وهذا أقوى ما وقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم ، والله أعلم .

---

(١) الزيادة من (ب) .

(٢) في (ج) : وقال قوم .

فصل

[اليمن في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين][1]

توفي رسول الله ﷺ ، في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وعماله على اليمن يومئذ ثلاثة : أبان بن سعيد بن العاص ، على صنعاء وأعمالها ، ومعاذ بن جبل الأنصاري ، على الجند ومخاليفها ، وزياد بن لبيد البياضي[2] ، على حضرموت وأعمالها . فارتدّ أهل حضرموت من سائر اليمن . وقيل إن رسول الله ﷺ ، كان استعمل على حضرموت المهاجر بن أبي أمية . فمرض بالمدينة ولم يطق الذهاب إلى حضرموت ، فكتب ﷺ ، إلى زياد ، ليقوم علــى عمله / . ٨/٢

فلما توفي رسول الله ﷺ ، أقرّ أبو بكر المهاجر على عمله وأمره أن يقاتل المرتدة في سائر اليمن ، مع إبقاء عمال رسول الله ﷺ ، على أعمالهم . فسار المهاجر إلى اليمن ، ومعه عبدالرحمن بن أبي العاص ، وجرير بن عبدالله البَجَلي ، فلما وصل نجران ، انضمّ إليه فروة بن مسيك المرادي فيمن معه من مراد ، فقسم المهاجر خيله فرقتين ، وترك فرقة عنده ، وأرسل أخاه عبدالله بن أبي أمية ، في الفرقة الأخرى ، إلى من ارتد من عك بتهامة . فلما دخل المهاجر صنعاء ، كتب معاذ وسائر العمال إلى أبي بكر يستأذنونه في القفول إلى المدينة ، فأذن لهم في القفول والاستخلاف على أعمالهم ، فاستخلف مُعاذ على عمله عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، والد عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، واستخلف أبان على عمله يعلى بن أمية التميمي ، حليف بني نوفل بن عبد مناف . فأقر أبو بكر ، رضي الله عنه ، كل واحد على عمله .

وحكى الشريف إدريس بن علي بن عبدالله ، في كتابه كنز الأخبار ، قال : توفي رسول الله ﷺ ، وعامله ، على مكة ، عَتّاب بن أُسِيْد ، وعلى بلاد عك من تهامة ، الطاهر / بن أبي اهالة ، وعلى الطائف ، عثمان بن أبي العاص الثقفي ، ٩/١ وعلى نجران ، عمرو بن حزم الأنصاري وأبو سفيان بن حارث ، وعلى ما بين زبيد ونجران ، خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى صنعاء ، فيروز الديلمي ، وعلى

(١) الزيادة من المحقق .

(٢) في (أ) و(ب) و(ج) : الشامي . وفي (د) و(هـ) : البياضي ، وهو المشهور .

الجند ، يَعْلى بن أُمية ، وعلى مأرب ، أبو موسى الأشعري . وكان مُعاذ بن جبل ينتقل إلى عمل كل واحد منهم ، يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين .

قال المؤلف ، ستر الله عورته[1] وغفر زلته : فلما توفي أبو بكر ، رضي الله عنه ، في جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، واستُخْلِفَ عمرُ بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أبقى عمال اليمن على حالهم ، لم يغير على أحد منهم ، إلاّ يعلى بن أُمية ، صاحب صنعاء ، فإنه عزله مرتين عن عمله .

فلما توفي عمر ، رضي الله عنه ، في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستخلف عثمان ، ردّ يعلى على عمله . ولم يزل هو وابن أبي ربيعة ، كل منهما على عمله ، إلى أن توفي عثمان ، رضي الله عنه ، في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين .

واستُخْلِف أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه . فاستَخْلَف على اليمن عَبَيْدالله بن العباس رضي الله عنهما ، على صنعاء وأعمالها ، وسعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري على الجند / وأعمالها . ولما علم يعلى وابن ربيعة بقدومهما ١/٩ سارا نحو الحجاز ، على خوف ووجل ، فلحقا بمكة . وكان يعلى قد جمع أموالاً عظيمة ، فلما وصل مكة لقي بها طلحة والزبير وعائشة ، رضي الله عنهم ، قد عزموا على الخلاف على علي[2] ، والمسير إلى البصرة ، فأعانهم على جهازهم بستمائة ألف درهم ، وستمائة بعير ، منها بعير عائشة الذي ينسب إليه يوم الجمل ، وكان اسمه عسكراً . ولم يزل عبيدالله بن العباس على صنعاء ، يحج بالناس ، إلى آخر أيام علي رضي الله عنه . ثم ان معاوية بن أبي سفيان سير جيشاً إلى اليمن وأمر عليهم بُسْرَ بن أرطأة العامري ، وأمره بقتل شيعة علي . فقتل جمعاً بالمدينة ومكة والسراة ونجران . ولما علم به عبيدالله بن العباس ، استخلف على عمله عمرو بن أراكة الثقفي ، وسار إلى علي ، وترك ولدين صغيرين له عند أم سعد البرزخية التي تقدم ذكرها . فلما دخل بُسْر صنعاء ،استدعى بالولدين الصغيرين وأمر بقتلهما ، وقيل ذبحهما بيده . ثم قتل عمرو بن أراكة الثقفي الذي استخلفه عبيدالله بن العباس على صنعاء ، وقتل معه من الأبناء، اثنين وسبعين رجلاً . / فدُفِنَ اللذان حيث ١/١٠

(١) في (أ): وهذا .

(١) في (ب) : عيوبه .

(٢) في (أ) الزيادة التالية : «أمير المؤمنين كرّم الله وجهه في الجنة» .

قتلا ، وبني عليهما هنالك مسجد ، يعرف بمسجد الشهيدين ، مشهور الفضل والبركة . وبُسْر أول جبَّار دخل اليمن ، وعسف أهله ، واستحَلَّ الحرام ، وعاث في البلاد حتى دخل مدينة عدن . فلما بلغ عليّاً ، رضي الله عنه ذلك جهز ألفي فارس من الكوفة ، ومثلهما من البصرة ، وجعل على الجميع حارثة بن قدامة(١) السعدي [رضي الله عنه](٢) ، وأمره بدخول اليمن ، ومتابعة بُسْر حيث كان ، ومطالبته بما حدث . فلما دخل حارثة اليمن ، هرب بُسْر وتفرق أصحابه . فلزم منهم جماعة ممن كان وافقه على رأيه ، ونكل بهم ، [وقتل من استحق القتل منهم](٣)، ثم عاد إلى مكة فبلغه موت علي رضي الله عنه وهو بها .

فلما توفي علي ، رضي الله عنه ، في رمضان سنة أربعين ، وصار الأمر بعده إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، استعمل على اليمن عثمان بن عثمان الثقفي ، فأقام به مدة ، ثم عزله بأخيه عتبة بن أبي سفيان ، وجمع له ولاية المخلافين صنعاء والجند ، [فأقام بالجند](٤) سنتين ، وقيل ثلاثاً ، ثم لحق بأخيه معاوية . واستخلف على اليمن فيروز الديلمي فأقام ثمان سنين . ولما توفي عتبة بن أبي سفيان ، استعمل معاوية مكانه / النعمان بن بشير الأنصاري ، فأقام باليمن سنة ، ٢ / ١٠ ثم عزله ببشير بن سعيد الأعرج ، فيما قاله الجندي . وقال الشريف إدريس : عزله واستعمل سعيد بن دادويه الفارسي ، فأقام تسعة أشهر ثم مات . فاستعمل معاوية على اليمن الضحاك بن فيروز الديلمي ، فلم يزل على اليمن ، حتى توفي معاوية رضي الله عنه ، في رجب سنة ستين للهجرة ، وقد أخذ البيعة لابنه يزيد طوعاً وكرهاً . فاستولى يزيد على الخلافة ، ثم استعمل على اليمن بُحَيْر بن ريسان الحميري ، على المخلافين معاً ، إلى أن توفي يزيد في ربيع الأول سنة أربع وستين . وصار الأمر بعده إلى عبدالله بن الزبير ، رضي الله عنهما . فاستولى على الحجاز والعراق واليمن واستخلف على اليمن الضحاك بن فيروز الديلمي ، فأقام سنة ، ثم عزله بعبدالله بن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، فأقام مدة ، ثم عزله

(١) كذا في جميع النسخ . وفي قرة العيون : جارية بن قدامة (ج ١ ص . ٨٧) .
(٢) جملة ساقطة في (أ) و(ب) و(ج) و(هـ) .
(٣) عبارة ساقطة في (ج) .
(٤) ساقطة في (ج) .

بعبدالله بن المطلب[1] بن أبي وداعة السهمي ، فأقام سنة وثمانية أشهر ، ثم عزله بأخيه عبيدة بن الزبير ، فمكث ستة[2] أشهر ، ثم عزله بحسن بن عبدالله الفقيه ، فلبث مدة ، ثم عزله بقيس بن يزيد السعدي التميمي ،فأقام عشرة أشهر، / ثم عزله واستعمل بعده ولاة يقفون الأربعة الأشهر ونحوها ، حتى قُتِلَ ، رضي الله عنه ، في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين . ١١/١

وصار الأمر إلى عبدالملك بن مروان . واستولى الحجاج على مكة ، واستعمل على صنعاء أخاه محمد بن يوسف ، وعلى الجند واقد بن سلمة الثقفي ، وعلى حضرموت الحكم بن أيوب الثقفي . فأقاموا سنة . ثم عزل واقداً وجمع المخلافين لأخيه . ولم يزل والياً عليهما إلى آخر أيام عبدالملك . وتوفي عبدالملك بن مروان في شوال سنة ست وثمانين .

وصار الأمر بعده إلى ولده ، الوليد بن عبدالملك ، فأقرّ الحجاج على عمله . وكانت وفاة محمد بن يوسف ، أخي الحجاج ، قبل وفاة عبدالملك[3] . وكان قد جمع المجذومين بصنعاء ، وجمع لهم الحطب ليحرقهم ، فمات قبل ذلك . فاستناب الحجاج على اليمن ابن عمه ، أيوب بن يحيى الثقفي ، فلم يزل والياً عليها مدة أيام الوليد ، وهو الذي بنى الجامع بصنعاء ، حين زاد فيه الوليد ما زاد .

فلما توفي الوليد في جمادى الآخرة ، سنة ست وتسعين ، وولي بعده أخوه سليمان بن عبد الملك ، استخلف على اليمن عروة بن محمد / السعدي . فلما توفي سليمان بن عبدالملك ، في شهر صفر سنة تسع وتسعين[4] ، وولي بعده ابن عمه ، عمر بن عبدالعزيز ، أقر عروة على عمله ، واستقضى وهب بن منبّه على اليمن . فلما توفي عمر بن عبدالعزيز ، في شهر رجب سنة إحدى ومائة ، واستولى يزيد بن عبدالملك ، استعمل على اليمن مسعود بن عوف الكلبي . فلما توفي يزيد في ١١/٢

---

(١) في (أ) و(هـ) : ابن عبدالمطلب والصواب ما أثبتناه . (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص . ١٦٤) .

(٢) في (أ) و(هـ) : خمسة أشهر .

(٣) كذا في النسخ إلا في (ب) : « وكانت وفاة محمد بن يوسف أخي الحجاج في أيام الوليد ابن عبدالملك » .

(٤) في (أ) : ست وتسعين .

شعبان سنة خمس ومائة . وولي بعده أخوه هشام بن عبدالملك ، أقر مسعوداً على عمله سنة ، ثم عزله واستعمل يوسف بن عمر الثقفي على مخاليف اليمن كلها . فأقام والياً على اليمن ثلاث عشرة سنة ، واستقضى على صنعاء الغِطْريف بن الضحاك بن فيروز الديلمي . ثم أمره هشام بالتقدم إلى العراق ، والقبض على خالد بن عبدالله القسْري ، فاستخلف على اليمن ولده الصلت بن يوسف ، فأقام الصلت باليمن إلى أن توفي هشام في ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة .

وولي بعده الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، فاستعمل على جميع اليمن مروان بن محمد بن يوسف الثقفي ، ابن أخي الحجاج بن يوسف . فلما قتل الوليد في جمادى الآخرة ، / سنة ست وعشين ، ومائة ، وولي بعده ابن عمه ، يزيد بن الوليد بن عبدالملك ، استعمل[1] على اليمن الضحاك بن وائل السكسكي ، واستقضى يحيى بن شُرحبيل بن أبرهة . ولم يزل الضحاك والياً على اليمن ، مدة يزيد بن الوليد ، إلى أن مات في ذي الحجة منها .

١٢/١

فلما غلب مروان بن محمد ، استخلف على اليمن القاسم بن عمر الثقفي . وفي أيامه ثار بحضرموت عبدالله بن يحيى الأعور الخارجي ، وقصد صنعاء ، وهزم القاسم بن عمر ، وقتل ابن أخيه الصلت بن يوسف ، وغلب على اليمن سنة وأربعة أشهر . واستولى نائبه ، أبو حمزة الخارجي ، على مكة ، وقتل أهل قُدَيْد ، وسار فاستولى عل المدينة ، وأقام بها أربعة أشهر ، ثم سار منها يريد الشام . فلقيته جموع الشام الذين بعثهم مروان بن محمد ، مع عبدالملك بن محمد بن عطية السعدي ، بوادي القرى . فقتلهم عبدالملك هنالك ، ثم تبعهم إلى مكة ، ثم إلى بيشة[2] ، ثم إلى اليمن وسار بعدهم إلى حضرموت ، فأتاه كتاب مروان بتولية الموسم . فصالحهم وسار في ركب قليل يريد الموسم ، فلما بلغ الجوف قتل هنالك . فلما بلغ مروان خبر قتله ، / بعث الوليد بن عروة بن محمد ، فلم يزل على اليمن إلى أن انقطعت دولة بني أمية بالشام ، وقتل مروان ببوصير ، من أرض مصر ، سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

١٢/٢

---

(١) في (أ) : فاستعمل .

(٢) في (ب) : المدينة . وفي (هـ) : بيته .

فصل

[اليمن تحت الحكم العباسي][1]

فلما قُتِلَ مروان ، ولي بعده أبو العباس السفاح ، عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي . فاستعمل على اليمن والحجاز عمه داود بن علي ، فاستعمل داود علي اليمن داود[2] بن عبدالمجيد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي . وكان أول من قدم اليمن نائباً لبني العباس ، فلما أقام بصنعاء بَوَّب جامعها ، ولم يكن له باب قبل ذلك . ثم مات داود بن علي أو قتل ، بعد مضي خمسة أشهر . فبعث أبو العباس ، على اليمن ، محمد بن زيد[3] بن عبدالله بن زيد بن عبدالمَدان الحارثي ، فقدمها للسبع بقين من رجب ، سنة ثلاث وثلاثين ، وبعث أخاً له على عدن . فساءت سيرتهما في اليمن ، وأحدث صاحب صنعاء قبائح ، وهمَّ بإحراق المجذومين ، وأمر بجمع الحطب لذلك ، وقال لو كان بهم خير ما أحدث الله بهم هذا . فمرض أياماً يسيرة قبل أن يفعل ذلك بهم، ثم مات،ومات أخوه الذي في عدن . ويقال / كان موتهما في يوم واحد . فلما بلغ السفاح علم موتهما ، بعث مكانهما عبدالله بن مالك الحارثي ، فأقام على اليمن أربعة أشهر ، ثم عزله بعلي[4] بن الربيع بن عبدالله بن عبدالمدان ، فمكث أربع سنين وأشهراً . ١٣/١

ولما توفي السفاح ، في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، ولي بعده أخوه أبو جعفر المنصور ، واستعمل على اليمن عبدالله بن الربيع بن عبدالمدان الحارثي . فأقام مدة ، وسار نحو المنصور ، واستخلف ابنه . فأقام باليمن حتى قدم عليه معن بن زائدة الشيباني ، في ربيع الأول سنة أربعين ومائة . وفي تلك السنة تناثرت النجوم ، مثل المطر ، نحو المغرب ، من أول الليل إلى الصبح ، وعوفي في تلك الليلة كثير من المجانين ، فأصبحوا لا بأس بهم . ولم يزل معن

---

(١) الزيادة من المحقق .
(٢) كذا في جميع النسخ . وفي قرة العيون : عمر (ج ١ ص ١١٩) .
(٣) كذا في جميع النسخ . وفي « قرة العيون » : يزيد (ج ١ ص ١٢٠) .
(٤) في (ب) : بيعلى .

والياً على اليمن ست سنين . وبعث ابن عم له ، يقال له سليمان ، إلى المعافر ، نائباً له عليها ، فقتلوه . فغزا معن القرية الـ قتل بها وأخربها ، وقتل من أهلها نحواً من ألفين رجلا[1] ، ومن أهل حضرموت نحو خمسة عشر ألفاً ، ثم رجع إلى صنعاء ، فأقام بها حتى أتاه كتاب المنصور مستدعياً له إلى العراق ، وأمره أن يستخلف ولده زائدة على اليمن . ففعل وسار / إلى المنصور . وأقام زائدة بن معن في اليمن بعد أبيه ثلاث سنين ، ثم استعمل المنصور على اليمن الحجاج بن منصور ، فأقام مديدة[2] ، ثم عزله بيزيد بن منصور الحميري ، خال المهدي ، سنة أربع وخمسين ومائة ، [فأقام والياً على اليمن إلى أن توفي المنصور ، في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين][3] .

١٣/٢

فاستولى على الخلافة بعده ولده محمد المهدي ، فأقر خاله يزيد بن منصور الحميري على اليمن سنة ، ثم كتب إليه أن يستخلف على اليمن ، ويسير إلى مكة ليقيم للناس حجهم . ففعل ، واستخلف عبدالخالق بن محمد الشهابي ، فولي خمسة وسبعين يوماً . ثم توفي يزيد بن منصور فاستعمل المهدي على اليمن رجا بن خالد الجذامي ، فأقام في اليمن ثلاثة عشر شهراً . ثم بعث المهدي على اليمن علي بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ، فقدمها في المحرم سنة إحدى وستين ومائة، فأقام بها سنة وخمسة أشهر . ثم سار نحو العراق واستخلف على عمله رجلاً يقال له واسع بن عصمة[4] . ثم بعث المهدي عبدالله بن سليمان ، أخا علي بن سليمان ، على اليمن، فقدم لسبع بقين من ربيع الآخر / سنة ثلاث وستين . فأقام سبعة أشهر ، وقيل سبعة عشر شهراً . ثم بعث المهدي منصور بن يزيد بن منصور الحميري ، فقدم سنة خمس وستين ومائة ومكث سنة . ثم عزله بعبدالله بن سليمان النوفلي[5] ، فمكث سنة . ثم عزله بسليمان بن يزيد بن عبدالله بن عبدالمدان الحارثي ، فمكث سنة وعشرة أشهر . ثم توفي المهدي في المحرم ، سنة تسع وستين ومائة ، واستولى على الخلافة بعده ولده ، موسى الهادي . فاستعمل على اليمن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن

١٤/١

(١) كذا في الأصول (٢) في (ب) : مدة عديدة ؛ وفي (هـ) : مدة مديدة .
(٣) جملة ساقطة في (ج) . (٤) في (ج) و(هـ) : عُصَيْمَة .
(٥) في (ج) : الموصلي

عبدالله بن العباس ، فأقام سنة . ثم عزله بإبراهيم بن سليمان بن عقبة بن مسلم الباهلي ، فمكث أربعة أشهر .

ثم توفي الهادي في جمادى الأولى سنة سبعين ومائة ، واستولى على الخلافة بعده أخوه ، هارون الرشيد . فاستعمل على اليمن خاله الغِطْرِيف، فأقام به ثلاث سنين . ثم بعث الرشيد على اليمن الربيع بن عبدالله بن عبدالمدان الحارثي ، فمكث مدة ، ثم عزله بعاصم بن عتيبة الغساني ، فأقام سنة . ثم عزله بأيوب بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ، فمكث سنة . ثم عزله بالربيع بن ١٤/٢ عبد الله الحارثي والعباس بن سعد، مولى بني هاشم ، / فأقاما سنتين . ثم عزلا بمحمد بن إبراهيم الهاشمي ، وجمع له الحجاز واليمن ، فأقام بالحجاز وبعث ابنه العباس إلى اليمن ، فشكاه الناس . فعزله الرشيد ، بعد ستة أشهر ، بعبدالله بن مصعب بن ثابت بن الزبير ، فأقام سنة . ثم عزله بأحمد بن إسماعيل الهاشمي ، ثم عزله بإبراهيم بن عبيدالله بن عبدالله بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبدالدار ، فأقام سنة . ثم عزله بمحمد بن خالد بن برمك ، فدخل صنعاء في شوال ، سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وجر إليهم النهر المعروف بالبرمكي . وكان من أحسن الولاة القادمين اليمن عدلاً ورفقاً وحسن سيرة ، كثير الصدقة ، كثير التفقد لأحوال الرعية ، محباً لهم ، ومشفقاً عليهم ، ولم يزل يلطف بهم حتى أراد بعضهم الخروج عليه . وخرج عن طاعته أهل تهامة ، فبعث إلى الرشيد يشكوهم . فبعث الرشيد مكانه مولاه حماد البربري قال له : اسمعني أصوات أهل اليمن . فقدم اليمن سنة أربع وثمانين ، وعاملهم بالعسف[1] والجبروت ، وقتل جماعة من رؤسائهم ، وشرد جمعاً كثيراً منهم ، حتى دانوا له وأطاعوا ، وسلموا ما يجب ١٥/١ عليهم/ من الخراج وزيادة ، وعمرت اليمن في أيامه ، وأمنت اسبل، ورخصت الأسعار ، ولم يزل حماد والياً حتى توفي الرشيد في ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومائة .

واستولى على الخلافة بعده ولده محمد الأمين ، فأقر حماداً البربري على عمله سنة ، ثم عزله بمحمد بن عبدالله بن يوسف الخزاعي ، فلما قدم اليمن صادر عمال حمّاد ، وأخذ منهم أموالاً جليلة ، وحسنت سيرته بالرعايا ، وأحبه أهل

---

(١) في (ب) : بالعنف .

اليمن . وبعد سنة من ولايته ، عزل بمحمد بن سعيد بن السَرْح الكناني ، فقدم صنعاء في شعبان ، من سنة خمس وتسعين ومائة . فأقام باليمن حتى ثارت الفتنة بين الأمين والمأمون . فلما ضعف الأمين ، وحصره طاهر بن الحسين وقتله ، في المحرم سنة ثمان وتسعين ، دخل أهل الأطراف في طاعة طاهر . فبعث طاهر ، على اليمن ، يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبدالله القَسْري ، فقبحت سيرته في اليمن ، وظهرت منه عصبية . وذلك أنه وجد قوماً من الأبناء ، وهم من الفرس ، قد تزوجوا في العرب ، فأمرهم بطلاق نسائهم . فلما بلغ ذلك المأمون ، ١٥/٢ عزله بعمر بن إبراهيم بن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، / ثم بعد مدة ، عزله بإسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد[1] بن علي بن عبدالله بن العباس ، فقدم في ذي القعدة ، سنة ثمان وتسعين ، وأقام على ولايته إلى سنة تسع وتسعين . ثم سار يريد الحجاز ، واستخلف على اليمن ابن عمه ، القاسم بن إسماعيل . فلما سار عن[2] صنعاء أياماً ، وثب عليه الأعراب فقاتلوه . فرجع إلى صنعاء . وقدم إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ، أميراً على اليمن ، من قبل الإمام محمد بن إبراهيم بن طباطبا ، سنة مائتين . فأسرف في القتل حتى سمي الجزار . ولم تزل أموره مستقيمة باليمن إلى أن مات الإمام محمد بن إبراهيم ، وقام بعده محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين . فلما أُسِرَ انحلت أمور الطالبيين باليمن والحجاز . فبعث المأمون محمد بن علي بن عيسى بن ماهان ، فكانت بينه وبين إبراهيم بن موسى عدة وقائع ، استظهر فيها ابن ماهان على إبراهيم . ثم بعث المأمون عيسى بن يزيد الجلودي التميمي ، والياً على اليمن . فجمع له ابن ماهان عشرة آلاف مقاتل ، وأمر ابنه عبدالله أن يخرج بهم من صنعاء لقتال الجلودي ، وأقام هو بصنعاء . فهزم الجلودي عبدالله المذكور ومن ١٦/١ معه ، ودخل / صنعاء ، وقبض على محمد بن علي بن ماهان وحبسه ، وفرق الجلودي عمال نفسه في المخاليف ، وشخص نحو العراق ، واستخلف على

---

(١) في (ب) : إسحاق بن موسى بن عيسى بن محمد . وفي (ج) : إسحاق بن عيسى بن موسى بن محمد . والتصحيح من (أ) و(هـ) .
(٢) في (أ) : من .

العمال رجلاً يقال له حصن بن المنهال . وفي سنة ثلاث ومائتين ، قلد المأمون محمّد بن عبدالله بن زياد ، من ولد يزيد بن معاوية ، الأعمال التهامية ، وما استولى عليه من الجبال . فقدم اليمن واختط مدينة زبيد ، على ما سيأتي ذكره في الباب الثاني ، إن شاء الله تعالى .

الباب الأول

في ذكر مدينة زبيد ، وفضلها ، وصفتها ، ومحلها ، وأشجارها ، وأنهارها ، واختطاطها ، وأسوارها ، وأبوابها ، ومساحتها، وعدد أبراج سورها .

قال المؤلف ، أقال الله عثرته ، ووفقه وثبته : قد تقدم في المقدمة أنها إحدى البقاع المقدسات المرحومات ، وحديث أبي موسى الأشعري في دعاء النبي ﷺ بالبركة في زبيد .

قلت : وهي بلاد العلم والعلماء ، والفقه والفقهاء ، والدين والصلاح ، والخير والفلاح ، ولم نعلم مدينة من مدائن اليمن المعمورات ، ومساكنها المشهورات ، ظهر فيها ما ظهر في مدينة زبيد من العلم والعلماء / الاثبات . [هذا ، مع قلة كفاية أهلها ، وأرزاقهم الدقيقة ، فهم أهل السعادة في الدارين حقيقة ، وهي][1] أم قرى اليمن ، ومحط رحال العلماء في كل فن . ٢/١٦

قال شيخنا، زين الدين الشَّرْجي، رحمه الله: رأيت بخط شيخنا الحافظ، نفيس الدين العلوي ، رحمه الله تعالى ، أنه قد اشتهر في ألسن العلماء ، في سائر الآفاق ، والحكماء المتقدمين ، أنها اختطت في موضع طيب أصلاً ومحلاً ، وأن هواها يزيد في ذكاء أهلها ، والله أعلم .

وأما صفتها ومحلها ، فهي مدينة مدورة الشكل ، عجيبة الوضع[2] ، على النصف فيما بين البحر والجبل . ومن جنوبيها ، واديها المسمى زبيد المبارك ، المشهور المخصوص بالبركه، لدعاء النبي ، ﷺ ، بالبركة فيه . وبركته ظاهرة مشهورة،

(١) [ ] جملة ساقطة في (هـ) .

(٢) في (ج) : الوسع .

ليس في اليمن وادٍ أبرك منه . ومن شماليها ، وادي رمع ، وقد شملته البركة بدعاء رسول الله ، ﷺ ، فيه بالبركة أيضاً . فهي مدينة مباركة ، بين واديين مباركين . ومن شرقيها ، على مسافة نصف يوم ، الجبال الشامخة ، والحصون الباذخة ، والمعاقل المنيعة ، والمساكن الرفيعة . ومن غربيها ، على مسافة نصف يوم ، البحر الزاخر ، والسفن المواخر، والنخيل الباسقة ، / والقصور الرائقة . وكانت في قديم الزمان حمى كليب ومهلهل . وهي ، في وقتنا هذا ، أعظم مدن اليمن ، وأكبر من صنعاء ، وبينها وبين صنعاء أربعون فرسخاً ، ولا يوجد في اليمن أغنى من أهلها ، ولا أكثر خيراً ، ولا أقوم ديناً ، واسعة البساتين ، كثيرة المياه والفواكه ، فيها العنب ، والرمّان ، والتين ، والبلس ، وشجر النارجيل القف ، والعنباء ، وشيء يسمى الباذان ، لا يوجد بعد بلاد الهند إلاّ بها ، والنخيل المبسوطة على كل لون ، أصفر ، وأحمر ، وأخضر ، وأجهر ، وتوتي ، ومقصاب ، وفيها الموز الكثير ، والليمون ، والنارنج الحلو والحامض ، وزهر اللينوفر ، والفل الأبيض ، والياسمين ، وزهر النارجيل ، وزهر الكاذي ، والفاغية الحنون ، والريحان ، والوزاب ، والسنبر ، والأترج الأصفر ، وبها عين جارية ، غزيرة الماء ، تأتي من شرقيها ، في سرب تحت الأرض ، حتى تقرب من المدينة ، ثم تظهر فتسقي جميع البساتين التي من خارج المدينة والتي من داخلها . وليس أهل المدينة محتاجين إلى مائها ، بل في كل بيت بئر ، أي وقت أحبوا نزعوا منها الماء ، ويفضلونه على ماء العين المذكورة .

١٧/١

١٧/٢ وأول من جرى العين المذكورة، / وعمل المجرى لها،وأدخلها المدينة ، القاضيُ الرشيد أبو الحسين أحمد بن القاضي أبي الحسن الرشيد بن إبراهيم[١] بن محمد بن الحسين بن الزبير الغساني ، الكاتب الشاعر الأسْواني . وكان أوحد عصره في علم الهندسة ، والعلوم الشرعية ، والآداب الشعرية . فعمل المجرى المذكور بحكمة الهندسة ، ووزنه وأحكمه وأتقنه ، وجره إلى المدينة ، وكانت وفاته بمصر ، سنة ثلاث وستين وخمسمائة . وكانت المدينة قبل اختطاطها عقدة طرفاء وأراك ، وحول العقدة قصورٌ وقرى ، منها المنامة والنقير ، من غربي البلد ،

---

(١) في (ب) : الرشيد علي بن إبراهيم .

مدينتين عظيمتين ، وجبيجر[1] شرقي البلد ، بناء دقيانوس، وواسط ما بين الغرب واليمن .

وأول من اختط المدينة محمد بن عبدالله بن زياد الأموي ، بأمر سلطانه عبدالله المأمون بن هارون الرشيد ، في شهر شعبان سنة أربع ومائتين . وأول من أدار عليها سوراً الحسين بن سلامة[2] ، وزير ولد أبي الجيش بن زياد ، كما حكاه ابن المجاور في كتابه المستبصر نصاً . ثم أدار عليها سوراً آخر الوزير أبو منصور مَنّ الله الفاتكي ، في سنة بضع وعشرين وخمسمائة ، وسأذكره في موضعه من الكتاب / إن شاء الله تعالى . ثم أدير عليها سور ثالث في أيام بني مهدي . ثم أدار عليها سوراً رابعاً سيف الإسلام ، طُغْتَكين بن أيوب ، في سنة تسع وثمانين وخمسمائة . وسوره الذي يلي المدينة الآن . وركب على السرر أربعة أبواب : ١٨/١

أحدها ينفذ إلى المشرق ، وهو المسمى باب الشبارق ، [ينفذ إلى الشبارق ، قرية من قرى الوادي زبيد][3] ، ثم إلى حصن قوارير وغيره .

والثاني إلى الشام ، وهو المسمى باب سَهَام ، ينفذ إلى وادي رِمَع وسَهَام ، وهو وجه المدينة وغرتها .

والثالث إلى المغرب ، وهو الذي يسمى الآن باب النخل ، وكان من قبل يسمى باب غُلافِقَة ، ينفذ إلى غلافقة وإلى الأهواب . وغُلافِقَة قرية عظيمة مشهورة ، كانت بندر المدينة زبيد ، على ساحل البحر ، وانتقل البندر إلى قرية الأهواب ، وتسمى اليوم البقعة .

والرابع إلى اليمن ، وهو المسمى باب القُرْتُب ، ينفذ إلى وادي زبيد ، ثم إلى قرية القُرْتُب. وهي قرية من قرى الوادي زبيد ، مشهورة هنالك ، خرج منها جماعة من العلماء والصالحين ، وكان بناء السور المذكور باللبن والطين ، وأبوابه وشراريفه بالآجر في الهواء ، نحواً من عشرة أذرع .

---

(١) كذا في (أ) و(ج) . وفي (ب) : جيجر .

(٢) وهذا خطأ لأن المقدسي المتوفى سنة ٣٧٥ أي قبل أن يستولي الحسين بن سلامة على الحكم سنة ٣٩١ يذكر أن لزبيد سوراً من طين له أربعة أبواب . (أحسن التقاسيم ص ٨٤) .

(٣) في (هـ) : « ينفذ إلى قرية من قرى زبيد يقال له [كذا] » .

۱۸/۲ قال ابن المجاور / : عددت أبراج مدينة زبيد فوجدتها مائة برج وتسعة أبراج ، بين كل برج وبرج ثمانون ذراعاً . قال : ويدخل في كل برج عشرون ذراعاً [إلا برج فإنه مائة ذراع][1] ، فيكون دور البلد عشرة آلاف ذراع وتسعمائة ذراع .

وقال أبو الحسن الخزرجي : وهذا غير صحيح ، فإن مساحتها تكون ، على ما ذكر ، تسعمائة معاد[2] ، وخمسة وأربعين معاداً ، ونحواً من ثلث معاد . وقد مسحت في أيام الملك المجاهد الغساني ، سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، فجاءت ستمائة معاد ، وستة وثلاثين معاداً ، ونصف معاد ، وثمن معاد .

قال : وسمعت ذلك ممن أثق به .

ثم مسحت في الدولة الأفضلية ، سنة سبع وستين وسبعمائة ، فجاءت مساحتها يومئذ ستمائة معاد وأربعة وعشرين معاداً ونصف معاد ، من غير اختبار ، وبالاختبار ، ستمائة وثمانين معاداً . وهذا كله أقرب إلى الصواب مما قاله ابن المجاور والله أعلم .

---

(۱) [ ] : جملة ساقطة في جميع النسخ والتصحيح من « تاريخ المُسْتَبْصِر » (ص ٧٤) .
(۲) المعاد عشرة آلاف لبنة . واللبنة قطعة من الأرض عرضها وطولها ذراع . وعليه فالمعاد يساوي عشرة آلاف ذراع مربع . أما القصبة فغير اللبنة وهي ربع معاد .

الباب الثاني

في ذكر تملك بني زياد ووزرائهم بها[1]

قال الجندي رحمه الله تعالى : لما بعث المأمون محمد بن عبدالله بن زياد
١٩/١ إلى اليمن، بعد ورود كتاب من عامل اليمن / إلى المأمون بخروج الأشاعر وعك في اليمن عن الطاعة، جهز المأمون ابن زياد المذكور إلى اليمن أميراً. وكان من جملة وصاياه له ، أن يحدث له مدينة في اليمن ، ببلاد الأشاعر ، بوادي زبيد . فقدم اليمن بعد الحج ، سنة ثلاث ومائتين . وبعث المأمون معه رجلاً من بني سليمان بن هشام بن عبدالملك وزيراً له ، ومحمد بن هارون التغلبي[2] حاكماً ومفتياً . ومن ولد هذا التغلبي قضاة مدينة زبيد: بنو أبي عُقامة. ولم يزل الحكم فيهم يتوارث حتى أزالهم ابن مَهْدي ، حين أزال دولة الحبشة . ففتح ابن زياد تهامة ، بعد حروب جرت بينه وبين أهلها ، وأطاعته عرب اليمن كافة ، في السهل والجبل ، واختط مدينة زبيد يوم الاثنين ، الرابع من شهر شعبان ، سنة أربع ومائتين ، بعد موت الإمام الشافعي رضي الله عنه بثلاثة أيام . وكان مع ابن زياد مولى له يسمى جعفراً[3] وهو الذي نسب إليه مخلاف جعفر . وكان فيه دهاء وكفاية حتى كانوا يقولون ابن زياد بجعفره . واشترط ابن زياد على عرب تهامة أن لا
١٩/٢ يركبوا الخيل. ووجه مولاه جعفراً إلى المأمون، سنة خمس، بهدايا جليلة / وأموال عظيمة ، فعاد سنة ست ، ومعه ألفا فارس ، فيها من مسودة خراسان تسعمائة .

(١) في (د) : لها .
(٢) في (أ) : الثعلبي .
(٣) في (أ) و(ب) : جعفرَ .

فعظم أمر ابن زياد ، وملك غالب اليمن إلى حَلْي[1] ، وخطب له بصنعاء وصَعْدَة ونَجْران وبَيْحان ، ومات سنة خمس وأربعين ومائتين .

فقام بالأمر بعده ولده إبراهيم بن محمد ، إلى سنة تسع وثمانين ومائتين ومات . وقام بالأمر بعده ولده زياد بن إبراهيم ، فلم تطل مدته . فملك بعده أخوه أبو الجيش إسحق بن إبراهيم ، وكانت مدة ملكه ثمانين سنة . فعجز عن الحركة والغزو ، وامتنع عليه أهل الأطراف ، وانقطعت الخطبة له في الجبال ، واستولى سليمان بن طرف على المخلاف السليماني ، وهو من الشَّرْجَة إلى حَلْي ، وجعل السكة والخطبة باسمه . وكان مبلغ ارتفاع عمله في السنة خمسمائة ألف دينار عَثَّرية . وخرج أيضاً ، من ولاية أبي الجيش ، لحج وأبين وما عداها إلى البلاد الشرقية . وقدم إلى تهامة ، في أيامه ، علي بن الفضل القرمطي وقصد مدينة زبيد . فهرب منه أبوالجيش فهجم على أهلها فقتلهم ، وسبى من زبيد أربعة آلاف غذراء وأمر أصحابه بذبحهن، بموضع يقال له المشاحيط، / في طريق المُذَيْخِرة، لا رحمه الله . ومات أبو الجيش سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة[2] عن طفل اسمه عبدالله ، وقيل زياد ، وقيل إبراهيم ، فتولت كفالته عمته هند أخت[3] أبي الجيش وعبد لأبيه[4] اسمه رشيد أستاذ حبشي ، فقام بأمر الطفل . ثم مات رشيد فقام بكفالة الطفل الحسين بن سلامة وهو وصيف لرشيد من أولاد النوبة نسب إلى أمه . وكان رشيد قد هذبه وأحسن تربيته وتأديبه فخرج حازماً عفيفاً ورأس على من في الدار وولي غالب أموره ومات سيده غير بعيد .

١ / ٢٠

فقام بالأمر وذب عن ملك مواليه [أحسن ذب][5] . وكانت دولتهم قد تضعضعت أطرافها ، وغلبت ملوك الجبال على الحصون والمخاليف ، فحاربهم الحسين حتى رجع إليه غالب مملكة بني زياد الأولى . واختط مدينة الكدرا على وادي سهام ، ومدينة المَعْقَر على وادي ذُؤَال . وكان عادلاً في الرعية ، كثير

(١) هكذا ضبطت في (أ) . وفي قرة العيون : حَلِي بكسر اللام (ج ١ ص ٣٢٢) . وفي صفة جزيرة العرب : حَلْي (ص ٢٥٩) .

(٢) في معظم النسخ : ٣٩١. والتصحيح من (ب) وقرة العيون (ج ١ ص ٣٢٤) .

(٣) في (أ) : بنت .

(٤) في (أ) : لأبيها .

(٥) الزيادة من (ج) .

الصدقات والمعروف والخيرات ، وأنشأ[1] الجوامع والمنارات الطوال والقلب العادية في المفاوز المنقطعة ، وبنى الأميال والفراسخ والبرد على الطرقات ، من حضرموت إلى مكة،حرسها / الله تعالى، وهو أول من أدار سوراً على مدينة زبيد[2] .

٢٠/٢

قلت : وهو الذي أنشأ مسجد الأشاعر ومسجد الجامع بها ، ومسجد مُعاذ في رأس الوادي تحت الجبل ، ومسجد الفازة في أسفل الوادي ، على ساحل البحر والله أعلم .

قال ابن عبدالمجيد : ورأيت اسمه مكتوباً في لوح في عدة أماكن ، كجامع زبيد ، ومسجد الأشاعر ، وكجامع حَلْي ، وأماكن كثيرة ، وبمسجد الرباط بأبين ، وهو من أحسن المساجد وأوسعها .

قلت : وأنا رأيت اسمه ، كما ذكر ، في مسجد الأشاعر ، بزبيد ، في لوح من خشب الساج ، مكتوباً بالقلم الكوفي ، وهو موجود الآن في رأس جداره القبلي والله أعلم .

ومن مناقبه ، رحمه الله ، أنه أتاه يوماً رجل فقال له: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك لتعطيني ألف دينار . فقال : لعل الشيطان تمثل لك فقال : إنه قد عرفني بإمارة لا يعلمها إلاّ أنت ، وذلك أنك لا تنام حتى تصلي عليه كل ليلة مائتي مرة . فبكى الحسين وقال للرجل : صدقت والله . ما أطلع على هذا أحد منذ عشرين سنة إلاّ الله تعالى ، وأعطاه المال .

٢١/١

ومنها،أنه تظلم إليه إنسان،وهو سائر من / مدينة زبيد إلى الكدرا ، وزعم أنه سرقت له عيبة فيها ألف دينار ، بوادي مَوْر. فأمر بعض خواصه أن يجعله عنده ، ويحسن إليه . ثم قام إلى الصلاة بجامع الكدرا ، فأطالها ونام في المحراب . قال الحاكي : فلم أشعر إلاّ والناس يهرعون إلى المحراب ، من جميع جوانب المسجد . فقمت معهم فإذا بالحسين بن سلامة يقول لرجل من قواده : امض مع هذا الرجل إلى القرية الفلانية وخذ له متاعه من فلان بن فلان ، ولا تغير

(١) في (أ) : وإنشاء .

(٢) أنظر ص ٢٧ ملاحظة رقم ٢ .

عليه ، فإن رسول الله ﷺ شفع إليّ فيه ، وأخبرني أنه ينسب إليه ، وهو الذي عرفني صورة الحال ، ﷺ . ولم يزل الحسين على الحال المرضي حتى توفي سنة اثنتين ، وقيل ثلاث وأربعمائة . وأما ما وقع في طراز اللوح الموجود في مقدم مسجد الأشاعر ، من تأخر تاريخ[1] إتمامه ، فإنه لم يتمم إلّا بعد موت الحسين ، كما قيل ، والله أعلم .

ولما مات الحسين ، انتقل الأمر من بعده إلى طفل من آل زياد ، قيل اسمه عبدالله . وكفلته عمة له وعبد أستاذ اسمه مرجان ، من عبيد الحسين بن سلامة .

٢١/٢ وكان لمرجان عبدان فحلان حبشيان، رباهما صغيرين وولاهما الأمور كبيرين، / أحدهما يسمى نفيساً بفتح النون وكسر الفاء ومثناة من تحت ساكنة وآخره سين مهملة ، جعل إليه تدبير الحضرة ، والثاني يسمى نجاحاً ، وهو والد الملكين سعيد الأحول وجياش ، وكان يتولى أعمال الكدرا ، والمهجم ، ومور والواديين . فوقع التنافس بين نجاح ونفيس على وزارة الحضرة . وكان نفيس غشوماً مرهوباً ، ونجاح رفيقاً عادلاً بالرعية محبوباً ، وكان مولاهما يميل إلى نفيس . فبلغ نفيساً أن عمة ابن زياد تكاتب نجاحاً، وتميل إليه ، وأعلم مولاه بذلك وأمره بالقبض عليها وعلى ابن زياد ، فقبض عليهما ، وبنى عليهما جداراً ، في دار الملك ، وهما حيّان يناشدانه الله حتى ختمه عليهما في سنة سبع وأربعمائة. فكان بموت هذا الصبي انقراض دولة بين زياد ، وهي مائتا سنة وثلاث سنين .

قلت : وقد ضبط الجندي نفيساً هذا فجعله أنيساً ، بفتح الهمزة وكسر النون ، وهو وهم فليتنبه له ، والله أعلم . وكان بنو زياد قائمين بخدمة الخلفاء العباسيين ومواصلتهم بالهدايا والأموال ، فلما اختل أمرهم وغلب أهل الأطراف على ما بأيديهم ، تغلب بنو زياد على ما بأيديهم من أعمال اليمن ، وركبوا بالمِظَلَّة ٢٢/١ وساسوا قلوب الرعاياء بإبقاء / الخطبة العباسية والله أعلم .

---

(١) في (ب) : من تأخر إتمامه . والتصحيح من (أ) و(هـ) و(ج) .

الباب الثالث

في ذكر ملوك الحبشة باليمن من آل نجاح وذكر الصُّلَيْحيين

قال المؤرخون : لما بلغ نجاحاً ما فعله نفيس بمواليه استنفر الناس ، وجمع العرب ، وقصده إلى زبيد . فجرت بينهما عدة وقائع قُتِلَ نفيسٌ في آخرها ، ويعرف بيوم العِرْق ، على باب مدينة زبيد القبلي ، وقتل معه خمسة آلاف من الفريقين ، واستولى نجاح على زبيد في ذي القعدة ، سنة اثنتي عشرة وأربعمائة . وقبض نجاح على مولاه مرجان وقال له : ما فعل مواليك وموالينا فقال : هم في ذاك الجدار . فأخرجهما ، وجهزهما ، وصلى عليهما في جمع عظيم ، وبنى لهما مشهداً في العِرْق ، وجعل مولاه مرجان حياً ، وجثة نفيس في مكانهما ، وبنى عليهما جداراً حتى ختمه . وركب بالمظلة ، وضرب السكة باسمه ، وكاتب بني العباس ، وبذل لهم الطاعة . فكاتبوه بالاستنابة ونعتوه بالمؤيَّد ولقبوه بنصير الدين ، وفوضوا إليه تولية القضاء لمن رآه أهلاً . فلم يزل مستولياً على الأعمال التهامية ، مالكاً قاهراً لأكثر أهل الجبال . وخوطب وكوتب بالملك وبمولانا . ولم يزل علي بن محمد الصليحي يسوس الأمر ، حتى كان ظهوره سنة / تسع وعشرين وأربعمائة ، في رأس ٢٢/٢ جبل مَسار ، من بلد حَرَاز ، بمخادعة منه لأهل البلد . ووصلت إليه الشيعة من أنحاء اليمن ، وجمعوا له أموالاً عظيمة جليلة ، وأظهر الدعاء إلى المستنصر ، ثم وجه له بهدايا جليلة ، من جملتها سبعون سيفاً قوائمها من عقيق . وبعث مع ذلك رجلين من قومه ، هما أحمد بن محمد ، والد السيدة الآتي ذكرها ، وأبو سبأ أحمد بن المظفر ، والد السلطان سبأ بن أحمد الآتي ذكره . فلما وصلت هداياه

المستنصر قبلها وأمر له برايات [كتب][1] عليها الألقاب ، وعقد له الولاية ، وأذن له بنشر الدعوة ، وذلك بعد أن تغلّب الصليحي على صنعاء ، وأخرج همدان عنها . فأقام بها خائفاً من نجاح ، لعلمه بعجزه عن مقاومته . ولم يزل يحتال على قتله حتى أهدى له جارية حسناء ، حملها سُمّاً وأمرها أن تدسه له في الطعام ، ففعلت . وتوفي نجاح بمدينة الكدرا شهيداً بالسم ، في سنة اثنين[2] وخمسين وأربعمائة . فلما بلغ الصليحي العلم بموت نجاح، بادر ونزل إلى مدينة زبيد ، وأزاح ٢٣/١ بني نجاح ، وكانوا أطفالاً في حد عدم الكمال ،/ وهم سعيد وجياش ومُعارك والذخيرة ومنصور وكان معارك أكبرهم فقتل نفسه غبناً . وهرب سائر أخوته إلى جزيرة دَهْلك .

وكان علي بن محمد الصليحي من أعيان اليمن وساداتها ، وأذكياء الملوك ودهاتها ، وكان شاعراً فصيحاً بليغاً . فمن شعره :

أنكحتُ بيضَ الهند سمر رماحهم ... فرؤوسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها ... إلاّ بحيث تطلق الأعمار

وكان شجاعاً ، حازماً ، جواداً ، كريماً ، ممدحاً . ثم ملك من مكة إلى حضرموت ، سهلاً وجبلاً ، في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، واستقر بمدينة صنعاء وأخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم وأسكنهم عنده . واختط بصنعاء عدة قصور ، وآلى على نفسه أن لا يولي مدينة زبيد وأعمال تهامة ، إلاّ من حمل إليه مائة ألف دينار . ثم ندم على يمينه وأراد أن يوليها صهره أسعد بن شهاب ، صنو زوجته أسماء أم المكرم ، فحملت أسماء المال عن أخيها . فقال لها الصليحي : يا مولاتنا أنى لك هذا؟ قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . فتبسم وعلم أنه من خزائنه وقبضه . وقال : هذه بضاعتنا ردت ٢٣/٢ إلينا ./ فقالت : وغير أهلنا ونحفظ أخانا[3] .

فدخل أسعد بن شهاب مدينة زبيد ، سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وأحسن

---

(١) ساقطة في (ب) .

(٢) كذا في النسخ والصواب : اثنتين . وهذا الخطأ يقع مراراً عديدة كما نبهنا إليه في المقدمة ، فلم نرَ إصلاحه في مختلف الصفحات .

(٣) سورة يوسف آية ٦٥ .

سيرته في الرعية ، وفسح لأهل السنّة في إظهار مذهبهم . وكان يحمل من تهامة إلى صنعاء ، في كل سنة ، بعد إرزاق الجند الذين بها وغير ذلك من الأسباب اللازمة ، من العين ، ألف ألف دينار .

ولم تزل هذه أحواله ، أعني الصليحي ، إلى شهر ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين ، وعزم على التوجه إلى مكة ، حرسها الله تعالى ، فاستخلف ابنه المكرم على الملك ، وسار في ألفي فارس ، فيهم من آل الصليحي مائة وستون رجلاً . واستصحب معه ملوك اليمن الذين كان أزال ملكهم ونعمتهم ، خوفاً من أن يثوروا بعده في البلاد . فنزل في طريقه، بظاهر المهجم ، بضيعة تُعرف بأم الدُّهَيْم وبير أم مَعْبَد ، وخيمت عساكره حوله . فلما كان في الثاني عشر من ذي القعدة ، لم يشعر الناس انتصاف النهار حتى قيل لهم قتل الصليحي ، فانذعروا وسقط ما في أيديهم . وكان سبب قتله أنه لما قَتَلَ نجاحاً بالسم وأرسله له مع الجارية التي أهداها إليه ، كما تقدم ، هرب أولاده سعيد / الأحوال وجياش وغيرهما، ولحقوا بأرض الحبشة، ٢٤/١ وكان قد ظهر على ألسنة المنجمين وأهل الملاحم ، أن سعيداً الأحول قاتل علي الصليحي . فاستشعره وصورت له صورة الأحول على جميع حالاته . وبلغ سعيداً ذلك فترقت إليه همته ، وتهيأ لأسبابه ، وكانت أخبار الصليحي عنده في كل وقت . فلما بلغه مسير الصليحي نحو الحجاز ، خرج من أرض الحبشة ، في البحر ، معارضاً له في خمسة آلاف حربة قد انتقاها ، حتى خرج من ساحل المهجم وسار مختفياً حتى هجم على المحطة ، نصف النهار ، والناس قايلون[1] في خيامهم ، متفرقون ، غير مستعدين لشر[2] ، ولا خائفين له . فقصد الأحول في أهل بيته خيمة الصليحي ، فدخلوا عليه فقتلوه وقتلوا معه أخاه عبدالله هنالك . وتفرقوا في المحطة فقتلوا من وجدوا ، ولم ينجُ من أهل المحطة أحد إلّا الشاذ النادر . واستولى الأحول على خزائن الصليحي وأمواله ، وقد كان استصحب منها أموالاً جليلة ، قيل كان قصده دخول مصر إلى أهل دعوته من العبيديين . وجمع الأحول آل الصليحي خاصة، فقتلهم رمياً بالحراب وأخذ أسماء بنت شهاب زوج الصليحي، / فأركبها ٢٤/٢ هودجها ، وجعل رأس الصليحي ورأس أخيه أمام هودجها ، حتى دخل بها زبيد ،

---

(١) أي مستريحون . وفي (ج) : قآيلون

(٢) في (أ) : الشرّ .

وتركها في دار شخار ووكل بها من يحرسها . وأمر أن ينصب الرأسان قبالة طاق الدار التي هي فيه . وفي ذلك يقول شاعرهم العثماني ، من قصيدة قالها ارتجالاً [وهي طويلة][1] (شعر) :

بكرت مظلته عليه فلم ترح — إلّا على الملك الأجل سعيدها
ما كان أقبح وجهه في ظلها — ما كان أحسن رأسه في عودها
سود الأراقم قابلت[2] أسد الشرا — وارحمتا لأسودها من سودها

فأقامت أسماء تحت الأسر سنة ، لم يمكنها الكتابة إلى إبنها المكرم ، حتى تلطفت لرجل مشرقي ، فرمت إليه برغيف فيه كتاب لطيف تخبر المكرم أنها قد صارت حبلى للأحول ، وليست كذلك فإنه لم يرها قط ، ولكن أرادت ما كان من استثارة حفائظ العرب .

فلما وصل الكتاب إلى المكرم ، جمع رؤساء القبائل وقرأ عليهم الكتاب ، فنكفوا ، وثارت حفائظهم . وسار من صنعاء في ثلاثة آلاف فارس غير الرجل ، فخطبهم في بعض الطريق ، وعرفهم أنهم إنما يقدمون على الموت ، فمن أراد أن يرجع فمن مكانه وتمثل بقول المتنبي / (شعر) : ٢٥/١

وأورد نفسي والمهنّد في يدي — موارد لا يصدرن من لا يجالد

فرجع بعضهم وسار في الباقين . وبلغ الأحول ذلك ، فجمع جموعه وصف له على باب المجْري إلى القبلة[3] ، في عشرين ألف حربة ، فطحنتهم العرب طحن الرحى ، وأتى القتل على أكثرهم . وكان الأحول قد أعد خيلاً مضمّرة على باب النخل ، فلما انهزم الناس ركبها في خواصه وأهل بيته ، حتى أتى الساحل ، وقد أعدت له هناك سفن فركبها نحو دهلك . ودخلت العرب زبيد قهراً ، وكان أول فارس وقف تحت طاق أسماء ولدها المكرم . فقال لها : أدام الله عزك يا مولاتنا . فقالت له : مرحباً يا وجه العرب ، ولم تعرفه . فسألته من هو فانتسب لها

---

(١) الزيادة في (ب) فقط .
(٢) كذا في (ب) و(ج) و(د) . وفي (أ) : فاتكت .
(٣) القبلة في اليمن الشمال . وعليه فالأحول أعدّ جموعه على باب سَهَام . أما في قرة العيون (ج ١ ص ٢٥٨) فالموقعة حدثت أمام باب شبارق شرقي زبيد .

فقال : أحمد بن علي . فقالت : أحمد بن علي في العرب كثير ، وأمرته برفع المغفر . فرفعه وهو يتصبب عرقاً من المعركة فعرفته ، فقالت : مرحباً بمولانا المكرم [ويروى أنها قالت له حينئذ من كان مجيئه كمجيئك فما أبطأ ولا أخطأ][1] . فأصابته ريح ارتعش لها ، واختلجت بشرة وجهه . وعاش بعد ذلك سنين عديدة وهو على هذه الحال . وأتت رؤساء القبائل يسلمون عليها ، وهي بارزة بوجهها لهم ، على عادتها في أيام زوجها الصليحي . ثم أمر المكرم بإنزال الرأسين وبنى عليهما مشهداً . قال عمارة : وأنا أدركت المشهد ، يعرف بمشهد الرأسين . وولى المكرم خاله أسعد بن شهاب زبيد والأعمال التهامية ، ورجع بأمه ٢/٢٥ إلى صنعاء، فأقامت بها حتى توفيت سنة تسع / وسبعين وأربعمائة . وعاش المكرم بعدها إلى أن مات سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، [وقيل سنة تسع وسبعين وأربعمائة والأول أصح][2] .

وأسند الدعوة إلى ابن عمه ، السلطان سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي ، وكان دميم الخلق لا يظهر من السرج بطائل. وكان جواداً شاعراً قائماً بأحوال الملك . وكان مستقر عزه حصن أشيح وما إليه من الجبال المطلة على زبيد ، كأُصاب والظُّفرُ وريمة ، فكانت الحرب بينه وبين آل نجاح سجالاً . وكانت العرب تنزل في الشتاء إلى زبيد ، وتخرج الحبشة إلى دهلك ، وترجع الحبشة في الصيف إلى زبيد ، وتخرج العرب إلى الجبال والحواز .

وكان كل واحد منهما ، أعني الأحول وسبأ بن أحمد ، يحتسب للرعايا والعمال بما قبضه نواب الآخر . حتى كان في آخر الأمر نزل السلطان سبأ في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف رجل ، فحط على زبيد ، والحبشة إذ ذاك بها . فرأى من الحبشة توانياً ، فتوانى في الحزم ، وهي مكيدة منهم . فبيتوه في بعض الليالي ، هو وعسكره ، على غرة ، فأتوا على أكثرهم قتلاً . ونجا سبأ على قدميه باقي ليلته ، حتى وجد من أركبه على فرس في آخر الليل ، ولم تعد العرب إلى تهامة ١/٢٦ بعد ذلك . / .

ولما ماتت السيدة أسماء بنت شهاب أم المكرم بعد مستقرها بصنعاء في

---

(١) جملة ساقطة في (أ) .

(٢) الزيادة في (ب) فقط .

التاريخ المتقدم ، وضعف المكرم عن تدبير الملك لما أصابه من الاختلاج والضعف ،وَكَلَ الملكَ إلى امرأته السيدة بنت أحمد ، ولم يعذرها عنه . فأمرته بالنزول معها إلى جبلة وسكناها ، ثم صاحت بالرعايا فاجتمع منهم عالم كثير ، فأشرفت من طاق وأمرت المكرم أن يشرف معها ، فنظرا فلم يجدا إلّا من يقود كبشاً أو يحمل سمناً أو براً . وقد كانت فعلت ذلك بصنعاء وأشرفت هي والمكرم على الرعية فلم يريا إلّا راكب فرسٍ[1] ، متقلداً رمحاً أو رجلاً شاهراً سيفاً ، أو متقلداً قوساً . فقالت السيدة للمكرم : العيش مع هؤلاء ، تعني رعية المخلاف ، أولى من العيش بين أولئك . فقال المكرم نعم . ثم سكنا جبلة .

وهي مدينة بين نهرين جاريين ، في الشتاء والصيف . وأول من اختطها عبدالله بن محمد بن علي الصليحي ، في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة . واختطت السيدة بها الدار المسماة دار العز ، وقد خربت ، وتعرف في عصرنا بحافة الدار .

وعاد الأحول إلى زبيد ، فطرد ابن شهاب منها . فأعملت السيدة بنت أحمد ٢٦/٢ الحيلة في قتل / الأحوال،أن أرسلت إلى صاحب حصن الشِّعِر تأمره أن يكتاتب الأحول بأنه يسلم إليه جبل الشعِر ، ومنه يستولي على السيدة وما بيدها من الأعمال . فطمع في ذلك واستغر به ، وتواعدوا ليوم معلوم . فخرج من زبيد بعسكر عظيم ، فلما صار قريباً من الحصن ، ظهر له عسكر ضعف عسكره ، فقتل في أكثر الجيش الذين معه ، في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائه ، وأسرت زوجته أم المعارك . وحمل رأس الأحول على رمح ، أمام جمل زوجته ، وجيء بهما إلى السيدة بنت أحمد ، في جبلة . وجعل رأس زوجها أمام طاقتها ، فكانت السيدة تقول : ليت لك عيناً ترى يا مولاتنا أسماء ، رأس الأحول أمام زوجته أم المعارك ، وهي أسيرة .

وكانت السيدة بنت أحمد ، حين علمت إجابة الأحول إلى الخروج عن زبيد ، كتبت إلى أسعد بن شهاب ، وهو بصنعاء ، تأمره بالتقدم إلى زبيد بعسكر وأخذها . فاعتمد ذلك ، وقدم زبيد ، وهي خلية عن قائم وعسكر ، فقبضها . وهرب بنو نجاج ، فلحق جياشُ بن نجاح ووزيرُه قسيمُ الملك ، أبو سعيد خِلف بن

(١) كذا في النسخ . ويجوز أيضاً : « فلم يريا إلا راكباً فرساً » . أما : « راكبَ فرساً » فخطأ على كل حال .

٢٧/١ أبي الطاهر الأموي، من ولد سليمان بن عبد الملك، ببلاد الهند، فأقاما بها / ستة أشهر ، ورجعا إلى اليمن في تلك السنة . قال جياش : ومن أعجب ما رأيته بالهند أن إنساناً قدم من سرنديب ، ولم يبقَ أحد إلاّ فرح به ، وزعموا أنه عالم بأخبار المستقبلات ، فسألناه عن حالنا فبشرنا بأمور لم يخرم قوله منها بشيء . واشتريت بها جارية هندية علقت مني بالهند ، ودخلت بها اليمن ، ولها خمسة أشهر . فحين وصلنا إلى عدن ، قَدَّمتُ الوزيرَ خلفاً إلى زبيد ، على طريق الساحل ، وأمرته أن يشيع بموتي في الهند ، وأن يستأمن لنفسه ، وأن يكشف لي عن حقيقة الأحوال ، ومن بقي من قومنا الحبشة في أعمالها . وصعدت إلى ذي جبلة ، فكشفت عن أحوال المكرم ، وما هو عليه من العكوف على لذاته ، واضطراب جسمه وتفويضه الأمور إلى زوجته السيدة بنت أحمد . ثم انحدرت من الجبال إلى زبيد فاجتمعت بالوزير خلف ، فأخبرني بأحوال طابت بها نفسي ، عن أوليائنا وبني عمنا ، وأنهم في البلاد كثير ، وإنما يعدمون رأساً يثورون معه . قال جياش : وجريت على عادة الهند ، فأخذت شعر وجهي ، وطولت أظفاري وشعري ، وسترت عيني الواحدة
٢٧/٢ بخرقة سوداء، وكنت قريباً من الدار السلطانية، / فإذا افترق الناس من الصباح ، قصدت مسطبة علي بن القَمّ ، وهو وزير الوالي من قبل المكرم بن علي . فسمعته يقول يوماً : والله لو وجدت كلباً من آل نجاح لأملكنه زبيد ، وذلك لشر حدث بينه وبين الوالي أسعد بن شهاب .

قال جياش : وخرج يوماً الحسين بن علي القَمّي الشاعر ، ولد هذا الوزير ، وهو يومئذ رأس طبقة أهل زبيد في الشطرنج . فقال لي : يا هندي تحسن تلعب بالشطرنج ؟ فقلت : نعم . فتلاعبنا فغلبته . فكاد أن يسطو عليَّ . فدخل على أبيه فقال : غلبت في الشطرنج . فقال له والده : ما هنا من يغلبك إلاّ أن يكون جياش ابن نجاح وقد مات بالهند . ثم خرج علي والد الحسين ، وهو طبقة عالية ، فلعبت معه فكرهت غلبه ، فخرج الدست مانعاً . فاغتبط بي وخلطني بنفسه . وهو في كل يوم وليلة يقول : عجل الله علينا بكم يا آل نجاح . فإذا كان الليل اجتمعت أنا والوزير خلف ، وتحدثنا بما اتفق ثم افترقنا بالنهار . وأنا في أثناء ذلك أكاتب الحبشة المتفرقين في الأعمال وآمرهم بالاستعداد . فحين حصّلت حول المدينة خمسة آلاف
٢٨/١ حربة، متفرقة في الحارات / وداخل البلد، قلت للوزير خلف : إن لي عند عمر بن

شحيم[1] مالاً ، فخذ منه عشرة آلاف ، وأنفقها في العسكر الذي قد اجتمع ، ففعل . ثم لقيت الوزير ليلة فقلت له : أتاني مولاي القائد الحسين بن سلامة ، رحمه الله ، في النوم فقال لي : يعود إليك الأمر الذي تحاوله ليلة ولادة هذه الجارية الهندية، ثم التفت الحسين عن يمينه فقال لرجل معه: أليس كذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ويبقى الأمر في ولد هذا المولود برهة من الدهر.

قال جياش : ولقد أذكر يوماً أن علي بن القمّ عاد من دار السلطان إلى داره غضبان . فلما سكن غضبه قال لي يا هندي اصعد حتى ألعب معك . فلما أن لعبنا جاء ابنه الحسين إلى بيته فضرب عبداً له بالسوط ، فنالني طرفه ، وأنا غافل ، فاعتزيت ، وكان عادة لي أقولها عند كل مهم يتعبني ، فقلت : أنا أبو الطامي ، فقال الشيخ : ما اسمك يا هندي ؟ فقلت : اسمي بحر . فقال : بحر والله يصلح أن يكنى أبا الطامي . قال جياش : وندمت عليها وساءت ظنوني بالقوم .

فلما أراد الله رجوع هذا الأمر إلينا ، لعبت أنا والحسين الشاعر ابن القم الشطرنج، وليس عندنا إلاّ / أبوه على سرير ، وهو يعلم ولده . فقال له أبوه: إن ٢٨/٢ غلبت الهندي أوفدتك على المكرم وعلى السيدة بارتفاع هذه السنة ، ودفعت لك الوفادة التي يدفعونها لعامل تهامة ، وهي ألوف من الدنانير . فتراخيت له حتى غلبني ، ومقصودي التقرب إلى قلب أبيه . فطاش الحسين بن علي من الفرح ، فسفه علي بلسانه فاحتملته لأبيه . فمد يده إلى الخرقة التي كانت على وجهي فأحفظني . فقام أبوه وقبّح عليه ، وقمت من الغيظ ، فعثرت فقلت : أنا جياش بن نجاح ، على جاري عادتي . ولم يسمعني سوى الشيخ . فوثب علي بن القم خلفي حافياً ، يجر رداءه حتى أدركني ، فأمسكني وأخرج المصحف ، فحلف لي بما قرت به النفس ، وحلفت له ، وليس معنا أحد . ثم أمر بإخلاء دار الأغر بن الصليحي ، وفرشت وعلقت ستورها ، ونقلت الجارية الهندية إليها ، وحمل إليها الوصائف وما تحتاجه من الآلات والماعون . وعاقني[2] عنده إلى أن أمسى الليل ، ثم أذن لي في الانصراف . فدخلت فوجدت الجارية قد وضعت ، بين المغرب والعشاء، ولدي الفاتك. فأتاني علي بن القم ليلاً وقال: خبرنا لا يخفى / على ١/٢٩

(١) في (ج) : سحيم .
(٢) في (ج) : وضافني .

أسعد بن شهاب ، فقلت إن معي في البلد خمسة آلاف حربة ، فقال قد ملكت ، فاكشف أمرك .

قال جياش : قلت فإني أكره قتل أسعد بن شهاب ، لأنه طال ما قدر على أهلينا وذرارينا فعفا عنهم ، وأحسن إليهم . فقال ابن القم : فافعل ما تراه . فضرب جياش الطبول والأبواق ، وثارت معه كافة المدينة وخمسة آلاف من الحبشة ، وأسر ابن شهاب . فقال ابن شهاب : ما يؤمننا منكم يا آل نجاح أن نؤاخذ ، والأيام سجال بين الناس ، ومثلي لا يسأل العفو . فقال له جياش : ومثلك لا يقتل يا أبا حسان . ثم أحسن إليه جياش ، وأولاه خيراً ، وسيره بجميع ما ملك من أهل ومال .

قال جياش : وتسلمت دار الإمارة بما فيها ، صبيحة الليلة التي ولد فيها ولدي الفاتك ، وصح ما كان مولاي الحسين بن سلامة أخبرني[1] به في النوم ، من رجوع الأمر إليَّ عند ولادة الحامل التي كانت عندي . ثم لم يمضِ شهر حتى صرت أركب في عشرين ألف حربة ، من عبيدنا وبني عمنا الذين كانوا مستضعفين في البلاد ، فسبحان المعز بعد الذلة ، والمكثر بعد القلة .

٢/٢٩ وكان جياش ملكاً يلقب بالعادل ، ويكنى بأبي الطامي . وكان فاضلاً ، / وله شعر رائق ، وترسل فائق ، وهو المصنف كتاب : المفيد في أخبار زبيد ، وهو كتاب متسع الإفادة عزيز الوجود .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

إذا كان حلم المرء عون عدوه ... عليه فإنّ الجهل أبقى وأروح
وفي العفو ضعف والعقوبة قوة ... إذا كنت تعفو عن كفور وتصفح

ولم يكن من المكرم بعد ذلك كبير نكاية في جياش ، أكثر من غارات على أعمال زبيد ، لم يحصل منها على شيء .

ولم يزل جياش بن نجاح مالكاً لتهامة من سنة اثنين وثمانين وأربعمائة إلى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة . ثم مات في ذي الحجة منها وترك من الأولاد الفاتكَ بن الهندية

(١) في (ج) : وصح ما كان قاله . . . وأخبرني به .

ومنصوراً وإبراهيم وعبد الواحد والذخيرةَ ومُعارك[1] . فولي بعده ابنه الفاتك ، وخالف عليه أخواه إبراهيم وعبد الواحد . وكان العسكر يحبون عبدالواحد ويأمنوه ، وجرت بينهم وقائع واقتسمت[2] عبيد أبيه عليهم . وآلت الحال إلى أن ظفر فاتك بأخيه عبدالواحد فعفا عنه وأكرمه وأغناه وأرضاه .

فأما إبراهيم ، فنزل بأسعد بن وائل بن عيسى الوائلي الكَلاعي الحميري الوُحاظي / فأكرمه بما لم يسبقه إليه أحد . وكانت عبيد فاتك بن جياش قد عظُم شأنها وكثروا وقويت شوكتهم . ٣٠/١

ثم مات فاتك بن جياش سنة ثلاث وخمسمائة ، وترك ولده المنصور بن فاتك بن جياش صغيراً ، دون البلوغ ، فملكته عبيد أبيه . وحشد إبراهيم بن جياش ، بعد موت أخيه فاتك ، على ولد أخيه ، وهبط إلى تهامة ، فالتقى هو وعبيد فاتك على قرية يقال لها الهُوَيب . وحين خلت زبيد من عبيد فاتك ، لشغلهم بإبراهيم بن جياش ، ثار عبدالواحد بن جياش في زبيد ، وحاز دار الإمارة . وخرجت[3] الاستاذون والوصفان بمولاهم منصور بن فاتك وأدلوه من سور زبيد ليلاً ، خوفاً عليه من عمه عبدالواحد بن جياش . فلما لحق المنصور بعبيد أبيه فاتك ، وتسلل الناس عنه وعنهم إلى عبدالواحد بن جياش ، حين ملك زبيد ، وكانت العساكر تحبه ، وملك البلاد ، ورأى أخوه إبراهيم أنه قد سبقه بالأمر والحصول على زبيد ، توجه إلى الحسين بن أبي الحفاظ الحَجوري ، وهو يومئذ بالحُرَيْث وبنو أبي الحفّاظ من بني حريث بن شراحيل من هَمْدان . وأما عبيد فاتك بن جياش ومولاهم المنصور بن فاتك، فنزلوا / بالملك المفضل بن أبي البركات بن أبي العلاء بن الوليد الوليدي ثم الحميري ، صاحب التُّعْكَر ، وبالسيدة الملكة بنت أحمد الصليحي ، فأكرما مثواهم هنالك . والتزمت عبيد فاتك ، للمفضل بن أبي البركات ، بربع متحصل البلاد على نصرتهم من عبدالواحد بن جياش ، فنزل معهم وأخرجه من زبيد . وهمَّ المفضل أن يغدر بآل فاتك ويملك ٣٠/٢

---

(١) كذا في المخطوطات والصواب : مُعاركاً لأن الكلمة غير ممنوعة من الصرف (مُعارك ، مثل مُقاتل ، وليس مَعارك ، وزن مفاعل ، جمع معركة) .
(٢) في (ج) : وانقسمت .
(٣) كذا في النسخ والصواب : خرج .

البلاد عليهم ، فبلغه أن جماعة الفقهاء أخذوا حصن التَّعْكَر واستولوا منه على ملك عظيم ففارق زبيد يريد الجبال ، لا يلوي على أحد ، حتى آل أمره إلى أن قتل نفسه بالسم حين رأى حظاياه بين الرجال ،في المصبغات والطارات بأيديهن ، وهنّ يغنين . ثم استقر الأمر بتهامة لمنصور بن فاتك ولعبيد أبيه . فمن أولاد فاتك الأمراء ومن عبيده الوزراء .

فأما الأمراء ، فهم المنصور بن فاتك ، ثم فاتك بن المنصور ، وهو ابن الحرة الصالحة . ثم لما مات فاتك ، ولدها من منصور ، انتقل الأمر إلى ابن عمه ، واسمه أيضاً الفاتك بن محمد بن منصور بن فاتك بن جياش ، سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة . وقتلته عبيده سنة ثلاث وخمسين / وخمسمائة [وعنهم زالت الدولة إلى علي بن مهدي ، الخارج باليمن في رجب سنة أربع وخمسين وخمسمائة][1] . ولم يكن لأولاد فاتك بن جياش من الأمر سوى النواميس الظاهرة ، من الخطبة لهم بعد بني العباس ، والسكة ، والركوب بالمِظَلَّة في أيام الموسم ، وعقد الآراء في مجالسهم . وأما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود وإجازة الوفود ، فلعبيدهم الوزراء ، وهم عبيد فاتك بن جياش وعبيد أبيه منصور . قال عُمارة: وهم وإن كانوا حبشة ، فلم تكن ملوك العرب تفوقهم في الحسب إلاّ بالنسب ، وإلاّ فلهم الكرم الباهر ، والعز الظاهر ، والجمع بين الوقائع المشهورة ، والصنائع المذكورة والله أعلم .

١ / ٣١

---

(١) الزيادة من (أ) و(هـ) .

البابُ الرابع

في ذكر وزراء آل نجاح

قال مؤلفه ، سامحه الله ، وغفر له ، وأصلح قوله وعمله : ولنذكر هاهنا من وزر من عبيد فاتك .

فأول من وزر منهم أنيس الفاتكي ، وهو من بطن من الحبشة يقال لهم الجزليّون . وملوك بني نجاح من هذا البطن . وزر أنيس المذكور لمولاه منصور بن فاتك بن جياش . وكان أنيس المذكور جباراً ، غشوماً ، مهيباً ، شجاعاً ، مشهوراً، جواداً، / وله في العرب وقعات تحاموا تهامة من أجلها. فشمخت نفسه على الوزارة ، وعمل لنفسه مِظَلّة للركوب ، وضرب سكة باسمه ، وهم أن يفتك بمولاه . فلما اشتهر عنه ذلك ، عمل مولاه منصور بن فاتك وليمة في قصر الإمارة واستدعاه إليه ، فلما صار عنده قطع رأسه ، فكان أول وزير قتل جهراً . ثم استصفى أمواله وحريمه . وممن صار إليه بالابتياع ، من ورثة أنيس المذكور ، جارية حبشية يقال لها علم ، واستولدها المنصور ولداً يدعى فاتكاً ، وهي الحرة الصالحة التي كانت تحج بأهل[1] اليمن براً وبحراً في خفارتها[2] من الأخطار والمكوس . وكان قتل أنيس المذكور سنة سبع عشرة وخمسمائة . ٣١/٢

ثم استوزر منصور بن فاتك بن جياش الوزيرَ أبا منصور منّ الله الفاتكي .

---

(١) كذا في المخطوطات والصواب : تحج أهلُ اليمن .

(٢) في « قرة العيون » : فيأمنون بخفارتها (ج ١ ص ٣٥٢) وهو أصوب.

وكان من كرام الوزراء وأعيانهم ، في الشجاعة ، والكرم ، وإثابة الشعراء والقاصدين بما يليق . وهو الذي كسر علي بن إبراهيم المصري ، المعروف بابن نجيب الدولة ، على باب زبيد ، وقتل من أصحابه نحو تسعمائة ، في آخر سنة ثماني عشرة وخمسمائة . وله وقعة أخرى مع أسعد بن أبي الفتوح، قتل / فيها من العرب ما ينيف على الألف . فشمخت نفسه على الوزارة ، وسمت إلى الملك ، فقتل سيده منصوراً بالسم وجعل الملك لولده فاتك الذي من الحرة علَم . وكانت الحرة علَم من أهل العقل والفضل والدين ، وجعل الله فيها من الخير ، والسداد ، والتوفيق ، والبركة للمسلمين ، ما تجاوز الوصف ، بحيث لم يوجد ذلك في كثير من الرجال ، كيف في النساء . وكانت كثيرة الحج والصدقة ، وكان فيها تسديد الملك بحيث أن سيدها وأهل دولته لا يقطعون أمراً دون مراجعتها ، وكانت تكرم الفقهاء والعباد وتحترمهم ، وكانت وفاتها ، على الحال المرضي ، سنة خمس وأربعين وخمسمائة .

٣٢/١

فلما قتل منٌّ الله سيدَها منصوراً ، وملك ابنها فاتك بن منصور ، وهو إذ ذاك طفل صغير وكان أبوه قد توفي عن أكثر من ألف سرية ، فجعل الوزير منّ الله يتصل بهن واحدة بعد أخرى ، حتى لم تسلم منه غير الحرة علَم في يسير من خواصها ، اعتزلن معها في دارها ، ولم يجعلن له تطرقاً إليهن . وما قنع بالسراري حتى تعرض لبنات مواليه الابكار ، فشق ذلك على سائر العبيد ، وعلى الحرة علَم ، ولم يقدر أحد على دفعه لشجاعته / وهيبته . فقالت إحدى الحظايا اللاتي سلمن : أنا أحتال لكن في قتله ، فإن لم نقتله فضحنا في نفوسنا وأولادنا. وكان قد راسلها فأبت ، فلما عزمت على الأمر راسلته ، ففرح وقال لرسولها : قل لها هل آتيها أم تأتيني ؟ فقالت : قدره أجل ، بل أنا آتيه . ثم أخذت خرقةً لطختها بسم قاتل ، فوصلت إليه ليلاً فخلا بها وجامعها . فلما فرغ مسحت مذاكيره بالخرقة ، فوقع من فوره ميتاً . وخرجت مسرعة فلحقت بالحرة . فدخل عليه ولده فوجده ميتاً ، فدفنه في اصطبل داره ، وغيب قبره ، في ليلة السبت ، خامس جمادى الأولى ، سنة أربع وعشرين وخمسمائة . وكان ولده المذكور جيداً . ولم تكن في منّ الله خصلة تذم غير فسقه بالنساء ، وهو أول من أغنى فقهاء المذهبين بالصدقة ، ومدحته الشعراء ، فكان يثيبهم ثواباً جزيلاً . وهو الذي درب مدينة زبيد ، بعد الحسين بن سلامة .

٣٢/٢

فلما مات ، جعلت الحرة علَم الوزارة في القائد رزيق الفاتكي . وكان كريماً شجاعاً ، لكن غالب كرمه على الشعراء ، ولم يكن له نفاذ في سياسته العسكر[1] .

٣٣/١ وكان له من الولد ثلاثون ولداً ، وتناسخت فريضته وفريضة / من مات من أولاده وأولادهم قبل القسمة ، وانتشرت واتسعت حتى لم يقدر أحد من الفقهاء ، على طول باعهم ، وكثرة اشتغالهم بهذا الفن خاصة ، على إخراجها ، إلى أن قدم مدينة زبيد رجل من أهل حضرموت ، يقال له أحمد بن محمد الحاسب ، في سنة تسع وثلاثين ، وقد جاوز الثمانين ، يريد الحج . فأخرج فريضتهم وصححها وأعطاها الفقيه عُمَارة ، وعلمه السبيل إلى إخراجها وتصحيحها . [وحصل لهما مال عظيم في مقابلة ذلك ، ثم حجّا ومات الحضرمي بعد قضاء الحج][2] رحمه الله .

ولما ضعف رزيق المذكور عن تدبير الملك، استقال من الوزارة واستدعى لها أبا المنصور مفلحاً الفاتكي ، وهو من بطن من الحبشة يقال لهم سَحَرْت . وكان يكنى أبا منصور ، بولد له . وكان من أعيان الناس ، وأكابر الفقهاء ، كامل التفقه ، والأدب ، والسماحة ، والفصاحة[3] ، والشجاعة والرئاسة الكاملة ، وكان يقال لو كان له نسب من قريش لكملت له شروط الخلافة . وكان عبيد فاتك ينبزونه ، وهو صغير بالبغل . فكان يقال له مفلح البغل ، ولا يغضب من ذلك .

٣٣/٢ وكان يقول: والله ما عصيت الله بفرجي منذ خلقت . وقدم في أيامه / أبو المعالي بن الحباب ، من الديار المصرية . فابتاع وصيفاً حبشياً بسبب الخدمة ، فهرب الوصيف وتعلق بغلمان الوزير مفلح . فكتب أبو المعالي إلى الوزير بسبب غلامه بهذين البيتين :

وأنت سحاب طبق الأرض صوبه ... وعاقته عن سقياي إحدى العوائق
فإن لم تجدني هاطلات غمامه ... فلا تدن مني محرقات الصواعق

فلما وقف منصور بن الوزير مفلح على البيتين ، تنبه بهما على فضل أبي المعالي ، واستدعى بالغلام فرده إليه خامس خمسة من جنسه . واستدعى أبا المعالي ، وأمره أن يمدح الوزير ، ففعل . ثم أحضره إليه حتى أنشده ، ودفع له

---

(١) في (ب) و (ج) : في سياسة العسكر .
(٢) [ ] : عبارة ساقطة في (ج) .
(٣) في (أ) : والصباحة .

خمسمائة دينار ، وأعطاه منصور من عند نفسه ثلثمائة ، ثواباً على قصيدة أخرى مدحه بها ، وحمله إلى مكة ، حرسها الله تعالى .

ثم حصلت وحشة بين القائد مفلح ، وبين القائد سرور الآتي ذكره . فاحتال سرور على إخراج مفلح من زبيد ، حتى خرج ولحق بحصن يقال له الكرش[1] ، في جبال بُـرَع. وجعل يغادي تِهامة ويراوحها بالغارات ، فكانت له وقعات مع سرور ، ثم كانت الدائرة لسرور عليه ، فلزم الحصن ، ومات فيه سنة سبع ، وقيل ٣٤/١ تسع وعشرين / وخمسمائة، وخلف ابنه منصوراً ، فحارب سروراً مدة .

وقام بالوزارة يومئذ إقبال الفاتكي . فلما طال القتال بين منصور وسرور ، تأخر أصحاب منصور عنه وخذلوه ، فطلب من إقبال الأمان فأمنه وعاد إلى زبيد على الأمان من السلطان ومن الوزير . ولما وصل ، خلع عليه الوزير وأنزله بدار أبيه ، ثم قبض عليه من الغد وقتله ليلاً . فغضب السلطان والقائد سرور لذلك فتلطف لهما بالاعتذار ، وقتل سيده بالسم في شعبان سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة .

ولم يكن لسيده عقب ، فاتفق رأي أعيان الدولة على ابن عم له ، اسمه فاتك ابن محمد بن فاتك المقدم ذكره ابن الملك جياش . وكان ضعيف العزم . ولم يقم للوزير إقبال بعد قتله لسيده حال يرتضى . وكان قد نشأ في دار الملك فاتكِ بن منصور وأمه الحرة علّم رجالٌ وأستاذون اشترتهم الحرة وربتهم . فمن فحولهم سرور المذكور ، وهو أمير القوم ، ومن حين نشأ صار الوزير معهم أجنبياً ، وعظم بهم وعز جانب مولاتهم الحرة . وكانوا يتكلمون على لسانها ولسان السلطان ، ٣٤/٢ واستمالوا خلقاً كثيراً من الفارس والراجل. وهم الذين أخرجوا مفلحاً وجعلوا / إقبالاً مكانه . ولما تحققوا منه قتل سيده وسيدهم جعلوا الوزارة والتدبير بيد القائد سرور . فكان به ختام مملكتهم ووزرائهم . قال عمارة في حقه : وإن جعلتُ ذكره ختامهم فهو في التحقيق امامهم . وهو الوزير أبو محمد سرور الفاتكي ، نسبةً إلى ولد الحرة ،وجنسه من بطن من الحبشة يقال لهم أُمْحَرَة ، اشترته الحرة علّم ، وربته تربية خاصة في حجرها . ولم يلبث أن شب ، فولته زمّ المماليك ، والتدبير لجميع الدار ، والترأس على من فيه . وكان موفقاً مسدداً . ثم ولي العِرافة على

---

(١) في مخطوطة (أ) : الكَرِش . وفي قرة العيون : الكَرْش ، أما الكَرِش فبلدة في الأصابح من ملحقات لحج (ج ١ ص ٣٥٥) .

طائفة من الجند ، وملكهم بالإحسان والصفح . ثم ولي السفارة بين السلطان والوزراء فاستغنى عن الأزمة[1] والأستاذين . وكان زمام الدار يومئذ خادم يقال له صواب ، وكان مباركاً يميل إلى الدين والعبادة . وكان إذا قيل له : قد أخذ سرور مكانك ، قال : القائد أبو محمد سرور هو صاحب الأمر والنهي عليّ ، وعليكم ، وعلى مولاتنا ، وليس نخرج عن طاعته ، وهو أهل أن يتقلد أمور الناس في الثواب والعقاب ، ثم ترقت بسرور الحال إلى أن أخرج إقبالاً من الوزارة وصار مكانه لأمور كثيرة يطول شرحها / استحق بها التقدمة . ولنذكر شيئاً من أحواله اللائقة. ٣٥/١

قال عمارة : كان يخرج من بيته، إلى مسجده، بعد نصف الليل أو ثلثه . وكان من أعلم الناس بالمنازل . وإذا قيل له : كيف تخرج في هذا الوقت ، فيقول إنما أخرج في هذا الوقت لأجل من لا يقدر على الوصول إلي بالنهار ، من أهل البيوت[2] وأرباب الستر ، إما لفرط الحياء أو لكثرة الناس . ثم إذا صلى الصبح ، ركب اما إلى صالح يزوره ، أو مريض يعوده ، أو ميت يحضره أو عقد نكاح يشهده ، ولا يخص بذلك احداً دون أحد غيره ، بل يفعله عموماً . ومن دعاه من صغير أو كبير أجابه . ويجفو عليه المتظلمُ من الرعية ، ويفحش له في القول ، وهو آمن من غضبه . ومتى استدعي إلى مجلس الحكم حضر تواضعاً ، ويقوم بين يدي الحاكم إجلالاً للشرع ، وليقتدي به من سواه . وكان يحب العلماء والفضلا . ثم يرجع إلى باب السلطان ، ويدخل فيسلم ، ويقف بباب السلطان فيقضي حوائج الناس على اكمل الأحوال . ثم إذا كان وقت الغداء ، ذهب إلى بيته فقال[3] فيه حتى الزوال ، ثم يخرج إلى المسجد ، فلا يشتغل بشيء ، بعد الفريضة ، غير سماع المسندات الصحيحة، عن رسول الله، ﷺ / حتى العصر فيصليها ، ٣٥/٢ ويدخل داره ثم يقعد حتى المغرب . ثم يخرج إلى المغرب ، فإذا صلاها تناظر الفقهاء بين يديه حتى العشاء ، فيصليها . وربما ترك المناظرة في بعض الليالي ، وركب حماراً وأخذ وصيفاً واحداً بين يديه ، وسار حتى يدخل على سيدته الملكة الحرة فيشاورها في بعض المهمات . ولم تزل تلك عادته حتى قتل بمسجده ، في الرّكعة الثالثة من صلاة العصر ، يوم الجمعة ، ثاني عشر شهر رجب ، سنة إحدى

---

(١) الأزمة : جمع زمام وهو الذي يقوم بأمر الدار .
(٢) في (أ) : البيوتات .
(٣) أي استراح وقت الظهيرة .

وخمسين وخمسمائة ، قتله رجل من أصحاب ابن مهدي ، يقال له محرم ، وقتل معه جماعة ، ثم قتل في تلك العشية .

ومسجده إلى الآن يعرف بمسجد سرور ، غربي مرباع العجور ، من مدينة زبيد . ولا يكاد يعرف من هو سرور إلاّ آحاد الناس ، بل يعرف أهل زبيد أنه من المساجد المنسوبة إلى الحبشة .

فأما أحواله المختصة بالدنيا وتدبيرها ، فكان من عادته أنه يخرج من زبيد في آخر شعبان ، فيصوم رمضان في المهجم ، فيكشف عن أحوالها ، ويصلح أعمالها وجميع الأعمال الشامية . وكانت نفقاته وصدقاته تتسع ، في رمضان ، اتساعاً يجاوز الحد والوصف ، بحيث كانت وظيفة مطبخه ، في كل يوم من رمضان ، ألف دينار . / ثم يعود إلى زبيد في آخر شوال ، فيخرج الناس للقائه على اختلاف طبقاتهم ، ويقفون له على تل عال ، فأول من يسلم عليه الفقهاء : الشافعية والحنفية والمالكية . وكان حين يراهم يترجل ويسلم عليهم راجلاً ، ولا يفعل ذلك لغيرهم ، ثم يسلم عليه التجار ثم العسكر . ثم يدخل من فوره إلى دار السلطان ، فيقضي حق السلام ، ثم يدخل إلى مولاته الحرة ، فحين يدخل عليها مجلسها ، يتفرق من حولها حتى لا تبقى إلاّ جارية من خواصها تسمى غزال ، وهي أخت زوجته ، ثم جاريتان لمولاها منصور ، كنّ يمشين على منوالها في الخير والصلاح . فكان إذا دنا منها ، نزلت عن السرير إكراماً له ، ثم تقول له : أنت يا أبا محمد وزيرنا ، بل مولانا ، بل رجلنا الذي لا يحل لنا الخروج عن طاعته في شيء . فيبكي ويعفّر خده بالأرض حتى تتولى رفعه بيدها ، ثم يتأخرن الثلاث الجواري[1] عن مجلسه ،ويقفن في حاشية المجلس ، بحيث لا يسمعن كلامهما ، فيحدثها بما دبره ويدبره[2] من الأمور الماضية والمستقبلة . ولا يزال بين يديها حتى تقوم[3] إلى صلاة الظهر ، فيذهب إلى مسجده ، وهو على باب داره ، فيجده لا يتسع لكثرة الناس الذين لا يستطيعون الخروج إلى لقائه ، / فيسلم عليهم ويصلي بهم الظهر ، ثم يدخل بيته .

٣٦/١ ٣٦/٢

---

(١) كذا في النسخ ، والصواب : تتأخر . ويذكرنا هذا التركيب بلغة : « أكلوني البراغيث » .
(٢) في (هـ) : وتدبره .
(٣) في (ب) : يقوم .

قال عمارة : ورأيت جريدة صدقاته المعتادة ، فرأيت مبلغ ما كان يدفعه للفقهاء ، والقضاة ، والمتصدرين لأمر الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام ، والمدرسين والمفتين : اثني عشر ألف دينار في كل سنة ، وما يعطيه لحواشي الدار ، وأعيان الدولة ، من الأزمة ، والجهات والوصفان : عشرون[1] ألفاً غير أرزاقهم المستمرة ، وما يحمله إلى بيت مولاته الحرة وحواشيها ، ومن يلوذ بها ، على وجه الهدية : خمسة عشر ألف دينار . وأخباره في الكرم والشجاعة يطول شرحها ، وإنما أوردت[2] منها قليلاً من كثير .

قال الجندي : وقد تأملت دولة الحبشة ، في ابتدائها وانتهائها ، فرأيت ابتداءها برجل مبارك ، وهو الحسين بن سلامة ، وانتهاءها برجل مثله[3] ، وهو هذا سرور . رحمهما الله تعالى .

قلت : وفي أيامهم ، أعني وزراء آل نجاح ، عمل القاضي الرشيد ، أحمد ابن أبي الحسن الغساني الأسواني المجرى الذي يدخل مدينة زبيد ، من الناحية الشرقية ، بحكمة الهندسة ، وكان أوحد أهل عصره في ذلك ، كما ذكرناه في الباب الأول والله سبحانه أعلم .

---

(۱) كذا في جميع النسخ والصواب : عشرين ، إلا إذا قُطِع الحديث ، فيصبح الإسم الموصول في : « ما يعطيه » مبتدأ .
(۲) في (أ) و (هـ) : أوردنا .
(۳) في (أ) : برجل مبارك .

البابُ الخامِس

٣٧/١ في ذكر قيام السيد علي بن مهدي / الحميري ،
القائم باليمن ، وزوال ملك الحبشة ،
وانقضاء دولتهم

قال المؤلف ، وفقه الله تعالى ، وتاب عليه ، ونظر بعين اللطف إليه : لما قُتِلَ سرور الفاتكي ، كما قدمنا ، تنافس القواد وأعيان الدولة على موضعه ، واشتغلوا عن تدبير الملك وتحصين بيضته بذلك ، والسيد علي بن مهدي قد طلع عن بلده العَنْبرة، بعد موت الحرة ، في التاريخ المتقدم ، إلى الجبال وتحصن بحصن يقال له الشِّرف ، من حصون أُصاب ، بالمخلاف المشهور ، من بلاد اليمن . فلم يزل يكرر الغزو ، ويضعف البوادي التي حول زبيد ، حتى أجلى[1] أهلها عنها ولم يبق غير المدينة ، حتى فتحها بعد حروب كثيرة ، كان ابن مهدي فيها من المسرفين الذين سعوا في الأرض الفساد ، في يوم الجمعة ، الرابع عشر من شهر رجب ، من سنة أربع وخمسين وخمسماية . فمكث بها بقية رجب ، ثم شعبان ، ثم رمضان ، وتوفي في سابع شوال ، فكانت مدة ملكه شهرين وأحد وعشرين يوماً .

ثم خلفه ابنه مهدي ، ودفن أباه في موضع كان عيّنه له ، وأمر أن يجعل جامعاً ويصلى فيه الجمعة ، نظيراً لما فعلته السيدة بذي جبلة ، وهو الموضع الذي في مقابلة المدرسة المعروفة في عصرنا بالمَيْلَين ، ويعرف / بالمشهد . ٣٧/٢

قال الجندي ومن آثاره الباقية إلى عصرنا : المنارة . وأدركته وقد جعل اصطبلاً لبعض ملوك الغزّ .

---

(١) في (ب) و(د) : أخلى .

قلت : ولم يبق منه ولا من آثاره ، في عصرنا هذا ، شيء إلّا جدار المنارة ، كما أخبرني به بعض أصحابنا الثقات ، ممن شاهدوه . وهو الآن حافة الخمارين والعبيد والعسكر والله أعلم .

ولما تمهدت لمهدي قاعدة تهامة ، غزا الجبال ، والجند ، والمخلاف ، ونواحيها وأهل المغربة ، والذُّنَبَتَين ، وقتل منهم أمماً لا تحصى ، وعاد إلى الجند وأخربها ، وأخرب جامعها ، يوم الإثنين الرابع عشر من شوال ، سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . ثم عاد إلى زبيد وقد أصابته طايرة تفطر منها جسمه ، بعد أن ظهر به شبه إحراق النار ، بحيث أنه لم ينزل من تعز إلى زبيد إلّا في محفة فرشت بالقطن المندوف . فلما صار بزبيد توفي في مستهل القعدة ، من السنة المذكورة . وكان ، مع كونه تمذهب بمذهب أبي حنيفة ، يُكَفِّر بالمعاصي ، ويقتل بها ، ويقتل من خالف معتقده . ولذلك[1] قتل جمعاً من الفقهاء . ويستبيح وَطْءَ نساء من خالفه في المعتقد ، ويسترق ذراريهم ، ويجعل دارهم دار حرب . وكان لا يثق بإيمان ١/٣٨| أحد من أصحابه / حتى يقتل بعض أهله . ويقرأ عليهم: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية[2] . وكان أصحابه يعتقدون فيه فوق ما يعتقد الأحياء في الأنبياء . وكان إذا غضب على رجل من عسكره ، حبس الرجل نفسه في الشمس ، ولم يأكل ولم يشرب ، ولم يوصل إليه ، ولا يستطيع أحد أن يشفع فيه ، حتى يرضى ابتداء . وعلى الجملة كان ابن مهدي وأولاده ممن سعى في الأرض الفساد .

ولما توفي ، خلفه أخوه عبد النبي . وخدعه أخوه عبدالله فلبث مدة وخلص ، واستعاد الملك ، وغزا الجبال ، وطلع المخلاف . وكانت له وقائع مشهورة في لحج ، وأبين ، ومخلاف الساعد[3] في بني سليمان ، وأسر وسبى ذراريهم ، وسفك دماء المسلمين . وغزا في أيامه غزوتين: إحداهما إلى جهة أبين ، قصدها يوم السبت ، منتصف شهر صفر ، من سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، فحرقها ، وقتل أناساً من أهلها ، ثم رجع إلى زبيد ، وأقام إلى سنة

---

(١) في (ب) و(ج) : وكذلك .
(٢) سورة المجادلة .
(٣) في (ب) : ومخلاف الساعدي .

إحدى وستين . وغزا غزوة ثانية نحو المخلاف السليماني ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، معظمهم من الأشراف ،ومن جملتهم وهاس بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس السليماني ، وكانْ من أمراء الأشراف وساداتهم .وفي قتله يقول عبد النبي / ٢/٣٨ قصيدته المسمطة المشهورة التي أولها : لمن طلول بالحما[١] ، وهي معروفة متداولة .

وفي غرة شهر ربيع الأول ، من السنة المذكورة ، جرد أخاه أحمد بن علي لعمارة مدينة الجند ، فابتدأ في عمارتها يوم السبت ، الخامس من الشهر المذكور ، وأقام يعمرها إلى آخر الشهر . ثم أغار على الخؤة[٢]، ودخلها أخوه أحمد بن علي وحرقها . ثم رجع عبد النبي إلى الجند ، في جمادى الآخرة ، ثم سار إلى عدن وحاصرها أياماً ، ولم يظفر منها بشيء ، ثم ارتفع عنها ، في ذي القعدة ، سنة ثمان وستين . فخرج صاحبها ، السلطان حاتم بن علي بن الداعي سبأ بن أبي السعود الزريعي إلى صنعاء ، مستنصراً بالسلطان علي بن حاتم الهمداني ، فأكرمه وأجابه وأسعفه ، وقصد عبد النبي المذكور وهو في تعز . فكانت بينهما وقعة عظيمة بذي عُدَيْنة ، في ربيع الأول ، سنة تسع وستين . فانهزم عسكر ابن مهدي ، وقتل منهم طائفة ، ورجعوا إلى زبيد ، فأقاموا بها إلى أن وصل المعظم تُوران شاه ، على ما سيأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى . وكانت دولتهم ، في زبيد ، خمس عشرة سنة ، وثلاثة أشهر ، وثمانية أيام ، والله أعلم .

---

(١) انظر هذه القصيدة في قرة العيون ج ١ ص ٣٦٧ .

(٢) في (ج) : الجؤة .

الباب السادس

في ذكر دولة بني أيوب / وأول دخولهم اليمن

١/ ٣٩

قال المؤلف ، غفر الله ذنبه ، وفرج كربه : ثم انصرمت دولة بني مهدي وانقضت بقدوم السلطان ، الملك المعظم ، فخر الدين توران شاه إلى اليمن . وسبب قدومه أنه لما اتصل العلم بأخيه ، الملك الناصر ، صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان الأيوبي ، ثم الكردي ، ان باليمن رجلاً يقال له عبد النبي بن مهدي ، وأنه خارجي بها ، وأن من جملة ما يزعم[١] أن دولته تطبق الأرض ، وأن ملكه يسير مسير الشمس . فغضب من ذلك ، وجهز أخاه ، الملك المعظم ، فخر الدين توران شاه ابن الملك الأفضل أبي الشكر أيوب في عسكر جرار ، فدخل اليمن وافتتح زبيد يوم الاثنين التاسع[٢] من شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ، ولقب بالمعظم لقهره وغلبته ، وقبض على عبد النبي بن مهدي وجماعة من قومه ، ومات عبد النبي في أسره ، وزالت دولة بني مهدي . وسار المعظم إلى عدن فملكها ، وقتل بلال[٣] بن ياسر المحمدي ، نائب آل زُرَيْع بعدن ، وأخذ خزائنه ، وتوجه إلى صنعاء أول المحرم ، سنة سبعين ، فدخلها ، وملكها، / وبنى بها المباني . وكان معه من الأمراء الأعيان درياس وسيف الدولة [ابن منقذ ، وأخوه محمد بن منقذ][٤] ، وخطاب بن منقذ ، وعثمان الزنجبيلي ،

٢/ ٣٩

---

(١) في (هـ) : يزعمه .
(٢) كذا في جميع النسخ الا في (أ) : السابع .
(٣) في (ب) : هلال .
(٤) في (ب) : بن سعد واخوه محمد بن سعد .

ومظفر الدين قَايْماز . فرتب ، في زبيد ، الأمير أبا الميمون ، المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكِناني ، الملقب مجد الدين ، المشهور بسيف الدولة ، وفي تعز ، ياقوت التِّغِري ، وفي عدن ، عثمان الزنجبيلي ، وفي ذي جبلة ، مظفر الدين قَايْماز . ولم تعجب المعظم اليمن ، فتوجه من صنعاء إلى أخيه صلاح الدين بمصر ، فوجده على حصار حلب ، فواجهه واستنابه بدمشق ، ثم رجع إلى الاسكندرية ومات بها ، في صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة . وفي أثناء إقامة سيف الدولة ، المبارك بن كامل بن منقذ بزبيد نائباً ، ظهر بها رجل صوفي اسمه مبارك بن خلف ، له فضل ، ومال إليه الناس لذلك ، وأحبوه ونفذت عندهم كلمته . فلما علم المبارك تخوف منه أن يفعل ، كما فعل ابن مهدي من الوثوب على البلد وتملكها ، فقتله بسبب ذلك . فحيل بينه وبين النوم ، وأشرف منه على الهلاك ، فشكى ذلك إلى بعض الفقهاء فقال له : إن أعدت الخطبة إلى الجامع القديم الذي ابتنته / الحبشة ، رجوت لك الشفاء ففعل ذلك ، فعاوده النوم . ١/٤٠

قلت : والجامع القديم المشار إليه هو جامع مدينة زبيد في عصرنا ، وهو داخل مدينة زبيد ، قريباً من باب النخل . وأول من بناه الحسين بن سلامة ، وأخربه مهدي بن علي بن مهدي ، بعد موت أبيه ، ولبث خراباً فوق [خمسة عشر][١] سنة . ثم أعاده المبارك بن كامل بن منقذ ، واسمه مكتوب في حجر ، عن يمين المحراب ، وقد غطي بالنورة ، فلا يظهر الآن منه شيء . والذي بناه ابن منقذ منه هو المقدم المحيط بالأساطين الخشب . وأما الجناحان : الشرقي والغربي ، والمؤخر والمنارة فمن عمارة سيف الإسلام طُغْتَكين بن أيوب الآتي ذكره ، وكان فراغ ذلك سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

ومن مآثر ابن منقذ : مسجد المَنَاخ ، بمدينة زبيد ، ومقدم جامعها الآن . وقد شارف الجامع المذكور الخراب ، في عصرنا هذا ، في أواخر المائة التاسعة ، فأمر بهدمه وعمارته مولانا السلطان ابن السلطان ، الملك الظافر ، صلاح الدين ، أبو النصر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر . فابتُدِىءَ في هدمه يوم السبت ، ثامن عشر شهر شوال ، سنة سبع وتسعين[٢] وثمانمائة ، وفي عمارته ، يوم الأحد ،

---

(١) كذا في جميع النسخ والصواب : خمس عشرة سنة .
(٢) في (ب) : وستين .

٤٠/٢ الخامس/والعشرين منه . فعمر عمارة عظيمة لم يسبق إلى مثلها ، على يد المعلم علي بن حسن المعمار[١] ، المعروف بالعكباز ، من أهل الجبل ، رفعه عن الأرض نحو سبعة أذرع ، وجعل مقدمه بالأساطين على عمارته الأولى ، وجعل الجناحين والمؤخر عقوداً فسيحة ، على أعمدة من الآجر والنورة ، وزاد في مقدمه إدخال الرواق القبلي من الشمسية فيه ، وزاد الأروقة الباقية ، في تفسيح الشمسة ، واتسعت اتساعاً عظيماً اضاءت منه جوانب المسجد المذكور كلها . وسمي ما أدخله من الرواق القبلي ، في مقدم المسجد المذكور ، زيادة ، وسقف سقفاً عجيباً ، وزخرف بأنواع النقوشات ، وزخرف جداره القبلي ومحرابه بالذهب واللازورد [وغير ذلك][٢]. وجَعَلَ في مقدمه قبتين عظيمتين : شرقية وغربية ، وزخرفتا بأنواع النقوشات ، وزيد في الشرقية من الذهب واللازورد شيء َنثير ، وجعل عليها درابزين خشباً ، وأبواباً وغلقاً ليصلي بها السلطان إذا كان بمدينة زبيد . وعوض ما تلف من الأساطين الخشب ، وزاد سبع أساطين في الزيادة المذكورة .

٤١/١ وأخبرني بعض أصحابنا الثقات قال : احتوى المسجد المذكور، / بعد فراغ هذه العمارة[٣] ، من العقود على مايتين وسبعين عقداً ، ومن الأساطين الخشب على تسعين إسطوان ، ومن الدعائم المصنوعة من الآجر والنورة ، التي ركبت العقود عليها ، على مائة وأربعين دعامة ، ومن القبب على اثنتي عشرة قبة ، ومن الأبواب على ثلاثة عشر باباً ، منها خمسة أبواب ببوابات عظيمة . وجُعِلَ للباب القبلي والذي يليه من الشرق ، مدرجان عظيمان يصعد منهما إلى البابين المذكورين . ومن الشبابيك الحديد على أربعين شباكاً ، ومن المقاصير على سبع ، فصار المسجد المذكور قرة عين للناظرين ، وروضة للمصلين والزائرين . ولما قارب العمل المذكور الفراغ ، أعمل المعلم فكره في بركة يجعلها زيادة ، في المسجد المذكور ، على البركتين القديمتين اللتين كانتا في المسجد المذكور ، من شرقيّه . إحداهما أنشأها الملك الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحيى الغساني ، والأخرى أنشأها الملك المنصور عبد الوهاب بن داود ، والد مولانا السلطان . وكان

---

(١) في (ب) : العمار .
(٢) [ ] : جملة ساقطة في (أ) .
(٣) في (أ) : العمرة .

للجامع المذكور دمنة من يمانيه ، بينها وبين المسجد المذكور الطريق . فقال نجعل
٤١/٢ البركة في هذه الدمنة . فمنع من ذلك ، وقيل له تغير طريق المسلمين . فضاق /
خاطره لذلك وكثرت القالة عليه . فبينما الحفارون يحفرون في أساس المسجد المذكور ، من غربيه ويمانيه ، إذ أداهم الأساس إلى أساس مدفون في الطريق ، ينتهي إلى الدمنة المذكورة ، فأمر المعمار الحفارين بمتابعته ، والكشف عما حوته الدمنة المذكورة ، فأداهم الحفر إلى بركة عظيمة ، متسعة الطول والعرض ، وحولها مغتسلات عظيمة ، وبيوت ماء وكنف . فابتهج لذلك المعمار ابتهاجاً عظيماً ، وقالت الناس هذه كرامة للملك الظافر ، أعزّ الله نصره . فعمرت البركة ، وما حولها من المغتسلات ، وغيرها على هيئة العمارة المتقدمة ، وأضيفت إلى المسجد المذكور ، وظهرت الطريق من يمانيّ ذلك وشرقيّه ، فصار الجامع المذكور في غاية الحسن والكمال ، والبهجة والجمال ، وذلك بحسن عناية هذا السلطان ، وصدق نيته ، وكون عمله هذا لوجه الله الكريم ، وابتغاء رحمته .

واختلف الناس فيمن أنشأ هذه البركة أولاً ، وغالب الظن أن منشئها الحسين ابن سلامة الذي أنشأ الجامع المذكور ، كما أفهمه ابن عبد المجيد في تاريخه
٤٢/١ بهجة الزمن حيث يقول : والحسين المذكور هو الذي أنشأ الجوامع الكبار في جميع /
مدائن اليمن . قال : وقد رأيت اسمه مكتوباً بجامع زبيد . وبالجملة ، فالجامع المذكور وجميع ما فيه من الآلات والأثاث ، منقبة عظيمة وحسنة جسيمة حباها الله تعالى لعبده ، مولانا الملك صلاح الدين ، ليخلد ذكره بها إلى يوم الدين ، تقبل الله تعالى منه ، ووفقه لما يرضيه عنه . وقد أطلنا الكلام في ذكر الجامع المذكور ، لكنه لم يخلُ من الفوائد ، والله الموفق والهادي للمراشد .

ولما مات الملك المعظم ، توران شاه ، بالإسكندرية ، في التاريخ المتقدم ، وسمع نوابه باليمن بموته ، ادعى كل واحد منهم الملك لنفسه ، وضرب سكة باسمه . وصار أصحاب كل واحد لا يتعاملون بسكة الآخر . ومرض سيف الدولة ابن منقذ ، فتوجه إلى مخدومه صلاح الدين ، وخلف أخاه خطّاباً بزبيد ، فضرب السكة باسمه . وضعف أمر مظفر الدين ولم يتعد بلده ، واشترى عثمان الزنجبيلي عقار عدن من الدكاكين والدور ، ووقفها على المسجد الحرام .

فلما علم صلاح الدين بفساد اليمن ، أرسل المقدم خُطْلُبا ، في البحر ، إلى

الزنجبيلي بعدن ، فقابله بالإجلال فسارا معاً إلى خطاب [بزبيد][1] فلقيهما ياقوت
٤٢/٢ التعزي ومظفر الدين. فاجتمعوا، واصطلحوا جميعاً ، وساروا / إلى خطاب بزبيد .
فلما سمع خطاب بذلك ارتفع إلى حصن فوارير ، وأخلى زبيد ودخلها خُطْلُبا
الواصل من قبل الملك صلاح الدين ، وملكها في سنة أربع وسبعين وخمسمائة .
وكان خطاب يغير ، بجماعة معه ، في بعض الأيام ، ما بين الأهواب والهُوَيْب ،
وهو الرستاق المتصل من جبل زبيد إلى البحر . ومرض خُطْلُبا مرضاً شديداً أشفى
منه على الموت ، فراسل خطاباً سراً وقال له : أنت أولى بالأمر من الزنجبيلي .
فدخل زبيد مختفياً ، فسمع عثمان بذلك فسار بجيشه إلى زبيد وحاصرها ، في سنة
ست وسبعين وخمسمائة فخذل . ومات خُطْلُبَا ، واستمر خطاب بزبيد إلى سنة تسع
وسبعين . وعلم بذلك الملك صلاح الدين ، فأرسل أخاه الملك العزيز ، أبا
الفوارس ، سيف الإسلام طُغتَكين بن أيوب ، فدخل مكة في رمضان سنة تسع
وسبعين ، فوجد بها الشريف فَلِيتة بن مطاعم الهاشمي ، فطاف به وسعى ، وخلع
عليه سيف الإسلام خلعة تساوي ألف مثقال ، في غاية الحسن . وقدم معه ، من
العساكر ، بألف فارس وخمسمائة راجل ، وتوجه إلى اليمن ، ودخل زبيد في أوائل
٤٣/١ سنة تسع وسبعين . وخرج خطاب للقائه، فخلع عليه وعلى عسكره، / ودخل مدينة
زبيد وأقام خطاب معه أياماً ، ثم استأذنه في المسير إلى الشام فأذن له . فأخرج
جميع ما كان في حوزته إلى الجنابذ ، وهو ظاهر زبيد . فأمر سيف الإسلام
بالحوطة عليه والقبض ، فقبض وخنق بعد ليال بحصن تعز .

وأما ياقوت ، فسلم إليه حصن تعز ومعشاره ، فأرجأ أمره. وأما مظفر الدين ،
فغلب على جبلة ومخاليفها ، فأرسل إليه من أخذه . وأما عثمان الزنجبيلي ، فعمر
سفناً عظيمة ، وجعل جميع ما يملكه فيها ، وتوجه إلى العراق .

وملك سيف الدولة اليمن كله وعراً وسهلاً ، ودخل أماكن ما دخلها أحد
قبله ، وأخذ صنعاء بعد خمس سنين من دولته . وهو الذي بنى حصن التَّعْكَر بعد
أن هدمه ، ثم بنى حصن حَبّ وحصن خَدِد وحصن تعز وعدة من الحصون
باليمن ، وكل هذه الحصون على وضعه وبنيته . وأولد ولدين المُعِزّ إسماعيل
والناصر أيوب . وكان حسن السيرة وإذا رأى من تعرض في موكبه أمسك رأس

(١) كلمة ساقطة في (هـ) .

حصانه ، ولا ينصرف من مكانه حتى يكشف ظلامته . ودان له بالأمر اليمن كله بكماله وسور مدينة زبيد سوراً جديداً ، وسور صنعاء بعد أن أخرب سورها ، ورمى النفط في دورها .

٤٣/٢ ولما أحس بالموت / سلطن مملوكه أبوريا وأرسله إلى البلاد العليا ، ومات في شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، بقرية المنصورة ، بين الجند وعدن ، وكانت ولايته أربع عشرة سنة .

وروي أنه قال عند موته : لا إله إلاّ الله ، ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه . وكان فقيهاً له مقروءات ومسموعات . وهو الذي بنى المؤخر من جامع زبيد ، والجناحين الشرقي والغربي والمنارة . واختط في اليمن مدينة سماها المنصورة ، قبلي مدينة الجند ، في ذي القعدة من سنة اثنين وتسعين[1] وخمسمائة ، وابتنى فيها قصراً عظيماً وحماماً . وهو الذي قرر قواعد الملك باليمن ، وضرب الضرائب السلطانية وقنن القوانين . وهو أول من جار على أهل النخل . وكان خراج النخل ، في دولة الحبشة وأيام بني مهدي سبعون[2] ألف درهم ، ولا يسلمون ذلك إلا تمراً وحوالات . فلما ولي سيف الإسلام ، جار عليهم جداً ، ورفق بأصحاب الزرع خاصة ، فهرب أهل النخل . فكان من هرب منهم أخذ نخله صفياً لبيت المال . وكان قد عزم على شراء أرض اليمن كلها ، وأن

١/٤٤ يجعلها ملكاً للديوان، ومن أراد حرث شيء منها استأجره من الديوان ، / كعادة الديار المصرية . فشق ذلك على أهل اليمن ، ولجأوا إلى الله في كشف ذلك عنهم . فمات سيف الإسلام وقد شرع المثمنون في تثمين الأرض ، وبطل ذلك كله بفضل الله تعالى .

ولما أن مات أخفي موته ، إلى أن طُلِعَ به إلى رأس حصن تعز ، وأرسلت النجب في طلب ولده المُعِزّ ، وكان خرج مغاضباً لأبيه إلى اعمامه بمصر ، فأدركته النجب إلى حرض . فعاد واستولى على الملك ، وتسلم حصن تعز وغيره من البلاد ، وقتل جمعاً من غلمان أبيه . وقصد صنعاء وقبض على أبوريا وقتله ، في المحرم سنة أربع وتسعين . وعاد إلى صنعاء ودخلها ، ثم عاد إلى زبيد وبنى بها

(١) في (ج) : سبعين . ونلاحظ تكرار الخطأ في العدد ، والصواب : سنة اثنتين .
(٢) كذا في جميع النسخ ، والصواب : سبعين .

المدرسة المعروفة في عصرنا بالمَيْلَين ، شرقي رحبة الدار الكبير الناصري . وهو أول من بنى المدارس باليمن ، وأول مدرسة بناها السيفية بتعز، نسبة إلى أبيه سيف الإسلام ، ثم هذه الميلين بزبيد . وكان فاضلاً شاعراً ، له ديوان شعر كله جيد . وداخلته الخُيَلاء في عقله ، فادعى الخلافة وانتمى لبني أمية .

ولما علم أعمامه بمصر بذلك ، كتبوا إليه ينكرون ذلك عليه ، فلم يرجع ، وأخاف مماليك أبيه. فهرب منهم / سُنْقُر الأتابك، في طائفة عظيمة من المماليك، ٤٤/٢ وبقي أكثر من معه [من][1] الأكراد . ولما تفاحش أمره بدعوى الخلافة ، قتله الأكراد على باب مدينة زبيد ، سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، ونهبت الأكراد مدينة زبيد نهباً شنيعاً ، وكانت ولايته ست سنين .

ولما علم سيف الدين الأتابك سُنْقُر بموته ، وكان بحصون حجة هارباً منه ، وصل إلى تهامة وتلقاه الأكراد والعساكر وجعلوه أتابكاً للملك الناصر بن سيف الإسلام ، وهو يومئذ طفل صغير . وقيل إن الأكراد لم يمكنوه من زبيد ، لما نزل إلى تهامة ، فقتلهم قتلاً عظيماً ، بقرية الزريبة وهزمهم إلى زبيد ودخلها فنهبها نهباً عظيماً . وتم الدست للأتابك وأمر بغلق مدرسة المعز وأخرج الفقهاء الشافعية منها وأخرج وقفها ، ويقال انه وقّفه على امام مقام أصحاب أبي حنيفة . وبنى الأتابك مدرسة كبيرة بزبيد عقد فيها أواوين وهي الآن تعرف بمدرسة ابن دحمان ، نسبة إلى مدرسها الفقيه محمد بن إبراهيم بن دَحْمان ، وهي غربي رحبة الدار الكبير أيضاً . وفي أيامه ، نزل بزبيد ونواحيها ، من السماء ، رماد أبيض يوماً وليلة ، وأظلمت الدنيا . فخاف الناس / الهلاك . وظهر بعد ذلك رماد أسود، وحصلت أراجيف ١/٤٥ وزلازل ، وبه سميت سنة الرماد وذلك في سنة ستمائة[2] .

قلت : وفي ليلة الأحد ، التاسع والعشرين من شهر رمضان ، سنة سبع

---

(١) الزيادة من (هـ) .

(٢) في (هـ) فقط الزيادة التالية : « ومن عجيب ما جرى في ذلك الوقت ، انه لما اظلمت الدنيا ، واشتدت الظلمة ، وإنه كان قد خرج جماعة من أهل زبيد إلى المجرى ، من خارج باب الشبارق ، فلم يمكنهم الرجوع إلى بيوتهم ، ولا اهتدوا إليها من شدة الظلمة ، وكان فيهم رجل اعمى ، فقال لهم ذلك الأعمى : من اعطاني منكم زبدياً [كذا] من طعام قدته إلى بيته ، اينما كان من زبيد . فالتزموا له بذلك . فقاد كل واحد منهم إلى بيته ، من المسجد إلى الخزرجي » .

وأربعين وثمانمائة ، نزل بتهامة اليمن ، من السماء ، رماد أبيض ليلاً ، وسُمِعَتْ رجفات في تلك الليلة ، ودوي ، فأصبحت الأرض مستورة بالرماد ، من عدن إلى الحجاز ، وشيء من الجبال ، فسبحان الفعال لما يشاء . وبهذه السنة يؤرخ من أدركناه من عوام أهل زبيد فيقولون سنة الرماد والله أعلم .

ولم تزل أحوال الأتابك مستقيمة ، إلى أن مات في جمادى الآخرة ، سنة سبع وستمائة ، بحصن تعز وقبر بذي هُزَيْم ، بالمدرسة التي أنشأها هنالك . وهو الذي أنشأ جامع المغربة ، وعمل المنبر الذي فيه ، وبنى بزبيد مدرستين إحداهما للشافعية ، وهي تعرف بالعاصمية ، نسبة إلى مدرسها الفقيه عمر بن عاصم ، والأخرى للحنفية ، وهي التي تقدم ذكرها . وهو الذي بنى الجامع بخنفر ، من أرض أبين ، والصفين والجناحين والمؤخر ، في مسجد الجند .

٤٥/٢ ولما توفي الأتابك، جعل الملكُ الناصرُ غازيَ بن جبريل مكانه / قائماً بالملك ، فحمل الملكَ الناصرَ على طلوع صنعاء ، وقتال أهلها ، فطلع بأموال جمة ، في جيوش عظيمة ، فلما صار بصنعاء سَمَّه غازي المذكور ، فتوفي شهيداً في المحرم سنة إحدى عشرة وستمائة ، فطلي بالممسكات ، وحمل وقبر قبلي ميدان تعز ، وبنى عليه قبة . وحالف غازي العسكر ، فقام بالملك ونزل من صنعاء . فلما صار بالسَّحُول أحاطت به العرب وبمن معه وانتهبوهم . ووصل غازي إلى مدينة إب ، وكانت أم الناصر وغالب الخواتين إذ ذاك مقيمين[1] بحصن حَبّ ، فطلع مماليك ولدها إليها ، فقبحتهم ، وسبتهم ، وحملتهم على قتل غازي بن جبريل . فنزلوا إلى مدينة إب وهجموا بيته ، وقتلوه ، وأطلعوا رأسه حصن حب ، وتركوه بمدينة إب جثة بغير رأس . وذلك على وفاء ستة أشهر من قتل الناصر . ثم ان أم الناصر نزلت من حب إلى تعز ، فأقامت مدبرة للملك ستة أشهر .

ثم قدم سليمان بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، الملقب بالمعظم ، المعروف بالصوفي ، في جماعة من الفقراء مسافرين إلى مكة ، وأمه من بني أيوب فاستدعوه وقالوا له : تكون سلطاناً ، فنحن نساء نخشى أن تطمع بنا ٤٦/١ العرب، فأجاب إلى ذلك. ولما صار سلطاناً / غلب عليه اللهو واللعب ، وغفل مع النساء حتى تضعضع الملك . وقتل في أيامه من الغز نحو من مائة فارس ، بجبل صبر عند أكمة تعرف بجعمة مقتلة عظيمة . فكان إذا سكر يقول وهو يرقص :

---

(١) كذا ـ والصواب : مقيمات .

انظروا للملك غيري أنا مشغول بأيري

وبلغ الملوك بني أيوب ما جرى باليمن ، فجهز الملك العادل ابن ابنه[1] الملك المسعود ، صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل ابن الملك العادل أيوب ، وهو يومئذ في سن البلوغ ، في جيوش عظيمة وأموال جليلة وحالة كبيرة . فدخل زبيد في ثاني المحرم ، سنة اثنتي عشرة وستمائة ، وطلع حصن تعز وتسلمه وقبض على سليمان الصوفي في صفر منها . وتزوج الملكة ، ابنة سيف الدين الأتابك ، وهي بنت جوزة[2] وشغف بها ، وعزم إلى مصر . وجعل أتابكه ومدبر أمره جمال الدين قُلَيْم[3] ، وفيه جبروت المصريين ، فأساء إلى بعض أصحاب الشيخ والفقيه صاحبي عُوَاجة[4] وصادره . فشكى ذلك إلى الشيخ ، فأشار الشيخ بإصبعه إلى ناحية قليم وقال : طعنته في انثيه . فظهر بهما دم فمات منه . وكان المنصور بن رسول يحسن إليهم ويسامحهم، وربما كتبهم في اسمه، وسلم / عنهم من جامكيته . وكانوا يحبونه ، ويدعون له ، وربما بشروه بمصير الملك إليه . وعاد المسعود من مصر ، فلبث إلى سنة خمس وعشرين ، وأراد السفر إلى مصر ، فقال للمنصور بن رسول : تنوبنا . فقال : لا أفعل حتى تبعد عني أخوتي[5] . فأجابه إلى ذلك ، واستدعاهم إلى الجند ، فقيدهم بالقصر ، وهم إذ ذاك ثلاثة : بدر الدين ، وشرف الدين ، وفخر الدين ، وبعثهم في البحر إلى مصر . وتقدم إلى مكة فتوفي بها مسموماً ، من ابنه فيما قيل ، في رجب ، وقيل شعبان ، سنة خمس وعشرين وستمائة ، ولم يكن له من الآثار غير تجديد مدرسة المَيْلَين بزبيد ، والله أعلم .

٤٦/٢

---

(١) في (ب) : ابيه .

(٢) في (أ) : بنت حوراء . وفي قرة العيون : بنت حوزة (ج ١ ص ٤١٣) . وفي العقود اللؤلؤية : بنت جودة (ج ١ ص ٤٧ و٨٥) وبنت حوزة (ج ١ ص ٨٥) . وفي المدارس الإسلامية : ابنة جوزة (ص ٧٣) .

(٣) كذا في جميع النسخ . واما في العقود اللؤلؤية (ج ١ ص ٣٢) وفي قرة العيون (ج ١ ص ٤١٢) فإن اسم الأتابك : جمال الدين قُلَيْت . ثم يتبدل في قرة العيون ، بعد عدة صفحات ، فيصبح فُليم (بالفاء) ، ج ١ ص ٤٢١ و٤٢٢) .

(٤) في (ج) : صاجي ، وفي (هـ) : صاحب .

(٥) الرواية ، في قرة العيون (ج ١ ص ٤٢١) ، تختلف عما جاء في بغية المستفيد فإن ابن الديبع يقول : إن الملك « خشي على اليمن من بني رسول ، فانقلب سريعاً إلى اليمن ، وقبض على أولاد علي بن رسول ، إلا نور الدين فقد كان يأنس به دون اخوته ، فاستنابه على اليمن » .

الباب السابع

في ذكر دولة بني رسول الغسانيين ثم التركمانيين

قال المؤلف ، جبر الله قلبه وَكَسْرَه ، وغفر ذنبه وأذهب عسره : لما مات الملك المسعود الأيوبي ، في التاريخ المذكور ، المقدم ذكره ، استمر الملك بيد الملك المنصور ، نور الدين ، عمر بن علي بن رسول بن هارون بن أبي الفتح الغساني ، البيجكي ، التركماني .

فلما استقل به ، كانت له الوقائع المشهورة ، والآثار المذكورة ، وملك من حضرموت إلى مكة ، حرسها الله تعالى ، وأمر الخطباء أن يخطبوا له على المنابر ، / ١/٤٧ في سائر أقطار اليمن ، وأن تضرب السكة على اسمه ، في سنة ثلاثين . فاشتد ذلك على صاحب مصر ، الملك العادل ، فأرسل سراياه ومَنْ عليه العهدة من رجاله إلى مكة ، حرسها الله تعالى . فلما بلغ المنصور الخبر ، سار إلى مكة ، سنة خمس وثلاثين حتى بلغ الرياضة . فلما علم المصريون بوصوله ، خرجوا من مكة ، ودخلها الملك المنصور في عساكره ، معتمراً ، محرماً ، ملبياً ، في شهر رجب ، وفرق فيها أموالاً عظيمة . وطلب جماعةٌ من الأمراء المصريين الأمانَ ، وفيهم مبارز[١] الدين علي بن الحسين بن برطاس[٢] ، فأمنهم ، وأكرمهم ، ولم ينتصب بعدها من هناك أحد لمقاواته . ولم تزل الأقدار مساعدة له ، فيما يقدم ويؤخر ، إحدى وعشرين عاماً ،[٣] ومات ، رحمه الله تعالى ، شهيداً في قصره بالجند ، يوم

---

(١) في (ب) : مبارك .
(٢) في قرة العيون : برطاش (ج ٢ ص ٦) .
(٣) كذا في النسخ والصواب : واحدا وعشرين عاماً .

التاسع من ذي القعدة[1] ، سنة سبع وأربعين وستمائة ، قتله مماليك له ، كان واثقاً بهم ، محسناً ظنه فيهم .

ومن مآثره الدينية ، بمدينة زبيد ، المنصوريتان : الشرقية للشافعية ، والغربية للمحدثين والحنفية . وكان حنفي المذهب ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ، بسبب ٤٧/٢ أنه رأى النبي ، ﷺ ، في المنام يقول له: يا عمر، صر إلى مذهب / الشافعي أو كما قال . ولأم ولده ، السلطان الملك المظفر ، المدرسة السيفية بزبيد ، وله بمكة مدرسة معظمة ، ومدرستان بتعز ، تعرف إحداهما بالوزيرية ، نسبة إلى مدرسها الوزيري ، والأخرى بالغرابية ، نسبة إلى مدرسها غراب ، [ومدرسة بمدينة عدن][2] ، ومدرسة في حد المنسكية ، من وادي سَهام ، وأوقف على كل مدرسة منهن ما يقوم بكفايتها . وهو الذي أنشأ مسجد النوري ، فيما بين مدينتي زبيد وحَيْس ، وجعل فيه إماماً ومؤذناً ، وجعل لمن سكن معهما مسامحة ما يزدرعه ، فسكنها الناس حتى صارت قرية ، وانتفع الناس بها ، وأظنها إنما سميت النوري نسبة إليه ، لأنه كان يلقب نور الدين ، رحمه الله . وابتنى بين مكة والمدينة حصوناً كثيرة ، ومصانع ، وآثارها هنالك باقية ، وأمر بعمارة البِرك وهو جبل متصل بساحل البحر فيما بين مكة واليمن ، ومآثره كثيرة . وكان ملكاً كريماً ، حازماً ، حسن السياسة ، سريع النهضة عند الحادثة ، رحمه الله تعالى . وكان يصحب الشيخ والفقيه صاحبي عواجه ، وهما ممن بشره[3] [بالملك][4]. وصحب الفقيه محمد ٤٨/١ ابن إبراهيم الفِشَلي ، وقرأ عليه . ثم ان / مماليكه الذبن قتلوه لحقوا بفِشال وبايعوا أبا بكر ، ولد أخيه الحسن ، وحاصر زبيد بعد ذلك .

فلما علم ابنه يوسف المظفر بذلك ، قدم من سُرْدُد وكانت له اقطاعاً . فلما علم المماليك بوصوله اختلفوا وكاتبوه سراً ، فأدار العمل حتى قبض على أبي بكر وقاتلي أبيه ، ودخل مدينة زبيد غرة ذي الحجة ، سنة سبع وأربعين ، وتمت له الخلافة .

---

(١) في قرة العيون : أربع شوال (ج ٢ ص ١٧) . والمشهور ما اثبتناه . انظر : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٢ .
(٢) جملة ساقطة في (أ) .
(٣) في (ب) : بشراه .
(٤) الزيادة من (هـ) .

وفي سنة ثمان وأربعين ، في رجب منها ، تسلم حصن حب ، وأخذ حصن التَعْكَر في المحرم سنة تسع وأربعين ، واستولى على حصن الدُّمْلُوَة سنة خمسين ، وأخذ مدينة صَعْدة سنة اثنين وخمسين . وفي سنة تسع وخمسين تأهب لأداء فريضة الحج ، وخرج إلى مكة في شوال في البر ، والمراكب تسايره في البحر بما يحتاج إليه ، حتى دخل مكة في عساكره ، محرماً ملبياً ، وهو عاري البدن حتى أتى بالنسك ، وأتم حجه . ثم اجتمع إليه الناس ، وخطبهم ، وعلمهم المناسك ، ودخل البيت ، وحمل القربة على يديه[1] وأفاض الماء في جوانبه غاسلاً ، تقرباً إلى الله تعالى ، وكسا البيت . ثم عاد سالماً غانماً ، وأخذ مدينة ظُفار[2] قهراً ، سنة ثمان وخمسين ، واختطب له على منابرها ، ولم يزل مباركاً أينما كان .

٤٨/٢ ومن مآثره / الدينية : المدرسة المظفرية بتعز ، والمسجد الجديد بمغربتها ، والجامع الأعظم بذي عُدَيْنة ، ودار الضيف جوار جامعه المذكور ، وخانقاه قرية حيس ، والجامع المظفري بالمهجم ، وجامع المحالب . وابتنى خادمه ، تاج الدين بدر المظفري ، مدارس بزبيد ، إحداهن[3] للفقه على مذهب الشافعي ، وأخرى للقراءات السبع ، وأخرى للحديث ، وله دار الضيف بها أيضاً . ولأخته الدار الشمسي : المدرستان الشمسيتان بتعز وزبيد ، ولجهة دار الدُّمْلُوَة المسماة نبيلة ، ابنة الملك المظفر : الأشرفية بزبيد . ولزوجته المسماة دار الأسد : الأسدية بتعز . وعمرت ابنته المسماة ماء السماء : الواثقية بزبيد . وللطواشي نظام الدين مختص المظفري : النظامية بزبيد ، [وله المسجد المعروف بالنظامي ، الذي هو جنوبي دار السلطان بزبيد][4] . وهو أكثر بني رسول إنشاء للمدارس والجوامع . وأنشأت زوجته الحرة مريم ، ابنة الشيخ العفيف مدرسةً بزبيد ، تشهر الآن بمدرسة مريم وبالسابقية أيضاً ، ولها السابقية بتعز .

وفي دولته ، أنشأ الأمير شهاب الدين أبو محمد غازي بن المعمار ، من ٤٩/١ أمرائه ، منبر الحديث والوعظ ، بمسجد / الأشاعر ، وأوقف عليه دكاكين . ثم أوقف عليه الأمير الشهاب الخَرْتَبَرْتي قطعة من الأرض ، بشريج مرضى ، ولهذا كان

(١) في (د) : على بدنه .
(٢) التي بين حضرموت وعمان (قرة العيون ج ٢ ص ٣٩)
(٣) كذا في النسخ ، والصواب : احداها .
(٤) جملة ساقطة في (ب) .

القارىء يدعو لهما قبل القراءة . وذكر الخزرجي أنه أدرك القارىء يدعو للفقيه محمد بن عبدالله الحضرمي ، بسبب كتب كان أوقفها للقراءة ، على هذا المنبر ، في الحديث والوعظ. ثم استمر الفقيه المقرىء أحمد الوُصَابي في القراءة عليه ، وكان يدعو للفقيه إبراهيم العلوي ، وللمقرىء علي بن شداد ، كونهما شيخيه .

قال شيخنا زين الدين الشَّرْجي : وأنا أدركت القارىء يدعو لكل هؤلاء : غازي بن المعمار ، والخَرْتَبَرْتي ، والعلوي ، وابن شداد . واستمر بعد الوُصابي الفقيه عمر بن عبد الرحمن الدُّملُوي خطيب مدينة زبيد ، وكان حسن الصوت موصوفاً بذلك هو وأهله، ثم ولده[محمد][1] ثم رجل من أهل مصر يقال له الشاب التايب مدة قليلة ، ثم الفقيه محمد بن عيسى الردّاد ، من سنة أربع وثمانمائة ، وهو بأيدي ذريته إلى الآن ، وقد يعارضون في بعض الأوقات ويرجعون . قلت : وهو الآن ، في أواخر المائة التاسعة ، بأيدي ذريته ، كما ذكر شيخنا زين الدين رحمه الله تعالى . وقد أطلنا الكلام / في ذكر المنبر المذكور ، لكن ما يخلو من فائدة والله أعلم . ٤٩/٢

وأقام الملك المظفر في الملك قدر ستة وأربعين عاماً ، ثم استخلف ولده الملك الأشرف ، ممهد الدين ، عمر بن يوسف ، وكتب له بذلك تقليداً كريماً ، بمشهد من الملوك العظماء ، والجحاجح[2] الكرماء ، ما صورته بعد الحمد والثناء ، والصلاة والدّعاء :

أما بعد ، فقد ملّكنا عليكم من لم نؤثر فيه ، والله ، داعي التقريب ، على باعث التجريب ، وعاجل التخصيص ، على آجل التمحيص ، ولا ملازمة الهوى والإيثار ، على مداومة البلوى والاختبار. وهو سليلنا الخطير ، وشهابنا المنير ، وذخرنا الذي وقف على المراد ، ونصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد ، ونؤمل فيه ، من الله ، الفوز والنجاة في المعاد ، وقد رسمنا له من وجوه الذب والحماية ، ومعالم الرفق والرعاية ، ما قد التزم بوفاء عهده ، ومُضِيّ عزمه بجده وجهده ، والمسؤول في إعانته من لا عون إلاّ من عنده ، ولن نعرفكم من حميد خصاله ، وسديد فعاله إلاّ ما قد بدا للعيان ، وذكا مع الامتحان ، وفشا من قبلكم

(١) الزيادة من (هـ) .
(٢) في (هـ) : الحجاج .

على كل لسان (شعر) .

٥٠/١ وشهدتم به وشاهدتموه / وجدتم عقباه في كل أمر /
من حناديس ظلمة شملتكم / كان في كشفها لكم ضوء فجر
سيفه مغمد عليكم ومسلول / على كل مس رماكم بنكر
لم يزل منذ حل عن جيده الطوق / خليقاً بكل حمد وشكر
همه ما ترون من شيد ملك / عُدْمُليّ يبنيه أو سد ثغر

وقد جددنا له أن يكون بكم رؤوفاً رحيماً ، جواداً كريماً ، ما اطعتموه على المراد ، ومطاوعة الانقياد. وأما من شق العصا ، وبان عن الطاعة وعصى ، فهو يغضّ منه ، ولو مَتّ إليه بالرحم الدنيا ، فكونوا له خير رعية ، بالسمع والطاعة ، يكن لكم بالبر والإحسان ، خير ملك ووال .

وكان الاستخلاف في جمادى الأولى ، سنة أربع وتسعين . وتوفي الملك المظفر يوم الثلاثاء ، الثالث عشر من رمضانها . فلما علم الملك المؤيد بوفاة والده ، أقدم على عدن وأبين وأخذهما . فَلُزِمَ في سنة خمس وتسعين وأودع دار الأدب بحصن تعز .

وفي السنة المذكورة ، أعني سنة خمس وتسعين ، وقع في اليمن مطر عظيم عام ، وكان فيه برد عظيم قتل عدة من الأغنام . ونزلت بردة عظيمة كالجبل ٥٠/٢ الصغير، لها شرفات تزيد كل واحدة منها على ذراع، فوقعت في مفازة، / بين بلد سيحان[1] والراحة ، فغاب في الأرض أكثرها وبقي بعضها ظاهراً على الأرض ، فكان يدور حوله عشرون رجلاً لا يرى بعضهم بعضاً . ووقعت أخرى مما يلي بلد خولان ، حاول قلبها من موضعها أربعون رجلاً فما أمكنهم . وهذا من عجائب قدرة الله تعالى وصنعه فسبحان القادر على ما يشاء .

وأقام الملك الأشرف في الملك سنة وأشهراً[2] ، محمود السيرة ، وحصل في دولته جراد عظيم ، فشكت الرعية إليه ذلك فسامحهم ، وأمر بعديد النخل بالفقهاء العدول ، وأزال الجور عن أهله . وقد كان من له نخل لا يزوج ولا يتزوج إليه .

(١) في (ج) : سنحان .
(٢) في (ج) : سنة وستة اشهر . وفي (هـ) : سنة وشهراً .

وكان أول من جار على أهل النخل سيفُ الإسلام ، طُغْتَكين بن أيوب ، ثم الأتابك سُنْقُر ، وأول من عطف على أهله ، وتلافاهم بعد التلف الشديد ، الملك الأشرف المذكور ، فإنه أمر بعديد النخل ، وندب العدول ، وأمرهم أن يزيلوا عن أهله ما يجب إزالته . ثم قفا فعله أخوه المؤيد ، وقال للعدول إذا بقيت لنا نخلة رضينا بها . فرغبت الرعية لغرس النخل ، وانتعشت لذلك ، ورغب في النخل من لم يملكه. ثم لما ولي بعده ولده / المجاهد ، أحب النخل ورغب فيه، ورغّب الناس وابتنى في النخل قصوراً رائقة ، وملك منه كثيراً ، وقرر قواعد العدل فيه وفي غيره ، وأمر بعديد النخل مراراً كثيرة ، كلها على قانون العدل ، ثم أمر ولده الأفضل بعديد النخل في أيامه . وكذلك ولده الأشرف ، أمر بعديد النخل في أيامه ثلاث مرات ، بالفقهاء العدول ، على قانون العدل والرفق بالرعية ، مرة في سنة تسع وسبعين ، ومرة في سنة سبع وثمانين ، والثالثة في سنة أربع أو خمس وتسعين وسبعمائة، والله أعلم .

٥١/١

وتوفي الملك الأشرف ، عمر بن المظفر ، إلى رحمة الله تعالى ، ليلة الثالث والعشرين من المحرم أول سنة ست وتسعين . ومن مآثره الدينية : الأشرفية بمغربة تعز ، وقبره بها رحمه الله تعالى .

فلما مات أجمع كبراء الدولة بعد وفاته على إخراج المؤيد وتقليده للملك . ولما وليه ، جعل الوزارة إلى القاضي ، موفق الدين ، علي بن محمد اليحيوي ، المعروف بابن الصاحب ، وسار في عامه إلى المشرق ، وأخذ حصون حجة .

وفي سنة إحدى وسبعمائة ، خالف أشراف جازان ، فأتاه العلم بذلك ، فأرسل بعدهم الأتراك والأمراء إلى اللؤلؤة ، وأذم / عليهم وأدوا الطاعة . وفي هذا العام توفي الشريف أبو نُمَيّ صاحب مكة .

٥١/٢

وفي السنة التي تليها ، أمر أن تبنى المؤيدية في تعز . وفي سنة ثلاث ، توفي ولده الملك الظافر ، ودفن بمدرسة والده المذكورة ، في تعز ، رحمه الله . وفي سنة ثمان ، فرغت عمارة القصر المعقلي بثَعَبَات ، وهو قصر بديع الشكل أجمع أرباب اختراق[1] الآفاق ، أنه لا نظير له في شام ولا عراق .

---

(١) في (أ) : احتراف . وعبارة ابن الديبع : « اجمع ارباب اختراق الآفاق . . . » مأخوذة من العقود اللؤلؤية (ج ١ ص ٣٧٧) ، بالحرف الواحد .

وفي سنة ثلاث عشرة ، أمر بإنشاء قصر على ظاهر باب الشبارق ، في البستان الذي أمر بإنشائه المعروف بحائط لبيق ، يشرف على البستان المذكور من جميع نواحيه . وصفة بنائه إيوان طوله خمسة وأربعون ذراعاً ، وفي صدره مقعد طوله سبعة أذرع ، وله دهليز متسع ، وفوق الدهليز قصر بأربعة أواوين . وكان ، رحمه الله ، ملكاً غاية في الجود والشجاعة ، وهب مرة لبعض خواصه خزانة عدن بأسرها ، وأمر بإطلاق الأسد في مجلس ملكه وإخلاء المجلس ، وبارز الأسد وقاتله حتى قتله ، وأقام في الملك خمسة وعشرين عاماً وأشهراً .

وكانت وفاته بدار الشجرة ، قبالة تعز ، أول ليلة من ذي الحجة ، سنة إحدى وعشرين وسبعمائة . / ٥٢/١

وكان مشاركاً في العلوم ، حفظ التنبيه في فقه الإمام الشافعي ، ومقدمة طاهر في النحو ، وكفاية المتحفظ في اللغة ، وأخذ الحديث عن أشياخ قطره ، رحمه الله .

وكان ولده ، الملك المجاهد ، في قلعة تعز . ولم يترك ولداً سواه ، فاستقر له الأمر من بعده . وكان فيه من الرئاسة والإقدام ما لم يكن في غيره ، فأقام هنالك شهرين ثم نزل إلى دار الشجرة . وكان أتابك الأجناد يومئذ الأمير شجاع الدين بن منصور ، فأغراه حتى قبض على ابن عمه الناصر ، وأرسل به إلى عدن . وجرت من هذا الأمير أمور غيرت الناس . وحصلت بين الملك المنصور أيوب ، أخي الملك المؤيد ، وبين المماليك والأمراء مراسلة ، ولزموا الملك المجاهد في جمادى الأخرة من سنة اثنتين وعشرين ، وأدخلوه حصن تعز . واستقر أمر المنصور ، وخرج الناصر من عدن ، ووقف قدر ثلاثة أشهر . وحصلت مراسلة بين أحد غلمان الملك المجاهد ، وبين بعض أهل القلعة ، ودخلوا على الملك المنصور ليلاً ولزموه ، وظهر الملك المجاهد ونفذ أمره . وكان الظاهر ولد المنصور في الدُّمْلُوَة ، فأمره والده بتسليمها فأبى ، ودعا الناس إلى نفسه ، وأجابه / جمع ، ٥٢/٢ وظهرت له شوكة وتوفي المنصور في شهر صفر عام ثلاث وعشرين[1] .

وفي ربيع الأول من السنة التي بعدها ، جاء عمر بن ياليال بن الدويدار ،

---

(١) كذا في الأصل والصواب : عام ثلاثة وعشرين .

غلام الظاهر ، من عدن ، بعد أن أخذها الظاهر ، وانضم إليه المماليك من زبيد ، وحاصروا الملك المجاهد في حصن تعز مدة ، ثم ارتفع المماليك كافة إلى التهايم ، في شهر شوال ، وجاء الزعيم بالعساكر المجاهدية ، من أشراف صعدة وغيرهم ، وحارب المماليك في جاحف سهام ، في العشر الوسطى من ذي الحجة ، وشردهم وأهلك منهم طائفة وكان يوماً عظيماً ..

ولما بلغ الخبر إلى تعز بهزيمة المماليك في جاحف ، وكانت طائفة منهم في المحطة مع ابن الدويدار ، ارتفعوا من المحطة ، وذلك في العشرين من ذي الحجة سنة أربع وعشرين . وسار ابن الدويدار إلى لحج ، فجمع عسكراً وسار إلى عدن ليأخذها لنفسه ، فحاصرها في صفر ، سنة خمس وعشرين ، حصاراً شديداً ، فخادعه أهلها بالصلح ، فدخلها في جماعة من خواصه مضمراً الغدر بأهلها ، فدخل الحمام بعد أن أمسى ، وشرب هو وأصحابه هنالك ، فلما علم الوالي بهم ، هجم عليهم في جماعة من أصحابه ، فقتل ابن الدويدار ، وقيل / اعتقله أياماً ثم قتله ، يوم السابع من شهر ربيع الأول . فلما علم أخوه وأصحابه بذلك ، هربوا من المحطة وتركوها .

٥٣/أ

وفي الشهر المذكور ، ادعى الناصر ، ولد الأشرف ، الملك بزبيد ، ووقف أياماً . فنزل المجاهد إلى زبيد ، وقبض عليه ، وأطلعه تعز فلبث أياماً ومات ، ودفن في الأشرفية مدرسة والده .

وأقام الظاهر في الدملوة مدة ، ثم دخل عدن وخرج منها ، ونزل إليها المجاهد فأخذها . وأقام[1] إلى عام أربعة وثلاثين ، وسأل الأمان والذمة فأجابه إلى ذلك ، وأقام معتقلاً عنده إلى أن مات في عامه ذلك ، في شهر ربيع الأول ، وتم الأمر للمجاهد بعد ذلك واستقر الحال .

وفي ليلة الثامن من شعبان ، سنة خمس وثلاثين ، نزلت بَرَدة من السماء ، في أسفل الوادي مور ، طولها مائة وستون ذراعاً ، وعرضها عشرة أذرع ، وسمكها باعان . فلما ذابت ، سقى ماؤها أربع قطع من الأرض هنالك .

وفي سنة ست وثلاثين ، تسلم الملك المجاهد الحصون السُّرْدُدِية ، وأظهر

---

(١) أي الظاهر .

الدراهم الرُّباصِية[١]، وأجرى لرعاياه النواصف[٢] وهي أن لا يؤخذ منهم الخراج المتوجه في أراضيهم، إلّا في كل نصف / شهر، بأغبط سعر للديوان، فارتفقوا بذلك كثيراً، وفرج عنهم. وفيها أخذت عسكره ذَمار قهراً، ثم حصن هِرّان قهراً.

٥٣/٢

وفي سنة تسع وثلاثين، [عمرت أبواب مدينة زبيد ودربها وخنادقها][٣]، على يد الأمير الشجاع عمر بن عثمان بن محيّا، وكان أميراً ومُشِدًّا وناظراً[٤]. ثم أمر أن تبنى مدرسته بالحرم الشريف المكي، سنة أربعين، وجعل لها وقفاً وافراً، ثم حج بعد ذلك سنة اثنتين وأربعين [وسبعمائة، وكسا البيت، وكسا أمير الركب الشامي والمصري][٥].

وفي سنة أربع وأربعين، خالف عليه ولده الملك المؤيد، وكان اقطاعه الجَثّة. فاستولى على المهجم وما يليها. فجرد إليه والده العساكر، صحبة القاضي موفق الدين بن الصاحب، والأمير سيف الدين الخراساني. فلم يزالوا به حتى أجابهم إلى الصلح. فقدموا به على والده، في المحرم سنة خمس وأربعين، فلما

---

(١) الرُّباصية: أي من الفضة الخالصة. وفي (ب): الرياضية.

(٢) في (أ): النواصيف.

(٣) في (ب): [ ]: أمر السلطان، الملك المجاهد، سيف الإسلام، أبو الحسن، علي بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول محمد بن هارون الغساني، بعمارة أبواب زبيد وسورها وخنادقها.

(٤) في (ب) الزيادة التالية: «وأمر السلطان المذكور بعمارة مسجد الهند المبارك، ببستان الراحة بزبيد، طرفها، من اليمن والغرب، ويمانيه السور. وأمر مولانا السلطان كذلك بعمارة مسجد أبي الضياء بزبيد، شرقي المدرسة الياقوتية، ويماني الخان المجاهدي بزبيد، على يد الأمير شجاع الدين عثمان بن محيا. وأوقف عليهم، [كذا] في وادي زبيد، في شرّيج الجرهزي وشريج الناصري، وقفاً جيداً ما يقوم بكفايتهم. وخصّ مولانا المذكور الاشراف الفضلاء العلماء الاتقياء، أولاد السيد الشريف، العلامة، تقي الدين عبد الحفيظ البزاز، بنظارة المسجدين المذكورين بزبيد، وأوقافها المذكورة، تعظيماً للعلم ورفعاً لدرجاتهم. وعليهم عمارة المسجدين المذكورين، وفرشهما، وتسريجهما، والقيام التام. وما فضل، بعد العمارة والفرش والتسريج، فهو لهما [كذا] يقسم بينهم. وفي سنة أربعين وسبعمائة امر السلطان، الملك المجاهد المذكور، بعمارة المدرسة المجاهدية بالحرم الشريف المكي، وجعل لها وقفاً وافراً».

(٥) الزيادة من (ب).

وصل إليه ضربه ، وحبسه ، ومات بعد ذلك بقليل ، ثم ذهب الملك المجاهد إلى الحجة الثانية ، سنة إحدى وخمسين ، وبلغ إلى مصر في صحبة الحاج[1] ، وأقام مدة ثم رجع منها سالماً في آخر التي تليها .

وفي يوم الأربعاء ، الخامس من شهر رمضان سنة ستين[2] ، كانت المطرة ٥٤/١ المشهورة باليمن ، في مدينة زبيد ونواحيها ، فتهدمت المساكن / على أهلها ، وامتلأت الآبار ، ومات تحت الهدم نحو من مائة إنسان .

وفي الثاني والعشرين من ربيع الآخر ، سنة اثنتين وستين ، توفيت جهة صلاح أم الملك المجاهد ، رحمة الله عليها .

وفيها ملك محمد بن ميكائيل المهجم ، ودخلها عسكره في الرابع عشر من شهر ربيع الأول . واستولى ابن ميكائيل على تلك الناحية بأسرها . وفيها خالف المظفر على والده الملك المجاهد ، وسار إلى عدن ، فلاحقه إليها فولّى عنه ، فدخلها وأقام بها أياماً . وعاجله الأجل فتوفي بها يوم السبت ، الخامس والعشرين من جمادى الأولى ، سنة أربع وستين ، وحمل إلى تعز ودفن بها ، في مدرسته ، رحمه الله .

وكان ، رحمه الله ، ملكاً عالي الهمة ، شريف النفس ، أديباً ، لبيباً ، فقيهاً ، نبيهاً ، شاعراً ، فصيحاً ، مشاركاً في عدة من فنون العلم ، ويقال انه أعلم بني رسول ، وكان جواداً .

قال الإمام جمال الدين الرَّيْمي : وهب لي الملك المجاهد ، في يوم من الأيام ، أربعة شخوص من الذهب ، وزن كل واحد منها مائتا مثقال ، مكتوب على وجه كل شخص منها : (شعر) :

٥٤/٢ إذا جادت الدنيا عليك فجُدْ بها على الناس طراً قبل أن تتفلت /
فلا الجودُ يفنيها إذا هي أقبلت ولا الشحُ يبقيها إذا ما تولت

ومن مآثره الدينية : المجاهدية بتعز ، وقبره بها ، ومدرسة دار العدل[3] بها ،

(١) الواقع أن المجاهد لم يذهب باختياره بل قبض عليه الركب المصري بعد قتال .
(٢) في (ب) : سنة احدى وستين .
(٣) كذا في جميع النسخ . وفي قرة العيون : دار الوعد (ج ١ ص ٩٤) .

والزيادة الغربية بجامع عُدَيْنة ، والمجاهدية الصلاحية لوالدته ، جهة صلاح ، واسمها آمنة بنت الشيخ الصالح إسماعيل ابن عبدالله الحلبي ، المعروف بالنقاش[1] ، في قرية المُجَلِيّة ، شرقي تعز ، ولها أخرى بقرية السلامة ، وثالثة ، عظيمة الوقف ، جيدة العمرة ، بزبيد ، والخانقاه بزبيد ، والصلاحية ، بقرية المسلّب من وادي زبيد ، وأخرى في قرية التُّرَيْبة ، من وادي زبيد أيضاً ، ومسجد صغير في قرية المِمْلاح .

وابتنى ثلاث جوارٍ من جواريها ثلاثة مساجد بزبيد . ووهبت لهن أراضي وأوقفتها عليها . إحداهن ، الحاجة سمح ، ابتنت مسجداً عند سوق الشباك بزبيد . والثانية ، الحاجة قنديل ، ابتنت مسجداً شمالي باب القُرْتُب . والثالثة ، الحاجة غصون ، ابتنت مسجداً جنوبي دار السلطان ، وعلى الجميع أوقاف جيدة . وابتنى زمامها ، الطواشي جوهر الرضواني ، مسجداً بزبيد شرقي الجامع . وأفعالها في ١/٥٥/ الخير كثيرة، حتى قيل إن وقفها ووقف حاشيتها بأكثر من ألف مُدّ . / ولا يعلم لأحد من نساء الملوك ما لها من المآثر الحميدة ، رحمة الله عليها[2]

والملك المجاهد هو الذي أنشأ الجامع بثُعَبَات ، وابتنى جامع قرية النُوَيْدرة ، على باب سهام ، خارج مدينة زبيد . وابتنى عند بستان الراحة ، خارج زبيد ، من شرقيها ، مسجداً . وهو الذي مدّن ثعبات وبنى سورها ، في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، واخترع فيها المخترعات الفائقة ، والبساتين الرائقة ، وبنى فيها المساكن العجيبة والقصور الغريبة .

وعمرت في دولته جملة مساجد ، وابتنت أخته ، جهة فاتن المسماة ماء السماء ، ابنة السلطان الملك المؤيد : الفاتنية بزبيد ، جنوبي باب سهام ، والسبيل الفاتني ، قبالة مدرستها المذكورة ، وابتنت ، في طريق النخل من وادي

---

(١) في (ج) : بالنفيس .

(٢) في (ب) : الزيادة التالية :

« ومن مآثر السلطان الملك المجاهد ، مدرسة بتعز جعلها جامعاً ، وجامع بناحية جبيل ، وجامع بثعبات ، وجامع بقرية النويدرة ، بقرب باب سهام ، من مدينة زبيد ، ومدرسة بدار العدل . وله الزيادة الغربية في الجامع المظفري بعُدَيْنة . وكان محبا للعلماء ، مشفقا عليهم ، عادلا برعيته ، أجرى لرعيته ، في آخر دولته ، بإزالة الربع من جميع ما ازدرعوه » .

زبيد ، مسجد الربَد والسبيل هنالك ، وأوقفت على كل من ذلك وقفاً يقوم بكفايته . ولها مسجد صغير بزبيد ، بين باب الشبارق وبين المرباع . وأوقفت في وادي زبيد وقفاً جيداً على الفقراء والمساكين يُعْرف بالبر [المؤيدي][1] ، وأفعالها في الخير كثيرة . وكانت وفاتها سنة ثمان وستين وسبعمائة ، رحمة الله عليها وعلى سلفها .

٢/٥٥ ومن غريب ما وقع في دولة الملك المجاهد ، أن وادي / زبيد دفع دفعة عظيمة ، بسيل عظيم ، في يوم الثلاثاء ، التاسع عشر من صفر ، سنة ثلاث وأربعين ، فهلك بسببه من أهل قرية المُسَلِّب نحو مائة وخمسين نفساً ، غير البهائم ، وأن جارية لبنت الأمير نور الدين محمد بن الفخر ، يقال لها غنا ، ولدت ولداً على وفاء سبعة أشهر من حمله ، وجهه وجه جدي ، وله قرنان ، وأربع أعين ، اثنتان من قدام واثنتان من خلف ، وآذانه في رأس الكتفين ، في كل كتف أذن ، وأنفه أعوج ، وله سن وناب ولسان ابن آدم ، وشعره بين الجنبين ، وله أربع أرجل ، في كل رجل أربع أصابع ، وكوع حمار ، وله عجز مشقوق ، وله من قدام ذكر ، ومن خلفه فرج انثى . فسبحان الخلّاق العليم ، وذلك يوم الأحد ، سلخ شهر رجب ، سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

ولما مات الملك المجاهد ، رحمه الله ، في التاريخ المتقدم ، اتفق أهل الحل والعقد على إقامة ولده ، الملك الأفضل ، وكان من العلم والفضل والأدب بمكان ، فبايعوه واستقر أمره . وكانت الأطراف مضطربة ، وكان الأمير محمد بن ١/٥٦ ميكائيل ، المقدم ذكره ، قد استولى على حَرَض ومَوْر وسُرْدُد / في حياة أبيه ، وخطب له على منابر الجهات الشامية ، وأقام كذلك عامين . فجرد إليه الملك الأفضل الكتائب ، وجعل على مقدمتها الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي ، فقتل أصحاب ابن ميكائيل ، وكانت الوقعة في القَحْمَة ، يوم الثاني والعشرين من جمادى الأولى ، سنة خمس وستين وسبعمائة . وهرب ابن ميكائيل إلى صعدة ، واستولى الملك الأفضل على سائر أقطار اليمن ، وبنى في هذا العام المدرسة الأفضلية بتعز ، وبنى مدرسة أخرى بمكة المشرفة .

وفي سنة ست وستين ، خرج عليه المظفر ، ودخل حرض ، وناصره إمام الزيدية ، ثم عاد من غير أن يقاتل .

(١) الزيادة من (ب) .

وفي سنة سبعين ، قبض حصن القاهر . وفيها أمر أن يمسح على كافة الرعايا ، في سائر جهات مملكته ، بالذراع الأفضلي ، صدقة تامة عامة .

وفي سنة إحدى وسبعين ، جاء ابن ميكائيل ، وإبراهيم السيد بن يحيى الهدوي وحصل بينهم[1] وبين ولاة الجهات الشامية حرب ، فانكسر الولاة ، وقتل القاضي جمال الدين محمد بن عمر بن الشريف ، ولزم الأمير فخر الدين [زياد بن أحمد الكاملي][2] ، ورجع الأمير علي بن إياس بمن معه إلى زبيد ، فقتله ٥٦/٢ العوارون ، وأخذوا ماله ، واستولوا على زبيد . وجاء الأشراف عند ذلك ، [وحطوا على المدينة ، في البستان الشرقي ، وسألوا من العوارين أن يدخلوهم المدينة][3] ، فلم يدخلوهم ، بل ثاروا عليهم في الحال ، حتى نفوهم عن المدينة . فتوجهوا نحو الجهات الشامية ، وأرسلوا بالأمير فخر الدين زياد ، طريق الجبل ، وأتى القائد أحمد فأطلقه وعاد سالماً . ثم أن الطواشي أهيف وصل ، وأدار الحيلة حتى دخل زبيد ، يوم الأربعاء الثالث من رجب ، من السنة المذكورة . وكان هلاك العوارين على يده . ودرّب مدينة زبيد بالآجر ، بعد أن كانت قبله مدرّبة باللبن ، فدربه الذي يظهر الآن للناظرين ، واللبن من داخله ، ولم يزل على بنائه إلى تاريخنا هذا ، إلاّ أنه قد تخرب منه مواضع وتصلح . ثم جرد الأفضل للأشراف الكتائب ، فلما علموا بذلك ولوا هاربين . ثم بعد عامين ، جاء ابن ميكائيل والأشراف ، فلقيهم فخر الدين زياد ، في سُرْدُد ، فكسرهم في ربيع الأول ، سنة اثنتينْ وسبعين .

وفي سنة أربع وسبعين قُتِلَ الشيخ أبو بكر بن مَعُوضَة السِّيَري ، شيخ بَعْدان ، غيلة على فراشه ، واحتز رأسه ، وحمل إلى حضرة السلطان الملك الأفضل ، رحمه الله تعالى .

وفي سنة خمس وسبعين ، قُتِلَ الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي غيلة على فراشه ، وهو نائم في حد القحْرية .

٥٧/١ وفي عام / سبعة وسبعين ، نزل الإمام صلاح الدين محمد بن علي بن محمد

---

(١) كذا في جميع النسخ والصواب : بينهما .
(٢) [ ] : ساقطة في (أ) .
(٣) [ ] : الزيادة من (ب) .

الهدوي ، إمام الزيدية في عصره ، وبلغ إلى باب مدينة زبيد ، ووقف محاصراً لها ثلاث ليال ، ثم رجع هارباً من قبل وصول مواد السلطان .

قلت : وقد وصل ولده علي بن صلاح إلى زبيد ، سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، في الدولة الأشرفية ، وحط على زبيد قريب الشهر ، وهي المرة المشهورة التي يذكرها أهل زبيد ، فيقولون سنة الإمام ، وكان فيها قتال وحصار . ولم ينزل أحد منهم إليها بعد ذلك والحمد لله .

ثم نزل الملك الأفضل إلى زبيد ، ودخلها أول رجب ، وأقام بها إلى يوم الجمعة ، الحادي والعشرين من شعبان ، عام ثمانية وسبعين وسبعمائة .

وتوفي بها في دار الخَوَرْنَق ، رحمه الله ، وحمل إلى مدينة تعز ، ودفن بها ، بمدرسته الأفضلية . وله من المآثر الدينية : مدرسته المذكورة بتعز ، ليس لها نظير في البلاد ، ومدرسة أخرى بمكة المشرفة ، تجاه باب الكعبة المعظمة ، رحمه الله تعالى .

وكان ملكاً عالي الهمة ، شديد البأس ، حازماً ، يقظاً ، فقيهاً ، نبيهاً ، عارفاً بالفقه والنحو واللغة والأنساب والتواريخ ، مشاركاً في غير ذلك . وله مصنفات / ٢/٥٧ رائقة ، منها : « كتاب بغية ذوي الهمم في معرفة أنساب العرب والعجم » ، وهو كتاب مختصر مفيد ، وله كتاب « نزهة العيون في معرفة الطوائف والقرون » ، وكتاب « العطايا السنية في معرفة طبقات فقهاء اليمن وأعيانها » ، واختصر تاريخ ابن خلكان اختصاراً حسناً ، وكان دقيق النظر ، رحمه الله تعالى .

ولما توفي ، رحمه الله ، أجمعت الأمة على ولده ، السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن العباس ، فبايعوه وتمت له الخلافة ، في يوم وفاة والده ، وأرسل به إلى تعز ، ودفن بها ، كما قدمنا ، يوم الإثنين ، الرابع والعشرين من ذلك الشهر .

وفي السنة الثانية من خلافته ، مات ابن ميكائيل مقدم الذكر ، وكان أميراً من أمراء الملك المجاهد ، عالي الشأن ، كريم النفس ، يحب العلماء والصالحين ، أقطع المجاهد أباه حرض ، وأقام هذا بعد وفاة أبيه مقامه ، فنزع يده من الطاعة ، وكان من أمره ما ذكرناه أولاً . وفيها حج المحمل الأشرفي ، وكان أمير الركب فخر الدين السنبلي .

وفي دولته ، أمر بعمارة المساجد والمدارس بزبيد ، بعد أن كان أكثرها داثراً لا أثر له، / وفيها ما قد أشرف على التلف . فأمّا الذي كان داثراً لا رسم له ، فالمنصورية للحنفية . والحديث ، والسيفية الصغرى ، والنظامية والعفيفية ، والميكائلية ، ومسجد الأتابك سُنْقُر ، ومسجد الطواشي فاخر ، ومسجد خليخان ، ومسجد القرتب وسبيله ، والسبيل الفاتني على باب سهام وغير ذلك . وأما الذي كان مغْظمه خراباً أو قد أشرف على التلف ، فالمنصورية العليا التي للشافعية ، والسابقية ، والسيفية الكبرى ، والتاجية الفقهية ، ومسجد السابق ، ومسجد قنديل ، ومسجد الحاجة سمح[1] ، والخانقاه الصلاحية بزبيد ، ومسجد الخثاثة[2]، وسبيل الصلاحية بزبيد ، وغير ذلك . وأمر أيضاً بإصلاح ما تشعث من المدارس وغيرها ، كالصلاحية الكبرى ، والفاتنية ، والمَرْجَانية وسبيلها ، ومدرسة المِيلَين والعاصمية والشمسية والهَكّارية ومدرستي القراء والحديث التاجيتين والمسجد الجامع بزبيد ، وهو الذي أحدث السبيل على بابه الشرقي .

وفي سنة ثمانين وسبعمائة ، أمر بعمارة القصر المسمى دار النصر ، في ناحية القوز ، من زبيد . وفي سنة إحدى وثمانين ، تقدم إلى سردد وأقام به أياماً . [وفي خامس شعبان ، سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ، ظهر عامود من نور في ناحية المشرق ، كان يرى كالمنارة الكبيرة ، ووقف مكانه لا حركة له ، إلى يوم العشرين من شهر رمضان ، سنة اربع وثمانين ، فحلّ قليلاً قليلاً حتى غاب . وكان من تأثيره ، بقدرة الله تعالى ، حصول موت عظيم في البلاد المرتفعة عن تعز ، كجحاف وبلاد الحُجْري[3] وينا وصُهَيْب ووُصاب وما والاها من المشرق ، حتى كان يمر المار بالقرية فيجد الأنعام سائبة ، والآدميين موتى في منازلهم ، لا يتولى دفنهم أحد البتة ، ولا حولا ولاقوة إلا بالله][4] . وفي شوال / سنة ست وثمانين، ٢/٥٨ أمر بعمارة القيسارية في قرية المِمْلاح ليرتفق بها العسكر المقيمون عنده وغيرهم . [وفي سنة ثمان وثمانين و[ثمانمائة] [5]، نكح السلطان ، الملك الأشرف ، ابنة

(١) في (ب) : سماحة .
(٢) كذا في (أ) و (ج) و (هـ) . وفي (د) بدون نقط .
(٣) في (د) : الجحدري .
(٤) الزيادة من (ج) و (د) .
(٥) كذا في الأصل والصواب سبعمائة .

الشيخ محمد بن سليمان ابن مسعود الغيالي ، لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر ، وزفت إليه رابع شهر جمادى الأولى][1] .

وفي شوال سنة تسعين[2]، أمر أن يكون وعد زبيد وسوقها يوم الخميس ، وكان قبل ذلك يوم الجمعة . وهو الذي أنشأ جامع المِمْلاح ، خارج مدينة زبيد ، وكان اختطاطه في النصف من المحرم ، سنة تسعين وسبعمائة . وجَدّد حفر خنادق زبيد وعمارتها ، وعمارة الدرب ، في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . وأمر بعديد المساجد والمدارس بزبيد ، فعدت في سنة خمس وتسعين وسبعمائة ، فكان عددها مائتين وبضعاً وثلاثين موضعاً . وعدت المعاصر أيضاً بها ، فكانت ستة أو سبعة وثلاثين عوداً . وهو الذي أمر بعمارة المتجر بزبيد ، في ربيع الأول ، سنة ثمان وتسعين .

ومن مآثره الدينية : جامع المملاح المقدم ذكره ، والمدرسة الأشرفية الكبرى ، بتعز . وحمل إليه ، في أيامه ، مصنف قاضي القضاة جمال الدين الرَّيْمي المسمى بالتفقيه في شرح التنبيه ، في أربعة وعشرين مجلداً ، بالزف والطَبْلَخانات ، وسارت بين يديه القضاة ، والعلماء ، والأمراء ، من باب بيته إلى باب الدار ، ودخل بها إلى بين يديه ، وأجازه السلطان / عليها اثني عشر ألف دينار ، وحملت في أطباق الفضة ملفوفة بأثواب الحرير والديباج . وفي أيامه كان دخول ماء عين المغرس إلى طرف الشُّوْجَيْن ، بالنخل من وادي زبيد . وورد أمره على المشد ، عبد اللطيف بن سالم ، بحمل الغراس من شجر الفوفل والقف واللوز والليمون وغير ذلك ، وغرست بالبستان المذكور . ولم يزل حسن الطريقة ، قاصداً طريق الحق إلى أن مات يوم التاسع عشر من ربيع الأول ، سنة ثلاث وثمانمائة ، ودفن في مدرسته الأشرفية بتعز ، رحمه الله . وكانت نفسه تؤثر العلم والعلماء ، وكان متفنناً في العلوم ، مشغولاً بها ، أكرم الله مثواه .

١/٥٩

وكانت البيعة قد ثبتت لولده ، السلطان الملك الناصر أحمد ، في مدة مرض أبيه ، فحملت راياته ، وزفت في يوم ثامن ربيع الأول من عامه . وكان السِّيَري قد حط على حصن الحمراء ، في مدة مرض والده ، وساعده ولد مهدي ، صاحب

---

(١) الزيادة من (هـ) .

(٢) في (ج) : احدى وتسعين .

سَنَّاح ، فخرج الناصر يوم السادس عشر من شهره ، فأخذ سناح وغيره ، ورفع السيري من مكانه ، ونهب ما معهم ، ثم عاد منصوراً . وفي يوم الخامس عشر من
٥٩/٢ جمادى الأولى ، من عامه ، قصد حد بني سيف ، وأباد الأقران وأسر الأعيان . /

ثم خرج إلى بلاد الأساودة ، في الثاني والعشرين من شهره ، وسلموا حصونهم بالرضا منهم ثم عاد إلى تعز . وحصلت منهم خيانة[1] ، قصدهم لأجلها ، في الرابع من جمادى الآخرة ، فأخرب بلادهم وحصونهم ، وأهلك منهم كثيراً . ثم سار إلى زبيد ، يوم الإثنين الثاني والعشرين من الشهر المذكور ، وأقام بها إلى عاشر شهر رجب ، وخرج إلى المعازبة ، وسألوا الذمة فأعطاهم ، وسير إلى حنكة[2] المخالفين ، من بلاد الرماة ، فأخذ ما مع الرماة من خيل ، ودخل زبيد ، وأقام إلى أول يوم من شعبان . وأخذ المعازبة إبلاً للمنافرة ، فأغار عليهم ، وأباد منهم أمماً ، وقتل جمعاً كثيراً . وكان ذلك سبباً لترك المعازبة الخلاف ، ثم ولّى عليهم امرأة منهم ، ولم يحدث منهم بعد ذلك حادث .

وفي الثاني من شوال أخذ حصن المُهُور ، وهو حصن عظيم به انحسمت مادة الخلاف في مخالف[3] سهام وتلك الأطراف ، ثم طلع إلى تعز يوم الثاني والعشرين من ذي القعدة ، سنة ثلاث وثمانمائة .

وفي أول يوم من سنة أربع وثمانمائة ، أخذ حصون رَيْمة وسائر ما هنالك .
٦٠/١ فكان افتتاح هذه الأماكن على يد الأمير بدر الدين / زياد بن أحمد الكاملي ، والطَوَاشي نظام الدين خضير الخازندار الأشرفي . وقدم عليه الشريف المنتصر في سنة سبع ، فوصله بمائة ألف دينار . وغزا المقاصرة ، وقتل منهم جموعاً ، ونهب بلادهم ، وأخربها ، في سنة ثمان . وفيها أخذ مدينة دَثِينَة[4] ، ودخلها قهراً ، وانتهب أموال أهلها . وقصد مدينة جازان . في سنة تسع ، لتغلب حصل من صاحبها عن تسليم عادته في كل سنة ، فدخل جازان ولم يجد بها أحداً ، وأقام أياماً . ثم سأل صاحبها الذمة فأعطاه إياها ، فنزل إليه وأنعم عليه ، ووجه به إلى مدينة زبيد في

---

(١) في (أ) : جناية . (٢) في (أ) : جلة .
(٣) في (ب) : مخلاف .
(٤) كذا ضُبِطَت في « صفة جزيرة العرب » (ص ٢٠٠) و« المدارس الاسلامية » (ص ١١٢)
أما في مخطوطة (أ) : دُثَيْنة .

صحبة الأمير محمد بن زياد الكاملي . ثم توجه الناصر إلى مدينة حَلْي فلقيه صاحبها بهدايا إلى البِرك ، وترجل له ، ومشى تحت ركابه كبعض الجند ، وسأل منه إقالة العثرة ، وحمل إليه القرآن ، وقال إن هذه البلد ضعيفة لا تطيق وطأة مولانا السلطان ، فقبل منه ، وأمره بالرجوع إلى بلده سالماً مسروراً ، بعد أن شرط عليه أن يقود كل سنة إلى بابه خمسين فرساً ، فامتثل ذلك . ورجع الملك الناصر إلى ٦٠/٢ جازان، فأمّر عليها أحد الأشراف ، من قرابة صاحبها ، وقلده أمورها ، / ثم رجع إلى زبيد . فاستشفع إليه صاحب جازان بعلماء زبيد وصلحائها ، وكان محبوباً عند الناس كافة ، لفعله الخير ، فشفعهم فيه ، وخلع عليه خلعاً ، وصرف له طَبْلَخانة بأربعة أعلام ، وكساه من ملابسه ، وأعطاه عشرين ألف دينار ، وخمسين عبداً ، وسيره إلى بلده مكرماً ، وولاه أمورها ، وأمر سائر أمرائه بتشييعه إلى بيت الفقيه ابن عُجَيْل .

وفي سنة إحدى عشرة ، وصل إليه ابنا سعد الدين ، صاحب الحبشة ، مستنجدين به على الحَطِي الكافر ، ووجهاه بمدينة تعز ، فأكرمهما ووعدهما النصرة .

وفي السنة التي تليها ، توفي الشيخ مَعُوضَة بن تاج الدين ، يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة .

وفي سنة سبع عشرة ، قدم عليه الشيخ طاهر بن معوضة ، يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الآخرة ، فكساه ، وأنعم عليه ، وعلى من وصل معه .

وفي سنة عشرين وثمانمائة ، قصد صاحب صنعاء بلاد بني طاهر ، امناء السلطان ، فلما بلغه الخبر ، تجهز إليه فالتقيا بموضع يقال له الضُّرَام . فانكسر الإمام وعسكره ، وقتل منهم جمع كثير ، وتبعهم السلطان إلى وادي خُبَان ، ثم ٦١/١ رجع إلى المِقرانة ./ وكان قد أمر بعمارة دار النعيم بها . فأعطى البنائين عند وصوله عشرين ألف دينار . ثم سار إلى بلد العجالم ، ثم إلى ابين ، ثم إلى دَثِينَة ، ثم إلى بلاد علي بن الحسام الزاهر ، لخيانة بلغته عنه . ثم ظهرت له براءته عنها فأعطاه مالاً جزيلاً ، ثم سار إلى عدن ، ثم إلى تعز ، ثم إلى زبيد ، فبلغه ان جهات أُصاب حصل بها فساد عظيم ، فقصدها وأخذ أربعين حصناً من حصونهم ،

ثم أخذ حصن رَكْبَة زحفاً بنفسه ، ثم حصن قوارير قهراً على أهله ، ورتب في الحصون من قبله . وأعجبه حصن قوارير ، فبنى فيه قصوراً مشيدة ، ودوراً شامخة ، وجعل خشبها من الصندل ، ومنّع قصورها .

وفي سنة اثنتين وعشرين ، خالف عليه أخوه حسين ، وأخذ زبيد وتسلطن فيها ولقب بالظافر . فنزل من تعز ، ودخل زبيد قهراً . وقبض على أخيه ومن معه ، وقيده ، وأودعه دار الأدب ، بحصن الفص ثم نقله إلى دار الأدب بحصن تعز ، ونزل السلطان إلى بيدحه ، فاتصل به العلم إن أخاه حسيناً قد أحدث خلافاً آخر بتعز ، فطلع السلطان مبادراً إلى تعز وحصر أخاه في الحصن ثلاثة أيام ، وأخذه قهراً وقبض / على أخيه ، وأرسله إلى حصن ثعبات مترسماً . وأمر أخاه شقيقه ، ٦١/٢ الملك الظاهر ، أن يسير إليه في جماعة ويسمل عينيه ففعل . وبقيت هذه سبّة في بني رسول . ثم ندم الناصر على ما كان منه ولام الظاهر على المبادرة إلى ذلك ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . ثم نزل الملك الناصر إلى زبيد ثم إلى النخل ثم إلى المرسا الجديد بالفازة[1] ، وأمر بعمارته ثم رجع إلى زبيد .

وفي سنة ثلاث وعشرين ، قدم عليه قاصد صاحب الصين بثلاثة مراكب عظيمة ، فيها من الهدايا النفيسة ما قيمته عشرون لكاً من الذهب . واجتمع القاصد بالملك الناصر ، فلم يقبل الأرض بين يديه بل قال : سيدك ، صاحب الصين ، يسلم عليك ويوصيك بالعدل في رعيتك . فقال له : مرحباً ونعم المجيء جئت . وأكرمه وأسكنه بدار الضيافة . ثم كتب الناصر إلى صاحب الصين كتاباً يقول فيه : الأمر أمرك والبلد بلدك . وجهز له من الوحوش البرية ، والثياب الفاخرة السلطانية ، جملة مستكثرة وأمر بتشييعه إلى مدينة عدن .

وفي سنة أربع وعشرين ، حصل في اليمن غلاء عظيم وجوع شديد ، وقام الفقيه الصالح ، شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم / بن عجيل ، بأمر الناس فيه قياماً ٦٢/١ تاماً ، حتى قيل إنه أطعم في إحدى الليالي ثلاثة آلاف نفس ، رحمه الله تعالى .

وفي سنة خمس وعشرين ، وصل ابنا سعد الدين المجاهد ، منهزمَيْن من المشركين ، إلى بندر البقعة ، ودخلا مدينة زبيد . فنزل السلطان إلى زبيد ،

---

(١) في (ب) : بالمفازة .

واجتمع بهما ، ورغب في الجهاد والخروج له ، ثم جهز لهما مائتي فارس ، وأعطاهما مائتي فرس ، بما يصلحها من آلات الحرب ، وجهزهما إلى بلدهما مكرمين . ولم يزل يجري لهما الخيرات حتى قويت شوكتهما . وظهر في أول دولته ابن نجاح ، فما ساعده فلاح ، حتى ضربت به العامة المثل فقالوا : مَلَكَ نجاح ساعة وراح . واسمه محمد بن أبي القاسم بن نجاح الأشعري . وكان قد جمع أموالاً عظيمة ، فاستكثرها وقصد زبيد ، وحاول الملك ، ولم يظفر منه بشيء ، فلم يرَ في زبيد إلاّ مقتولاً . وكان ظهوره وقتله يوم الجمعة ، التاسع عشر من شهر ربيع الأول ، سنة ست وثمانمائة .

والملك الناصر هو الذي عمل المرسا بساحل وادي زبيد ، وأنفق مالاً جزيلاً ، وعمر حصن الفص بقوارير ، وعمر هنالك عدة مواضع وأحدث فيها دوراً كثيرة ، ٦٢/٢ منها الترنجة[1] والقاهرة وأنشأ داراً بَيْحرّة ، وأخرى بالدَّعْب . وأنشأ في بَيْدَحة دارين عظيمتين ، وأنشأ هنالك مجرى وبساتين ، وساق الماء إلى هذه الأماكن من مكان بعيد . والدار الكبير الناصري ، من مدينة زبيد ، من عمارته وإليه ينسب .

وفي أيامه بَنَت الحرة ، أم الملوك ، جهة الطواشي جمال الدين فرحان ، المدرسة الفرحانية بزبيد . وأنشأت أيضاً بركة مسجد الأشاعر ، في سنة خمس عشرة أو التي بعدها . وكانت جماعة المسجد ، قبل إنشائها ، قليلين ، فكثر جمع المسجد المذكور بسبب إنشائها ، وارتفق الناس بها ارتفاقاً عظيماً كلياً . وكان الملك الناصر موصوفاً بالكرم الجم ، والحلم التام ، عند الخاص والعام ، بحيث أنه قد ترفع إليه أشياء مما لا يحتمله عادة الملوك ، فلا يستفزّه غضبه . ولم يذم منه شيء سوى ما فعله بأخيه حسين . ولم يزل قائماً بأمور المملكة ، حافظاً لها في التهائم والجبال حتى توفي آخر يوم الأحد ، الخامس عشر من شهر جمادى الأولى ، سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، شهيداً بقصره في حصن الفصّ من قوارير . وحمل ٦٣/١ إلى مدينة تعز، ودفن بها في مدرسة والده ، الملك الأشرف ، رحمها الله تعالى .

ثم ولي الملك بعده ولده ، الملك المنصور ، عبدالله بن أحمد وكان عدلاً ، شجاعاً ، ذا دين متين ، أزال منكرات كثيرة . فأثار ساكن عزم أهل السنّة ، ومنع

---

(١) كذا في المخطوطات إلا في (ب) : الترمحة .

أرباب الطرب من النساء الحضور إلى دار مملكته . وكان ذا رأي وتدبير لسياسة المملكة ، على صغر سنه ، جواداً ، سخياً ، كريماً ، ممدوحاً . وكان يحب الفقراء والمساكين ، ويحضر صلاة الصبح مع الجماعة ، بمسجد الأشاعر بزبيد ، وبالجامع المظفري بذي عدينة . ولم يزل على قدم الجد والاجتهاد ، ناهضاً بأعباء ما حمل ، حتى توفي ظهر يوم الأربعاء ، الخامس عشر من شهر ربيع الآخر ، سنة ثلاثين وثمانمائة ، بالدار الكبير ، من مدينة زبيد ، وحمل إلى مدينة تعز ، فدفن بها في مدرسة جده الأشرف ، بحذاء قبره ، يوم السبت ثامن عشر الشهر المذكور ، قدس الله أرواحهم .

ثم ولي الملك بعده أخوه ، الملك الأشرف ، إسماعيل بن أحمد ، وكان صغير السن . فتولى تدبير المملكة جماعة من أعيان الدولة . واختلفت كلمتهم ، وتفرقت آراؤهم . فنهض جماعة من المماليك والعبيد وقبضوا عليه ظلماً وبغياً ، بدار المملكة، من مدينة تعز ، المعروف بالأخضري ، في التاسع من / جمادى ٦٣/٢ الآخرة ، سنة إحدى وثلاثين ، ونهب الدار وما فيه ، وخربت مدينة الكدرا ، من وادي سهام ، في أيامه ، وقتل مقدمها يومئذ العباس بن محمد الكاملي . وكانت مدة ملكه سنة وشهرين . ثم انعقدت كلمة الإجماع على إقامة عمه ، السلطان الملك الظاهر ، يحيى بن إسماعيل فأخرج من السجن بثعبات ، صبيحة الجمعة العاشر من جمادى الآخرة ، سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، وبايعوه وتمت بيعتهم له .

ثم ركب إلى دار العدل بتعز لفوره ، ثم أرسل بابن أخيه ، الملك الأشرف ، تحت الحفظ ، إلى حصن الدملوة ، وسجن هنالك حتى توفي .

ثم نزل إلى مدينة زبيد فدخلها يوم الجمعة ، ثاني ذي القعدة من السنة المذكورة ، دخولاً معظماً . وبعد عامين من ولايته ، نكل بالجند الذين خلعوا ابن اخيه أشد النكال ، وأذاقهم شديد الوبال . وكانوا قد طغوا وبغوا وزعموا أنهم يقيمون من شاءوا [ويخلعون من شاءوا][1] فأبادهم قتلا وتغريقا ، ونفياً وتفريقاً .

ثم صادر وزير ابن أخيه ، القاضي شرف الدين اسماعيل بن عبد الله

---

(١) [ ] ساقطة في (أ) .

العلوي ، وأخذ منه أموالاً عظيمة، ثم أطلقه وأظهر له الرضى وراسل زوجته بنت المزجاجي[1] سراً وأمرها / أن تطلق منه . وكانت تحبه، فأطلعته على ذلك فطلقها خوفاً على نفسه . فلما علم الملك الظاهر بذلك ، عقد له الولاية على مدينة المحالب فتوجه إليها . فلما انقضت عدة زوجته ، أرسل السلطان ، وهو إذ ذاك بمدينة موزع ، وكيله فتزوجها له ونقلت إليه . فلما انتهى الخبر بذلك إلى ابن العلوي ، فر إلى مكة حرسها الله تعالى ، يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وثلاثين . فلما علم الملك الظاهر بذلك ، أمر بالقبض على أخيه الشهاب العلوي ، وعلى بيوتهم وأموالهم . فلما علم الشهاب بذلك استجار ببيت الشيخ الغزالي بن طلحة الهتار ، فقالوا له : لا نقدر أن نجيرك من السلطان . فلجأ إلى مدرسة أم السلطان ، المعروفة بالفرحانية ، بزبيد . فأرسل السلطان من قبضه منها ، فجيء به صائماً ، حاملاً للقرآن على رأسه حتى وقف بين يديه ، فأمر بضرب عنقه ، فضربت عنقه لفوره . ولم تعلم أم السلطان حتى قتل ، وذلك في يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب ، من سنة ثلاث وثلاثين .

ثم استصفى السلطان أموال بني العلوي ، وهدّم بيوتهم ، ولم يبق لهم / باقية . وأما القاضي شرف الدين ، فلم يزل مقيماً بمكة حتى توفي بها مسموماً ، فيما قيل سنة خمس وثلاثين .

وفي سنة اثنتين وثلاثين ، أمر السلطان ، الملك الظافر ، بتجديد درب مدينة زبيد وتحصينها ، وبناء دار السلا ، على باب الشبارق منها .

وفي جمادى الأولى ، سنة ثلاث وثلاثين ، استوزر القاضي تقي الدين عمر بن الوزير بن شرف الدين أبي القاسم بن مُعَيْبد ، وكان موصوفاً بالدين والصلاح ، وعقد له الوزارة في مدينة موزع .

وفي يوم الثلاثاء ، الرابع عشر من رمضانها ، وصلت هدية من صاحب دَهْلَك إلى الملك الظاهر ، من جملتها فيل ، واسد ، وزرافة ، وجوار ، وعبيد ، وزباد ، وغير ذلك .

وفي يوم الخميس ، الرابع من شهر صفر سنة خمس وثلاثين ، قدم عليه

---

(١) في قرة العيون : بنت الشيخ محمد المرجاني (ج ٢ ص ١٢٨ ، ١٢٩).

الشيخ شمس الدين علي بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين ، إلى مدينة تعز ، وواجهه بدار الشجرة . وفي السنة المذكورة ، أمر بعمارة دار العذيب ، بنخل الوادي زبيد .

وفي سنة ست وثلاثين ، اتفقت الصهارة الكريمة بين الملك الظاهر وبين الشيخ طاهر بن معوضة . وتقدم الفقيه نور الدين علي بن محمد الحميري ، وكيلاً / للسلطان ، في زواج ابنة الشيخ طاهر بن معوضة ، وتقدم معه الأمير عفيف الدين عبد الله بن محمد الشمسي ، ومن الفقهاء الفقيه عبد الولي بن محمد الوَحْصي والفقيه أبو بكر بن محمد العَرَشاني . ٦٥/١

وفي السنة المذكورة ، توفيت أم السلطان ، الحرة الطاهرة ، أم الملوك ، جهة الطواشي ، جمال الدين فرحان ، بمدينة زبيد ، في الثاني عشر من صفر ، ودفنت قريباً من تربة الشيخ طلحة بن عيسى الهتّار . وأمر ولدها ، السلطان الملك الظاهر ، بإنشاء مدرسة عظيمة على ضريحها ، ورتب فيها إماماً ، وخطيباً ، وأيتاماً ، ومعلماً لهم ، وعشرين قارئاً يقرأون القرآن عند ضريحها ، عقب كل صلاة . ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم . ومآثر أم الملوك هذه كثيرة وشهيرة ، في أماكن متعددة ، كمكة وزبيد ، وتعز ، ولحج .

وفي سنة سبع وثلاثين ، وهي السابعة من دولته ، وقع بمدينة زبيد موت عظيم حتى بلغ الذين يخرج بهم من الأبواب ، في كل يوم ، ثلاثين ميتاً وأقل وأكثر . وكَثُرَ المرض في الناس ، حتى أن بعض البيوت مرض جميع أهله ، فلم يجدوا من يمرضهم وحصل في تلك السنة خريف عظيم ، وكثر المطر ، ووقع في / مدينة زبيد مطرة عظيمة ، وأهلها يومئذ في النخل ، فخرب من بيوتها فوق السبعين بيتاً ، ما عدا الجدرات والاسعاف والخوص . ولم يبق بيت إلا حصل فيه الخراب ، وسال الوادي زبيد نيّفاً وستين يوماً ، متصل الأيام والليالي ، لم ينقطع ساعة واحدة ، وعم الموت جميع البلدان ، ومات في مكة ، في تلك السنة ، خلق كثير من أهلها وغيرهم ، حتى خلا بعض بيوتها . ٦٥/٢

وفي السنة المذكورة ، كان ختان اولاد الملك الظاهر ، وهم الأشرف إسماعيل ، وشقيقه الناصر أحمد ، وأخوهما الصالح الحسن ، بمدينة زبيد ، صبح

يوم الجمعة ، التاسع عشر من شوال ، وكان ختاناً معظماً لم يُرَ مثله . والملك الظاهر هو الذي أبطل ضمان الحسبة والمحناط ، ورد كثيراً من المظالم على أهلها . ولم يحمله على ما فعل ببني العلوي إلّا أحقاد متقدمة ، من دولة أخيه الملك الناصر ، فما بعدها .

ومن مآثره الدينية : المدرسة الظاهرية بمدينة تعز ، وكان ابتداء عمارتها في السابع والعشرين من شعبان ، سنة خمس وثلاثين ، وقبره بها ، أمر فيها بعمل منارتين ، إحداهما بدرجتين ، ليس لها في اليمن نظير إلّا بصنعاء ، كما قيل ، وله ٦٦/١ أخرى بمدينة عدن ، عند باب الساحل / وعمرت زوجته الحرة الطاهرة ، جهة الطواشي اختيار الدين ياقوت ، المدرسة الياقوتية ، بمدينة زبيد ، غربي الخان المجاهدي منها ، ورتبت فيها إماماً ، ومدرساً ومقرئاً [للسبع][1] وغير ذلك .

وسقطت في أيامه منارة الجند الشرقية ، فأمر بعمارتها من خالص عين ماله ، رحمه الله .

وفي أيامه بنى خازنداره ، الأمير برقوق الظاهري[2] مسجد الأشاعرة ، بمدينة زبيد ، في سنة اثنتين وثلاثين ، وهو الذي بناه بعد الحسين بن سلامة ، فيما وقفت عليه ، فعمره عمارة متقنة ، وزاد فيه زيادات مستحسنة ، منها أجنحته الشرقي والغربي واليماني ، ومقصورة النساء ، وجعل للمسجد خزانة جيدة لحفظ أمتعته ، وقضّضه بالنورة ، ورسم فيه بالدهان والذهب واللازورد ، وزخرف جداره القبلي بأنواع النقوشات والذهب ، ونصب في المسجد المذكور منبراً ، وجعل عليه مقدمة كريمة من القرآن العظيم ، أنفق في تحصيلها نفقة جليلة ، هي عديمة النظر في الخط والتذهيب ، وجعل على المنبر قارئاً يقرأ القرآن قبل صلاتي الظهر والعصر ، ٦٦/٢ ووقف لذلك ولمصالح المسجد المذكور وقفاً جيداً ، وجعل نظر ذلك / إلى المعمار الصديق بن عمر الموزعي .

قلت : وقد شارف المسجد المذكور الخراب ، في أيام السلطان الملك

---

(١) في النسخ : للسبعة ، الا في (هـ) فالكلمة ساقطة . والصحيح ما اثبتناه اللهم إلا اذا اراد المؤلف الأحرف السبعة .

(٢) في (ب) : الطاهري .

المنصور تاج الدين عبد الوهاب بن داود بن طاهر رحمه الله ، فأمر بهدمه وبنائه ورفعه عن الأرض . فابتدِيء في ذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثمانمائة ، فهُدِمَ وبُنِيَ بناءً حسناً ، ورفع عن الأرض نحو سبعة أذرع ، وزيدت فيه زيادات من جانبه الأيمن ، وجعل في جداره القبلي شباكان من حديد عظيمان ، أضاءت منهما جوانب المسجد المذكور ، وأبدل من الأساطين ما تلف ، وجعل للبركة رواق يماني ، زيادة على الرواق الأول الشرقي ، وجعل للبركة باب خارج عن المسجد ، يدخل منه الناس أيام المطر ، صيانة للمسجد عن النجاسات ، صان الله عامره عن الآفات ، وأنفق فيه مولانا السلطان نفقة جليلة ، تقبل الله منه ذلك وضاعف ثوابه على ما هنالك ، والمسجد المذكور باقٍ على بنائه إلى وقتنا هذا .

وفي آخر دولة الملك الظاهر الغساني،في سنة تسع وثلاثين ، حصل في اليمن طاعون عظيم عام ، وكثر في الجبال ، ومات بسببه من أعيانها خلائق لا يحصون ، كالحافظ جمال الدين محمد / بن أبي بكر الخياط ، والفقيه عبد الولي بن محمد الوَحْصي ، وقاضي تعز اسماعيل بن عبد الله بن محمد الريمي ، والقاضي عبد الرحمن بن محمد العرشاني، قاضي مدينة تعز أيضاً، وأخيه القاضي أبي بكر، وقاضي الجند الفقيه محمد بن أبي بكر الحبيلي ، والفقيه محمد بن عبد الله الكاهلي ، بمدينة أب ، وغيرهم . وهذه السنة يؤرخ بها عوام من أدركناه من أهل اليمن فيقولون سنة الجِفِلّة بكسر الجيم والفاء وتشديد اللام المفتوحة ثم هاء تأنيث ، والله اعلم . ٦٧/١

وفي آخر دولته ، أغار القرشيون على مدينة فشال وأخربوها ، وقتلوا أميرها شمس الدين علي بن موسى اليمي وبنى السرب ، في جماعة من أهل فِشال ، في شهر ربيع الأول سنة اثنين[١] وأربعين .

ولم يزل السلطان الملك الظاهر قائماً بأعباء الخلافة حتى توفي آخر يوم الجمعة ، آخر شهر رجب الحرام سنة اثنين[١] وأربعين وثمانمائة ، بمدينة زبيد ، بعد أن قدم إليها من مدينة تعز ، يوم الاثنين السادس والعشرين من الشهر المذكور مريضاً ، فأقام بها ثلاثة أيام فحسب .

ثم توفي رحمه الله ، فأجمع أهل الحل والعقد على إقامة ولده الأكبر سنا ،

---

(١) كذا في النسخ ، والصواب : اثنتين .

٦٧/٢ السلطان الملك الأشرف اسماعيل ، / فبايعوه وتمت بيعتهم له . وأمر بتجهيز والده الملك الظاهر ، فغسله بأمره شيخ الإسلام ، جمال الدين محمد الطيب بن أحمد الناشري ، وقاضي الشريعة بزبيد حينئذٍ ، شهاب الدين أحمد أبو الفضل بن علي الناشري ، وخطيب زبيد الفقيه كمال الدين موسى بن محمد الضّجاعي ، ثم جهزه احسن الجهاز ، ثم صلي عليه ، وأمر شيخ الإسلام الطيب الناشري أن يتقدم به إلى مدينة تعز . وهو الذي ادخله قبره رحمه الله تعالى ، وقبره بمدرسته الظاهرية ، بمدينة تعز المقدم ذكرها .

ولما استقل ولده الأشرف بالملك ، دانت له البلاد والعباد ، ومشى على طريقة والده في حسن السياسة ، وظهرت للناس رجاحته ، واشتهر في جملة معارك بالفراسة[١] ، وقوة القلب ، والشجاعة ، والإقدام ، والنجدة ، والشهامة ، وشدة البأس ، حتى قيل لم يسبقه أحد من آبائه إلى ذلك ، وباشر الأمور بنفسه وتولى ما يعنيه ، وكان فيه إقدام عظيم حتى كان يقال له المجنون لذلك .

وفي يوم الجمعة ، سلخ ذي الحجة من سنة اثنتين وأربعين ، فقدت جهة شفيق[٢] ابنة الملك الأشرف بن الأفضل ، عمة الأشرف بن الظاهر .

٦٨/١ وفي يوم الاثنين ، مستهل / صفر من سنة ثلاث وأربعين ، هاجم القرشيون قرية المِمْلاح ، بظاهر زبيد ، ونهبت القيسارية وقتل من القرشيين رجل واحد . وللملك الأشرف المذكور مع العرب عدة وقائع له وعليه . فمنها يوم العُذَيب ، وكان يوم الأربعاء ، الثامن من صفر ، سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة ، اجتمع فيه القرشيون والمعازبة وقصدوه إلى دار العذيب ، بنخل الوادي زبيد ، فكسرهم كسرة شنيعة ، وقتل من القرشيين خمسة وثلاثين رجلاً . ومنها يوم الغصن ، قتل فيه منهم نحواً من ثلاثة وثلاثين رجلاً . ومنها يوم العرْمة ، قتل فيه القرشيون من عساكره جمعاً كثيراً ، وهزموهم واتبعوهم إلى قرية التُّحَيْتا ، يقتلون منهم ويأسرون . ومنها وقعة القاهرة بينه وبين المعازبة ، وقتل فيها من عسكره جمع كثير . منهم الأمير شكر

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب : بالفروسية .
(٢) في (ج) : شفيق الله .

العدني ، والأمير عبد اللهَ بن زياد ، وغيرهم ، وذلك يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين .

ومنها وقعة المسيافة[1] بينه وبين القرشيين ، لم يسلم فيها من عسكره إلاّ اليسير ، ولم ينجُ إلاّ بنفسه ، وليس معه شيء سوى دبوس في يده . ومنها وقعة السماط المشهورة، في شهر جمادى الأولى سنة خمس وأربعين . / طلب الملك الأشرف جماعة من مشاهير المعازبة ومشايخهم، وعمل لهم سماطاً ببيت الفقيه ابن عجيل . فلما قعدوا عليه يأكلون ، أمر العساكر بضرب رؤوسهم ، فضربت على السماط رؤوس أربعين نفراً منهم ، ولم ينجُ منهم إلاّ اليسير .

٦٨/٢

وكان ، رحمه الله ، يواظب على صلاة الجمعة بجامع ، زبيد ، وفعل فيه حسنة لم يسبق إليها ، وذلك أنه أمر بإنشاء بركة عظيمة حسنة ، في الجامع المذكور ، وأقام فيه درسة يقرأون القرآن عقيب كل صلاة ، ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم . وعمر في الجامع المذكور جملة من سقوفه ، وأصلح متشعثه ، وقد قيل أنه أعرق الناس في الملك ، فهو الأشرف بن الظاهر بن الأشرف بن الأفضل بن المجاهد بن المؤيد بن المظفر بن المنصور .

قلت : ومثله ابن عمه الملك المنصور بن الناصر بن الأشرف ، ولم يوجد في الملوك من ولي الملك هكذا ، ثمانية على نسق واحد ، إلاّ فيهم ، رحمة الله عليهم .

وتوفي ، رحمه الله ، يوم الثلاثاء من شهر شوال ، سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، بدار السرور من مدينة تعز ، ودفن عند والده بالظاهرية ، رحمهما الله تعالى .

٦٩/١

ثم ولي الملك بعده ابن عمه ، الملك المظفر ، يوسف / ابن الملك المنصور عمر ابن الملك الأشرف اسماعيل بن العباس . وكان قد نفر من ابن عمه المذكور قبله إلى أُصاب ، وأقام بها عند الشيخ الصالح يحيى بن عمر الذيابي ، صاحب الضُنجوج مستجيراً . فأجمع أهل العقد والحل على إقامته خليفة . وقد كان الناس يلهجون به قبل ولايته ، ويذكرون عدله وإنصافه ، فتسلم الملك بقربه الضنجوج ،

(١) في (ب) و(هـ) : المسافة . والتصحيح من (أ) .

من بلد أُصاب ، يوم الجمعة ، الثاني عشر من شهر شوال ، وسار إلى مدينة تعز فدخلها عصر يوم الجمعة ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، إلى دار الشجرة في موكب عظيم .

ثم ركب منه إلى دار النجا ، بتعز ، ظهر يوم الاثنين ، الثانى والعشرين من الشهر المذكور ، ولم ينزل من تعز . فخرج جماعة من الترك والجند الذين بايعوه عن الطاعة ، ونزل المماليك من عنده إلى زبيد ، وصحبتهم يَشْبُك[1] الخاصكي . وكان صاحب شدة وبأس ، ففعل هو والمماليك أفاعيل ، من جملتها انهم أقاموا الملك المفضل[2] ، أسد الدين محمد بن اسماعيل بن عثمان بن الأفضل بن العباس ، سلطاناً بتربة الطلحية . ودخل مدينة زبيد ، يوم الثلاثاء خامس المحرم ، أول سنة ست وأربعين ، وصرف أموالاً كثيرة ، وأدخل العرب مدينة زبيد ، وفرق عليهم جملة من الخيل والأسلحة من الدار ، حتى قويت شوكتهم ، وأخذوا نخل / ٦٩/٢ وادي زبيد على أهله ، واقتسمته القرشيون والمعازبة ، ومنعوا منه أهله رأساً ثم اختلف القرشيون والمعازبة واقتتلوا ، فلم تتطرق المعازبة إلى نخل وادي زبيد ، وبقي أمر النخل في أيدي الفرشيين ، إلى أن نزل الشيخ علي بن طاهر وملك البلاد ، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وجرت أمور ومفاسد من العساكر ، بزبيد ، يطول شرحها ، فنزل من قبل المظفر الطواشي محسن ، والشهاب الصياحي ، والوجيه بن حسان ، والشيخ شمس الدين علي بن طاهر . فلما علم الطواشي نجيب بوصولهم لزم المفضل بزبيد . ولما دخلوا زبيد ، خرج نجيب بالمفضل إلى تعز ، في الثامن من ربيع الآخر ، ومات الوجيه بن حسان في ذلك اليوم ، واستشهد المفضل في شعب الديار ، رحمه الله ، ثم طلع ابن طاهر ، باستدعاء المظفر له ، يوم الخميس تاسع الشهر المذكور .

وفي يوم الجمعة بعده ، قتل يَشْبُك الخاصكي المفسد ، وكان قد خرج عن طاعة المظفر ، مع جماعة من أصحابه المفسدين ، وأقام بقرية القرشية ، وقصد

---

(١) في (ب) : نسيك . والتصحيح من (أ) و(هـ).
(٢) في (ب) : المنظفر .

زبيد غير مرة في أصحابه المخالفين ، فلم يظفر بشيء ، حتى قتل للتاريخ المذكور ، خارج باب النخل .

١/٧٠ وفي الجمعة التي بعدها ، قرىء منشور ، / في جامع زبيد ، وصل من المظفر بأمان أهل زبيد . ثم قدم نجيب من تعز ، وفي صحبته أربعون عبداً ، فلزم جماعة من أعيان البلد ، في جامع زبيد ، لفتنة أرادها . فقتل وطرح وانتهب بيته . واستجار الصياحي عند الشيخ اسماعيل بن أبي بكر الجبُّرَة ، وافتدى محسن نفسه بألفي درهم فسلمها بعد أن نهب بيته ، ثم طلب العبيد جوامكهم وكتب إلى المظفر بذلك فلم يجىء جوابه ، فنهبت العبيد الغلة من جميع الأراضي حول زبيد . واستدام ذلك ، ثم أظهر العسكر أن المظفر غير قائم بأمر الخلافة لضعفه . وخرج جماعة من العبيد إلى مدينة حَيْس ، وبحثوا عن من بها من الملوك ، فوجدوا أحمد الناصر بن الظاهر بن يوسف بن عبد الله المجاهد علي الرسولي ، فولوه سلطاناً . ودخل زبيد عصر يوم السبت سلخ جمادى الآخرة إلى الدار الكبير الناصري ولم يكن بذاك[1] .

وفي يوم الخميس ، خامس شهر رجب منها ، اجتمع جماعة من العبيد إلى باب الدار ، وضرب نفيرهم ، وصاحوا صيحة منكرة ، وساروا لوقتهم ينهبون المدينة ، ويقتلون من وجدوه ، وانتهبوا بيوتاً كثيرة من ربعي الجامع والمعاصر ، ٢/٧٠ وقصدوا بيوت التجار . / ولم يزالوا كذلك من ضحوة النهار إلى صلاة العصر . وسلمت بيوت القضاة ، وقتل من أهل زبيد أربعة نفر ، ومن العبيد واحد . ولم يزل البلاء يتزايد حتى كان يوم الأحد سادس شعبان ، فخرج السلطان لمباشرة النخل بوادي زبيد ، فقام جماعة من عوارين أهل زبيد ، نحو الخمسين ، ليغلقوا أبواب المدينة ، وظنوا أنهم لا يغلبون . فلما قفلوا الأبواب إلاّ باب الشبارق جاءوا ليغلقوه ، فوجدوا عساكر السلطان عليه . فحاصوا حيصة حمر الوحش ، ورجعوا هاربين ، وتسوروا الدروب واستجاروا ببيوت المناصب . فنهبت عساكر السلطان البلد نهباً عظيماً شنيعاً .

ثم قدم السلطان بعد صلاة المغرب ، فأمر بذلك وبقتل من وجد من صغير وكبير . فلم يبق لأهل زبيد باقية ، حتى أخرجوا ما في الآبار والمدافن وغير ذلك .

---

(١) كذا في النسخ .

ولم يسلم من النهب سوى بيوت جماعة من الدولة ، وأصبحت زبيد حصيداً كأن لم تكن بالأمس ، وتفرق أهلها عنها شذر مذر . وسلم أكثر بيوت أهل المجنبذ[1] ولا حول ولا قوة إلّا بالله . فلقب هذا بالخاسر ، لهذه الوقائع التي اتفقت في أيامه . ثم لزم في شهر ربيع الأول ، سنة سبع وأربعين، / وأخرجوه سالماً إلى الطليحة هو وأولاده . ٧١/١

وقام بالأمر بعده الملك المسعود ، صلاح الدين ، أبو القاسم بن الأشرف بن الناصر ، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، في ليلة الإثنين، الثاني عشر من ربيع الأول ، بزبيد ، ودخل عدن يوم الخميس ، منتصف ذي القعدة الحرام ، وبنو طاهر إذ ذاك بلحج ، معاونين للملك المظفر ، وفي أنفسهم ما فيها من طلب الاستبداد بذلك ، لما رأوه من ضعف المملكة وانحلال أمرها ، فقاومهم الملكُ المسعود، وخرج إليهم من عدن ، ودخل لحج سنة ثمان واربعين .

وفي أواخر هذه السنة ، وقع باليمن طاعون عظيم ، وكان معظمه في الجبال . ومات بسببه خلائق لا يحصون ، منهم المقرىء العلّامة عفيف عثمان بن عمر الناشري ، توفي بمدينة إب ، رحمه الله ، في آخر ذي الحجة منها .

وفي سنة تسع وأربعين ، قدم الأمير زين الدين جياش السنبلي ، إلى مدينة زبيد ، مقدماً من قبل الملك المسعود . واصطلح هو والمعازبة ونابذ القرشيين ، وغزا المخيريف ، قرية الأشاعر، فأخربها ، وغزا القرشيين ، ونزل النخل أيام حلوله ومعه المعازبة والعبيد والعساكر . فحمل عليه القرشيون / صبيحة مبيته في النخل ، يوم الأربعاء ، الثامن عشر من شهر ربيع الآخر ، سنة خمسين وثمانمائة ، فانكسر الأمير ، وهرب العبيد والقواد ، وقتل الأمير عماد الدين يحيى بن زياد ، وصهره عبد الله بن عمر بن حسين الدمرداشي ، والمشد محمد بن معوضة ، ومولانا حمزة بن الملك العادل ، وجماعة من بني إقبال ، وسلم الأمير زين الدين وبنو عمه . وكانت وقعة عظيمة ، تعرف بالعذيب الأخرى . ٧١/٢

ثم قصد المسعود تعز ، وحاصر المظفر بحصنها . فتعب المظفر من ذلك ، وأرسل إلى بني طاهر . فنزل إليه الشيخ عامر بن طاهر مناصراً له على المسعود ،

---

(١) كانت زبيد مقسمة إلى ارباع منها ربع المجنبذ (انظر مقدمتنا) .

[وأقام بدار القسطال ، ليحارب المسعود من قرب][1] ، فلم يزل الشهاب الصياحي يعمل الحيلة في إخراج ابن طاهر من القسطال ، حتى انحاز إلى بلده راضياً مختاراً .

ولم يزل المسعود بدار الوعد ، من مدينة تعز ، حتى قام عليه بنو طاهر مرة أخرى وأخرجوه من تعز سالماً بجميع ما معه ، يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان ، سنة اثنتين وخمسين فبلغ موزع ثم هَقْرة ، ثم عدن ، ودخلها يوم السادس من شوال .

ثم نزل بنو طاهر والمظفر إلى لحج ، والمسعود بعدن ، في ذي القعدة . وحصلت مقاتلة بينهما ، / فقتل من عسكر المسعود جماعة وخلّى المظفر بين المسعود وبين حصن تعز ، فنزل منه وقبضه المسعود سنة أربع وخمسين . ١/٧٢

وفيها حصل بمدينة زبيد وما يليها جوع عظيم ، وغلاء شديد ، وتعرف بسنة مَحْرَر[2] . قلت : وهذه السنة التي يؤرخ بها الآن عوام أهل زبيد ، فيقولون سنة الجوع . وقد حصل في الدولة الناصرية جوع عظيم وتعرف بسنة أحمد [وبسنة قُمَيْع][3] .

وفي شوال من سنة سبع وخمسين ، غرقت سفينة حُبر بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة التحتانية ثم راء ، ببطن الصفارية ، بين البقعة والحديدة ، ولم ينجُ من أهلها أحد سوى البحارين وامرأة واحدة ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

وأما ابن طاهر فابتنى داراً بلحج ، ووقف بها مدة ، ثم ارتحل إلى بلده ، ثم نزل في المحرم سنة ثمان وخمسين في عسكر ضليع ، فقابلته عسكر المسعود ، فنال منهم ونالوا منه ، ثم رجع إلى بلده .

وفي هذه المدة من أيام المظفر ، إلى آخر دولة بني رسول ، لم يزل أمر العبيد يستفحل بزبيد ، حتى استقلوا بالأمور دون أوليائهم ، وفعلوا ما فعلوا ، وأخذوا كل سفينة غصباً ، وولوا بزبيد الملك المؤيد ، حسين ابن الملك الظاهر بن

---

(١) [ ] : ساقطة في (ج)
(٢) في (ب) : محمد . وفي (ج) وقرة العيون (ج ٢ ص ١٤٢): محرز
(٣) [ ]: ساقطة في (هـ) .

٧٢/٢ الأشرف ، في آخر يوم من شعبان ، / سنة خمس وخمسين سلطاناً . فلما علم المسعود بذلك نزل إلى زبيد في رمضان ، فلم يدخلها بل استقر خارجها ليحارب المؤيد ، فأحس من عساكره بمكر وخداع ، فرجع إلى تعز ، ثم إلى عدن . وما زالت الحرب بينه وبين بني طاهر سجالاً حتى خلع نفسه ، وخرج من عدن سادس جمادى الآخرة ، ودخلها المؤيد يوم السابع والعشرين منه ، ووقف بها إلى أن نزل الملكان ، ابنا طاهر ، على ما سيأتي بيانه في الباب بعد هذا ، إن شاء الله تعالى .

الباب الثامن

في ذكر الدولة الغراء ، الظاهرية الزهراء ، وذكر قيام الملك المجاهد ، شمس الدين عليّ ، وأخيه الملك الظافر ، صلاح الدين عامر ، ابني طاهر بن مَعُوْضَة بن تاج الدين القُرَشي الأموي العُمَري

قال المؤلف وفقه الله لمراضيه ، وأنجح بفضله مساعيه : لما أراد الله تعالى رحمة العباد ، ومعاملتهم باللطف والإسعاد ، وإزالة أهل الزيغ والفساد ، والشقاق والعناد ، نزل الملك المجاهد وأخوه الظافر من بلادهما إلى مدينة عدن ، وقد قررا القواعد مع أهل الدرك ، بتلك البلد ، فلم يحل بينهما وبين أخذها أحد ، لمساعدة السعادة لهما ، وجريان القضاء بوفق مرادهما ، فدخلها الملك المجاهد ليلة الجمعة ، الثالث والعشرين / من شهر رجب ، سنة ثمان وخمسين ليلا ، من السور بالحبال ، في جماعة قليلين من عسكره من جانب حصن التَّعْكر ، ثم دخلها أخوه الملك الظافر صبيحة الجمعة من بابها وباقي العسكر ، فاستوليا عليها ، وقبضا حصونها ، ورتبا فيها من قبلهما من يثقانه[1] وأحسنا إلى المؤيد ولم يغيرا عليه ، بل جعلاه في بيت ، وأجريا عليه النفقة ، واشتريا ما معه من الطَبْلَخانة ، والخيل ، والسلاح وغير ذلك . ٧٣/١

وأما المسعود ، فبلغ في خروجه من عدن إلى العارة ، ثم إلى هَفْرَة ، واستجار بها عند الشيخ عبد الله بن أبي السرور نحواً من شهرين ، ثم خرج إليه العبيد من زبيد وراودوه على الدخول معهم إليها فاستوثق منهم بالإيمان .

ودخل زبيد يوم الاثنين ثاني رمضان وعمل سماطاً للإفطار، ودعا إليه رؤساء

---

(١) كذا في النسخ . والصواب : من يثقان به ، لأن الصحيح في وثق أن يتعدى بالباء .

الناس على عادة سلفه في ذلك ، فحين قعد الناس عليه للإفطار تكسرت الإسراء[1] إذ ذاك من تحتهم ، فسقط قاضي الشريعة محمد بن أبي الفضل الناشري ، والخطيب الفقيه عبد المنعم بن موسى الضجاعي ، والشريف أبو العباس بن أبي السلطان إلى الأرض ولم يتغير منهم شيء .

٧٣/٢ وأقام المسعود بزبيد إلى الحادي والعشرين من شوال ، وأرسل للشيخ عبد الله بن أبي السرور صاحب هَقْرَة ، فجاءه وخرج في صحبته ، على نية السفر إلى تعز ، فلما استقر بمدينة حيس خلع نفسه . ورجع العبيد إلى زبيد منكسرين ، وبلغ المسعود إلى هقرة ، وأقام عند الشيخ عبد الله بن أبي السرور ، ثم خرج من هقرة إلى مكة المشرفة .

ولما خلع المسعود نفسه من الملك ، راسل كبراء أهل زبيد الإمام الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر إلى مدينة عدن ببذل الطاعة له ، وتسليم الأمر إليه ، وذلك بعد أن قبض حصن التعكر في شهر ذي القعدة ، وبعد أن اخرج الأمير زين الدين جياش بن سليمان السنبلي من عدن مطروداً مهاناً ، هو ومن معه من اهله ، وكانوا نحو الثلاثين ، فاستقر بمدينة موزع وكاتب العبيد ليأذنوا له في دخول زبيد ، فرضي بعضهم وكره البعض . وممن رضي بدخوله يوسف بن الفلفل[2] ، وهو طاغيتهم يومئذ ، فأدخله زبيد غصب الكارهين. فلما استقر بها أظهر لهم النصح فأمنوه ، فكاتب الملك المجاهد يخبره بانحلال أمر العبيد وضعف شوكتهم ، فرد إليه الجواب وألزمه الإفساد بين العبيد وتفريق كلمتهم . فلم يزل يعمل الحيلة حتى

١/٧٤ حالف عبيد السيد / وعبيد الشمسي للملك المجاهد ، ولما استوثق منهم بذلك ، راسل الملك المجاهد مع جماعة من كبراء البلد وقضاتها وعلمائها . فلما وصلته الكتب خرج من عدن ثالث شوال سنة تسع وخمسين إلى بلده جُبَن ، فجمع الجند ونزل إلى تعز .

فلما علم القرشيون بوصوله إلى مدينة تعز ، عزموا إليه وواجهوه ، فأكرمهم وأنعم عليهم ووعدهم بكل جميل . وكانوا يومئذ في غاية الكثرة واجتماع الكلمة . ثم نزل إلى زبيد على طريق موزع ، فلما سمع العبيد بذلك حاصوا حيصة حمر

(١) كذا في النسخ ، والمراد : الأسرّة .
(٢) كذا في النسخ الا في (ب) : القلقل .

الوحش ، ولم ينتظم لهم أمر . فدخل موزع في ذي القعدة واستقر بها ، وأرسل للشيخ يحيى بن عمر الثابتي[1] ، صاحب الحديدة ، وكان قد وفد إلى الملك المجاهد وأخيه إلى مدينة عدن ، وحلف لهما ودعا إليهما ، فأمره أن يستقر ببيت الفقيه ابن عجيل ويمهد قواعد العرب هنالك ، وأرسل له من المال بما يعينه على ذلك ، فوصل إليها واستقر بها في جماعة من أهله.

ثم وصل الملك المجاهد إلى مدينة حيس ، ليلة عيد النحر ، فاشتد ضيق العبيد ، وبلغت القلوب الحناجر . فلما كان ليلة الحادي عشر من ذي الحجة ، ٧٤/٢ خرجت فرقة من العبيد هاربين / وتسوروا الدروب ، ويعرفون بعبيد فشال .

وفي صبح تلك الليلة ، وهو يوم الجمعة ، جمع الأمير زينُ الدين جياش السنبلي عنده أكابر العبيد ، وأمر منادياً ينادي في المدينة بأن البلد للملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر ، فقال له فرج خَيْري وهو من طغاة العبيد لما سمع النداء : يا أمير[2] من أذن لك في هذا النداء ، وأراد إثارة فتنة . فأمر الأمير زين الدين اخويه اسماعيل والصديق بضربه فضرب بالسيف حتى برد ، وأُلقي بين الناس في الشارع من كوة دار الأمير ،والعبيد مجتمعون حول البيت من المؤالفين والمخالفين ، ثم قبض على عبد الله بن زيتون ، وكان طاغية العبيد ورأس الفتنة ، وعلى جماعة وحفظهم ، فلما علم بذلك باقي العبيد ، تفرقوا وتشتتوا وتسوروا الدروب وتمزقوا كل ممزق ، وكانوا نحو اربعمائة . وقبض من خيلهم نحو خمسة عشر فرساً ، وكادت الجمعة تفوت ، ثم صلى القليل من الناس الجمعة وخطب للإمام الملك الظافر عامر بن طاهر ، واستمرت الخطبة باسمه وهو الأصغر ، واستجار المؤيد ببيت الشيخ الغزالي ، ثم خرج إلى مكة وقصد مصر فأكرمه ٧٥/١ سلطانها / إينال الأجرود ، ورتب له مرتباً يقوم بكفايته بمكة المشرفة فرجع إلى مكة واستقر واستقر بها حتى توفي .

ومن غريب الاتفاق دخول الملكين ابني طاهر مدينتي عدن وزبيد والمؤيد في كل واحدة منهما ، وأن الخطيب خطب يوم الخميس وهو العيد للمؤيد حسين ، وفي يوم الجمعة بعده لعامر بن طاهر .

---

(١) كذا في جميع النسخ . وفي قرة العيون : ابراهيم بن عمر الثالثي (ج٢ ص١٤٧).
(٢) في (أ) و (ج) و (د) : يا امير المؤمنين .

وفي ليلة السبت ، ثاني أيام التشريق ، تسوّر جماعة من العبيد السور واستجار جماعة منهم في بيوت مناصب البلد ، وخرج الأمير الركن عبد الرحمن بن محمد بن زياد الكاملي إلى باب الشبارق ، وكسر قفل الباب وخرج فاراً إلى الملك المجاهد ، ثم دخل أمير المؤمنين علي بن طاهر زبيد آمناً مطمئناً ، بغير قتال ولا حرب ، ضحى يوم السبت ثاني أيام التشريق ، وفي صحبته العلّامة شمس الدين يوسف بن يونس الجُّبائي ، المعروف بالمقري ، والقرشيون ، وانقادت له العربان ، وذلت له الأقران ، ودانت له العباد ، وأمنت به البلاد ، وفرح به المسلمون ، وانقمع به المفسدون .

وكان في القرشيين طغي وبغي ، فانتشروا في البلاد لنهب بيوت العبيد .

٧٥/٢ وكان الملك المجاهد قد وعدهم بنهبها، فبها قيل. فأحس الأمير زين الدين بفعلهم فأمر بغلق باب الشبارق . وثار أهل زبيد والعرب الذين بها عصر ذلك اليوم على القرشيين ، فقتلوا منهم نحو خمسة عشر نفراً ، فضاق القرشيون ورأوا انهم إن أمسوا بزبيد هلكوا ، فلجأوا إلى الأمير زين الدين ، فاستأذن أمير المؤمنين في الفسح لهم ففعل، وخرجوا مع غروب الشمس ذلك اليوم مطرودين مذمومين مدحورين ، وأهل زبيد يتبعونهم ويصيحون عليهم ويرمونهم بالحجارة من على السطوح ، واستقر الناس بعد ذلك ، وتمّت كلمة ربك الحسنى .

واعلم أن الملوك بني طاهر مدة ولايتهم أدامها الله تعالى في كل سنة يجعلون مخرجاً إلى المَدَبّي[1] ، نخل المعازبة ، سواء كان المعازبة مخالفين أو مؤالفين، ويقطعون ثمره . وربما قطعوا بعض اصوله في بعض السنين ، فلا نشغل به التاريخ إذ ليس فيه فائدة اكثر من العلم به ، اللهم إلّا أن تتعلق به فائدة أخرى فنذكره لها ، وفائدة قطعه في كل عام إذلالهم وتوطيتهم وإضعاف شوكتهم .

واعلم أني سأذكر بعض من مات في دولتهم من الأعيان ، وبعض ما اتفق من ٧٦/١ الحوادث لتتم الفائدة إن شاء الله تعالى . /

واعلم أيضاً أن لهم غزوات كثيرة على العرب الشامية ، من باب زبيد إلى مَوْر ، ولسنا نطول بذكرها إذ مقصودنا الاختصار . ولا بد أن نذكر منها ما تحسن الحاجة إليه وما لا بد من ذكره .

---

(١) في (ب): المدني . والصحيح المدبي نسبة الى المدبّ : اسم قرية .

ففي يوم الاثنين ، الخامس والعشرين من المحرم سنة ستين ، غزا الملك المجاهد وابن أخيه الشيخ جمال الدين محمد بن داود المعازبة ، وهم يومئذ بقرية الضجع ، من وادي رمع ، وخيلهم يومئذ تقارب المائتين ، وجمعهم متوفر، فأباد منهم جمعاً ، واحتزّ[1] رؤوس سبعة منهم ، ودخل زبيد منصوراً مسروراً ثاني الغزوة ، وأسرت المعازبة يومئذ الأمير محمد بن حازم لضعف فرسه ، وقتلوه صبراً .

وفي الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، كانت وقعة بالمُحْجَرية بين الملك المجاهد والمعازبة بني يعقوب ، نصر فيها عليهم وقتل منهم فارساً يعرف بابن جُبَيْدَة تصغير جُبْدَة[2] .

٧٦/٢ وفي يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الآخرّ ، توفي الشيخ الصالح شهاب الدين / أحمد بن محمد بن أفلح ومشى في تشييعه الملك المجاهد ، وحمل الجنازة . وقبر عند جده بمقبرة باب سهام ، وقبره بها مشهور يزار ويتبرك به نفع الله به .

وفي يوم الأربعاء ، الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر ، دخل الملك الظافر صلاح الدين عامر بن طاهر مدينة زبيد دخولاً معظماً ، وأقام بها أياماً ، ثم طلع هو وأخوه الملك المجاهد إلى تعز ثم دخل المجاهد عدن .

وفي أواخر رجب منها وأوائل شعبان ، حصل جراد عظيم عم جميع الآفاق .
وفي رمضانها وقع بزبيد مطر وفيه برد عظيم ، وبقي على وجه الأرض وسطوح البيوت والبراري بعد جفاف المطر زماناً ، فسبحان الفعال لما يريد .

وفي يوم الثلاثاء ، الثامن والعشرين من ذي الحجة منها ، توفي شيخ القرشيين الصديق بن محمد بن غراب ، فضعفت شوكة القرشيين جداً .

وفي يوم الجمعة ، خامس المحرم سنة إحدى وستين ، قدم الملك المجاهد إلى زبيد ، وطالب بالمفسدين من القرشيين ، فاستجاروا عند الشيخ اسماعيل الجبرتي فقبض خيلهم ثم ردها لهم ، ورفع أيديهم عن نخل الوادي زبيد ورده على أهله .

وفي يوم الثلاثاء ، الرابع عشر منه ، أغارت المعازبة على مدينة فشال وقتلوا

---

(١) في (ج) : واخذ .
(٢) في (ب) : جنيدة تصغير جندة . وفي قرة العيون : مفرج بن جنيد (ج٢ ص١٤٩).

من الدولة ستة نفر ، واستقلعوا من الخيل نحو العشرين . وفيه وصل العلم بأن ابن لُبَيْن ، تصغير لبن ، قبض حصن تعز ، ثم وصل العلم أن العسكر المنصور ٧٧/١ المجاهدي / نُصِرَ عليه ، وأسروه ، وقتلوا من عساكره نحو الخمسين ، واستعادوا الحصن .

وفي أواخر شهر ربيع منها ، تجهز أبو دجانة محمد بن سعد بن فارس صاحب الشِّحْر ، ليأخذ مدينة عدن . فجاء معه تسعة مراكب إلى عدن ، ولم يكن إذ ذاك بها أحدٌ من الملوك ، فحاول دخولها فلم يمكنه . ثم أصاب المراكب ريح عظيمة حتى انكسر من مراكب صاحب الشحر اثنان . فقدم الملك الظافر عدن بقبيل مغرب يوم الاثنين ، الرابع والعشرين من الشهر المذكور ، وبات الناس[1] فرحين بوصوله ، وقويت الريح في تلك الليلة قوة عظيمة فانقطع رجاء صاحب الشحر ، فأصبح يوم الثلاثاء متوجهاً نحو بلده هارباً ، فانفتح المركب الذي هو فيه ، ونبذه البحر إلى ساحل المكسر . فخرج له الملك الظافر بعساكره من باب البر وأسره ، وأسر ابن أخيه ، وقتل مبارك الثابتي من نقباء يافع ، [وهو الذي كان جسّر المذكور وأطعمه في البلد ، وقتل][2] ابن عمه ، وأسر جماعة من اصحابه ودخل بهم مدينة عدن ، وأركب أبا دجانة على جمل ليراه الناس ، وكان يوماً مشهوداً معظماً .

وفي أول شعبان غزا الملك المجاهد المعازبة إلى نخل المدبي ، فقتل منهم نحو العشرين ، ثم صالحوه على ستين فرساً أدّوها إليه .

٧٧/٢ وفي شهر رمضان منها ، / توفي القاضي جمال الدين محمد بن أحمد بن باحَمَيْش بمدينة عدن رحمه الله .

وفي يوم الأحد ، السادس من ذي القعدة الحرام ، توفي الفقيه صلاح الدين حمزة بن محمد النقاش ، نحوي مدينة زبيد في وقته ، رحمه الله .

وفي ذي الحجة منها ، استولى عباس الحبيشي على مخلافه . فلما بلغ المجاهد الخبر نزل إليه من بلده ، واستقر بجبلة من الشهر المذكور إلى شهر ربيع

(١) في (ب) زيادة : « في امان ».
(٢) جملة ساقطة في (ب)

الأول من السنة التي تليها ، وقتل من أصحاب الحبيشي جموعاً لا تنحصر ثم ارتفع .

وفي المحرم أو صفر من سنة اثنتين وستين ، نزل الإمام صاحب صنعاء من بلده قاصداً بلد بني طاهر ، فتلقاه الملك الظافر واصطلحا ورجع صاحب صنعاء إلى بلده .

وفي ذي القعدة منها، أخذ مولانا عبد الوهاب بن داود جملة من حصون الحبيشي . وفي هذه السنة منع الملك المجاهد القرشيين ولم يعطهم من مال النخل شيئاً ، بل قيد منهم جماعة ، وطلع بهم المقرانة . منهم عفيف بن غراب ، وعبد العليم الهبل ، والبيذق ، ومحمد بن عفيف الأحدب في آخرين .

وفي ثالث عشر ذي الحجة ، ثارت فتنة بين القرشيين بني أبكر وبني علي ، فقتل ثلاثة من بني أبكر وانهزموا / وخرجوا من القرشية . ٧٨/١

وفي عشية السبت ، ثامن ربيع الأول سنة ثلاث وستين ، دخل الملك المجاهد زبيد .

وفي أول ربيع الثاني ، صالح بين القرشيين ، وأمرهم أن يسكنوا قرية القرشية جميعا ، وأهدر ما بينهم من القتلى وغير ذلك وولّى محمد بن وهبان أحكام زبيد .

وفي جمادى الآخرة منها ، غزا الأمير محمد بن وهبان المعازبة وانتهبهم نحو سبعماية رأس بقر . وفي رجب او في شعبان منها ، قامت الحرب بين صاحب صنعاء والملكين ابني طاهر ، وهجم الأمير زين الدين جياش السنبلي على محطة صاحب صنعاء ، وقتل من اصحابه جماعة وأخذ خيلهم .

وفي رمضانها ، دخل الملك المجاهد زبيد ، ورسم على جماعة من القرشيين وقيد بعضهم ، وصادرهم في عشرين ألف دينار .

وفي ذي القعدة منها دخل الأمير جياش السنبلي مدينة الشحر .

وفي سنة اربع وستين ، استمرت الخطبة وضربت السكة باسم الملك المجاهد ، بعد أن كان ذلك باسم اخيه الملك الظافر ، وكان ذلك برضا أخيه وإيثاره له .

وفي يوم السبت ، التاسع من جمادى الأولى منها ، وقع بمدينة زبيد حريق عظيم ابتداؤه من باب القرتب ، وانتهاؤه إلى قبلي باب الشبارق . / وكان بعض أهل ٧٨/٢ الحريق قد جعل جميع امتعته في بير خرابة هنالك ، فدخلتها النار وأكلت ما فيها ، ولم يشعر بذلك أحد . فلما كان في غديرم الحريق استأجر رجلين ليخرجا له ما في البئر ، فنزلاها على ظن أن النار لم تدخلها ، فاحترقا وهلكا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي شهر رمضان منها ، التقت عساكر الظافر وصاحب صنعاء ، وقتل سلطان الجوف علي بن مُخارِش ، طعنه مولانا عبد الوهاب بن داود طعنة لم يسمع بمثلها ، فإنه طعنه في رقبته فقطع حلقومه ومريه . وقتل من أصحاب الجوف جماعة ، وقتل الشيخ محمد بن طاهر أخو الملكين المجاهد والظاهر بمكان يسمى رَمَم[1] ، وأسر في هذه الوقعة الفقيه عبد الصمد بن محمد ولبث في الأسر سنتين ، ثم خلصه الله تعالى ببركة سلفه من غير سعي في فكاكه .

وفي يوم الثلاثاء ، خامس الشهر المذكور ، كانت فعلة[2] الفرس والمعازبة بنخل وادي زبيد ، وقتل من الفرس خمسة نفر . وقدم الملك الظافر مدينة زبيد يوم الاثنين ، الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، وخرج يوم ثاني دخوله ، إلى نخل المدبّي وأقام فيه إلى الرابع والعشرين من شوال ، وغزا / الجَحَبة من هنالك ، ٧٩/١ وقتل منهم جماعة ، ولزم آخرين ، وأخذ منهم خمسة عشر فرساً . وجملة ما ضُرِبَ من نخل المدبي في مدة إقامته خمسون ألف عود .

وفي ليلة الجمعة ، ثالث وعشرين جمادى الأولى سنة خمس وستين ، انتقل المجاهد من الدار الكبير الناصري إلى دار المعاصر .

وفي أول شهر رجب منها استولى الملك الظافر على ذمار .

وفي رمضان منها ، كانت الحَرْقة العظمى والداهية الكبرى بمدينة زبيد ، احترق من المدينة قريب من نصفها . وكان ابتداؤها من شرقي باب سهام ، أخذاً في الشرق واليمن إلى السويقة ، وحده من الغرب دار الضرب . جاءت بعد الحريق ريح

---

(١) في (ج) : زهم .
(٢) في (ج) و (د) : وقعة .

عاصف ، فأشفق الناس منها أن تعم المدينة ، فأرسل الله المطر فأطفأها بقدرته سبحانه . وهذه الحرقة مشهورة عند أهل زبيد بحرقة الجعشا .

وفي رمضان ايضا ، قدم الملك المجاهد مدينة زبيد ، وخرج إلى نخل المحازبة ، وعيد هنالك عيد الفطر . وغزا عبيد اللواء ، ثالث يوم من شوال ، فهزمهم وبدد شملهم ، وأباد منهم أمماً ، وتسلم حصن قمرة من حصون اللواء ، فانحسمت مادة الشر ، ثم دخل زبيد يوم الجمعة ، ثامن شوال .

٧٩/٢ وفي هذا الشهر ، حصلت للشيخ / اسماعيل بن أبي بكر الجبرتي مكيدة ، بسبب أنه قيل انه كاتب صاحب جازان وأطمعه في البلد . فقبض المجاهد ما تحت يده من أرض الوقف والأملاك السلطانية . وعاتبه على ذلك فأنكر ، وحلف وهو صادق ، وإنما وشى به بعض اعدائه ، ثم عطف عليه بعد مدة وردَّ له بعض ما أخذ عليه[1] .

وفي هذه السنة تولى الفقيه أبو القاسم الجوالي مشداً في وادي زبيد .

وفي يوم الخميس ، الرابع من شهر محرم الحرام سنة ست وستين ، كان مولد مؤلف هذا الكتاب ، بلغه الله من الخير أمله ، وختم بالسعادة عمله . وفيها عد نخل المدبّي فكان عدده مائة ألف وألف عود التي يسلم فيها الخراجي ، وخمسة عشر ألف عود لبني عجيل وأربعة آلاف عود لباقي الصوفة[2] والذي سلم في النخل المذكور ، في تلك السنة بسبب الخراجي ثمانون فرساً ، قيمة الفرس منها ثلاث وستون وقية .

وفي أوائلها ، توفي العلّامة شمس الدين علي بن عيسى الجِرْداني ببلده ، وكان الملك الظافر عامر بن طاهر قد كتب إليه بتوجهه إلى الشحر ، فتجهز وتوجه اليها ، فمرض في الطريق فقال ردوني ، فردوه ، فمرض سبعة ايام وتوفي إلى رحمة

١/٨٠ الله وكان من أهل الدين / والصلاح رحمه الله .

وفي شهر صفر منها ، تجهز الملك الظافر إلى الشحر ، في البر ، في عساكر عظيمة . وبلغ كراء الجمال التي تحمل الأثقال إلى الشحر اثني عشر الف دينار .

---

(١) كذا في النسخ والصواب : ما اخذ منه .

(٢) كذا في (أ) و(د) . وفي (ب) و (ج) : الصوفية .

فلما وصلها ، وعلم به صاحبها ، خرج منها خائفاً على نفسه ليلة الجمعة سابع عشر الشهر المذكور . وافتتحها الأمير زين الدين جياش السنبلي ، وأرسل ولده علم الدين بشيراً بالفتح ، ثم دخلها الشيخ عبد الملك بن داود بعده ونهبها نهباً ذريعاً ، ثم دخلها الملك الظافر وأمر بالكف عن النهب ، وأسر جماعة ، وحملهم في السفن إلى عدن . ثم قرر أمور البلد ، وجعل الأمير احمد بن إسماعيل بن شقراء النمي[1] أميراً فيها ، وألزم الكثيري صاحب ظفار إعانته ، ثم خرج إلى عدن في البر يوم الجمعة ، أول يوم من ربيع الأول ، فلما دخلها وصل إليه العلم أن صاحب صنعاء أخذ ذمار ، وكان مولانا عبد الوهاب إذ ذاك قريباً منه ، فجمع الجموع وقاومه إلى أن جاء عمه الملك الظافر، واستعادها منه، وأخرب القصر، ونبهبت عساكره البلد، وحصر الإمام في حصن هرّان مدة ثم هرب ، فأخذه أهل عرقوب وأسروه وسلموه إلى الإمام مطهر .

٢ / ٨٠ وفي جمادى الأولى ، استولى / الملك الظافر على نجرانة[2] وما والاها من الحصون والقلاع . وفي جمادى الأخرى استولى الحبيشي على حصن علب[3] وما والاه ، فجهز له الملك المجاهد العساكر ،فانتزع منه بعد مدة .

وفي شهر رجب ، توفي الأمير زين الدين جياش بن سليمان السنبلي ودفن في دمت . واستمر ولده علم الدين سليمان أميراً عوضه . وفي شهر رمضان منها ، ولد مولانا صلاح الدين عامر ابن مولانا تاج الدين عبد الوهاب بن داود بن طاهر أطال الله بقاءه ، وأدام علوه وارتقاءه امين . وفي شوال منها ، استولى الملكان المجاهد والظافر على مدينة صنعاء ، ودخلها أحد الأمراء من قبلهما ، ورتب فيها رتبة جيدة ، ثم دخلها مولانا عبد الوهاب بن داود متولياً أمرها من قبل عمه ، وأقطع بنو طاهر ابن الإمام قرى ومعاقل كثيرة وجعلوه مقدماً فيها .

وفي جمادى الآخرة سنة سبع وستين ، قدم مشايخ بني حفيص ، ومنهم أحمد بن أبي الغيث ومحمد بن أبي القاسم ، على الملك المجاهد بزبيد ،

---

(١) في (ب) : التميمي . وفي قرة العيون : اليمني (ج٢ ص ١٥٢).

(٢) كذا في (أ) و(ب) و(هـ). وفي (د) نحرانه بدون تنقيط . وفي قرة العيون : بَحْرانه (ج٢ ص ١٥٤).

(٣) في (أ) : غَلِب

فوصلهما بجوائز سنية . وفيها غضب الملك الظافر على ابن سفيان إذ تظلم به[1]
٨١/١ الناس ، فخرج من زبيد مهاناً إلى بلده الطُّبَيَّات[2]، ثم عزم/ إلى الملك المجاهد بعدن وخرج منها صحبته ، ولم يزل في صحبته إلى أن نزل إلى زبيد .

وفي هذه السنة ، أفحش أبو القاسم الحوالي في الظلم وأمعن ، فتظلم به فعزله الملك المجاهد وأمر بإحضاره إلى مجلس الشرع الشريف ، ومن أقام عليه بينة غرمه، ثم تصدق الملك المجاهد على المظلومين بأربعمائة أشرفي ذهباً.

وفي سنة ثمان وستين ، أبطل الملك المجاهد المكس عن أشياء كثيرة كالليمون والموز والعسل والسمك وغير ذلك . وفيها قدم الشيخ شرف الدين الشيفكي[3] ثم الشيرازي إلى مدينة زبيد ، وعقد مجلساً للوعظ بها ، وتكلم على آيات من الكتاب العزيز ، فأعجب الناس وملك قلوبهم ، وقرأ عليه جماعة منهاج الأصول للبيضاوي ، ثم حج من زبيد ، وزار النبي ﷺ ، ثم عاد إلى زبيد . فقرأ عليه جماعة منهم الفقيه موسى بن زين العابدين الرداد ، قرأ عليه جمع الجوامع ، وحصلت بينه وبين القضاة وحشة بسبب تهمته باعتقاد مذهب ابن عربي ، وكان ينكر ذلك ، فأقام مدة وتوجه إلى بلاده .

وفيها أنف الملك المجاهد من أخيه الظافر لما فعله بابن سفيان ومتابعته له ،
٨١/٢ وخاصمه ثم اصطلحا بمدينة عدن وطلعا إلى بلدهما ./

وفي ليلة الثامن عشر من شهر صفر منها ، توفي خالي الفقيه العلّامة جمال الدين ابو البُشر[4] محمد المعروف بن اسماعيل مبارز الى رحمة الله تعالى، عن تسع وعشرين سنة ، وهو يومئذ مفتي زبيد وعالمها المشار إليه في علم الفرائض . وخلفه في القيام بذلك أخوه ، شيخنا الفقيه العلّامة جمال الدين أبو النجا محمد الطيب بن اسماعيل مبارز ، فكان أهلاً لذلك وفوق ذلك زاده الله من فضله .

وفي جمادى الأولى منها ، نزل الشيخ عبد الملك بن داود مدينة زبيد ، وفي صحبته ابن سفيان . ووقف الشيخ عبد الملك ، وخرج ابن سفيان إلى الشام ،

---

(١) كذا في النسخ والصواب : تظلم منه .
(٢) في (ب) : الطيبات
(٣) في قرة العيون : السبيكي (ج ٢ ص ١٥٥).
(٤) كذا في النسخ الا في (هـ) : ابو اليسر .

ونزل الملك المجاهد زبيد ، بعد أن استولى على بعض الحصون قـاصـداً الحج إلى بيت الله الحرام ، معرجاً عن دخول المدينة ، فخرج إليه القضاة والعلماء والصالحون مستشفعين بالقرآن العظيم ، يحملونه بين أيديهم ، ويسألونه ترك ما نواه ، فأسكتهم بالدخول معهم إلى المدينة وهو مصمم على ما نواه . ولما علم أخوه الملك الظافر بـذلـك، وكـان في بـلده، أرسـل ابـن اخـيـه الـشـيـخ محمد بن داود يستعطفه في الترك ، فقدم محمد المذكور زبيد اول شعبان وأقام فيها أياماً ، ثم عزم إلى عدن عن طريق الساحل ، ثم وصل الشيخ علي بن تاج الدين،
٨٢/١ / سادس عشر شعبان .

[وفي الشهر المذكور ، قدم على الملك المجاهد بزبيد جماعة من بني حفيص ، فيهم أحمد بن أبي الغيث ، فوصل العلم ، بعد قدومهم ، أن بني حفيص قتل منهم الزيديون نحو خمسة وعشرين رجلاً ، فعزم بنو حفيص مسارعين إلى بلدهم][1] .

وفي يوم الاثنين ، التاسع عشر من رمضان ، قدم الشريف إدريس بن قاسم بن حسن بن عجلان الحسني ، ابن عم الشريف محمد بن بركات ، في جماعة من خواصه ، على الملك المجاهد إلى زبيد ، فأجزل صلته ، وأكرم منزلته ، وأعطاه من الذهب والفضة والثياب والخيل جملة مستكثرة ، ثم توجه إلى الملك الظافر ببلده ، فقابله بأحسن من ذلك .

وفي يوم الاحد ، الرابع عشر منه من شوال ، أصبح الملك المجاهد مفقوداً من زبيد . وكان خروجه من السور ليلاً في نحو ثلاثة من عبيده ، فأصبح الناس كالغنم بلا راعٍ ، وغلقت أبواب المدينة ، وخرج بعده ابن سفيان في جمع عظيم ليرده ، فوجده قد ركب البحر ، فرجعوا . وقام ابن سفيان بأمر زبيد ورتب العساكر وضبط امور البلد ، وأرسل الخبر إلى الملك الظافر وبقي الناس حيارى ثلاثة أيام .
٨٢/٢ ثم نزل الملك المجاهد في ساحل البحر بين الحديدة وعَرّج، وتقدم إليه صاحب / الحديدة ، يومئذ الشيخ ابراهيم بن عمر الثابتي ، وقاضيها محمد بن عبد القادر الناشري ، وصوفيها الشيخ ادريس الجبرتي ، وغيرهم فكلموه في الرجوع ولم يعذروه ، فرجع في البحر إلى ساحل البقعة . ولما علم ابن سفيان برجوعه تجهز

---

(١) [ ] جملة ساقطة فى (ب) .

بالعساكر للقائه ، وتجهز معه العلّامة شمس الدين المقري ، فالتقيا بالبقعة وعزما معاً في البر طريق الساحل إلى عدن ، ودخلا في طريقهما موزع . ثم دخلا عدن في آخر الشهر المذكور ، فسر الناس بذلك سروراً عظيماً حتى كأنهم لم يصبهم فرح قبل ذلك ، إذ كان أشفق بهم من الوالد بالولد .

ثم نزل أخوه الظافر إليه ، والتقيا بعدن واصطلحا ، وعزما إلى بلدهما . وفي ليلة السادس عشر من شهر شوال ، توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الجبرتي ، صاحب المداجر ببلدة تعز ودفن بـالأَجَيْنـاد(١)، رحمه الله ونفع به .

وفي ذي القعدة ، نهب جماعة من المعازبة ، اهل المدبي ، من قرابه العجيلي ، وغيرهم وجماعة من القرشيين قرية التُّحَيْتـا ، وهي قرية الشيخ ابي بكر بن حسان ، وقتلوا اثنين من أهلها ، وهجمو تربة الشيخ أبي بكر بن حسان .

وفي آخرها ، أو أول التي تليها ، اصطلح الملكان المجاهد والظافر مع الحبيشي الشيخ عباس بن الجلال بن عبد الباقي / صاحب خَدِد، وواجههما وأنعما عليه ورضيا عنه . وفي المحرم سنة تسع وستين ، استعاد الإمام محمد بن الناصر صنعاء ، وكان أميرها من قبل بني طاهر محمد بن عيسى البَغْداني ، فخرج من صنعاء لحاجة ، فوثب أهل البلد على القصر وأخرجوا من فيه . فلما بلغ الملك الظافر ذلك ثارت حفيظته فتجهز وسار إلى صنعاء بجمع عظيم ، أزيد من ألف وثلثمائة فارس ، وما لا يحصى من الرجل . فصالحه الإمام على مال يؤديه إليه فرجع سالماً إلى بلده ، وأخوه المجاهد بها ، ثم نزلا إلى زبيد .

١/٨٣

وفي ربيع الأول منها ، خرج شرذمة من المعازبة وقتلوا القاضي عبد القادر بن اسحاق وعلي بن جعفر ، في جماعة معهما ، غدراً . وكانوا خرجوا لمباشرة بلادهم ، والملك المجاهد وأخوه إذ ذاك مشتغلان بحرب صنعاء ، فغزاهم أحمد بن عيسى الهبل القرشي في جماعة من أصحابه ، [وقتل منهم اثنين . وغزاهم الأمير أحمد بن شقراء ، وأحرق بلادهم . ثم جمع ابن سفيان جموعاً كثيرة وجاءته معونة من الجبل، فخرج إلى قرية المُرّة ، ثم إلى بيت الفقيه ابن عجيل

---

(١) في (ب) : بالاحساد .

واستقر هنالك ، وغزاهم][1] وقتل منهم جماعة وأسر آخرين .

وفي جمادى الأولى ، قيد ابن سفيان محمد بن يوسف بن الزقاف[2] ، شيخ المعازبة ، / ودخل زبيد مقيداً . ثم أطلقه الملك المجاهد بشفاعة العلّامة شمس الدين المقري . ٨٣/٢

وفي رجب منها ، اصطلح الملكان والحبيشي مع صاحب بعدان ، الشيخ محمد بن أحمد الليث السِّيَري ، وقلد المجاهد ابن سفيان أمور تهامة . وفي شهر ذي الحجة منها ، كانت واقعة الشبارق قتلت فيها المعازبة من عبيد السيد وأهل التربية نحو الثلاثين ، وفيهم النقيب اسماعيل بن أحمد بن اقبال.

وفي منتصف ربيع الأول سنة سبعين ، أخذ ابن سفيان حصن الشُّرَيْف وعمّره وعَمّر حصناً آخر في القاهرة تحت الحصن المذكور ، وغزا المعازبة وجمعهم متوفر وقد ملأت مواشيهم الفجاج ، فقتل منهم جماعة ، وانتهب ما معهم من المواشي وغيرها ، وهم إذ ذاك بقرية الحُسَيْنية . وفي جمادى الأخرى غزا ابن سفيان العبيد العامريين، وهم في مخلاف منيع ، فدخل عليهم ، وبدد شملهم ، وقيد منهم جماعة وانتهب بلادهم ، واخذ حصن الضامر الذي لا يمكن أخذه ، فانهدّ ركنهم وانكسرت شوكتهم .

وفي رجب منها استولى المجاهد على حصن حَبّ ، المشهور بالمنعة ، بمخلاف بعدان ، بعد حصار طويل ، وهو حصن ذي رُعَيْن ، وفيه / غزا الملك الظافر صنعاء ، فعقر زرعها ، وأخرب معاقلها ، ثم رجع إلى بلده سالماً . ٨٤/١

وفي ذي القعدة منها اجتمع الملكان المجاهد والظافر بعدن ، ثم خرج الظافر منها قاصداً صنعاء باستدعاء من أهلها ، كما قيل ، فعملوا عليه المكيدة حتى وصلها في جموع عظيمه ، غير حازم ولا متهيء للقتال ، فحمل عليه أميرها محمد بن عيسى شارب[3] في جموعه ، فانهزم العسكر السلطاني وثبت الملك الظافر فيمن معه ،

---

(١) عبارة ساقطة في (ب) .
(٢) في قرة العيون : الزقاق (ج٢ ص ١٥٦).
(٣) في قرة العيون رواية اخرى : « وكان اميرها محمد بن عيسى شارب غائبا في مشارق صنعاء فلما سمع بوصول الظافر أقبل ليدخل صنعاء » (ج٢ ص ١٥٧).

وقاتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الملك الظافر بظاهرها ، في طائفة من أصحابه ، يوم الاثنين سابع الشهر المذكور ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فعظم بذلك مصاب المسلمين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الأربعاء ، السابع عشر من صفر سنة إحدى وسبعين ، توفي القاضي عفيف الدين عثمان بن اسماعيل المحالبي رحمه الله . ولما استشهد الملك الظافر بصنعاء ، كما ذكرنا ، اتصل العلم بأخيه الملك المجاهد ، وهو إذ ذاك بعدن . فخرج منها مبادراً إلى جهة بلده ، فأقام بجبيل بدر أياماً ، ثم نزل إلى ذي جبلة ، وأقام بدار السلام منها أياماً حتى سكن الحال . وابن سفيان بتهامة ، وهاجت ٨٤/٢ العرب للخلاف ، فخرج ابن سفيان / إلى فشال ، ورابط المعازبة ، ودافعهم وكاتب الملك المجاهد فنزل الى مدينة زبيد .

وفي شهر ربيع اول منها ، توفي المقرىء العلاّمة الصالح شمس الدين علي بن محمد الشرعبي ، إلى رحمة الله تعالى ، بمدينة تعز ، ولم يخلف بعده مثله في عمله رحمه الله تعالى .

وفي الشهر المذكور منها كانت وقعة المَلْقا ، وخرج الملك المجاهد من زبيد في عساكره إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، فأغار على المعازبة وكانوا بمكان يعرف بملقى الواديين ،فقتل منهم نحو تسعة جماعة[1] وأثخن آخرين ، وانهزموا فرجعوا إلى بيت الفقيه . وأغار عليهم في اليوم الثاني ، فهزمهم حتى بلغ بهم موضعاً يقال له نقب ميلوخ ، وقتل منهم خمسة عشر نفراً وأسر نساءهم ونهب مواشيهم ، وحاصرهم ، فضاقوا ثم هربوا إلى موضع آخر ، فتبعهم ولم يزل يتابعهم حتى دخلوا هيجة العامريين. وأقام الملك المجاهد بقرية شجينة ، وحصرهم نحو ثمانية عشر يوماً . ثم أدوا الطاعة وسلموا اثنين وخمسين فرساً ، فارتفع عنهم ودخل زبيد يوم الأربعاء الثامن عشر من ربيع الآخر ، ثم طلع الجبل في الثاني والعشرين من الشهر ١ / ٨٥ المذكور مبدراً ، / لما بلغه أن آل أيوب الجحافل هجموا قرية لحج ، ونهبوا وقتلوا وسبوا النساء وفعلوا كل منكر .

والمَلْقا بفتح الميم والقاف وإسكان اللام بينهما ، موضع بين .خبت ذؤ ال ووادي رمان .

---

(١) كذا في النصوص .

وفي فجر يوم الاثنين ، السابع من جمادى الأولى ، حصلت بمدينة زبيد زلزلة عظيمة أفزعت الناس . وحصلت أخرى في ثاني يومها ، قبل صلاة الظهر ، لكنها دونها . وفي يوم الخميس عاشر الشهر المذكور ، امر الملك المجاهد بالقبض على الفقيه محمد بن أحمد الأمين عجيل فقُبِضَ وقُيّد وطلع به تعز مقيداً، ورسم عليه الصنديد بن وهبان، وربما زيد قيداً آخر على قيده الأول .

وفي ليلة الأربعاء ، الثامن والعشرين من ذي القعدة الحرام ، توفي الفقيه رضى الدين أبو بكر بن عبد الله بن خطاب ، إمام مسجد الأشاعر ، رحمه الله . واستمر ابنه احمد في وظيفته .

وفي يوم الثلاثاء، ثاني المحرم من سنة اثنتين وسبعين غزا الملك المجاهد المعازبة بني يعقوب وقتل منهم ستة نفر .

وفي منتصف شوالها ، توفي القاضي جمال الدين محمد بن مسعود أبو شكيل ، الأنصاري الخزرجي بمدينة عدن ، ودفن عند ضريح الشيخ جوهر ، في ٨٥/٢ قبر شيخه القاضي جمال الدين محمد بن سعيد / بن كَبِنّ الطبري ، المتوفى في شهر رمضان من سنة اثنين[1] وأربعين وثمانمائة ، رحمهم الله تعالى .

وفي يوم الاثنين ، ثامن ذي القعدة الحرام ، دخل الملك المجاهد مدينة عدن وأقام بها أياماً ، ثم سار منها إلى تعز ثم نزل منها إلى زبيد ، فدخلها ليلة الأحد السادس من ذي الحجة الحرام .

وفي يوم الاثنين بعده احترقت قرية مقبلة من قرى اللامية جميعها .

وفي يوم الثلاثاء، ثامن من ذي الحجة منها، وقع بمدينة زبيد حريق عظيم ابتداؤه من قريب باب النخل ، من بستان السلطان الملك المنصور ، وانتهاؤه إلى شرقي باب القرتب ، وحرقت فيه بيوت لا تحصى ، وتلفت فيه اموال جليلة ودواب كثيرة . ولم يحترق فيه آدمي بلطف الله تعالى . والملك المجاهد إذ ذاك بزبيد بدار المعاصر منها ، ينظر إلى الحريق ، فلما رأى ذلك منع أهل زبيد من بناء الخوص مطلقاً ، وألزم أصحاب الأبواب أن لا يدخل عليهم من آلة بنائه ولا من العجور شيء . وكان هذا الحريق هو الرابع في السنة المذكورة . الأول من شرقي باب ٨٦/١ القرتب إلى قبلي باب الشبارق ، الثاني من باب النخل إلى باب سهام ، / الثالث من

---

(١) كذا في النصوص ، والصواب اثنتين ، وقد أشرنا ألى هذه الأخطاء في مقدمتنا

شرقي باب سهام إلى سوق المرباع ، الرابع المذكور أولاً .

وفي المحرم سنة ثلاث وسبعين ، قدم ابن سفيان مدينة زبيد من البلاد الشامية ، بعد ايقاعه بالكعبيين لذنب تقدم منهم ، وقبض خيولهم وأسر منهم جماعة . وفي يوم الخميس ، التاسع والعشرين من شوالها ، توفي الفقيه الصالح جمال الدين محمد الصامت بن احمد الناشري ، رحمه الله ونفع به . وفي يوم الثلاثاء ، ثاني المحرم سنة اربع وسبعين ، توفي الفقيه الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الشويهر الحنفي ، رحمه الله ونفع به ، وفي يوم الاثنين ، ثالث ربيع الآخر منها ، غزا ابن سفيان الرماة ، وقتل منهم فوق المائة ، ولزم منهم فوق الخمسين من رؤسائهم ، ونهب ما لا يحصى من المواشي ، واستقلع خمس رؤوس من الخيل ، وكان يوماً عظيماً .

وفي يوم الثلاثاء ، ثالث عشر شهر رجب ، خرج ابن سفيان إلى بلاد الزيدية ، وكانت بينه وبين بني حفيص وقعة ، يوم الأحد ثامن عشر الشهر المذكور ، قتل فيها أبو الغيث بن محمد بن حفيص ، في جماعة من أهله ، وجماعة من العرب يزيدون على الثلاثمائة . واستجار أحمد بن أبي الغيث / ٢/ ٨٦ ببيت الفقيه ابن حشيبر، وأخذ ابن سفيان قرية الشِّريج، بعد أن كان أحمد بن حفيص قد عمرها ليتحصن فيها فانعكس أمله .

فلما أخذ ابن سفيان قرية الشريج ، عمرها وحصنها ورتب فيها عسكراً ، وأمّر عليهم الأمير علم الدين سليمان بن جياش السنبلي ، ثم رجع إلى زبيد .

وفي ليلة الاثنين ، الثالث من شعبانها ، توفي الشيخ الصالح أبو العباس بن الغزالي بن طلحة الهتار ، رحمه الله ونفع به .

وفي ليلة الاثنين ، الثالث والعشرين منه ، توفي قاضي الشريعة بزبيد جمال الدين محمد بن أبي الفضل الناشري ، رحمه الله ، واستمر في وظيفته أخوه القاضي موفق الدين عليّ للتاريخ المذكور .

وفي يوم الجمعة ، السادس والعشرين من رمضان ، غدر الزيديون بمن عندهم من الدولة بقرية الشريج التي كانت الدولة قد أخذتها على أحمد بن ابي الغيث بن حفيص قهراً ، وكان فيها من الدولة حينئذ الأمير سليمان بن جياش

وعيسى بن حاتم وجملة من العسكر غير متهيئين للقتال ولا حازمين ، فقتلوا منهم جمعاً كثيراً . ونجا الأمير سليمان وابن حاتم وكان يوماً عظيماً .

١ /٨٧ وفي يوم الخميس ، / الرابع من شوالها ، توفي الإمام شيخ الإسلام جمال الدين محمد الطيب بن أحمد الناشري ، رحمه الله . ومولده في شهر ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وسبعماثة . وقدم يوم ثالثه الملك المجاهد وابن سفيان من نخل المدبي ، فحضرا القراءة عليه ، وعزّى المجاهد اهله . واستقام معهم ابن سفيان في العزاء ، وولي بعده قضاء الأقضية ولده عبدالله .

وفي يوم الاثنين ، الثاني عشر من الشهر المذكور ، كانت وقعة الحرّابة مع العقيلي وسوقة حيس ، وقتل من الفريقين ثلاثة عشر رجلاً .

وفي ليلة الجمعة ، الرابع والعشرين من ذي القعدة ، تزوج مولانا عبد الوهاب بن داود[1] بنتاً للشريف علي بن سفيان بكراً ، وكان عرساً معظماً .

وفي يوم السبت ، الثامن من ذي الحجة منها ، توفي الحاج حسين بن علي الشرعبي شهيداً بوادي الحُرَيْز ، رماه رجل من بني سليمان بحجر فمات ، وحمل إلى مدينة زبيد ، وغسل وكفن ببيته ، وصلي عليه ، ودفن قريباً من مشهد الشيخ أحمد الصياد ، نفع الله به . وكان المذكور عَيْبة[2] نصح الملك المجاهد رحمه الله .

وفي عصر يوم الاثنين ، الخامس والعشرين من ذي الحجة منها ، انتقلت ٢ /٨٧ الإمامة بمسجد الأشاعر إلى الفقيه اسماعيل / بن محمد بن ناصر ، وعزل الفقيه أحمد بن أبي بكر بن خطاب عنها .

وفي أول يوم من المحرم سنة خمس وسبعين ، دخل مولانا عبد الوهاب بن داود مدينة زبيد ، وابن سفيان في صحبته ، في عساكر عظيمة ، والملك المجاهد إذ ذاك بها . وخرجا في صحبة المجاهد إلى نخل المعازبة ، على طريق بيت الفقيه ابن عجيل ، فقتلوا منهم جماعة ، ونهبوهم نهباً ذريعاً ، ووقعوا على تمر عظيم لهم فانتهبوه . ثم رجع الملك المجاهد إلى زبيد ، وتقدم مولانا عبد الوهاب وابن سفيان إلى بيت حسين وبلد الزيديين، ليأخذوا بثأر من قتل في قرية الشريج من

---

(١) في قرة العيون : « الملك المنصور بن عبد الوهاب » (ج٢ ص ١٦٠).
(٢) عَيْبة الرجل : موضع سرّه .

الدولة . فحصل بينهما وبين الزيديين مقاتلة ، قتل فيها الشريف علي بن سفيان ، يوم الأحد ثاني عشر المحرم ، ونصر عليهم مولانا عبد الوهاب نصراً عظيماً ، وقتل منهم نيفاً على المائتين . ثم قدم زبيد ليلة الجمعة الرابع من صفر ، وطلع إلى الجبل يوم السبت سادس عشر الشهر المذكور ، وبقي المجاهد بزبيد .

وفي يوم الاثنين ، السابع من ربيع الأول ، قدم الشيخ علي بن تاج الدين زبيد . وكان الملك المجاهد ، قبل وصوله ، قد خلع على عز الدين بن حفيص وعلى قرابته خلعاً عظيمة ، / وأعطاهم ذهب ، ثم أرسل صحبتهم باثني عشر ألف دينار، ليستميلوا بها جماعة من العرب. ثم توجهوا إلى بلادهم، فلما بلغوا بلاد الرماة خرجوا عليهم ، ونهبوا جميع ما معهم ، وأخذوا خيلهم وعدتها ثلاثة عشر فرساً ، ودخل عز الدين وقرابته القرار ، فلما بلغ الملك المجاهد الخبر ، خرج غازياً المعازبة ليلة الثلاثاء من ربيع الأول ، فقتل منهم نحو ثمانين رجلاً ، ونهب ابلاً وبقراً وغنماً ، ثم غزا الرماة ، وقتل منهم جماعة ، ودخل زبيد يوم السبت الحادي عشر من ربيع الأول . ٨٨/ ١

وفي ليلة السابع عشر من ربيع الأول ، توفي شيخ الشيوخ شرف الدين اسماعيل بن أبي بكر الجبرتي الصوفي ، رحمه الله ونفع به . ثم توفي بعده أخوه ، الشيخ عبد الرزاق ، ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من ربيع الآخر منها ، رحمه الله .

وفي ليلة السبت ، الخامس والعشرين من ربيع الآخر منها ، غزا الملك المجاهد المعازبة ، فقتل شيخهم عبد الله بن حسن العُنَيْزي ، ثم اصطلحوا على تسليم خمسة وثلاثين فرساً .

ثم دخل بيت الفقيه ابن عجيل صبح الغزوة ، وأقام بها خمسة أيام ، ثم توجه إلى بلاد بني حفيص ، فصالحوه على ما أحب . ثم رجع المدينة فدخلها ليلة الاثنين ، الثالث من جمادى الآخرة ، / ثم دخل بعده القاضي جمال الدين محمد البُريهي وباقي العسكر ، ويوم السبت السادس من رجب . ٨٨/ ٢

وفي رجب منها ، قلد الملك المجاهد القاضي شرف الدين اسماعيل بن محمد الأحمر امور الرعية بزبيد ، وجعله مستوفياً . وأذن لأهل مدينة زبيد في بناء

الخوص بشفاعته ، بعد أن كان منعهم من ذلك مدة ثلاث سنين ، خوفاً من الحريق ، ولم يقبل شفاعة قاضي القضاة الطيب الناشري ، ولا شفاعة غيره في ذلك . ثم عزم الملك المجاهد ، عصر يوم الأحد رابع عشر الشهر المذكور ، وبلغ إلى مدينة عدن وعيد بها عيد الفطر ، وجرت له مع يافع ، وهو خارج إلى صلاة العيد ، قضية اقتضت إلى تقييد من قيد منهم ونَفْي من نُفِيَ .

وفي ليلة الخميس ، الخامس والعشرين من رجب المذكور ، هرب الفضل بن علي دغشر[1] مشد مدينة زبيد ، على الترسيم ، من دار المعاصر واستجار ببيت الشيخ الغزالي . وتابعه بنو محمد الشرف الأحمر ، فأرسل الملك المجاهد له الأمير عمر بن عبد العزيز فقرر عليه حاله ، وربما أتى بعده كتاب من الملك المجاهد بتقرير حاله ، ثم طلع به ابن عبد العزيز ، وواجه الملك المجاهد ، وظهر له منه ما يوجب الأدب ،/فقيده وأودعه دار الأدب إلى يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي الحجة منها . ١ / ٨٩

وفي اليوم السادس عشر من شوال ، غزا القرشيون والمعازبة والرماة أهل الفُرس ، بنخل الوادي زبيد ، فقتلوا علي بن معوضة من عسكر الملك المجاهد ، ثم خربت المرة ، وغشي أهلها البوادي مدينة زبيد ، وجرت أمور عظيمة تعب الناس منها .

وفي ذي القعدة منها ، قدم الملك المجاهد من عدن وفي صحبته ابنا اخيه أحمد ويوسف ، ابنا عامر ، والأمير عمر بن عبد العزيز ، فدخل زبيد ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة ، ثم دارك غزو المعازبة ومن انضم إليهم من القرشيين مدة قُتِل في أثنائها زعيم القرشيين البيذق[2] ، في جماعة كثيرين من المعازبة والقرشيين ، يوم الجمعة العشرين من الشهر المذكور .

وفي ذي الحجة منها ، كان ظهور الذهب الأشرفي قريباً من قرية واسط ، من قرى الوادي زبيد ، وشدت الرحال لأجل ذلك من الأماكن البعيدة ووجد منه هنالك جملة مستكثرة ، وأباح الملك المجاهد للناس ما وجدوه من ذلك .

---

(١) في (ب) : دعشر .
(٢) في (ب) : البندق . وفي (هـ) : البيدق .

وفي المحرم سنة ست وسبعين ، أقطع الملك المجاهد الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشي البلاد الشامية ، فخرج إليها في / عساكر وخيل كثيرة سادس الشهر المذكور ، ووقف في المراوعة أياماً ، ثم دخل عليه في أثنائها علي بن أبي الغيث ابن حفيص ، والفقيه محمد بن أبي بكر بن حسين ، والفقيه علي بن حُشَيْبِر فأسرهم وأرسل بهم إلى مدينة زبيد .

٢/٨٩

وفي الشهر المذكور غزا البجليين ، فقتل منهم نحو العشرين وسبى نساءهم ونهب مواشيهم ، ثم صالحوه على ثمانية عشر فرساً يؤدونها إليه[1] .

وفي يوم الجمعة ، سادس صفر ، غزا الأمير المذكور المعازبة وأهل الجحَبَة ، بعد أن غدروا بإسماعيل بن محفوظ المصري ، وجماعة من الفرسان والعبيد كانوا هنالك يستخلصون من الجحبة مالاً ، فانكسر المعازبة والجحبة ، فقتل منهم ذلك اليوم نيّفاً على المائتين ، واحتز من رؤوسهم قريب المائة ، ودخل بهم بيت الفقيه ابن عجيل دخولاً معظماً . ثم اصطلحوا بعد ذلك ، وسلم المعازبة عشرة أفراس والجحبة تسعة آلاف دينار ، ثم دخل زبيد عقب ذلك .

وفي يوم الجمعة ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، خرج الأمير المذكور من زبيد غازياً أهل شمير ، فأغار على بني حسين الأهْمُول ، وقتل منهم ثلاثين نفراً ، وأسر آخرين ، ونهب / مواشيهم ، ودخل بهم زبيد يوم الخميس الخامس من ربيع الأول .

١ / ٩٠

وفي شهر محرم من سنة سبع وسبعين ، حصل على السلطان الملك المجاهد مرض عظيم بمدينة زبيد ، وخيف عليه منه ، فاستخلف ابن أخيه مولانا عبد الوهاب بن داود ، وقلّده أمر الملك ، وحلف له العرب وسائر العساكر ، وكان ذلك عصر يوم الاثنين ، خامس عشر الشهر المذكور . ثم مَنَّ الله عليه بالعافية بعد ذلك ولله الحمد .

---

(١) في (هـ) فقط الزيادة التالية : « وفي اليوم السابع والعشرين من شهر محرم الحرام ، في السنة المذكورة ، نزل نازلة عظيمة . وذلك أن أهل قرتب ، من وادي زبيد لم يشعروا إلا [كذا] زلزلة ودويا في الهواء ، ولا يرونهم [كذا] . نسأل الله العافية وخاتمة خير والسلامة . »
(والأقرب إلى الظن أن هذه الزيادة من الناسخ لضعف الانشاء) .

وفي يوم الأحد ، ثاني شهر ربيع الآخر منها ، قدم مولانا عبد الوهاب بن داود مدينة زبيد بغتة ، وقت الظهر ، فقرر أمور الرعية ولم يعلم أحد بمقصوده حتى قبض على الأمير عمر بن عبد العزيز ، وعزم به صحبته في أعيان الكتاب ، يوم السبت ثامن الشهر المذكور [فواجهوا الملك المجاهد بتعز ، وأنكر الملك المجاهد على الأمير عمر بن عبد العزيز أموراً أحدثها ، وأفعالاً ارتكبها ، ووبخه توبيخاً عظيماً ، وحاسب الكتاب في عدن ، ثم قيد عمر بن عبد العزيز ، وخرج به صحبته من عدن إلى تعز][1] ، ثم أطلقه بعد مدة على مال سلمه . ثم حط على الشيخ إدريس بن عبد الجلال الحبيشي بخَدِد وما والاه ، ثم ارتفع عنه ودخل مدينة زبيد ليلة الخميس ، / التاسع والعشرين من شعبان ، وفي صحبته ابن أخيه الشيخ يوسف بن عامر . ٢/٩٠

وفي ليلة الأحد ، التاسع والعشرين من جمادى الأولى ، توفي الفقيه الأديب أبو بكر بن أحمد العقيلي الزيلعي رحمه الله. وفي ليلة الخميس من جمادى الآخرة ، توفي الفقيه عبد الرحمن بن الطيب بن عباس رحمه الله . وفي ليلة الخميس ، الثاني والعشرين من شهر شعبان ، توفي الشيخ محمد بن أبي بكر الجبرتي الصوفي رحمه الله ونفع به .

وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان ، ختم الملك المجاهد القرآن العظيم في صلاة التراويح ، بمدينة زبيد ،وعمل سماطاً عظيماً جمع له الناس على اختلاف طبقاتهم . وفي الثالث من شوالها ، طلع إلى تعز ثم إلى جبلة ، ووقعت بينه وبين الحبيشي وقائع عظيمة نصر المجاهد فيها عليه ، وأخذ له عدة حصون ومنها المُصَيْنَعة والخضراء ، ثم رجع إلى تعز .

وفي يوم الثلاثاء التاسع من الشهر المذكور ، توفي الشيخ الصالح شرف

---

(١) [ ] كذا في جميع النسخ ، ومن الواضح أن العبارة ، غير كاملة ، لأن الأمير قُبِضَ عليه بزبيد ، وجرت المقابلة مع الملك المجاهد بتعز . ثم يعلمنا المؤلف أن الأمير سار بصحبة الملك المجاهد من عدن إلى تعز . وعليه فإن الملك المجاهد ذهب أولاً من تعز إلى عدن حيث حاسب الكتاب ثم عاد إلى تعز . وقد اغفلت عبارة المؤلف هذا الذهاب والاياب .

الدين إسماعيل بن محمد [بن إبراهيم][1] الجبرتي ، بمكة المشرفة ، وذلك بعد أن تحلل من إحرامه ودفن بالمعلاة ، بمقابر بني الزمزمي ، رحمه الله ونفع به .

٩١/١ وفي ليلة الأحد، عاشر المحرم سنة ثمان وسبعين ، / دخل الملك المجاهد مدينة زبيد في عساكر عظيمة ، وفي صحبته ابنا أخويه ، مولانا عبد الوهاب والشيخ يوسف ، والأمير عمر بن عبد العزيز ، في عسكر كثير وأقاموا بمدينة زبيد مدة ، خرج في أثنائها مولانا عبد الوهاب إلى نخل المدبّي ، فقطع ثمره ثم رجع إلى زبيد ، وطلع هو وعمه الملك المجاهد إلى تعز ، ليلة الجمعة التاسع عشر من الشهر المذكور ، وترك بزبيد الأمير عمر بن عبد العزيز مقدماً ، والشرف الأحمر مستوفياً ، وتصدق الملك المجاهد في هذا العام بصدقة عظيمة من الذهب والطعام والتمر والثياب .

وفي عشية ليلة السبت ، الحادي والعشرين من صفر ، قيد الأمير عمر بن عبد العزيز جماعة من القرشيين ، بين البابين من باب سهام ، منهم عبد الله بن غراب ، وولداه وولد أحمد بن عيسى الهبل ، ويوسف بن عقد وحسين بن أبي بكر المعزبي وأحمد بن يوسف الحَيْقي[2] المعزبي ، واحتفظ بهم إلى أن طلع بهم إلى تعز ، في السادس من ربيع الأول ، وخرج الأمير إلى الجهات الشامية ، ولم يزل بها حتى رجع منها إلى زبيد في رمضان .

وفي يوم الخميس ، الحادي والعشرين من جمادى الأولى ، توفي الفقيه ٩١/٢ العلّامة شهاب / الدين بن شيخ الإسلام الطيب الناشري ، بمدينة زبيد ، وهو يومئذ أحد المفتين بها رحمه الله .

وفي يوم الأحد ، سلخ ذي القعدة ، توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن موسى المشرع عجيل ، ببيت الفقيه ابن عجيل ودفن مع الفقيه أحمد بن موسى عجيل في قبره ، نفع الله بهما .

---

(١) [ ] : ساقطة في (أ) .
(٢) في (ب) : الحنفي ، وكذلك أيضاً في قرة العيون (ج ٢ص١٦٣).

ثم توفي [والد ه][1] الفقيه العلامة كمال الدين موسى بن أحمد المشرع عجيل ، إلى رحمة الله تعالى ، بعده بأحد وأربعين يوماً ، يوم الجمعة الحادي عشر من المحرم أول سنة تسع وسبعين وثمانمائة ، بمدينة زبيد ، ودفن بمقبرة باب سهام ، قريباً من مشهد الشيخ إسماعيل الجبرتي ، وكان له مشهد عظيم رحمه الله تعالى .

وفي عشية الأربعاء ، السابع من شهر صفر منها ، توفيت مولاتنا[2] جهة شكر ابنة السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بزبيد ودفنت ، صبح يوم الخميس بالتربة الفرحانية ، رحمها الله تعالى .

وفي ربيع الأول منها ، حصل بين الملك المجاهد وبين الشيخ إدريس بن الجلال الحبيشي صلح تام ، ودخل الحبيشي في صحبة الملك المجاهد إلى تعز

١/٩٢ وفي أوائل شعبان ، جهز الملك المجاهد في سبيل الله عـزّ وجل ، / إلى المجاهد في سبيل الله شمس الدين محمد بن بذلاي[3] بن سعد الدين صاحب الحبشة ، مائة وخمسة أفراس من الخيل العربية ، والسيوف والرماح والدروع شيئاً كثيراً ، إعانة له ، تقبل الله منه .

وفي الخامس من شعبان ، قدم الشيخ شمس الدين يوسف بن عامر إلى زبيد ، واستقر بها إلى أن وصل عمه المجاهد في رمضان ، فدخلها في نصفه ، وبعث الأمير بحير بن محمد بن وهبان في عسكر حافل إلى الزيدية ، وحصل على الأمير عمر بن عبد العزيز وهن وترسيم ومصادرة بمال وقُيِّدَ .

وعمل السلطان لختم القرآن العظيم في صلاة التراويح ، ليلة السابع والعشرين من رمضان ، سماطاً معظماً ، وطلب الناس إليه على اختلاف طبقاتهم .

ثم عمل ابن أخيه الشيخ يوسف ، ليلة التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، سماطاً آخر لختم القرآن العظيم أيضاً عنده ، بالدار الكبير الناصري ، وكان أعظم من سماط عمه . وعمل طلعة على باب الدار زينها بأنواع الثمار والأشجار وضرب

---

(١) كلمة ساقطة في (أ) .
(٢) في (أ) و (ج) : موالينا .
(٣) في (أ) و (ج): بدلاي .

النفوطات[1] المختلفة ، وأحيى للناس ما دثر من مآثر الملوك ، وأحبه الناس كافة ،

٩٢/٢ ثم قرره الملك المجاهد نائباً عنه بزبيد، فضبط الأمور أحسن ضبط، وأحب أهل العلم ، وحصّل جملة من الكتب النفيسة ، وجمع النساخ عنده والمقابلين لذلك ، وسار بالناس سيرة حسنة ، ثم طلع المجاهد إلى تعز في السابع والعشرين من شوال .

وفي يوم الأربعاء ، الثالث والعشرين من الشهر المذكور ، غزا الشيخ يوسف ابن عامر المعازبة بيت الأكيد ، إلى قرية المدارية ، فكسرهم كسرة شنيعة ، وقتل منهم أزيد من عشرين نفساً ، وانتهب بيوتهم ومواشيهم ، ودخل برؤ وسهم زبيد يوم الخميس ثاني الغزوة .

وفي ذي الحجة منها قتل القرشيون من المعازبة بني محمد سبعة نفر .

وفي شهر صفر من سنة ثمانين ، طلع الملك المجاهد إلى تعز ، وفي صحبته الفقيه تقي الدين عمر بن محمد الفتا ، والفقيه جمال الدين محمد بن حسين القمّاط، والفقيه عبد الله الهبّي ، وأمرهم بافتقاد أمر الوقف في مدينة تعز ، كما فعل بزبيد ، وعزلِ من لم يكن أهلاً للولاية في ذلك فلم يتفق شيء من ذلك .

وفي يوم الجمعة ، ثاني شهر ربيع الآخر ، حصلت في مدينة زبيد مطرة عظيمة من توسط الشمس إلى وقت العصر ، وسقطت في الطرقات بيوت كثيرة حال المطر ، واعتقم السيل فدخل البيوت ، وأخرب منها كثيراً،وسقط باب النخل / ٩٣/١ وكان مطراً لم يعهد مثله .

وفي يوم الأحد ، الثامن عشر من الشهر المذكور ، حصلت بزبيد أيضاً مطرة أعظم من التي قبلها ، ودامت من بين الصلاتين إلى قريب المغرب ، وحصل منها من الخراب أعظم من الأول ، وتضاعف ذلك ، وسقط بيت الطاهر الحلواني[2] على أهله ، فهلك منهم تحت الردم أكثر من عشرة أنفس . وبهاتين المطرتين يؤرّخ عوام أهل زبيد فيقولون مطرة الجمعة ومطرة الأحد .

---

(١) في (ب) : النقوطات .

(٢) في (ب) : الخيواني ، وفي (ج) : الحلوبي .

وفي ليلة الأحد ، منتصف جمادى الآخرة ، قدم الملك المجاهد إلى زبيد من عدن .

وفي يوم الاثنين ثاني يومها ، دخل مولانا عبد الوهاب بن داود والشيخ أحمد بن عامر زبيد ، في عساكر عظيمة ، ثم خرج الملك المجاهد وبنو أخيه مولانا عبد الوهاب والشيخان أحمد ويوسف أبنا أبي عامر ، إلى بلاد بني حفيص . فلما بلغوها طلب أحمد بن أبي الغيث الأمان ، واستشفع بالعلماء والصالحين ، وحمل القرآن العظيم على رأسه ، ودخل على الملك المجاهد فقبله وعفا عنه . وقدم ابن أبي الغيث للملك المجاهد خيولاً معظمة، وبذل له أموالاً كثيرة . واستنابه الملك / المجاهد في الزيدية ، وعضده بعز الدين بن حفيص ، وترك لقبض الخراج هنالك الشرف الأحمر ، والجمال المحالبي والشيخ بحير بن محمد بن وهبان ، ثم رجع إلى زبيد منصوراً ، فدخلها ليلة الرابع من رجب ، وبنو أخيه صحبته . وفي أثناء إقامتهم في الزيدية ، غزا الشيخ يوسف العبيد العامريين ، ونهب بيوتهم وقتل منهم جماعة .

٩٣/٢

وفي ليلة الجمعة ، الثالث من شهر رجب ، توفي السيد الشريف تقي الدين عمر بن أحمد البزاز بمدينة زبيد ، ودفن صبيحتها قبلي مشهد الشيخ أحمد الصياد ، وكان له مشهد عظيم رحمه الله ، وكان ذا سَمْتٍ حسن وسيرة حسنة ، وفيه كرم مع الفقر رحمه الله .

وفي الثاني عشر من الشهر المذكور ، طلع مولانا عبد الوهاب والشيخ أحمد ابن عامر إلى مدينة تعز ، وبقي الملك المجاهد والشيخ يوسف بزبيد ، وتصدق الملك المجاهد في آخر رمضان بصدقة جليلة تنيف على أربعة آلاف أشرفي ، من البز والنقد والطعام والأرز والسكر وغير ذلك ، تقبل الله منه . ثم طلع الملك المجاهد إلى تعز ، يوم الخميس السادس من شوال . ومات في هذا العام من العساكر في بلاد الزيدية وزبيد خلق كثيرون ، يزيدون على الثلاثمائة .

٩٤/١

وفي يوم الجمعة[1]، / منتصف رمضان ، توفي الفقيه العلّامة شمس الدين علي بن إبراهيم الزيلعي ، أحد المفتين بزبيد بعد أن كف بصره رحمه الله ، [وفي

(١) في (ج) : الخميس .

يوم الاثنين ، الثامن والعشرين من ذي القعدة منها [(1) ، توفي الفقيه الصالح سعد بن علي الناشري ، نائب الأحكام الشرعية عن ابن أخيه ، محمد بن أبي الفضل بن علي ، ودفن عصر ذلك اليوم ، رحمه الله .

وفي يوم الأربعاء ، الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثمانين ، توفي الشيخ الصالح الشهير عماد الدين يحيى بن محمد بن أفلح ، بقرية الزريبة ، ودفن بها صبح يوم الخميس ثاني موته ، رحمه الله ونفع به .

وفي جمادى الأولى من سنة إحدى وثمانين ، جهز الملك المجاهد ، من مدينة عدن ، نيّفاً وخمسين فرساً ، مكملة العدد ، ووجهها إلى ابن سعد الدين المجاهد ، إعانة في سبيل الله عز وجل ، تقبل الله منه .

وفي رجب منها ، قدم الملك المجاهد إلى زبيد وصحبته بنو أخيه : مولانا عبد الوهاب بن داود ، والشيخان عبد الباقي بن محمد وأحمد بن عامر ، فوقفوا بها إلى شهر رمضان ، ثم طلع مولانا عبد الوهاب والشيخ أحمد بن عامر إلى الجبل .

٢ / ٩٤ وفي شعبانها ، جهز الملك المجاهد / ابن أخيه الشيخ يوسف بن عامر إلى الزيدية. فاستقر بالمراوعة. وقابله بنو حفيص بالسمع والطاعة وبذل الخراج. فأرسل لقبضه معهم الأمير مَكْرِد بن عمر العَجْلَمي ، والقاضي جمال الدين محمد بن عبد اللطيف المحالبي ، فقبضوا أموالاً جليلة. ودخلت عليه القبائل فأجازهم الجوائز السنية ، ثم رجع إلى زبيد منصوراً فدخلها في منتصف رمضان .

وفي شوالها ، غزا الشيخ يوسف بني سليمان ، بطريق تعز ، وتسلم حصونهم ، وقتل منهم جماعة ، وأخرب معاقلهم . ثم طلع الملك المجاهد والشيخان عبد الباقي ويوسف إلى تعز ، في آخر الشهر المذكور .

وفي يوم الاثنين ، الثالث من شهر ذي القعدة الحرام ، توفي الفقيه عمر الخامري بمدينة حيس ، وكان رجلاً مجذوباً له كرامات ومكاشفات ، رحمه الله تعالى .

وفي سنة اثنتين وثمانين ، فُصِل القاضي شرف الدين إسماعيل بن محمد

---

(1) في (ب) : [وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة منها] .

الأحمر [عن ولاية زبيد ، بالفقيه عبد اللهِ بنْ أحمد العقيلي ، وطُلِبَ الشرف الأحمر][1] إلى عدن لِيُولّى نظرها ، فلم يتفق .

وفي ليلة الأحد ، الثامن من ربيع الأول ، توفي شيخ الإسلام وابن شيخه القاضي عفيف الدين عبد الله بن الطيب / الناشري ، رحمه الله تعالى ، ودفن صبيحتها . واستمر عوضه أخوه شيخنا ، شيخ الإسلام ، وجيه الدين عبد الرحمن بن الطيب الناشري ، للتاريخ المذكور . ٩٥/١

وفي يوم السبت السابع عشر من ربيع الأول ، قُتِلَ رجلٌ من القرشيين يقال له عبد الله الرُّحَبَاني ، من كبار المفسدين ، والآمر بقتله الشيخ يوسف بن عامر . وكان قتله بقرية الروية على باب بيته .

وفي الشهر المذكور ، كانت وقعة صاحب الحجاز وما إليها ، الشريف محمد ابن بركات ، مع صاحب جازان ، الشريفِ أبي الغوائر أحمد بن دريب[2] بن خالد ، بسبب وحشة شديدة حصلت بينهما . فتجهز الشريف محمد بن بركات من مكة ، في جمع عظيم ، وصحبته جميع أهله من الزوجات والسراري والذرية ، فوصل إلى وادي جازان . وترددت الرسل بينه وبين صاحبها ، فلم ينتظم صلح ، ووقع بينهم وقعة عظيمة ، فانهزم منها صاحب جازان ، وقتل من أصحاب جازان جم غفير ، وانتهكت الحرمات ، وانكشفت العورات ، وجرى على نساء صاحب جازان من الذل والإهانة وكَشْف الحجاب ما لم يكن لأحد في حساب ، وانتهبت خزائنه ، وفيها من الكتب النفيسة / شيء كثير ، وأخذ من السلاح ما جمعه أبوه وجده ، ونهبت جازان وأحرقت ، وهدمت دور الخلافة وسور البلد ، وأصبحت جازان خاوية على عروشها ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله . ٩٥/٢

وفي سحر ليلة الخميس ، السادس من شهر ربيع الثاني ، توفي الفقيه الصالح عماد الدين يحيى بن أحمد الجهمي ، صاحب المصباح ، ببلده من أصاب ، وكان رجلاً مباركاً رحمه الله تعالى .

وفي شعبانها ، خرج الشيخ يوسف بن عامر من زبيد إلى البلاد الشامية ،

---

(١) [ ] : ساقطة في (ج) . .
(٢) في قرة العيون : ديب (ج ٢ ص ١٦٥) .

واستقر بالقرار ، ووفدت إليه قبائل العرب ، فأجازهم بجوائز سنية . ثم قبض خراجي البلد من الزيدية إلى قريب حرض ، وحصل مالاً جزيلاً ، وخيلاً تنيف على الأربعين ، ورجع إلى زبيد منصوراً ، فدخلها يوم الجمعة منتصف شوال .

وفي ذي القعدة منها ، نصب الملك المجاهد المنجنيقات على حصن الشيخ إدريس الحبيشي المعروف بالخضراء ، بقرب خدد ، وأخرب أكثرها ، ثم نزل إليه الحبيشي باذلاً الطاعة ، وسلم الحصن ومضى تحت ركابه وخدمته . وفيها قدم ولد صاحب جازان إلى زبيد ، وبها يومئذ الشيخ يوسف بن عامر ، فكساه وأنعم عليه [وسيره إلى عمه الملك المجاهد بعدن ، / في جملة فرسان ، فلقيه بها ، وأنعم عليه][1] وأعطاه مالاً جزيلاً ، ورده إلى بلده مكرماً.

٩٦/١

وفي يوم الجمعة ، الثامن والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثمانين ، قتل الشيخ إدريس بن محمد بن الجلال الحبيشي ، صاحب خدد ، وهو معقل عظيم ، وله معشار عظيم واسع . وكان قتله بمدينة عدن ، والقاتل له الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشي ، زعم أنه قتل أباه ، فاستأذن الملك المجاهد في قتله فأذن له . فدخل عليه بيته بعد أن احتال وفرق أصحابه عنه ، ثم هجم عليه بغتة في ثلاثة من العبيد فقتلوه رحمه الله .

وفي يوم السبت ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، توفي قاضي عدن وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد العليم المخادري ، وكان الملك الظافر عامر بن طاهر قد ولّاه ذلك ، وعزل القاضي أبا شكيل . فمكث المخادري على ذلك عشر سنين ، واستمر بعده في وظيفته القاضي جمال الدين محمد بن حسين القُمّاط .

وفي الشهر المذكور ، طلع الملك المجاهد من عدن إلى بلده مريضاً ، ووقف في لحج أياماً ، وفي جبيل بدر أياماً ، ثم دخل جُبَن واستدعى بالفقيه جمال الدين محمد بن حسين القماط من مدينة / زبيد ، فطلع إليه ولقيه ببلده جبن ، فولّاه قضاء مدينة عدن ، في آخر شهر ربيع الأول. ولم يزل الملك المجاهد ببلده حتى توفي بها ليلة السبت ، العاشر من شهر ربيع الآخر ، ودفن بها ، قابله الله برضوانه ومَلَّكهُ أعلا مرتبة في جنانه . وكان رحمه الله يؤثر فعل الخيرات ، وكثرة

٩٦/٢

---

(١) [ ] جملة ساقطة في (ج) .

المبرّات . وكانت نفقات اليتامى والأرامل والمنقطعين بمدينة زبيد جارية من بيت المال مدة حياته ، في عين كل شهر ، بما يكفيهم ، فانقطع ذلك بموته ، أكرم الله مثواه ، وجعل جنة الفردوس مأواه. وصُلِّيَ عليه في سائر مدائن ملكه ، وعظمت المصيبة بموته وهلكه أدخله الله في رحمته الواسعة وغفر له مغفرة . لخير الدارين جامعة[1]

ومن مآثره الدينية : مدرسة عظيمة بمدينة تعز حرسها الله تعالى ، وأخرى بمدينة جبن ، ومآثره كثيرة لا تحصى ، جزاه الله خير الجزاء ، وكافاه بالحسنى ، آمين آمين .

---

(١) في (ب) (ص ٦٧ و٦٨) زيادة غير موجودة في سائر النسخ . والأقرب إلى الظن أنها ليست من المؤلف ، بل اضافها بعض النساخ ، وكأني بها وثيقة من وثائق الأوقاف وقد أثبتناها على علاتها في الهامش ، إتماماً للفائدة .

« ومن احسان مولانا السلطان ، الملك المجاهد ، شمس الدين علي بن طاهر ، من جيّد مبرّاته ، واوقف [كذا] أرضاً بوادي زبيد وقفاً جيداً ، من شريج البري وشريج المنصوري الأعلى ، بوادي زبيد ، يعرف ويشهر اسماً ، وقف البر المجاهد ، ووقف الذرية ، على الاشراف والفضلاء العلماء الأتقياء : السيد العلامة عبد الرحيم بن عبد الحفيظ البزّاز ، وعلى أولاده الأفاضل العلماء الأتقياء ، السيد قاسم ، والسيد محمد ، والسيد علي ، والسيد الزين . الجميع أولاد السيد عبد الرحيم بن عبد الحفيظ بن عمر البزاز ، من أهل زبيد ما بقوا وتناسلوا بطناً بعد بطن ابرّهم به هم واتباعهم وقف ذريّة تعظيماً للعلم ورفعاً لدرجاتهم الرفعية . والوقف المذكور الموجود المعلوم ، بوادي زبيد ، في شريج البري وشريج المنصوري الأعلى . فما هو في شريج البري من أرض سكندر فيروز ، ظهر القبس الأعلى . ووقف البر المجاهد ثلاث معاود ونصف وربع . واليد من ظهر القبس : القبس الأعلى والأسفل ثمان معاود إلا ربع وقف للمجاهد . وفي الشريج المذكور من أرض الجناب سكندر فيروز ، مقبل الغياث ، اربع قطع وقصة ثلاث معاود وربع . وقف البر المجاهد . ويسقى من نازعة الماء بليلة وغربيا المغرس ، ويمانيا الطريق المسلوكية . وما بشريج المنصوري الأعلى ، في قناعة رأس الشريج المذكور ، عقام الدجر وقف البر المجاهدي من أرض الجناب سكندر فيروز ، يعرف ويشهر اسما بودن الليمة الربيع ، معاد ونصف ، من الجانب الشرقي من أصل ست معاود ، وقف البر المجاهد . وفي الشريج المذكور ، من أرض الجناب سكندر فيروز الكرشمي ، وقف البر المجاهد ، عشر معاود ونصف وربع ، يحده شرقياً المعبر الأعلى ، العاشرة من أرض الجناب الاسكندر فيروز ، وقبلياً الطريق المسلوكة ، وغربياً المعبر الأسفل الاملاك من أرض سكندر فيروز ، ويمانياً الشريج المنصوري . وفي الشريج المذكور عقام البلح ، من أرض الجناب سكندر فيروز ، وقف البر المجاهد معادان ، يحدها شرقياً نازعة الماء ، =

وقبلياً وغربياً عقد الجوهر ، بيد السيد عبد الرحمن الأهدل ، ويمانياً شريج المنصوري الأعلى . وفي الشريج المذكور أرض نازع الحجبي الأوسط والخلج الغربي منه يمتد شاماً يمناً ويلتقي بالأب الحجبي الأوسط ، وقف البر المجاهد . وابتداء أرض نازع الحجبي من رأس النازع من معقم الحجبي من الزهب المسمى بالهاملي ، وقف البر المجاهد . وينتهي إلى مقبل قرية الشبارق محرث قاسم قرشي ، من أرض الحجبي ، وقف البر المجاهد جملة أرض نازع الحجبي قطع خمسة وستين قطعة فهذا الوقف من جيد ميراث مولانا الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر رحمه الله تعالى .

وجدد الملك المجاهد المذكور للاشراف المذكورين . بني البزّار ، من أهل زبيد ، نظارة مسحد الهند المبارك المجاهد علي بن داود بن يوسف من بني رسول ببستان الراحة بزبيد . وكذلك نظارة مسجد أبي الضياء المجاهد بزبيد، واوقافهما المعلومة والموجودة بوادي زبيد في شريج الجرهزي ، وشريج الناصري الأعلى ، تعظيماً للعلم ورفعاً لدرجاتهم الرفيعة . وعليهم القيام باصلاح المسجدين المذكورين من العمارة والفرش والتسريج والقيام التام في الخمس صلوات ، وما فضل بعد التصليح فهو لهم يقسم بينهم . ادخله الله في رحمته الواسعة وغفر الله مغفرة بخير في الدارين جامعة » .

الباب التاسع

في ذكر الدولة السعيدة ، المباركة الحميدة ، المنصورية التاجية الداودية الطاهرية ، دولة مولانا السلطان ، الآمر بالعدل والإحسان ، الملك المنصور ذي المعالي والمفاخر / تاج الدين عبد الوهاب بن داود بن طاهر

٩٧/١

قال المؤلف عامله الله بألطافه ، وأسعده برفده وإسعافه : لما توفي مولانا الملك المجاهد ببلده للتاريخ المذكور ، وكان ولد أخيه ، مولانا السلطان الملك المنصور تاج الدين عبد الوهاب بن داود بن طاهر ، وأخوه الشيخ عبد الملك بن داود ، وابن عمه الشيخ أحمد بن عامر حينئذ هنالك ، وكان عمه الملك المجاهد قد عهد إليه بالخلافة في مرضه القديم ، كما ذكرنا أولاً ، فخرج الملك المنصور بعد اتفاق كلمته وكلمة المذكورين ، في ليلة وفاة عمه إلى مدينة عدن مبادراً ، وفي صحبته القاضي جمال الدين القمّاط ، فدخلها يوم الثلاثاء ، ثالث عشر الشهر المذكور بغتة ، من غير أن يعلم أهل البلد بوفاة عمه ، في عسكر وخيل قليلين جداً ، ثم تتابعت العساكر المنصورة ودخلها القمّاط بعده .

ولما دخلها، أشاع العلم بموت عمه، وطلب مرتّبي الحصون ونقباء يافع واستحلفهم ، ومهد قواعد البلد ، ورتبها ، ومشى بالناس مشياً حسناً ، وسار سيرة حميدة . ثم فرق في العساكر أموالاً جزيلة ، وكسوات جميلة ، وجدد للقاضي جمال الدين محمد / بن حسين القماط ولاية القضاء بعدن ، وأقام بها إلى آخر الشهر المذكور ، وخرج إلى تعز ، ثم نزل منها إلى زبيد في جمادى الأولى . وكان ابن عمه الشيخ يوسف بن عامر إذ ذاك بزبيد ، فكاتبه الملك المنصور بالملاطفة ، ووعده بتقريره على ما كان عليه زمن عمه الملك المجاهد ، وأرسل له بمال صحبة الشرف الأحمر فأبى ذلك ونابذه واستعد لقتاله . وأصرّ على خلافه ، ونزع اليد عن

٩٧/٢

طاعته . وشحن الحجارة على الدروب ، وكلّف أهل زبيد حمل السلاح وطلوع الدروب ، وأورث الناس متاعب ، وأكثر التوعدات لأهل زبيد بالنهب وغير ذلك إن لم ينصروه ، وأمر الخطيب أن يخطب لبني طاهر على العموم . فخرج الملك المنصور من مدينة عدن وحمل ما وجد من خزائنها إلى المقرانة ، ومبلغها من الذهب ينيف على خمسة لكوك ، ومن نقد البلد الفضة مبلغ جزيل ، فأوصل ذلك إلى المقرانة ، ثم نزل إلى تعز ثم إلى زبيد . فلما قرب الملك المنصور من مدينة زبيد ، أمر الشيخ يوسف عبيد السلطان وعبيد السيد أن يخرجوا لحراسة البلد من

٩٨/١ خارجها ، فلما خرجوا ذهبوا إلى الملك المنصور. وقام / الشيخ بحير بن محمد بن وهبان في هذا الأمر قياماً عظيماً ، وكان باطنه مع الملك المنصور ، وظاهره مع الشيخ يوسف ، فلما تحقق الشيخ يوسف ذهاب العبيد إلى الملك المنصور علم أنه مغلوب لا محالة ، وأنه لا طاقة له على مقابلة ابن عمه . فخرج ليرد العبيد ، فأغلق الشيخ بحير في وجهه الباب ، فرجع يريد فتح الباب فلم يفتح له ، فتوجه إلى حصن قوارير وكان قد شحنه بما يحتاج إليه ، وكانت ليلة مظلمة فلم يجد من يرشده الطريق . فأمر الشيخ بحير أصحاب الأبواب بالدعاء بالنصر للملك المنصور . ثم أشار على الشيخ يوسف بن عامر بعض خواصه بالرجوع إلى طاعة ابن عمه ، وتسليم الأمر إليه ، فذهب إليه إلى محطته تلك الليلة ، فلما وصل إلى المحطة ، وقيل هذا الشيخ يوسف ، ماجت المحطة ، واضطرب الناس ظناً أنه جاء لحرب ، فلما ظهر الحال سكن الناس ، فدخل على ابن عمه وسلم عليه ، فعاتبه عتاباً لطيفاً ، وقابله بالإكرام والإحسان ، وأمره بالتوجه إلى خيمة أخيه أحمد والنوم عنده ففعل . ودخل صحبته في دخوله زبيد ، يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى

٩٨/٢ الأولى ، دخولاً معظماً / في عساكر كثيرة ، من الخيل نحو خمسمائة فارس ، ومن الرجال مِثْلا ذلك. فأقام في زبيد مدة يمهد قواعدها ، ويقرر أمورها . ووفدت إليه قبائل العرب فأجزل صلاتها . كل هذا وابن عمه الشيخ شهاب الدين أحمد بن عامر في صحبته ، إلّا دخول مدينة عدن ، فإنه دخلها بعده لاشتغاله بدفن عمه وجمع العساكر . وأما الشيخ يوسف فلم يطب له المقام بزبيد ، واشتد غمّه وعظم كربه وتخوف من ابن عمه لما سبق منه ، فاستشفع إليه بأخيه الشيخ أحمد ، وحمل إليه القرآن ليفسح له في الخروج والذهاب حيث يشاء ، ففعل بعد امتناع شديد، حياءً من الشيخ أحمد ومراعاة له . فخرج يوم الأربعاء ، ثاني دخول الملك المنصور ،

وخرج في صحبته الحاج محمد صاحب الـذّراع، والشيخ محرم العنسي فكاد أن يفتك بهما لشدة غيظه . فوصل إلى بندر البقعة وقد أعدت له هنالك سفينة ، فركبها يوم الخميس رابع عشر الشهر المذكور . وكان قد أودع مالاً عند جماعة من أهل البلد زبيد ، كالقاضي علي بن أحمد الناشري ، والجمال القُمَيْري[1] ، وأشياء كثيرة ببيت الشيخ الغزالي ، وأشياء عند الشيخ أحمد الشنيني صاحب القرشية ، فطالب الملك المنصور / بها فسلموها إليه إلاّ القاضي عليّاً فإنه أنكر ذلك . فطلب المنصور يمينه فحلف ، إذ كان يجوز له ذلك وهو أعلم بجوازه ، فكان ذلك سبب سقوطه عند الملك المنصور ، فعزله عن القضاء بالقاضي تقي الدين عمر بن عبد المجيد الناشري ، يوم الجمعة منتصف جمادى الأولى ، ثم رضي عنه بعد ذلك ، وألزمه صحبته وأعلى محلته . ثم اتصل بصحبة ولده الملك الظافر صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب ، فسافر معه وأنس به وحصل بينهما اتّحاد عظيم ، وأحبّه الملك الظافر حباً شديداً ، وبقي على أسبابه لم يذهب عنه إلاّ محنة الحكم بين الناس . ولم تطل مدة القاضي عمر بن عبد المجيد بعد ذلك ، بل توفي إلى رحمة الله ، في يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة . واستمر عوضه شيخنا القاضي جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري ، قاضياً بزبيد ، عصر يوم الخميس الثامن من رمضان إلى وقتنا هذا . وناب في القضاء مدة مرض القاضي عمر بن عبد المجيد ، وبعد وفاته إلى ولاية القاضي جمال الدين ، شيخنا العلاّمة تقي الدين حمزة بن عبد الله الناشري ، [بإذن شيخنا ، شيخ الإسلام ، وجيه الدين / عبد الرحمن بن الطيب الناشري][2] له في ذلك .

99/1

99/2

وفي هذه السنة ، أمر السلطان الملكُ المنصور بعمارة مدرسته المنصورية بمدينة زبيد ، فابتُدِىء في ذلك صبح يوم الأحد السادس من شعبان[3] . وفيها أمر

---

(1) كذا في النسخ إلا في (هـ) : الفهري .

(2) جملة ساقطة في (ج) .

(3) في (ب) الزيادة التالية : « تعرف وتشهر اسماً بالوهابية . واوقف عليها أرضاً بوادي زبيد ما يقوم بكفايتها . واخص الاشراف الفضلاء ، العلماء الاتقياء ، أولاد السيد الشريف العلامة عبد الحفيظ بن عمر البزاز ، بنظارة المدرسة المذكورة، تعظيماً للعلم ، ورفعاً لدرجاتهم . وعليهم عمارة المدرسة المذكورة ، وتفريشها ، وتسريجها ، ورتب فيها منهم مُدَرِّسَيْن(أ) للشافعية ، ومدرّساً (ب) للسبع القراءات ، والقيام التام في الخمس الصلوات ، وما فضل بعد ذلك فهو لهم » . ((أ) : في الأصل : مدرستين شافعية،(ب) : في الأصل : مدرس) .

بحفر خندق من داخل مدينة زبيد ، دائراً على حصن دار السلاح[1] على باب الشبارق .

وفي يوم الثلاثاء ، مستهل ذي الحجة منها ، قتل عبيدُ دبَسّان الشيخَ سليمان الفايشي قريباً من حصن وقيهة .

وفي ضحى يوم الأربعاء ، الخامس عشر من المحرم سنة أربع وثمانين ، توفي جدي لأمي ، العارف بالله تعالى ، شرف الدين أبو المعروف إسماعيل بن محمد مبارز رحمه الله ، ودفن عصر ذلك اليوم قبلي تربة شيخ الشيوخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي نفع الله به .

وأما الشيخ يوسف بن عامر ، فبلغ في خروجه ذلك إلى قريب مكة ، في المكان الذي كان الشريف محمد بن بركات نازلاً فيه ، فواجه الشريف ، فأكرمه وأحسن نزله . فلبث عنده مدة ، ثم رجع إلى صاحب جازان ، الشريف أبي الغواير ، فأكرمه كذلك لما سبق منه من الإحسان إلى ولده ثم دخل بلاد بني حفيص ، فأكرمه الشيخ / أحمد بن أبي الغيث وأحسن نزله ، وزوجه بنتاً له . فلبث ١٠٠/١ عندهم إلى أن نزل الملك المنصور وأخوه ، الشيخ أحمد بن عامر ، إلى مدينة زبيد ، في شهر شوال من السنة المذكورة . وخرجا مسرعين من زبيد إلى بلاد بني حفيص ، وحاول الملك المنصور صلحهم فلم يجيبوا إلى ذلك . فقاتلهم يوم الخميس مستهل ذي القعدة . وكان الشيخ أحمد بن عامر في خيل عنس[2] وطائفة من العسكر ، فلما حصلت الحملة عليهم انكشفوا عنه ، فشبَّ به الفرس ، وكان مظاهراً بين درعين ، فسقط عن فرسه ، وجرح جراحات مثخنة ، فمات بعد ساعة في ذلك اليوم ، وحمل إلى قرية الضحى ، وهي قرية الفقيه إسماعيل الحضرمي . فغسل وكفن وصلي عليه بها ، ثم حمل إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، ودفن بها مع سيدي الفقيه أحمد بن موسي بن عجيل في قبره ، رحمهما الله تعالى وعوضه الجنة . وكان باطن الشيخ يوسف فيما قيل مع ابن عمه وأخيه ، وكانا قد أرسلا إليه أنه إذا التقى الجمعان حَمَلْتَ وحملنا . وكانت الدائرة على بني حفيص ، فحمل الملك المنصور وحمل الشيخ يوسف حتى التقيا ، ثم كرَّ الشيخ يوسف هو وجند

(١) في (ب) و(هـ) : السلام .
(٢) في (أ) : عبس .

٢/١٠٠ الملك المنصور على بني حفيص فهزمهم وقتل / منهم أكثر من أربعمائة قتيل . ثم دخل الشيخ يوسف زبيد في صحبة ابن عمه الملك المنصور ، ثم طلع معه إلى تعز . وظهرت للمنصور منه مكيدة أفضت إلى القبض عليه وتقييده ، في أوائل سنة خمس وثمانين . وما يزال ينقله من سجن إلى سجن ، ومن بلد إلى بلد ، حتى استقر في رداع العرش إلى تاريخنا هذا .

وفيها ، أعني سنة أربع وثمانين ، في شهر ربيع الآخر ، حصل في اليمن غلاء عظيم واستدام إلى سنة ست ، واشتد في جمادى الآخرة منها ، وعم زبيد وتعز وعدن والجبال وصنعاء وصعدة والشحر ومقدشوه وزيلع ، واشتد بزيلع وعدم الطعام بها أياماً ، حتى أكلوا الجلود ، وتعب الناس لذلك ، وماتوا موتاً ذريعاً ، ثم حصلت عقب ذلك أمطار عظيمة ، وسيول كثيرة ، وسقي أكثر الوادي زبيد ، وتفجرت الأعين فيه ، وزاد زيادة بالغة ، وحصل في الوادي زبيد سيل عظيم سال بخلق كثير ، وماتوا وعسر الانتفاع به ، وأخرب الشُّرَجَ والأراضي .

وفي هذه السنة ، أعني سنة أربع وثمانين ، حجّ سلطان الديار المصرية ، ١/١٠١ الملك الأشرف أبو النصر قايْتباي ، وزينت مكة لقدومه ، وزار قبر النبي ﷺ / بعد الحج ، ورجع إلى مصر سالماً غانماً في المحرم من السنة التي تليها .

[وفي شهر صفر من سنة خمس وثمانين ، أحدثت عين المغرس على نظر القاضي شرف الدين الأحمر][(١)] .

وفي شهر جمادى الأولى منها ، توفي الشيخ الصالح إسماعيل بن العماد المزجاجي ، بقرية المزجاجة ودفن بالظاهرة قريباً منها .

وفي ليلة الأربعاء ، الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، توفي الشيخ إسماعيل بن علي الحُنْدج بشرجة حيس رحمه الله .

(١) [ ] : جملة ساقطة في (ب) .

وفي ليلة الأربعاء ، مستهل شهر رجب منها ، توفي الطواشي كافور القاسمي خادم الحرم الشريف النبوي ، بمدينة زبيد ، رحمه الله .

وفي اليوم الرابع عشر من الشهر المذكور ، وقع حريق عظيم بمدينة زبيد ، ابتداؤه من شرقي دكاكين ابن الوجيه ، وأخذ في الشرق إلى الحوائط ، وفي الشام إلى حافة الزيالع ، وفي اليمن إلى السويقة ، وتلفت به أموال جليلة .

وفي شوالها ، غزا الملك المنصور من زبيد بلاد بني حفيص ، وجعل طريقه على الرماة ، فهربوا ولجأوا إلى حازة بلدهم ، فحرقها وظفر لهم بطعام كثير في مدافن واستباحه ، ثم بلغ بلاد الزيديين وتقابل الفريقان ، وكانت الدائرة على بني ١٠١/٢ حفيص ، / وقتل منهم جماعة . فانهزموا وتشتتوا ، فحرق بلادهم ، وأخرب بيوتهم ، ووقف فيها مدة ، ثم رجع إلى زبيد منصوراً ، فدخلها ثم طلع إلى تعز .

وفي السنة المذكورة قُتِلَ أحمدُ بن الصديق بن الوجيه بن عيسى بن علي بن عبد الله بن أبي بكر بن غراب ، والقاتل له أحمد بن البيذق بن أحمد بن علي بن الحنيش بن عبد الله بن محمد بن علي بن غراب . [وفي يوم قتله ، قُتِلَ يوسفُ بن إبراهيم عفد ، قتله ابن محمد بن غراب وابن عيسى بن غراب][1] . وكان قد ضربه قبلهما ابن الهادي بن الناصر بن إسماعيل بن عيسى . وفي يوم ثاني قتله ، قُتِلَ أحمد بن علي عُنَيْب ، قتله بنو عفد بالأوشج . وفيها قُتِلَ أحمد بن الصديق بن حسن بن الحنيش ، نهار الجمعة الرابع والعشرين من شهر رجب ، والقاتل له بنو أبي بكر بن غراب ومن معهم ، ودفن بالرويّة .

وفي يوم السبت ، التاسع عشر من صفر سنة ست وثمانين ، قُتِلَ أمير البلاد الحيسية عمر العُدّار بحد بني سيف .

وفي ربيع الثاني منها ، تسلم المنصور حصن خَدِد المشهور بالمنعة ، بعد طول حصاره من دولة عمه الملك المجاهد إلى التاريخ المذكور ، ووَجَدَ فيه ذخائر ١٠٢/١ / وعُدداً كثيرة .

وفي يوم الأربعاء ، التاسع من رجب منها ، توفي القاضي موفق الدين

---

(١) [ ] جملة ساقطة في (ب) .

علي بن أحمد الناشري ، بمدينة زبيد ، ودفن بمقبرة أهله بباب سهام عصر ذلك اليوم . وكان من أهل العلم والدين وصيانة العرض والعفة والنزاهة ، ولم يخلف بعده من أهله مثله ، رحمه الله .

وفي الشهر المذكور ، وقع بمدينة زبيد حريق عظيم ، ابتداؤه من قبلي سوق المرباع ، وانتهاؤه إلى السويقة ، وتلف فيه بعض بني آدم وأموال كثيرة ودواب ، وهي من الحرقات المشهورات الكبار .

وفي هذه السنة ، تصدق الملك المنصور بصدقات جليلة ، تنيف على أربعين ألف أشرفي من الذهب ، وخمسة وستين ألف دينار من الفضة . وصدقاته في هذا العام جليلة ، لم يسبق إلى مثلها ، ووقعت من الناس موقعاً عظيماً لحصولها في وقت الحاجة إليها ، ولعمومها لجميع الناس ، تقبل الله منه وأجزل ثوابه ورضي عنه وأحسن مآبه آمين .

وفيها توفي قاضي تعز ، القاضي جمال الدين محمد بن داود الوَحْصَي ، وتولى وظيفته الفقيه رضي الدين أبو بكر بن علي بن عمران ، فهو على ذلك إلى وقتنا هذا .

١٠٢/٢ وفي تاسع شعبان منها ، قدم الملك المنصور إلى زبيد ،/ وجهز الأمير عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن جياش ، إلى الزيدية ، في عسكر عظيم ، فخرجا حتى بلغا وقيهة ، ثم رجعا إلى زبيد ، على صلح من بني حفيص والزيديين كافة . ووصل معهم جماعة من بني حفيص ، والفقهاء بني حشيبر ، وبني مطير ، والقاضي جمال الدين محمد بن أحمد بن الأشخر ، ووصلوا بأولاد أحمد بن أبي الغيث على سبيل الرهائن ، وانتظم الصلح على ذلك وخرج الأميران محمد بن عيسى البعداني ، وسليمان بن جياش ، والقاضي جمال الدين المحالبي ، ومحمد بن محفوظ المصري لقبض الخراج من العرب ، من بيت الفقيه ابن عجيل إلى الواعظات . فقبضوا وجاءوا ، في شوال ، بأموال عظيمة ، وخيل تزيد على التسعين . ونزل مولانا صلاح الدين عامر ابن الملك المنصور إلى زبيد في شعبان ، ووالده بها . ثم نزل صنوه الشيخ جمال الدين محمد ابن الملك المنصور بعده في رمضان ، ونزل أيضاً الشيخان عبد الله بن عامر وعبد الباقي بن محمد بن طاهر ، واجتمعوا بزبيد ، وصاموا بها . وطلع الشيخ عبد الله قبلهم بسبب توعك حصل

له ، ثم طلع مولانا صلاح الدين عامر وأخوه محمد / في شوال .

وفي ليلة الثلاثاء ، ثالث عشر من رمضان أيضاً ، بعد مضي ثلث الليل احترق الحرم الشريف المدني ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، احتراقاً عظيماً ، بسبب صاعقة حصلت عقب مطر ، فاحترقت المنارة التي تلي الضريح الشريف ، ومؤذّنها ، والقبة الشريفة ، والدرابزين ، والروضة ، وخزانة حاصل الحرم الشريف . واحترق في الحرم الشريف نحو ثلاثة عشر نفراً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . فلما بلغ الخبر إلى سلطان الديار المصرية ، الملك الأشرف قَايْتْبَاي ، أرسل الخواجا محمد بن الزِّمِن لعمارته ، فعمر عمارة لم يسبق إلى مثلها ولله الحمد .

وفي الشهر المذكور أيضاً ، جعل الملك المنصور النظر والكلام في الوقف ، بمدينة زبيد وأعمالها ، لشيخنا شيخ الإسلام وجيه الدين عبد الرحمن بن الطيب الناشري ، ولم يزل على ذلك حتى توفي ، رحمه الله ونفع به ، في التاريخ الآتي ذكره .

وفي الاثنين ، العاشر من ذي القعدة الحرام ، قدم الشريف أبو الغواير أحمد بن دريب بن خالد صاحب جازان ، على الملك المنصور بمدينة زبيد ، في عسكر كثير من الخيل والرجال . ولما علم الملك المنصور بقدومه احتفل به ، / ٢/١٠٣ وأرسل إلى بلده للآلات السلطانية ، والأهبة الملوكية التي لم تكن توجد إلّا في خزائنهم ، وهيأ له الضيافة العامة والخاصة ، وخرج للقائه إلى ظاهر مدينة زبيد ، في جيوشه وجنده وأهبته ، ولما واجهه نزل عن فرسه وترجل له ، فكان هو السابق بذلك تواضعاً منه وإكراماً . ثم نزل الشريف واعتنقه وحياه ، ثم ركبا معاً وقدّمه المنصور عليه ، وتماشيا ساعة وتفرقا . فدخل الملك المنصور من باب سهام الذي خرج للقائه منه ، وأرسل مع الشريف طائفة من جنده وأمرائه إلى بستان حائط لبيق . وقال[1] الشريف هنالك إلى العصر ، ثم دخل من باب الشبارق دخولاً معظماً ، ولعبت الخيل برحبة الدار الكبير الناصري ، ودخل الشريف على الملك المنصور في الدار المذكور ، فأكرمه وعظمه وأعلا منزلته ، وطلب القضاة والعلماء

---

(١) في (ب) وقف . ومعنى قال : استراح في هَجْسر النهار.

والأمراء لحضور الضيافة فحضروا ، وكان يوماً معظماً ، أظهر فيه الملك المنصور التواضع والبر لذرية رسول الله ، ﷺ ، والقيام بواجب حقهم ، جزاه الله خيراً . ثم أنزله بدار المعاصر ، وأعطاه مالاً جزيلاً ، وحُبا جميلاً . ولم يزل عنده مجللاً محترماً إلى أن طلع الملك المنصور / إلى مدينة تعز، يوم الاثنين السابع عشر من الشهر المذكور . وخرج الشريف المذكور لوداعه.. فلما رجع منع من دخول المدينة ، كعادة الملوك في ذلك . ثم نزل الشريف بقرية النويدرة ، وأقام بها أياماً ثم توجه إلى بلده ، فجر يوم الأحد الثالث والعشرين من الشهر المذكور .

وفي أثناء إقامة الملك المنصور بمدينة زبيد، ثارت فتنة بين الكتّاب في شعبان بالمرافعة فيما بينهم. فكان الفقيه عبدالله الهبي، وعبدالرحمن بن الصديق المحالبي، والفضل بن علي دَغْشَر ، وسعيد الرَّصَاعة في حزب ، وبنو الأحمر وغيرهم في حزب. فرفع الهبي وأصحابه على الشرف الأحمر وأصحابه ، ومنهم الفقيه محمد الشجون ، أنهم أخذوا من مال السلطان أشياء مختلفة الأنواع ، فرسم عليهم [وأدبوا وعزلوا عن وظائفهم] [1][وغربوا عن أوطانهم][2]، وولي الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن إبراهيم العلوي ، والفقيه محمد الهمام في عمالة الديوان، وقاضي حيس الفقيه أحمد البجلي الاستيفاء .

ثم استدعى الملك المنصور بالقاضي شرف الدين أبي القاسم بن محمد الجلّاد ، من مدينة عدن ، فولاه وظيفة الاستيفاء بزبيد ، في أوائل ذي القعدة من السنة المذكورة ، / فهو على ذلك إلى وقتنا هذا لم يختل له نظام . ٢ / ١٠٤

وفي يوم الأربعاء ، التاسع عشر من ذي الحجة منها ، وقع بمدينة زبيد حريق عظيم ابتداؤه من حافة الداموت ، وانتهاؤه إلى مسجد فوفلة . واحترق فيه رجل يعرف بابن مُجَمّل[3] ، في المدرسة العفيفية ، ببرحة المندوب . وكان يوماً عظيماً . وهذه الحرقة تعرف عند أهل زبيد بحرقة العنب ، لكثرة ما احترق فيها من شجره .

وفي يوم الأحد ، العشرين من المحرم من سنة سبع وثمانين ، توفي الأمير

---

(١) [ ] جملة ساقطة في (د) .
(٢) [ ] الزيادة من (ج) و(د) .
(٣) في (هـ) فقط : محمد .

الشهاب أحمد بن فخر الدين السنبلي رحمه الله . وفي ليلة الاثنين ، الثاني عشر من شهر صفر منها ، توفي شيخنا الإمام العلّامة المعمر ، بقية السلف ، تقي الدين عمر بن محمد بن الفتا بن معيبد الأشعري ، عن سبع وثمانين سنة ، ولم يخلف بعده مثله في معرفة مذهب الشافعي . وله في المذهب مصنفات نافعة جليلة رحمه الله ونفع به .

وفي ليلة الثالث من شهر رمضان ، حصل بمدينة زبيد عند وقت الإفطار ، مطرة عظيمة كأفواه القرب ، وكان فيها برق عظيم وصواعق مفزعة . ولم يصلّ أكثر أهل زبيد التراويح في تلك الليلة .

١٠٥/١ وفي شوالها ، / قدم الملك المنصور إلى مدينة زبيد ، وفي صحبته الأميران عمر بن عبد العزيز الحبيشي ، ومحمد بن عيسى البعداني . وكان الأمير بحير بن محمد بن وهبان قد تجهز إلى البلاد الشامية ، قبل قدوم الملك المنصور بإشارته ، ومع الأمير بحير الأميران سليمان بن جياش السنبلي وهلال بن فهد المخلافي ، والقاضي جمال الدين المحالبي . وكان الشيخ أحمد بن أبي الغيث بن حفيص قد هرب إلى قرية أبي عريش ، من قرى جازان ، وأقام بها مدة ثم ألجأه القدر وعمى البصر حتى رجع إلى الزيدية مختفياً ، فظفر الله به . فأسره الأميران بحير وهلال بعد تعب عظيم ، وسياسة وسعي ، وتوجه به هلال إلى زبيد والملك المنصور إذ ذاك بها . فدخل به عاشر عشرة من أولاده وأقاربه ، على جمل ، حاسر الرأس مفرداً ، ضحى يوم الخميس ، مستهل ذي القعدة الحرام ، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً مشهوراً ، احتفل به الناس وانتعشوا من كل فج ، وخرجت العواتق والمخدرات والعجائز والرجال والشبان والأطفال للنظارة ، وهنأت الشعراء بذلك ،
١٠٥/٢ ولعبت الخيل سبعة أيام بكرة وعشية ، واستعملت الفرحة حتى أهل البوادي ثم أمر / الملك المنصور بإبدال قيودهم بأثقل منها ، وطلع بهم صحبته إلى تعز ، ودخل بهم إليها ، في أول ذي الحجة ، دخلة معظمة انتعش الناس لها من كل جانب ، ثم أودعهم دار الأدب بحصن تعز .

وفي أثناء إقامة الملك المنصور بتعز ، أغزى جيشاً على العبيد العامريين كانوا يقطعون الطريق ويخيفون السبل . وأمّر عليهم الاميرين عمر بن عبد العزيز وعلي بن محمد بن وهبان . فدخل ابن وهبان بلدهم ، وتوعر فيها ، فحمل عليه العبيد

وضيقوا عليه ، فقاتل قتالاً شديداً حتى قُتِلَ مع أكثر العسكر الذين معه ، في أوائل ذي القعدة .

وفي يوم الخميس ، الرابع عشر من الشهر المذكور ، كان سيل مكة المشهور ، أخرب أكثر بيوتها ، ودخل الحرم الشريف . فانغلق باب إبراهيم من شدة السيل ، فانسدّ طريق الماء ، وملأ الحرم الشريف ، وبلغ إلى قفل باب الكعبة المشرفة ، وحمل المنبر ، ومات من الغرق بالحرم الشريف زهاء مائة نفس ، وكان سيلاً عظيماً ما عهد مثله ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله .

وفي يوم الثلاثاء من شهر صفر سنة ثمان وثمانين ، توفي مؤذن مسجد الأشاعر عبد الرحمن بن محمد / المُحَنْكِل بزبيد ، وتولى وظيفته الفقيه يوسف بن الغزالي الجلال ، قبيل موته بأيام قلائل . ١٠٦ / ١

وفي الشهر المذكور منها عدا[1] الزيديون على الأمير هلال والقاضي شرف الدين الأحمر ومن معهما من الدولة ، فقتلوا هلالاً وابنه ، وفارساً من أهل التُّرَيْبَة ، وآخر من أهل الجبل ، وجرح الشرف الأحمر جراحات نحو الست لكنها غير مثخنة ، وسلمه الله تعالى وأفلت منهم ، فلحق بمدينة زبيد .

ولما بلغ الملك المنصور العلم بذلك ، وكان بالجبل ، ثارت حفيظته ، وجهز الأمير عمر بن عبد العزيز في عساكر عظيمة إلى الزيدية ، ثم تجهز هو بنفسه إليها بعده ، ونزل من الجبل ، ودخل زبيد في جمادى الآخرة ، وخرج إلى الزيدية مسرعاً ، ووقف في الضحي ، وأمر بنهب قرى الزيدية وحُرِّقَتْ بيت الفقيه ابن حشيبر وصاعل[2] ، وتلفت للزيديين جملة أموال وطعام كثير . ثم جعل الأمير سليمان بن جياش السنبلي مقدماً هنالك ، في عساكر كثيرة ، ثم رجع إلى زبيد .

وفي ليلة السبت ، مستهل جمادى الأولى ، منها انقض كوكب عظيم من المشرق ، آخذاً في المغرب والشام قدر أربع منازل وحصلت بعد ذلك رجفة عظيمة .

١٠٦ / ٢ وفي هذه السنة ، حج الأمير / علم الدين سليمان بن جياش السنبلي إلى مكة

(١) في (أ) : غزا .
(٢) في (ب) : بنا علي ؛ وفي (ج) : صباعل ؛ وفي قرة العيون : صباعلي .

المشرفة ، وزار قبر النبي ، ﷺ ، بإذن الملك المنصور له في ذلك وعاد في التي تليها سالماً غانماً .

وفي يوم الجمعة ، الثالث والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين ، احترقت سطور عجور ، بحافة الودن خارج باب القرتب ، وطار من العجور شيء إلى مدينة زبيد لشدة الريح ، فاحترق منها من باب القرتب إلى رباط الشيخ علي بن أفلح ، قريب من باب الشبارق .

وفي ليلة الخميس ، الثاني عشر من ربيع الآخر منها ، انقض كوكب عظيم الجرم من المشرق إلى المغرب ، وحصل في ظهر يوم الخميس المذكور زلزلة عظيمة ، بمدينة زبيد ، حتى اهتزت سقوف البيوت ، وخرج أهلها منها خائفين على أنفسهم ، وكذلك أهل الأسواق ، واستدام ذلك إلى غروب الشمس .

وفي الشهر المذكور ، توفي الشيخ أحمد بن أبي الغيث بن حفيص أسيراً بحصن تعز ، وأنزل وغسل وكفن وصلي عليه في جمع ثم دفن ، رحمه الله .

وفي آخر شهر رجب منها ، توفي الشيخ بحير بن محمد بن وهبان ببلده شرعب ، ودفن بها رحمه الله .

١٠٧/١ وفي شعبان منها، عمل الملك المنصور لولده مولانا جمال الدين محمد / عرساً معظماً ، وأظهر فيه من الآلات السلطانية والأبهة الملوكية ما يجل عن الوصف ، وعمل وليمة عظيمة ، ونثرت الدنانير والدراهم والخلع على سائر العساكر ، وكان ذلك بمدينة تعز .

وفي يوم الثلاثاء ، السادس عشر من الشهر المذكور ، توفي الفقيه عبد الله بن محمد الهُبِيّ رحمه الله ، وتولى أمر مسجد الأشاعر ونظره بعده الفقيه عبد الله بن أحمد العقيلي ، بإشارة العلّامة شمس الدين المقري ، مستهل شهر رمضان منها .

وفي السادس والعشرين من رمضان المذكور ، توفي الشريف الصالح تقي الدين عمر بن عبد الرحمن باعلوي ، صاحب الحمراء ، بمدينة تعز . فأمر الملك المنصور بتجهيزه ودفنه وأفراد قبره ، وأمر أن يبني على قبره قبة عظيمة ، فامتثل أمره

الشريف . وفي الشهر المذكور أخذ الملك المنصور بلاد ذمار قهراً بالسيف ، وأخرج منها ولد الشريف مطهر مقهوراً .

وفي شوالها، قدم الملك المنصور الى زبيد، يوم السبت السابع عشر منه ، وفي صحبته الشيخ عبد الله بن عامر ، وأخوه إبراهيم، والشيخ عبد الباقي بن محمد بن طاهر ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم خرج إلى الزيدية ولم يلق كيداً .

٢ /١٠٧| وفي ليلة الأحد ، ثامن ذي الحجة / منها، توفي شيخنا الفقيه المعمر شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم بن بكر ، رحمه الله .

وفي يوم الأحد ، العاشر من ربيع الأول سنة تسعين ، عمل الملك المنصور سماطاً معظماً بمدينة زبيد ، في الدار الكبير منها ، وحشد إليه وجوه الناس ، وأمر بقراءة مولد النبي ، ﷺ ، في مدرسته المباركة ، فقرىء ليلة الاثنين ، الحادية عشرة منه ، وكان القارىء له شيخنا القاضي جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري . وحضر القراءة الملك المنصور ، وشيخنا ، شيخ الإسلام ، وجيه الدين عبد الرحمن بن الطيب الناشري ، في جمع عظيم .

وفي هذه السنة والتي تليها ، حصلت في مدينة زبيد ونواحيها ، بل وفي سائر البلاد فيما قيل ، زلازل عظيمة ، وتواترت وكثرت ، وأشفق الناس منها اشفاقاً عظيماً ، حتى حصلت زلزلة في مدينة زبيد يوم جمعة بعد الصلاة ، اضطربت منها المدينة اضطراباً عظيماً ، حتى خرج أهل سوق الخان بزبيد منه لشدة الخوف على أنفسهم ، حفاة بغير أردية ، وتركوا خزائنهم مفتحة كما هي ، فيها أموالهم وتجارتهم ، والثياب مطروحة على مفارش خزائنهم ، وكان من في البيوت يسمع ١٠٨/١ على السقوف حركة / شديدة ، ولم يقدم إلى زبيد أحدٌ من ناحية ، في تلك الأيام ، إلا حدّث أنه وجد ذلك في البلد التي قدم منها ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

وفي ليلة الخميس العشرين من رمضانها ، توفي الأمير الشهير علم الدين سليمان بن جياش السنبلي ، بمدينة زبيد ، ودفن بمقابر أهله بمقبرة باب سهام ، وكان رحمه الله شجاعاً تقياً نقياً حافظاً لكتاب الله مواظباً على تلاوته ليلاً ونهاراً ، رحمه الله .

وفي يوم الخميس ، الثامن من شوالها ، توفي مولانا جمال الدين محمد بن

الملك المنصور بمدينة تعز . وكان والده حينئذ عنده فأسف عليه والده أسفاً شديداً ، إذ كان فيه من النجابة والشجاعة ما ليس في غيره ، رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ، الثاني عشر منه ، توفي الفقيه الصالح أحمد بن علي الفاضل ، رحمه الله .

وفي يوم الأحد ، الرابع عشر منه ، قدم مولانا صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب إلى مدينة زبيد ، في عسكر عظيم ، وفي صحبته ولدا عمه محمد بن داود ، وولدا عمه عبد الملك ، وخرج إلى الزيدية ، وحاصر الفئة الباغية منهم ، في حازة بلدهم ، وقطع عليهم الماء حتى أدوا الطاعة ، وسلموا مائة وثلاثين فرساً ، ٢ /١٠٨ وأربعين جملاً من الجمال / البحرية النفيسة ، وأربعين ألف دينار ، وأعطاهم ذمة وخرجوا من الحصار ، وأمرهم أن يسكنوا القرى القديمة من الخبت ، وأن لا يتديروا ببيت الفقيه ابن حشيبر .

وفي ليلة الاثنين ، الثاني والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الفضل بن علي دغشر . وكان مشد زبيد في الدولة المجاهدية ، واضطربت أحواله في الدولة المنصورية ، إلى أن مات في التاريخ المذكور رحمه الله .

وفي يوم الثلاثاء ، التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين ، توفي شيخنا ، الإمام العلّامة ، الصالح المعمر ، عفيف الدين عبد الله بن عمر بن جعمان ببيت الفقيه ابن عجيل ، رحمه الله ونفع به .

وفي ربيع الثاني ، أمر الملك المنصور بعمارة مسجد الأشاعر بزبيد . وكان قد أشرف على الخراب فعمر كما قدمنا أولاً ، جزاه الله خير الجزاء .

وفي يوم الجمعة ، الثامن من جمادى الأولى ، توفي القاضي جمال الدين محمد بن عبد القادر الناشري ، حاكم الشريعة ببندر الحديدة فجاءة ، بعد أن صلى الجمعة وصلى العصر بجامعها ، ثم ذهب إلى بيته فاضطجع على فراشه ومات ١/١٠٩ لفوره ، رحمه الله ، واستمر بعده / ولده عبد الله في وظيفته .

وفي الشهر المذكور ، خرج الشيخ إبراهيم بن عامر مغاضبا لابن عمه الملك المنصور ، إلى بلد بني حبيش ، فلزمه النقيب محمد الحفصي وأرسل به إلى

الملك المنصور ، فقيده وأودعه دار الأدب عند أخيه الشيخ يوسف ، بحصن رداع العرش ، فلم يزل به إلى تاريخنا هذا .

وفي هذه السنة ، خرج الأمير قاسم بن وهبان إلى بلاد الزيدية ، مقدماً فيها ، وتجاوز إلى مور ، وقهر العرب وعنف عليهم في الخراج ، فضاقوا منه . وتمالأ عليه الزعليون والصميون لّما خرج من مور إلى الزيدية ، فقتلوه في جماعة من عسكره يوم الخميس ، الثالث من شعبان ، وقتل معه الفقيه علي بن الطيب النجار ، الذي كان يدعي الوصول إلى علم الكيمياء . وكان الأمير المذكور قد جعله ناظراً على أوقاف المساجد والآبار هنالك ، وكان معه جماعة من الكتّاب والعبيد ، كالفقيه محمد الشجون ، والعفيف عبد الله بن حسين الشرعبي ، والشهاب الغصين ، والنقيب الوجيه بن إقبال ، وجماعة من العبيد ، فسلموا لكونهم لم يخرجوا معه . والملك المنصور إذ ذاك برداع العرش، / فلما بلغه الخبر نزل إلى زبيد ، فدخلها ظهر يوم الاثنين ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور . وكان قد أرسل الأمير الشجاع عمر بن عبد العزيز إلى الزيدية ، في عسكر عظيم قبل وصوله إلى زبيد ، فبلغ المذكور إلى واسط مور ، فأذعن الرعية للطاعة[1] ، وسلموا الخراج والخيل ، وأخذ الخراج من الواعظات والصميين والزعليين والزيديين ، وأدوا إليه أكثر من مائة رأس من الخيل ، فأرسل بها إلى الملك المنصور وهو إذ ذاك بزبيد .

٢/١٠٩

ولما وصل السلطان إلى زبيد أقام بها ، ثم قرىء بحضرته كتاب الشفا ، للقاضي عياض ، بالدار الكبير الناصري ، والقارىء له حينئذ شيخنا القاضي جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري ، وشيخ المجلس شيخنا شيخ الإسلام وجيه الدين عبد الرحمن بن الطيب الناشري .

وفي يوم الجمعة ، السادس عشر من رمضانها ، توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن طلحة الهتار ، المعروف بالمجتجب ، رحمه الله . وفي يوم الاثنين ، الحادي عشر من شوالها ، طلع الملك المنصور إلى الجبل من مدينة زبيد .

١/١١٠ وفي يوم الأربعاء ، العشرين منه ، توفي الفقيه جمال الدين / محمد بن علي الحداد ، صاحب الذراع ببلده ، رحمه الله ونفع به .] وفي يوم الخميس ،

---

(١) في (ج) و(د): بالطاعة .

الخامس من شهر ذي القعدة الحرام ، توفي شيخ الإسلام ، قاضي القضاة بمكة المشرفة ، برهان الدين إبراهيم بن علي بن ظهيرة المخزومي الشافعي ، رحمه الله ونفع بعلومه .

وتولى وظيفته بعده ولده ، القاضي جمال الدين أبو السعود ، في التاريخ المذكور][1]

وبعد طلوع الملك المنصور إلى الجبل ، أقام الأمير شجاع الدين عمر بن عبد العزيز الحبيشي بالبلاد الشامية مدة ، يتردد فيها ، ويجبي خراجها . وترك في بيت الفقيه ابن حشيبر كاتبين من قبله ، هما الجمال محمد أبو الفتح الأحمر ، والفقيه أبو القاسم بن علي راجح ، فأفحشا في الظلم والعسف ، فوثب عليهما أناس من بني غُبَيْق فقتلوهما قتلة شنيعة ، في العاشر من ربيع الآخر من سنة اثنتين وتسعين ، والملك المنصور إذ ذاك بمدينة تعز . فنزل إلى زبيد لما بلغه الخبر ، ودخلها عصر يوم الأربعاء ، التاسع من جمادى الأولى من السنة المذكورة . فلما علم الزيديون بوصوله إلى زبيد ، وأبو القاسم الشُّرياني إذ ذاك معهم حملوا هم والشرياني على الأمير عمر بن عبد العزيز ومن معه ، في بلاد الجرابح ،صبح يوم السبت ، الثاني عشر من جمادى الآخرة ، وعسكر الأمير قليلون . فانكسر الأمير وعسكره ، وهرب الأمير إلى بلاد الزعليين ، فوقف فيها إلى أن خرج الملك المنصور إليها ، في التاريخ الآتي ذكره .

٢/١١٠ وفي أثناء إقامة الملك / المنصور بزبيد ، جاء علم بموت أخيه شقيقه ، الشيخ عبد الملك بن داود ، ببلده جبن ، في آخر جمادى الأولى ، فصلى عليه بجامع زبيد ، وأقام العزاء به في مسجد الأشاعر ثلاثة أيام ، واجتمع العالم[2] لذلك ، وكان يحضر بنفسه ، رحمه الله ، ثم تصدق عنه بصدقة جليلة .

وفي يوم الثلاثاء ، سادس جمادى الثانية ، قصد الملك المنصور بلاد الزيدية ، في جمع كثيف ، وخيل كثيرة ، يقال إنها بلغت فوق الألف . فلما بلغ الزيدية لم يقم له أحد من أهلها ، فخربها ونقض ابنيتها وأحرقها ، ورجع إلى زبيد

---

(١) [ ] : هذه الزيادة وردت في (ب) فقط .
(٢) في (هـ) : الخاص والعام .

من غير قتال ، فدخلها ليلة الجمعة مستهل شهر رجب ، ثم طلع إلى تعز في سادسه ، ثم نزل إلى عدن ، ثم رجع إلى تعز ، ثم طلع إلى بلده بأهله ، منتقلاً إلى داره التي بناها بجبن التي كان يضرب بها المثل ، ويقال إنها اشتملت على ثلثمائة مقصورة .

وفي آخر يوم من شعبانها ، وقع إعصار عظيم فيما بين قريتي المدّبّ وخُلَب ، من ناحية جازان ، بحيث يراه أهل القريتين ، وفي رأسه نار تشتعل ، حتى وصل إلى أبيات من أعلى القريتين ، فوقع فيها فطيرها ، وأحرق أهلها ، وكانوا نحو أربعة ١١١/١ وعشرين نفساً ، ووقعت امرأة / منهم من أعلى الإعصار مفصلة ، وبقي منهم أناس احترق بعضهم ، وشلت أيدي بعضهم ، ولم يبق للبيوت أثر. ثم أخذ الإعصار في المشرق فأحرق الظباء ودواب كثيرة ، قطعهم أيضا . فنسأل الله العافية والسلامة .

وفي السنة المذكورة ، ألقى البحر بساحل أبين ، بحذاء قرية لَخَبَة ، دابة يقال لها العنبر ، طولها تسعة وعشرون ذراعاً ، وقيل بل ثلاثة وثلاثون ذراعاً ، جثّتها كالسفينة العظيمة ، وعرض جبهتها ستة أذرع ونصف ذراع ، وقب عينها يقعد فيه الإنسان ، فسبحان الخالق لما يشاء .

وفي يوم عيد الفطر ، توفيت الحرة ، أم الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب ، فاطمة زوج مولانا الملك المنصور ، ابنة عمه الملك الظافر عامر بن طاهر . وكانت من أهل الخير والصلاح ، والدين والصدقة والمعروف ، فكانت وفاتها بالدار المذكورة ، وعزّت بها القبائل ، رحمها الله تعالى .

وفي يوم الأحد ، العاشر من ذي القعدة منها ، حصل بمدينة عدن مطر عظيم ، وهاجت بعده ريح عظيمة ، انكسر بسببها مركبان ببندر عدن ، أحدهما لسلطان كنباية ، فيه أموال عظيمة ، وخلائق كثيرة ، هلك أكثرهم ، وتلف فيهما من ١١١ /٢ الأموال ما لا يحصى .

وفي يوم الثلاثاء ، الثاني عشر من ذي القعدة الحرام منها ، غرقت جلبة القحطاني وسفن كثيرة في البحر ، ببطن جابر ، بين الحديدة وكمران ، وهلك فيها من الأرواح والأموال ما لا يحصى ، وكثر الغرق في هذه السنة من الطور إلى الهند .

وفي الشهر المذكور ، قدم الشيخ أحمد بن محمد بن داود زبيد أميراً من قبل عمه في عسكر ضليع ، وأقام بزبيد ، [وأرسل العساكر إلى الأمير عمر بن عبد العزيز إلى الزيدية ، تقوية له][1] . ولبث بزبيد إلى شهر المحرم من سنة ثلاث وتسعين ، وخرج في اثناء مقامه بها إلى النخل والبحر . وفي ذي الحجة منها ، اعني سنة اثنين وتسعين ، توفي الأمير شهاب الدين أحمد الجبرتي بن جياش السُّنْبلي ، في المقرانة بلد الملوك بني طاهر ، رحمه الله .

وفي يوم الخميس ، منتصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث ، قدم الملك المنصور مدينة زبيد في عسكر جرار ، وولّى الشهاب أحمد بن عبد القادر السباك المعروف بالدَّبَج ، نظر الوقف والمساجد والمدارس بزبيد وأعمالها ، من تحت نظر شيخ الإسلام وجيه الدين الناشري ، وكان القاضي المذكور / هو الساعي في ذلك . ١١٢/١

وفي ليلة السبت ، السابع عشر من الشهر المذكور ، قصد الملك المنصور البلاد الشامية ، وفي صحبته ولده مولانا صلاح الدين ، وابن أخيه الشيخ محمد بن عبد الملك ، وولد الشيخ عبد الباقي بن محمد بن طاهر ، ووصل الشيخ عبد الله بن عامر من الجبل ليلة خروجهم ، فخرج معهم حتى بلغوا الزيدية ، وأقاموا بها مدة طويلة . وانحاز الزيديون إلى حازة بلدهم ، فمشى بينهم الصوفية والفقهاء في الصلح ، على مال وخيل يؤدونها ، وسلموا ذلك . فقوض خيامه عنهم ، وارتحل إلى زبيد ، ومر بالرماة واللاميين وغيرهم من العرب ، فقبض منهم نيفاً على سبعين فرساً ، ودخل بذلك زبيد صبح الجمعة ، السادس من جمادى الأولى ، في أبّهة عظيمة . فلبث بزبيد أياماً تصدق فيها بنحو ثلاثمائة أشرفي ذهباً ، وثلاثمائة مد من الطعام بالمد الزبيدي . وولّى الفقيه عيسى بن محمد الناشري قضاء مدينة حيس ، يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، بعد أن عزل الفقيه أحمد البجلي عن الوظيفة المذكورة ، لموجبات أوجبت ذلك / ثم رضي عنه ورده إلى وظيفته في شعبان من السنة المذكورة . ١١٢/٢

وفي هذه المدة ، قبض على القاضي جمال الدين محمد بن عبد اللطيف المحالبي ، وطلع به إلى تعز مقيداً ، ثم طلع إلى بلده في جمادى الآخرة .

---

(١) [ ] جملة ساقطة في (ب) .

وفي ليلة السبت ، التاسع من ربيع الثاني ، توفي شيخنا العلّامة المحدث ، زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الحنفي ، ودفن ضحى يومها بتربة شيخ الشيوخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ، رحم الله الجميع ونفع بهم .

وفي اليوم العاشر من جمادى الآخرة ، توفي الفقيه الإمام ، بقية المحدثين باليمن ، محي الدين يحيى بن أبي بكر العامري ببلده حَرَض ، ودفن بها . وكان من عباد الله الصالحين ، رحمه الله ونفع به . وفي ليلة الأربعاء ، السادس والعشرين من رمضانها ، توفي قاضي الحنفية بمدينة زبيد ، العلّامة رَضيّ الدين الصديق بن علي المطيّب ، رحمه الله تعالى .

وفي الحادي عشر من ذي القعدة الحرام منها ، حصلت ريح عظيمة انكسرت بسببها في بندر عدن ثلاثة عشر مركباً ، وفي الشحر وغيرها من البلاد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي الشهر المذكور ، احترقت حافة المصلى من مدينة زبيد ، وعم الحريق / بيوت بني مرزوق ، وعَرين البَوْقل ، وغير ذلك ولا حول ولا قوة إلّا بالله . ١ / ١١٣

وفي يوم الخميس ، منتصف شهر المحرم سنة أربع وتسعين ، قدم مولانا صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب مدينة زبيد ، وفي صحبته ابن عمه الشيخ أحمد بن محمد بن داود ، في خيل وعساكر كثيرة . ثم أمر العساكر بالخروج إلى الزيدية ، وأمّر عليهم الأمير محمد بن عيسى البعداني . فخرج ليلة الأحد الثامن عشر من الشهر المذكور ، فلبث في الزيدية إلى آخر شهر صفر ، ثم عاد إلى زبيد فدخلها دخلة معظمة ، بمال كثير وخيل كثيرة أداها الزيديون والعرب ، بعد أن قرر معهم رسوماً وقواعد ، ووفدت معه مشايخ العرب فدخلوا على مولانا صلاح الدين ، فأنعم عليهم وقرر أحوالهم . ومن جملة من دخل عليه أبو القاسم الشُرْياني ، فكساه كسوة جميلة . وتصدق مولانا صلاح الدين في هذا التاريخ بصدقات كثيرة ، واستدعى بالفناجرة من عدن ، فوصلوا ولعبوا لعباً كثيراً عجيباً ، وأطلق أولاد أحمد ابن أبي الغيث بن حفيص من القيود ، وقد كان نزل بهم في صحبته ، فكساهم وأنعم عليهم وصرف لهم خيلاً يركبونها ، / بعد أن توثق منهم بالإيمان والرهائن من نسائهم وأولادهم . ٢/ ١١٣

وفي مدة إقامته بزبيد ، أمر القضاة والعلماء بزبيد بعمارة ما تشعث من المدارس والمساجد ، فامتثلوا طائعين ، وعمرت كما رسم وأبرم ؛ أصلحه الله تعالى . ثم طلع إلى تعز يوم السبت السادس من ربيع الأول ، ثم طلع إلى جبن فاجتمع بوالده هنالك ، ثم مرض والده مرض الموت ، وذلك بالرياح التي كانت تعتاده في رجله ، فلم يزل عنده إلى أن توفاه الله تعالى عشية الثلاثاء ، السابع من جمادى الأولى ، ببلده جبن ، ودفن بها صبح يوم الخميس التاسع من الشهر المذكور ، وعظم به مصاب المسلمين . أدخله الله برحمته في عباده الصالحين ، وملكه أعلى مرتبة في عليين آمين ، آمين .

ومن مآثره الدينية ، المنصورية بمدينة زبيد ، وعمارة مسجد الأشاعر بها ، وزيادة جامع عدينة من تعز ، ومنبر الخطبة الذي نصبه في الزيادة المذكورة ليس له في اليمن نظير ، ومدرسة بالمقرانة ، وأخرى بجبن ، والبركة الصغرى بجامع زبيد ومرافقها ، ومدرسة عظيمة بمدينة خبان ، ومسجد بمدينة إب ، وما لا يحصى رحمه الله تعالى . / ١/١١٤ب

الباب العاشر

في ذكر دولة مولانا السلطان ابن السلطان واسطة عقد جيد الزمان إنسان العين وعين الإنسان صلاح الدنيا والدين قامع الطغاة والملحدين الإمام الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر أدام الله تعالى أيامه وأعلا بكلمة الحق أعلامه ولا زالت الأمور برأيه العالي منتظمة وسيوفه في رقاب أعداء الله وأعدائه محكمة

قال المؤلف ختم الله له بالحسنى، وبلغه غايات المنى: لما توفي مولانا الملك المنصور للتاريخ المذكور، أجمعت الأمة على ولاية ولده، الليث الصائل على أعدائه، والغيث الهامل على أوليائه، مولانا الإمام الملك الظافر، صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر. فحينئذ سكنت الأمور بعد اضطرابها، وكان هو أحق بالخلافة وأولى بها، وذلك بعد أن أوصى إليه والده بذلك وقرر له القواعد فتمت بيعته.

ولما تمّ له الأمر، أقام ببلده جبن ثلاثة أيام وقرر أحوالها، ثم انتقل إلى محروسة المقرانة، وأقطع خاله الشيخ عبد الله بن عامر البلاد الشرقية، فأظهر / الرضا والتسليم. ثم لما كثرت العساكر عنده والوافدون إليه ضاقت بهم المقرانة، وعزت الأقوات فيها، فانتقل إلى تعز فدخلها يوم الخميس السادس عشر من الشهر المذكور. فلبث بها خمسة أيام، ثم اتصل به العلم بأن أخواله الشيخ عبد الله ومحمداً وعمرَ نقضوا العهد، ودعوا إلى أنفسهم، واستخدموا الجيوش من يافع وأهل جبن وغيرهم، ووثبوا على ما نزل من بيوت جبن فانتهبوها، وأخذوا حصنها، وانتهبوا الدار التي بناها هنالك الملك المنصور التي كان يضرب بها المثل، وخرّبوا بعضها، وخرّبوا بيوت التجار بها، كبيت الدَّرَجَاني، وابن خلف، وبيت الشيخ عبد الملك بن داود، والقاضي عمر الجبني، والأمير محمد بن عيسى البعداني وانتهبوها، وأخربوا أكثر البيوت التي بأسفل جبن

(٢/١١٤)

وانتهبوها ، إلاّ بيوت مَنْ والاهم . فثارت حفيظته عند ذلك ، فحشد الجيوش الكثيفة ، وطلع إلى هنالك يوم الأربعاء الثاني والعشرين من الشهر المذكور في خيل كثيرة ، ورجال يزيدون على العشرين ألفاً ، مع ما انضم إليه بعد ذلك . فحط عليهم في الحصن المذكور ، يوم الأحد السادس / والعشرين من الشهر المذكور ، وجرت بينه وبينهم وقائع راحت فيها الأرواح من الفريقين . ١١٥/ ١

ولما وصل الملك الظافر إلى جبن ، نزل القاضي عمر بن عبد السلامْ عليه ، فلما سمع الشيخ محمد بن عامر بذلك أمر بنهب بيته فنهب ، وانتهكت حرمته ، ونهبوا له من الكتب ألفاً وخمسمائة كتاب من الكتب النفيسة .

وأما الشيخ عبد الله فهرب إلى جبل حَرِيْر[1] ثم إلى بلد يافع فتحصن فيها ، وقتل من أصحابه جملة ، وأسر من بين يديه ابن أخيه الشيخ داود بن أحمد بن عامر ونهب المال الذي في صحبته .

وفي ظهر يوم الأحد ، الرابع عشر من شهر رجب ، أمر الملك الظافر بإخراج أهل يافع من مدينة عدن ونفيهم ، فأخرج منهم نحو خمسمائة إنسان ، ما بين صغير وكبير . وكان المخرج لهم الشيخ محمد بن عبد الملك ، وهو إذ ذاك بها أميراً[2] من قبل ابن عمه .

ثم اتفق الصلح بين الملك الظافر وبين من بقي من أخواله بحصن جبن ، على أن يعطوا من مال عدن في كل عام أربعين ألف دينار ، ويُقْطعهم من البلاد جبل حرير والشُعِيب ، فرفع المحطة عنهم . وكانت أيام / المحطة المذكورة ، وهي الأولى ، خمسة وخمسين يوماً ، وكان الصلح على يد الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشي . ١١٥ / ٢

وفي يوم الأربعاء ، الثالث من شعبانها ، توفي الفقيه عبد الله بن أبي بكر بن خطاب ، إمام مسجد الأشاعر في وقتي الظهر والمغرب . واستمر نائباً عن أولاده أخوه أحمد في وظيفته .

---

(١) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص١٤١ هامش ٤ تحقيق محمد الأكوع .

(٢) كذا في النسخ والصواب : أميرٌ .

ثم أن الملك الظافر توجه إلى المقرانة ، ثم إلى رداع العرش ، لتفقد أحوال تلك الجهات . واتصل به العلم أن أخواله المذكورين نقضوا الصلح ، ونكثوا ايمانهم ، وهمّوا بما لم ينالوا . ونزل الشيخ محمد بن عامر ، والمنتصر العَرْبي ، وابن صاحب مرعيت إلى تعز ، في الثالث من رمضان . وكان جماعة من أهلها قد خامروا ورخصوا للشيخ محمد في أخذها ، فوصل الشيخ محمد ومن معه على غرة إلى تعز ، وفيها يومئذ شيخنا العلاّمة شمس الدين يوسف المقري بن يونس الجبائي ، فأمر الناس بالفطر والجهاد. فقاتلهم من لم يخامر ، فهزموهم . وقتل ابن صاحب مرعيت في جماعة ، ورجعوا خائبين ، وكان يوماً معظماً . وكان الأمير ١١١٦/١ عمر بن عبد العزيز إذ ذاك بتعز ، فخرج ولم يقاتل ، فاتّهم في ذلك. / ثم حصلت عليه مكائد كثيرة أفضت إلى غضب الملك الظافر عليه.والتعنيف[١] والهسف وغير ذلك . ثم قُيِّد يوم الجمعة ، العشرين من رمضان ، ببلد العَرْبيِّين بعد وقعة صُهْبَان الآتي ذكرها ، وأدخل السجن إلى التاريخ الآتي ذكره .

وفي يوم الأحد ، رابع رمضان ، توفي بزبيد رجل محذوب يعرف بعمر قُرَيْنع ، وعوام اهل زبيد تقول قُرَيْنا ، وأعظم الناس أمره ، فكان له مشهد عظيم . وقُبِرَ بمقبرة بني السنبلي رحمه الله تعالى .

وفي أثناء إقامة الملك الظافر برداع العرش ، وصله القاضي عبد العليم بن علي البريهي ، قاضي مدينة إب ، رسولاً من قبل أهل بعدان ، يخبره أن البلاد مضطربة وأنه لا يسكنها إلاّ وصوله إليها . [فنزل إلى مدينة إب ، ومر في طريقه على بلاد بني سيف قبلي مدينة إب][٢] فأخذ حصنهم بعدما قاتلوه، وقتل منهم جماعة ، ولزم آخرين ، ثم دخل مدينة إب يوم الأربعاء الحادي عشر من رمضان ، ثم خرج منها يوم الأحد منتصف الشهر المذكور إلى بلد صُهْبَان . وكانت بينه وبين خاله الشيخ محمد ، والمنتصر العَرْبي ، وقعة عظيمة تحت النجد الأحمر ، من ١١٦/٢ طرف بلد صهبان ، نصر فيها عليهم نصراً عظيماً ، واستباح جميع ما وجده / معهم من الأموال ، والذخائر ، والعدد ، والآلات وغير ذلك ، مما لا ينضبط بالحصر ، وقتل من عساكرهم ما لا يحصى ، وأسر منهم خمسمائة وأربعين رجلاً ، وذلك يوم الخميس التاسع عشر[٣] من رمضان . وكان الملك الظافر ، لما توفي والده ، أرسل

(١) في (ب) و(د) : التعسف .
(٢) [ ] : جملة ساقطة في (أ) .
(٣) في (ج) : السابع عشر

ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الملك إلى مدينة عدن وولاه أمورها ، فتوجه إليها ودخلها وأقام بها . وكان من جملة المخالفين مع الشيخ عبد الله بن عامر ، عبدُ الباقي بن محمد بن طاهر .

وفي يوم الثلاثاء ، العاشر من رمضان المذكور أيضاً ، وصل الشيخ عبد الباقي بن محمد بن طاهر المذكور إلى مدينة عدن ليأخذها ، ومعه نحو من مائة سلم قد أحضرها من لحج ، وذلك بعد أن دخل مدينة لحج وأخذ من رعيتها مالاً ، ولم يغير على أحد . فجمع الشيخ محمد جموعه ، والتقى الجمعان عند جبل حديد . فَهُزِّمَ الشيخ عبد الباقي يومئذ هزيمة وحشة ، ونُصِرَ عليه الشيخ محمد بن عبد الملك نصراً عظيماً ، وأخذ جميع ما معه من الذخائر والعدد ، ولم ينج إلاّ بنفسه بعد أن كسرت يده ، وأسر من عسكره قريب الأربعمائة ، وكان يوماً عظيماً . فكحل / بعض الأسرى وقطع بعضهم ورجع عبد الباقي خائباً . ١١٧ / ١

وفي يوم الجمعة الثامن من شوالها ، غزت عساكر الملك الظافر ، من زبيد ، وأهلُ التريبة والقرشيون المعازبةَ بقرية المَرِيِّ من رمع ، فقتلوا منهم نيفاً وعشرين رجلاً ، وقطعت رؤوسهم ودخل بها زبيد عشية الوقعة وفي يوم الاثنين ، الثاني عشر منه أيضاً ، ثارت فتنة عظيمة بزبيد . وذلك أن أحمد بن محمد المقرطس ، شيخ دار الضرب بزبيد ، وقابض أموال السلطان بها ، كان قد بايع جماعة من العسكر المقيمين بزبيد على قتل الأمير محمد بن عيسى البعداني . وكان له من الأمير المذكور مكانة كونه ، أعني المقرطس ، أخا زوجة الأمير شقيقها ، ولا يمنع عن الدخول على الأمير في أي وقت شاء . فدخل على الأمير في الدار الكبير ، صبح اليوم المذكور ، وليس عند الأمير سوى عبد في حاشية المجلس . فلما دخل على الأمير وثب عليه وأشار إلى رجلين من أهل مدِل دخل بهما معه أن يقتلا الأمير . فقال له الأمير : أعيب هذا يا أحمد . قال نعم . فأشار إلى العبد الذي في حاشية المجلس وأمره أن يقتل المقرطس ، فضربه بالسيف ضربة قطع بها عضده . فأفلت الأمير ، وهرب[1] / وأدهش من لقيه بذهب كان ينثره لهم ، حتى خرج من الدار . وقُتِلَ الرجلان اللذان دخل بهما صحبته . ١١٧ / ٢

ولما هرب ، اختفى بدار الضرب إلى نصف النهار ، فأنذروا به . فلما علم

(١) أي المقرطس .

بذلك ، خرج ليستجير ببيت الشيخ حسن بن أبي العباس الهتار . فواجهه ديواني في الطريق يقال له الشوكة ، فضربه بعود في رأسه فسقط عند باب حسن الأقطع ، وطعنه عبد آخر طعنات في صدره فمات ، وسُلِبَ ثوبُه ، وطرح في الطريق عرياناً . ثم أرسل الأمير من ستره ، وحمله إلى بيته . وغسل وكفن وصلي عليه وشيع في جماعة قليلين جداً ، ودفن عصر ذلك اليوم ، وكان يوماً معظماً ، طلع فيه الأمير بنفسه إلى فوق السطح بالدار الكبير ، واستغاث حتى سمعه من هو خارج المدينة ، وصاح بالعساكر ، فأقبلوا إليه وجمعوا[1] المفسدين ، وأغلقت أبوب المدينة ، وسكنت الفتنة . وقيد الأمير جماعة ممن كان قد بايع المقرطس ، ومنهم غُرامة بن حَيّان . واستجار جماعة منهم ببيت الشيخ الغزالي ، وقبضت خيلهم ، ثم خرجوا بالشفاعة مطرودين مهانين إلى بلادهم . ولم يأن الأمير على نفسه / أحداً من عساكره ١/١١٨ الذين معه ، فأرسل الخبر إلى السلطان واستمده جنداً . ثم أرسل إلى صاحب المصباح ، وهو يومئذ الفقيه جمال الدين محمد بن يحيى الجهمي ، فوصله مبادراً فسأله أن يستخدم له جنداً من أهل أصاب ، فطلع بسبب ذلك إلى بلده ، ثم نزل بخُمسمائة شفلوت [2]، ثم دخل بهم زبيد في أبهة عظيمة ، وعدَّة حرب قوية ، فأقاموا بزبيد نحواً من نصف شهر ، حتى وصلت العساكر المنصورة من قبل السلطان ، ثم فسح لهم الأمير فرجعوا إلى بلادهم شاكرين لمعروف الأمير وإحسانه وبره .

ثم بعد أيام ، كحل الأمير رجلين من الدوادارية هما داهم والحريري بلغه عنهما كثرة أذى ، وكانا مقيدين[3] في السجن . وكحل عبداً للامين ابن القاضي محمد بن أحمد الناشري ، كان حمل السيف للمقرطس عند دخوله على الأمير . ثم وقف الأمير بزبيد حازماً إلى أن استدعاه الملك الظافر ، فطلع إليه في ذي الحجة ، وواجهه بمدينة تعز ، وجعل عوضه بزبيد الشيخ عبد الباقي مَكْرَد بن عمر العجلمي أميراً ، فضبط أمورها وأحسن تدبيرها .

واتهم الأمير ، في هذه القضية أيضاً ، أحمد ابن الفقيه عبد الله العقيلي ،

---

(١) في (أ) : وجوه ، وفي (د) و(هـ) : حموه . والتصحيح من (ب) .

(٢) شفلوت تجمع على شفاليت ويراد بها المرتزقة من الفرسان وأهل الحرب .

(٣) في (أ) : مفسدين .

٢ / ١١٨ وبالغ / في ذلك وأغرى بهم حتى ضيق خاطر الملك الظافر ، فأمر بقبض بيوتهم وأراضيهم فتفرقوا شذر مذر ، وتمزقوا كل ممزق .

وفي يوم الجمعة ، سلخ شوال أيضاً ، توفي النقيب الوجيه بن محمد بن إقبال رحمه الله .

وفي ليلة الخميس ، الثامن عشر من ذي الحجة ، توفي الشيخ الكبير الصالح جمال الدين محمد بن المعروف الحكمي صاحب المَلِكة ، في قريته المذكورة ، وهي من قرى وادي رمع وأُخّر دفنه [ثلاثة أيام][1] ليحضره أهل القرى ، فحضر دفنه القاضي جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري ، والفقيه محمد بن أبي بكر الصائغ [وعبد الهادي السودي][2] وغيرهم ، ودفن بها ظهر يومها ، رحمه الله ونفع به .

وفي ليلة السبت ، السابع والعشرين من الشهر المذكور ، توفي شيخنا شيخ الإسلام ، وابن شيخه ، وجيه الدين عبد الرحمن بن الطيب الناشري ، رحمه الله ونفع به . وشغرت الوظيفة من بعده فلم يلها أحد . ثم ان الملك الظافر أمر الأمير محمد بن عيسى البعداني بالنزول إلى عدن ، فنزل إليها في طريق ، ونزل الملك ١ / ١١٩ الظافر إليها في طريق أخرى . فلما بلغ الملك الظافر إلى قريب منها، وقد دخلها / قبله البعداني ، والشيخ محمد بن عبد الملك إذ ذاك بها ، خرج الشيخ محمد من عدن للقاء الملك الظافر ، فواجهه إلى مكان يعرف بزبد البحر ، ودخلا معاً مدينة عدن فأقاما بها أياماً قلائل . وجاء العلم إلى الملك الظافر في هذه الإقامة أن خاله عبد الله أخذ حصن الشدف فتعب لذلك ، ثم جاءه علي بن محمد النظاري في يومه مبشراً برجوعه ، فسر بذلك سروراً عظيماً ، وأعطى البشير من المال ما قيل إنه كان سبب غناه . ثم طلع الملك الظافر وابن عمه الشيخ محمد إلى بلدهما ، ومرا في طريقهما على مدينة الجند ، وحصلت في هذه الأيام زلة للشيخ أحمد بن محمد بن داود أفضت إلى تقييده ، وإيداعه دار الأدب بحصن تعز إلى التاريخ الآتي ذكره . ولم تطل مدة البعداني بعدن بل عاجله الأجل ، فتوفي بها في أوائل شهر صفر من سنة خمس وتسعين .

---

(١) الزيادة من (ب) .

(٢) الزيادة من (ب) .

وفي ليلة الاثنين ، السادس والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الفقيه عبد الله بن أحمد العقيلي ، مترسماً في بيت النقيب الوجيه بن إقبال ، وحمل إلى عند ابنه ، وكان مستجيراً ببيت الشيخ الغزالي . فغسل وكفن / عنده ، وشيع في جماعة قليلين ، وصلي عليه ودفن بمقبرة باب القرتب ، رحمه الله ، بمشهد الفقيه أبي بكر الحداد نفع الله به .

٢ / ١١٩

وفي أول هذه السنة ، حصلت بين الملك الظافر وبين أخواله معارك ووقائع يطول شرحها ، نصر في أكثرها عليهم ، وتقابل هو وخالهُ عبد الله بمكان يقال له النَمِصة[١] ، فنصر عليه الملك الظافر نصراً عظيماً ، وقتل من أصحابه فوق العشرة ، وأخذ عليه ثلاثين فرساً قلايع ، ولم ينج إلاّ بنفسه ، ثم لازم الحصار على من بحصن جبن من أخواله ، من العشر الوسطى من شهر ربيع الأول ، وقتل من عساكرهم طوائف ، وقتل أصحابُ الشيخ عبد الله في أثناء ذلك الأميرَ شداد بن محمد العنسي ، بموضع يعرف بالرُّباعَتَين[٢] ، من ناحية جبن ، في أوائل شهر ربيع الآخر . وبعد قتل الأمير شداد المذكور باثني عشر يوماً ، غزا الملك الظافر وابن عمه الشيخ محمد بن عبد الملك ، من محطة جبن ، الرُّباعَتَين بناحية جبن ، وهو موضع يستجار فيه بتلك الناحية ، من دخله أمن على روحه وماله . فكان به يومئذ خاله الشيخ عبد الله بن عامر ، وابن عم أبيه عبد الباقي بن محمد بن طاهر ، / بأهليهم وأموالهم وذخائرهم . وقد ضاقوا من الحصار في جبن فاستجاروا هنالك . وكانوا يغيرون[٣] على أطراف المحطة المنصورة على جبن ، ويأوون إلى المكان المذكور . فأخذ الملك الظافر من أهل المحطة من كل قبيلة جماعة قد تخبرهم ، وغزا بهم المكان المذكور وأمرهم بقتل من وجدوه مخالفاً هنالك وأن لا ينتهبوا من الأموال شيئاً وإن ظفروا . فنصر الملك الظافر عليهم نصراً عظيماً ، وقتل منهم فوق السبعين ، وطرح بعضهم نفسه في الآبار ، وانهزم الشيخان عبد الله وعبد الباقي إلى بلد بَخَال[٤] هزيمة عظيمة ، ولزم الشيخ داود بن علي بن تاج الدين بن طاهر ، ومحمد بن عباس بن علي بن الحسام الزاهر ، صاحب الشوافي ، خال الشيخ

١ / ١٢٠

---

(١) هو موضع مستنقع كثير المياه والمراعي (قرة العيون ج ٢ ص ١٨٤هـ ٢) .
(٢) في قرة العيون : الرُّبَيْعَتَيْن (ج ٢ ص ١٨٤ هامش ٣) .
(٣) في (أ) : يغزون .
(٤) في (ب) نجال ، وكذا أيضاً في (هـ) .

يوسف بن عامر ، وأسرا ، ورجع الملك الظافر إلى محطة جبن منصوراً . وانتهب الناس المكان المذكور نهباً عظيماً ، فلما علم السلطان بذلك أمر بجمع ما نهب ، وإحضاره بين يديه ، وأخذ ما وجد عليه إسم بني طاهر من ذلك ، وأمر برد غيره على أهله ، وكان يوماً معظماً .

ثم استولى الملك الظافر على حصن جبن ، وخرج من فيه على الذمة ولم يغير على أحد منهم ، سوى الحرة أم الشيخ / يوسف بن عامر ، فإنه احتفظ بها إذ قيل إنها كانت السبب في إثارة هذه الفتنة . فكان تسلمه للحصن المذكور يوم الثلاثاء ، التاسع والعشرين من جمادي الأولى ، من سنة خمس وتسعين وثمانمائة . وكان مدة أيام هذا الحصار الثاني للحصن المذكور ، خمسة وسبعين يوماً . وكان الشيخ عبد الله يومئذ متغيباً بجحاف ، ولم يكن منه ولا من أخوته بعد ذلك كثير فعل ولا نكاية

١٢٠/٢

وفي ليلة الخميس ، الرابع عشر من ربيع الأول ، توفي إمام مسجد الأشاعر، الفقيه إسماعيل بن محمد بن ناصر . وفي ضحوة يوم الجمعة، السابع عشر من جمادى الأولى ، توفي صاحبنا الفقيه سراج الدين عبد اللطيف بن محمد ، ابن شيخنا زين الدين الشرجي الحنفي ، رحم الله الجميع .

ولما اشتغل الملك الظافر بحرب أخواله في الجبال ، عظم فساد العرب في تهامة . فقطعوا الطرقات وأخذوا الأموال ونهبوا القرى . فأرسل الملك الظافر ابن عمه ، الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الملك بن داود فدخل زبيد عصر الجمعة ثالث شعبان من السنة المذكورة ، في عسكر كثيف من الخيل والرجل، / وفي صحبته شيخ الإسلام يوسف بن يونس الجبائي المعروف بالمقري ، والفقيه جمال الدين محمد النظاري . ثم خرج الى نخل المدبي، يوم الاثنين سادس الشهر المذكور ، وقطع ثمره ، ثم ارتفع منه ليلة الأحد ثاني عشر الشهر المذكور ، إلى قرية المُرّة بلد الأشاعر ، ثم عزم إلى بيت الفقيه ابن عجيل فأقام شرقيها بقرية الكَدَحَة مدة ، وضيق على المعازبة ضيقاً عظيماً وحصرهم في حازة بلدهم ، وكان جماعة منهم يغيرون على القرى التي حول زبيد، ليرتفع عن محطته هنالك ، فلم يعبأ بهم . وخرج في أثناء ذلك ، من زبيد ، حاكم بيت الفقيه ابن عجيل إسماعيل بن علي الدملوي قاصداً بيت الفقيه ابن عجيل ، فلقيه ابن القُبَيْع ، في جماعة من المعازبة ، بخبتِ الملاحة ،

١٢١/١

وفي جماعة من أهل زبيد، فقتلوه في أواخر شهر شعبان، والشيخ محمد إذ ذاك على حصارهم حتى أدوا الطاعة وسلموا من الخيل نحو التسعين فرساً . ثم ارتفع عنهم ودخل اللامية وبيت الفقيه ابن حشيبر، فجبى خراجها وخراج الواديين سردد ومور، ثم رجع إلى زبيد منصوراً، فدخلها ضحى يوم الخميس ثاني شوالها، ولبث بها أياماً / ثم خرج غازياً للمعازبة ، فصحبهم بكرة . فقتل منهم فوق الأربعين واحتز منهم فوق العشرين ، ورجع إلى زبيد فدخل بالرؤوس عشية يوم الوقعة . وأقام بزبيد إلى ثاني ذي القعدة ، ثم طلع إلى تعز ، ثم إلى جبن ، بعد أن استدعاه الملك الظافر ، وكتب إليه بقصيدة من نظم البدر الصياحي يشوقه فيها إلى جبن ، ويخبره ، بصلاح أحوالها ، بعدما اتفق[1] عليها .

١٢١/٢

وفي يوم الاثنين ، العاشر من شعبانها ، توفي الشيخ عفيف الدين عبد الله بن إبراهيم الحكمي صاحب بيت العُقار ، بمدينة زبيد ، ودفن عصر ذلك اليوم بتربة سيدي الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ، رحمه الله تعالى ونفع به .

وفي شهر رمضان منها ، نزل الملك الظافر الى عدن ، وعيد هنالك عيد الفطر ، وجهز المراكب إلى الهند ، ثم طلع إلى بلده في شوال منها .

وفي السابع عشر من ذي القعدة منها ، غزا الملك الظافر من بلده إلى ذمار ومر في طريقه برداع العرش ، فأقام بها حتى اجتمعت عنده العساكر المنصورة من كل جهة. ثم توجه من رداع إليها، في يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة، / وحط عليها يوم الخامس والعشرين منه ، واستدام المحطة عليهم إلى سابع ذي الحجة ، وأخذها عنوة . ولما وصل إلى ذمار في عساكره المنصورة وحط عليها ، وكان أهلها قد بنوا سورها وحصنوها تحصيناً عظيماً ، وكان القائم في ذلك الشريف محمد بن علي الوَشَلي ، وهو رأس الخلاف ، خرج جماعة من أهلها لقتال العساكر المنصورة . فنصرت العساكر المنصورة عليهم ، وهزموهم هزيمة عظيمة . وقتل من خيار فرسانهم الشريف محمد بن الحسن ، من أهل الجوف ، في جمع عظيم ،

١٢٢/١

---

(١) في (ب) و(ج) : انفق .

واستقلع فرسه وأخرب العسكر المنصور دربها ، ودخلها الملك الظافر من موضع التخريب المذكور، وبصها، ورتب فيها وفي حصونها من يثق به من قبله . ثم دخل عليه أهلها، وسألوا الأمان والذمة، فأجابهم إلى ذلك واشترط عليهم تخريب ما بنوا من سورها ، فبادروا إلى ذلك . وكانوا في تخريبه كما قال الله تعالى : ﴿وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾ . ثم رجع إلى بلده ظافراً منصوراً ، وأقام بها إلى أن نزل إلى تعز ، ثم إلى زبيد فدخلها قبيل عصر يوم الثلاثاء الثامن من شهر صفر سنة ست وتسعين . وهي أول دخلة دخلها إليها / [بعد ولايته][1] وفي صحبته ابنا عميه ، الشيخ محمد بن عبد الملك ، والشيخ داود بن محمد بن داود ثم خرج بعد عصر يوم السبت ، الثاني عشر من الشهر المذكور ، قاصداً البلاد الشامية ، حتى دخل البلاد الزيدية . ودخل عليه جماعة من بني حفيص والزيديين ، وفيهم سالم بن قاسم الشُّرْياني فلزمهم وقيدهم لذنوب تواترت منهم ، وكانوا أحداً وثلاثين رجلاً ، وأرسل بهم قبله إلى زبيد . ثم غزا المعازبة من بيت الفقيه ابن عجيل ، وقتل منهم جماعة ، وحرّق قراهم ، ثم دخل زبيد ظافراً منصوراً . ١٢٢/٢

وفي مدة إقامته بزبيد ، أمر بعمارة القصر على باب الشبارق المسمى بدار السلا[2] ، فعمرعمارة عظيمة جيدة ، ثم طلع إلى تعز في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، واستخلف بزبيد الأمير شجاع الدين عبد الباقي مَكْرَد بن عمر العجلمي ، فما زال يغير على المعازبة ويأخذهم قليلاً قليلاً حتى خرج في ليلة الثلاثاء سادس شعبانها ، غازياً المعازبة فصبحهم بكرة يومها ، وهزمهم وقتل منهم نحو الخمسين ، واحتز من رؤوسهم نحو الثلاثين . ثم ان المعازبة اجتمعوا وحملوا على الأمير،فانكشف عنه أصحابه. فكر / على المعزبة مرة بعد أخرى، ثم رجع إلى أصحابه فلم يجدهم . فأحاط به المعازبة [احاطة الهالة بالقمر][3] ، وأمسك بطوقه رجل منهم فسقط إلى الأرض، فقتلوه وقتلوا من عسكره نيفاً على الستين، واستقلعوا من ١٢٣/١

(١) [ ] ساقطه في (ج) و(د) .
(٢) في (ب) : السلاح .
(٣) [ ] زيادة من (ج) و(د)

خيل الدولة جملة ، ثم دخل باقي العسكر بالرؤوس إلى زبيد آخر ذلك اليوم ، وكان يوماً عظيماً أوله له وآخره عليه .

وفي يوم الجمعة ، تاسع الشهر المذكور ، احترقت بيت الفقيه ابن عجيل احتراقاً عظيماً ، وأتى الحريق على جميعها إلا القليل النادر ، حتى قيل إنه لم يعهد مثله .

وفي يوم الاثنين، الثاني عشر من الشهر المذكور، غزا الزيديون القُحْرى في جمع عظيم وعدة قوية. فلما علم القحرى بذلك أخلوا البلاد لهم حتى تورطوا فيها ، ثم ثاروا عليهم وهم في بطن الخبت ، فانهزموا هزيمة عظيمة ، وقتل منهم عالم عظيم ، ومات من العطش والقتل منهم فيما قيل قريب من ألف إنسان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولبث العسكر أياماً بزبيد ليس لهم مقدم ، حتى أرسل الملك الظافر أخاه ، الشيخ عبد الملك ابن الملك المنصور عبد الوهاب إلى زبيد ، فدخلها يوم الاثنين الرابع من شهر رمضان ، وفي صحبته الأمير عمر / الجُبَني ومائة فارس. فاستقر ١٢٣/٢ الشيخ عبد الملك بزبيد ، وخرج الأمير الجبني بالعساكر إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، في شوال ، وأقام بها نحو شهر ، ووفدت إليه العرب ، فقرر أحوالهم وأدوا إليه جملة من الخيل .

وفي شوالها ، كانت المحطة المنصورة تحت حصن الظُّفُر، واستولى الملك الظافر على جميع ما هنالك ، وتقدم إلى مكان يعرف بالصفراء وأقام به أياماً ، وأخذ حصن ثَماد قهراً ، وقتل من أصحابه جماعة ، ثم حط على حصن عُمْقَيان[1] وحصره أياماً . وكان به يومئذ خاله الشيخ محمد بن عامر ، فقبض عليه كما سيأتي ذكره ، وتسلم الحصن المذكور في أول ذي الحجة ، وتسلم جميع ما كان بأيدي أخواله من الحصون ، ولم يبق في أيديهم سوى حصن الساقة وحصن المِعْفاري الآتي ذكر أحدهما ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا في النسخ إلا في (ب) : عقيان . وفي قرة العيون : عُمَيْقان وهو حصن في جبل جُحاف (ج ٢ ص ١٨٧هـ ٣) .

وفي هذه الأيام ، قدم الشهاب أحمد بن قيصر على مولانا الملك الظافر ، من الديار المصرية ، بمرسوم شريف خلعة شريفة ، وبسيف وخاتم ومروحة متوجة باسم أمير المؤمنين ، من الخليفة المتوكل على الله ، عز الدين أبي العز عبد العزيز / بن يعقوب بن المتوكل على الله العباسي ، فقابله بالإكرام والإنعام ، وأجازه بجوائز سنية هنية جزاه الله خيراً .

١٢٤ / ١

وفي أثناء إقامة الشيخ عبد الملك بزبيد ، في شهر ذي القعدة ، غزا الأمير شهاب الدين أحمد بن إسماعيل السنْبُلي عبيد لام[1] ، ودخل لهم إلى المواضع العسرة من حازتهم ، فأخذ دوابهم . وأراد الخروج بها فأخذت العبيد عليه بمجامع الطرق ، وقتلوه ، وقتلوا ولده ، وفارسين من أهل التَّرْبِيَة وجماعة من العسكر ، وأخذوا خيلهم . وكانت وقعة عظيمة بعد قتل مكرد .

وفي أواخر ذي القعدة منها ، قبض الملك الظافر على خاله الشيخ محمد بن عامر بجُحَاف، ، وأودعه دار الأدب برداع العرش ، عند أخويه ، فلم يزل به إلى تاريخنا هذا .

وفي أول ليلة من سنة سبع وتسعين، وهي ليلة الخميس، توفي الفقيه الصالح شرف الدين أبو القاسم ، ابن سيدنا وشيخنا برهان الدين إبراهيم بن أبي القاسم جعمان ، إلى رحمة الله تعالى ، ببيت الفقيه ابن عجيل ، وأسف عليه والده أسفاً شديداً . ولم تطل مدة والده بعده ، بل توفي إلى رحمة الله تعالى ، عشية الأربعاء ، التاسع عشر من شهر صفر من السنة المذكورة ، وعظم مصاب / المسلمين به . رحمه الله تعالى ونفع به وبأصوله وفروعه .

١٢٤ / ٢

وفي الشهر المذكور ، قدم الشريف رُمَيْثة ، أخو الشريف محمد بن بركات لأبيه ، على الشيخ عبد الملك ابن الملك المنصور بزبيد ، فأكرمه وأحسن نزله ، ثم سيره إلى أخيه الملك الظافر ، فواجهه بإكرام عظيم ، وإنعام عميم ، ثم رجع إلى زبيد [ثم خرج إلى الجهات الشامية ، وبلغ صنعاء فيما قيل ، ثم رجع إلى زبيد][2]، والملك الظافر إذ ذاك بها. فلم يزل عنده على الحال المرضي، حتى

---

(١) كذا في النسخ إلا (أ) : العبيد الحرّابة .

(٢) [ ] جملة ساقطة في (ج).

طلع الملك الظافر إلى تعز ، فاستأذنه الشريف في السفر إلى بيلول فأذن له ، وأعطاه مركوباً حسناً ، ومحملاً ومالاً عظيماً ، وتوجه إلى بيلول ثم إلى بلد التاكه ، ثم إلى مصر .

وفي جمادى الأولى من السنة المذكورة ، أخذ السلطان الملك الظافر حصن الساقة قهراً بالسيف .

وأما الشيخ عبد الملك ، فما زال مقيماً بزبيد ، سائراً بالناس أحسن سيرة ، منذ أرسله أخوه الملك الظافر إلى أن استدعاه ، في شهر ربيع الآخر . فطلع إليه إلى تعز ، وأقام عنده إلى أن نزل في صحبته إلى زبيد ، فدخلها يوم السبت ، منتصف شهر رجب ، وخرج غازياً المعازبة يوم الثلاثاء ثامن عشر من الشهر المذكور ، / وأقام ببيت الفقيه ابن عجيل مدة . ١٢٥/١

ومات ، في اثناء هذه المدة ، الفقيه محمد بن أحمد الأمين عجيل بزبيد ، في بيته بها ، يوم الأربعاء عاشر شعبان ، وحمل إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، وغسل بها وكفن وصلي عليه ودفن عند[1] سيدي الفقيه أحمد بن موسى عجيل ، رحمه الله تعالى ونفع بسلفه .

ثم أرسل الملك الظافر النقيب معوضة بن حيّان ، مقدماً في العسكر إلى نخل المدبي ، لقطع ثمره ، وارسل إلى زبيد للقاضي شرف الدين الجلّاد ليواجه النقيب المذكور إلى القرشية ، فخرج القاضي شرف الدين ، يوم الأربعاء السابع عشر من شعبان ، وواجهه وسارا معاً إلى نخل المدبي ، في عساكر عظيمة ، فقطع جميع ثمره ، ولم يُجَلِّل أحداً من ذوي المناصب ولا من غيرهم ، والملك الظافر إذ ذاك بقرية الكَدْحة ، شرقي بيت الفقيه ابن عجيل ، محاصراً للمعازبة في الهيجة بموضع يعرف بزِهب الدِّمن، شرقي الوادي رمع . ولما هلك مشايخهم وأطفالهم ، وتعبوا من الظمأ والجوع والانقطاع ، أذعنوا بالطاعة وطلبوا الصلح ، فصالحهم شفقة عليهم ، لكثرة من مات منهم ومن دوابهم ، فسلموا جميع ما معهم من خيل، / وكانت نحو الأربعين ، ثم ارتفع عنهم ودخل زبيد ، يوم الجمعة السادس ١٢٥/٢

(١) في (ب) : عند تربة سيدي .

والعشرين من شعبان ، ثم طلع إلى تعز في نصف رمضان ، بعد أن قرر أحوال الرعية وأنصفهم .

وأمّر في زبيد الشيخ طاهر بن شريف فسار بالناس سيرة حسنة . وأمرَ عند طلوعه ، بهدم مسجد الجامع وعمارته ، فهدم وعمر كما قدمنا في الباب السادس ، فجزاه الله أحسن الجزاء وبلغه غايات المنى .

وفي أوائل شهر شعبان من السنة المذكورة، توجه الشيخ عبدالباقي بن محمد ابن طاهر من مكان يعرف بعين بامَعْبَد، قريب مَيْفَعَة، إلى بلاد بَرْبَرَة، فلما علم الظافر بدخوله إليها ، بعث كتبه إلى ابن سعد الدين المجاهد ، وامره بحفظه عنده ، فأرسل له المجاهد مِنْ ذَكَرَ إلى بَرْبَرَة مَنْ قبضه ، وتوجه به إليه ، يوم الثالث من رمضان ، فأقام عنده أياماً ، ثم نزل عليهم عسكر الحطي فحضر الجهاد معهم ، وقاتل وأبان عن فراسة وشجاعة وشدة بأس ، فأكرمه ابن سعد الدين وفسح له بالرجوع إلى بلده واستقر ببلد يافع .

وفي ذي الحجة منها ارتفعت الأسعار بمدينة زبيد .

١٢٦/١ وفي آخر يوم من السنة المذكورة،أصبحت امرأة مقتولة خنقاً بحائط / المَنْظَرة ، واتهم في قتلها جماعة من بني إقبال وأرحامهم . فطلع بسبب ذلك النقيب الصديق ابن الوجيه إقبال في جماعة من أهله ، وواجهه السلطان ببيضا حَصِي ، والسلطان إذ ذاك مثاغر لأهلها . ومات النقيب المذكور هنالك ، أول يوم من ربيع الأول سنة ثمان وتسعين . ثم وصل كتاب الملك الظافر بإطلاق المتهمين ، وكان الشيخ طاهر بن شريف قد رسم عليهم ، فأطلقوا بالضمناء ، يوم الخميس التاسع من ربيع الأول .

وفي يوم الأحد السابع عشر من الشهر المذكور ، تسلم الملك الظافر حصن المِعْفاري ، المشهور بالمنعة ، وذلك بعد أن خرج منه جمع كثير من يافع ، يريدون الهجوم على محطة السلطان ، وهو إذ ذاك على حصار أهل بيضا حصي . فلما علم السلطان بذلك ، أرسل من عساكره جماعة يأخذون لهم بمجامع الطرق ، فلما التقى الفريقان كانت الصولة لعسكر الملك الظافر ، فَقُتِلَ من يافع فوق المائة ، وأُسِرَ مثل ذلك . وكان تسلم الحصن المعفاري على يد الشيخ عفيف الدين عبد الملك ابن

الملك المنصور ، صنو أمير المؤمنين، والوفقيه الناصح جمال الدين محمد بن محمد
١٢٦/٢ النظاري . /

وفي يوم الأحد ، التاسع عشر من ربيع الآخر ، أخذ الملك الظافر حصن مدينة بيضا حصي ، المسمى بشمّر جناح ، قهراً بالسيف ، وهو حصن عظيم مشهور بالمنعة ، به انقطعت مادة الخلاف في البلاد الشرقية ، وذلك بعد أن لازم المحطة عليهم بنفسه ، وفي صحبته ابن عمه الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الملك ، في عساكر عظيمة ، من اليوم العشرين من ذي الحجة ، في السنة التي قبلها ، إلى التاريخ المذكور . وقبض على علي بن مزاحم ، وقتل أبا بكر بن مزاحم في خلائق منهم ، وأخرب المدينة وحصنَها بالمنجنيقات ، فلما علم أهل حصن مفلحة وحصن الكلب وحصن رداع الحرامل بقبضه لحصن البيضا ، سلموا حصونهم بالرضا منهم .

وفي أوائل هذه السنة ، ثارت فتنة بين القرشيين بني أبكر ، سكنة القرشية ، وبني علي ، سكنة الرويّة . وما زال القتل بين الفريقين حتى نزل الشيخ إبراهيم بن أحمد الهَبَل القرشي ، شيخ بني علي ، من عند السلطان من الجبل ، وقد قتل بنو أبكر رجلاً من بني علي يعرف بيحيى بن عفيف غراب . فلما كان يوم ثالث موته ، وهو الخميس رابع جمادى الأولى، غزا الشيخ ابراهيم ببني علي / وجميع من جاء ١٢٧/١ للعزاء بالمذكور ، ضحوة ذلك اليوم ، بني أبكر ، إلى قرية القرشية ، ودخلوها وقتلوا من بني أبكر أربعة جماعة ، واستقلعوا خيلهم . ثم ثار بنو أبكر على بني علي من كل جانب ، فهزموهم هزيمة عظيمة ، إلى قرية التحتيا ومسجد الزَّبَد ووادي خُلب ، وقُتِل من القرشيين ، خاصة من بني علي وبني عبد الله والأعليين ، ثلاثون نفراً ، ما عدا غيرهم من أهل المسلب والتحتيا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي ليلة السبت ، السابع والعشرين من جمادى الأولى ، عمل الملك الظافر لأخيه الشيخ عبد الملك ابن الملك المنصور عرساً معظماً ، أظهر فيه من الآلات السلطانية ، والأبهة الملوكية ، ما يبهر العقول ، ونثرت الدنانير والدراهم على سائر الناس .

وفي ضحى يوم الأربعاء ، السادس عشر من جمادى الآخرة ، غزا

القرشيون ، سكنة الروية ، بني أعليّ ومن والاهم من الشكارية والمُضَريّين وغيرهم ، بني أبكر ، إلى قرية القرشية ، وتقابل الفريقان بولدي عجي . فقتل من بني أبكر ثلاثة نفر . ثم ثاروا على بني أعليّ من كل جانب ، وكانت فيهم وفي أتباعهم هزيمة عظيمة ، بلغت القتلى فيهم فوق الخمسين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

١٢٧/٢ وفي يوم السبت، السادس والعشرين من جمادى / الآخرة، أُطلِق الأمير شجاع الدين عمر بن عبد العزيز الحبيشي من السجن والقيد ، ونقل من دار الأدب ، بالمقرانة ، إلى بيت النقيب ريحان ، بالقرب من دار السلطان ، وأنعم عليه السلطان ، ورضي عنه،وكساه من ملابسه وكسا أولاده وهم إثنا عشر نفراً . ووصل العلم بذلك مع المبشرين إلى زبيد ، آخر يوم السبت ثالث شهر رجب الحرام .

وفي ضحى يوم الخميس ، سلخ رجب المذكور ، سقط جدار دار اللطيفي الغَرْبي[١] بزبيد ، وتحته منزله هنالك ، فهلك تحت الردم ، من الآدميين ، أربعة أنفس ، ومن الجمال سبع ، ومن الحمير ، فوق الخمسين ، وكانت عظيمة .

وفي يوم الثلاثاء ، تاسع شهر شعبان ، قدم الأمير شمس الدين علي بن محمد بن عيسى البعداني إلى مدينة زبيد ، وأقام بها يومين ، وخرج منها عشية الخميس الحادي عشر[٢] من الشهر المذكور ، إلى نخل المدبي ، وقطع ثمرته جميعها . ثم رجع إلى زبيد فدخلها يوم الثلاثاء ، الثالث والعشرين[٣] من الشهر المذكور ، وأقام بها إلى ليلة السبت ، السابع من رمضان ، ثم طلع إلى الجبل على طريق حيس .

وفي هذه السنة ، افترق أهل مدينة زبيد في عيد الفطر فرقتين ، فرقة افطرت ١٢٨/١ يوم الاثنين، وفرقة افطرت يوم / الثلاثاء، لاختلاف الحكام بها .

وفي ضحى يوم السبت ، التاسع عشر من شوال ، توفي العلّامة ، مفتي مدينة تعز ، بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصياحي.وكان شاعراً مفلقاً ، إماماً في علم

---

(١) كذا في النسخ وليس الغَرْبي

(٢) في (ب) : الحادي والعشرين .

(٣) في (أ) و(د) و(هـ): السادس والعشرين . والخطأ بين ، لأن الثلاثاء يقع اما السادس عشر ، واما الثالث والعشرين ، بناء على ما ذكره المؤلف من أن الأمير قدم يوم الثلاثاء ، تاسع شهر شعبان .

الحساب والجبر والمقابلة والفرائض . وله في علم النحو والفقه مشاركة جيدة ، وكان قد اتحد بالملك الظافر ولازم بابه ، رحمه الله تعالى .

وفي صبح يوم الأحد ، ثالث ذي القعدة الحرام ، قُتِلَ النقيبُ دَرْبوسَن ، عَبْدُ الملك المنصور عبد الوهاب ، ببندر الحديدة ، وكان فيها مقدماً . قتله أحد عبيد بني موسى ، بسيف ابن الشيخ علي بن عمر الثابتي . ثم شنق قاتله ثاني قتله ،وقُيِّد في زبيد الشيخ الصديق بن يحيى والشيخ علي بن عمر الثابتيين ، وكانا حال قتله بزبيد . ثم أطلق الشيخ الصديق بن يحيى لتحقق براءته عن المشاركة بالعلم في ذلك ، ثم أطلق بعده بمدة علي بن عمر .

وفي الشهر المذكور ، أمر السلطان بعمارة ما خرب من سور مدينة زبيد وتحصينها ، فابتدىء في ذلك يوم الاثنين الثاني عشر من الشهر المذكور .

وفي يوم السبت التاسع والعشرين من شهر محرم الحرام ، أول سنة تسع وتسعين ، توفي الفقيه جمال الدين محمد الزَّيْن ابراهيم بن عمر بن / مظفر، ١٢٨/٢ رحمه الله تعالى ، بزبيد . وفي ليلة الثلاثاء ، سلخ شهر صفر ، توفي بزبيد القاضي جمال الدين محمد بن عبد اللطيف المحالبي ، رحمه الله تعالى .

وفي ليلة الجمعة ، الثالث من شهر ربيع الأول ، قدم الملك الظافر إلى زبيد ، وعرّج عن دخول المدينة ، وفي صحبته ابن عمه الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الملك ، وعبد الله بن أحمد بن عامر ، وداود بن محمد بن داود ، وداود بن علي بن تاج الدين ، والأميران عمر بن عبد العزيز الحبيشي ، وعلي بن محمد البعداني ، وحط بقرية الزريبة ، وغزا المعازبة من هنالك فصبحهم بكرة يوم الجمعة ، فأباد منهم جمعاً ، ونهب ما معهم من المواشي والأموال ، ثم رجع إلى زبيد ، ودخلها عشية السبت رابع الشهر المذكور ، ومكث بها إلى يوم الخميس عاشره ، ثم خرج إلى البلاد الشامية .

وفي صبح يوم الثلاثاء ، منتصف شهر ربيع الأول ، توفي بزبيد قاضي لحج الفقيه عيسى بن محمد الناشري رحمه الله تعالى .

وفي شهر ربيع الثاني من السنة المذكورة ، رضي الملك الظافر عن الفقيه

أحمد بن عبد الله العقيلي ، وعطف عليه وأمنه ، ورد له جميع ما كان أخذ له
١٢٩/١ / ولأبيه ، وأعطاه مالاً جزيلاً .

وفي ضحى يوم السبت ، ثامن جمادى الأولى ، قدم مولانا السلطان من الجهات الشامية إلى مدينة زبيد ، ودخلها في أبهة عظيمة ، وجمال زايد ، والخيل المقبوضة من العرب تقاد قدامه ، وعدتها نيف على مائتين وعشرين فرساً ومن الجمال البحرية النفيسة نيف على الثلاثين ، وقبض منهم أموالاً جمة ، وأباد منهم أمما لا تحصى .

وفي ليلة يوم دخوله ، توفي الرضي الصديق بن علي الخياط ، وزير صاحب جازان أحمد بن دريب . وكان قدم من عند الشريف المذكور رسولاً إلى مولانا السلطان بهدية له ، وهي ست رؤوس من الخيل الجيدة المكملة ، فمات في الطريق بين بيت الفقيه ابن عجيل وزبيد قبل مواجهة السلطان ، فأسف عليه السلطان كثيراً [إذ كان في كتب الشريف إلى السلطان ، وعلى لسان الصديق الخياط ، مما يحققه لكم كفاية][1]. فأمر مولانا السلطان بتجهيزه ودفنه ، فدفن قريباً من ضريح سيدي الشيخ أحمد الصياد ، قدس الله روحه ، عند مقابر أهله من باب سهام ، فقبض مولانا السلطان الهدية وأثاب عليها الشريف المذكور ثواباً حسناً جميلاً .

١٢٩/٢ وفي يوم الثلاثاء، الحادي عشر من الشهر المذكور، / قدم بالشيخ يحيى بن الصديق بن يحيى الثابتي ، من البلاد اليمانية مقيداً إلى باب مولانا السلطان ، وكان توجه من بلاده الحديدة إلى عدن مسافراً ، فلزمه بباب المندب ضامن البلاد عمر العقد ، وقيده وأرسل به إلى مولانا السلطان ، أيده الله تعالى .

وفي يوم الجمعة ، الرابع عشر من الشهر المذكور ، عزل مولانا السلطان الفقيه الخطيب عبد المنعم الضِّجاعي وأولاده ، عن وظيفة خطبة الجمعة بزبيد ، لهفوة حصلت من ابنه موسى[2] . واستمر في وظيفته المذكورة الفقيه أبو القاسم بن

(١) كذا في النسخ والمعنى غير واضح . وفي (أ) وضع الناسخ علامة تدل على أن هنالك عبارة ساقطة ولكنه لم يضعها في الهامش .
(٢) في قرة العيون : « منه ومن ابيه موسى » (ج ٢ ص ١٩٠).

عبد الرحمن الدِّبر، خطيب الحديدة ، وكان قدم إلى زبيد متعرضاً لمعروف السلطان فأمّره في ذلك يوم الخميس ، العشرين من الشهر المذكور ، وخلع عليه خلعة نفيسة واعطاه مالاً جزيلاً ، وكتب له بالجلالة والاحترام والتشريف والإنعام .

وفي يوم الجمعة المذكور ، وقف مولانا السلطان ، أيده الله تعالى ، جميع ما دخل في مسجد الجامع من بنيانه ، من الطين والآجر والأخشاب والحديد وغير ذلك، بحضرة العلاّمتين الفقيه كمال الدين موسى بن زين العابدين الرداد، / والفقيه شهاب الدين أحمد بن عمر المزجّد ، وفوض إلى الفقيه الصالح عمر بن محمد بن جعمان التدريس في الجامع المذكور ، في وظيفة الفقه ، وإلى الفقيه أحمد الزبيدي ، وكان قد قدم من مكة متعرضاً لمعروف مولانا السلطان ، تدريس القراءات السبع في الجامع المذكور .

١٣٠/١

وفي يوم السبت ، الثاني والعشرين من الشهر المذكور ، خرج الأمير علي بن محمد البعداني من زبيد لقطع ثمرة نخل المدبّي ، فقطعه وجمّر بعض اصوله ، ورجع إلى زبيد ، فدخلها يوم السبت ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور .

وفي ليلة الأربعاء ، الرابع من جمادى الآخرة ، توفي الفقيه جمال الدين محمد بن جار الله العطري ، بمدينة زبيد ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح بمسجد الأشاعر ، وحضر الصلاة عليه مولانا السلطان ، ثم شيعه جميع أعيان الدولة ، في جمع عظيم من أهل زبيد ، ودفن قريباً من مشهد الشيخ أحمد الصياد ، ضحى يومها ، رحمه الله .

وفي ضحى يوم الخميس ، الخامس من الشهر المذكور ، أمر مولانا السلطان بقطع أيدي أربعة نفر وأرجلهم خلاف ، وكانوا أكثروا الفساد في البلاد ، وهم الشيخ السراج بن الخاص الحمراني، والصديق / ابن الفقيه علي الحوايجي ، وفتوح بن اسماعيل المحمري ، ومحمد بن البيطار الندّاف . فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، كما أمر ، نصره الله تعالى .

١٣٠/٢

وفي يوم الاثنين ، تاسع الشهر المذكور ، ولّى الملك الظافر العلاّمة شهاب الدين أحمد بن عمر المُزجّد بزبيد ،بقضاء مدينة عدن ،وعزل الفقيه القاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط عن الوظيفة المذكورة .

وفي ذلك اليوم وقف مولانا السلطان لمصالح الجامع المبارك الذي أنشأه بمدينة زبيد أرضاً نفيسة تعرف بأم الرزق مَغَلُّها في كل سنة مائة مد زبيدي ، وأراضي أخرى غيرها ، ورتب في المسجد المذكور ثلاثين درسياً يقرأون القرآن العظيم خلف كل صلاة ، ويدعون بإيصال ثواب ذلك إلى والديّ[1] مولانا السلطان ، ويدعون له بالتوفيق والثبات ، والنصر والظفر ، والبر والإحسان ، وجعل في الجامع المذكور ثلاثة خدام يقومون بخدمته ، وأمر أن يفرش جميعه ولا تطوى فرشه ، وجعل نظر ذلك إلى العفيف عبد الله بن حسين الشرعبي . وعزل الشهاب الدّبج عن النظر في المسجد المذكور . تقبل الله منه وضاعف ثوابه .

١٣١/١ وفي عصر / يوم الثلاثاء ، عاشر جمادى الآخرة ، طلع مولانا السلطان إلى مدينة تعز ، على طريق حيس ، وفي صحبته القاضي أحمد بن عمر المزجد ، وولّى بمدينة زبيد [الشيخ شمس الدين][2] علي بن شجاع العنسي الأحكام السلطانية ، بعد قدوم المذكور من بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، فضبط البلاد وأحسن تدبيرها [وسياستها][3] .

وفي يوم السبت ، الرابع عشر الشهر المذكور ، توجه الشيخ رضى الدين الصديق بن يحيى الثابتي إلى بلده الحديدة ، متولياً أمورها من قبل مولانا السلطان ، خلد الله ملكه ، وذلك بعد أن رضي عنه ، وعطف عليه ، وأنعم وأعطاه مالاً جزيلاً ، وترك الشيخ الصديق ولده يحيى بزبيد على سبيل الرهينة .

وفي يوم الخميس ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، خرج الأمير الشريف عفيف الدين عبد الله بن علي بن سفيان إلى الجهات الشامية ، متولياً أمورها من قبل مولانا السلطان ، فضبطها وأحسن تدبيرها ، وأحبته العرب حباً عظيماً لحسن سيرته وعدله .

---

(١) في (ب) : والد .
(٢) ساقطة في (أ) .
(٣) ساقطة في (أ) و(هـ) .

وفي عشية يوم الخميس من شهر رجب ، توفي الفقيه كمال الدين موسى بن
١٣١/٢ أحمد الناشري ، إلى رحمة الله ، بسبب صاعقة ، / حصلت عقب مطر في ذلك اليوم ،
مات بها الفقيه المذكور وولده علي ، فلم يعرف السابق منهما ، وكانا مفترقين كل
واحد منهما في مكان ، ودفنا صبح يوم الجمعة ، وشيعهما جمع عظيم ، ولم تبق
عين غير باكية عليهما ، رحمهما الله تعالى .

وفي عصر يوم الخميس ، الثامن عشر من الشهر المذكور ، توفي بزبيد السيد
الشريف ، وجيه الدين عبد الرحمن بن احمد باعمر علوي إلى رحمة الله ، ودفن
صبح يوم الجمعة ، التاسع عشر منه ، وكان له مشهد عظيم ، رحمه الله ونفع به .
وكان المذكور رجلاً صالحاً ، مواظباً على الصلوات الخمس بمسجد الأشاعر ، كثير
الصدقة والإطعام ، رحمه الله .

وفي يوم الخميس ، الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، قدم القاضي جمال
الدين محمد بن حسين القماط إلى زبيد ، من مدينة عدن ، وحصل بوصوله الأنس التام ،
والسرور العام ، واجتمع شمله بأهله ، وكان يرى ذلك من نعم الله وفضله .

وفي يوم السبت ، السابع والعشرين من الشهر المذكور ، أغزى الأمير
الشريف عبد الله بن سفيان طائفة من عسكره ، وهو إذ ذاك مقيم ببيت الفقيه ابن
١٣٢/١ عجيل ، على بني مسعود والمعازبة ، لذنب حصل منهم ، / فقتلوا من المعازبة جمعاً
فوق العشرة ، وأسروا منهم اثنين ، ودخلوا بالرؤوس إلى مدينة زبيد آخر يوم
الاثنين ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور .

وفي السادس من شوالها ، تسلم مولانا السلطان حصون الجحادر ، وهي
العروسين والنبيلة والذيل والشرنمة وذخر والحدة وأكمة قيراط ، فقبضها وتصدق على أهلها
بمال جزيل .

[وفي شهر شوال المذكور ، ولدت امرأة بقرية المنصورية ، من بلاد
اللامية ، مولوداً عجيب الخلقة : عيناه في جبهته ، وحاجباه من تحتهما ، وله مثل
فم الكلب ، ولم يكن له أنف إلاّ جحران ، ويداه مثل يد السبع ، وعليهما شعر
أسود إلى المرفقين ، وكفاه مثل كف القرد ، ولا فرج له ولا ذكر ولا دبر ، بل هو
ممسوح . ولم يعش إلاّ ساعة من النهار او دونها فسبحان الخالق لما يشاء][1] .

(١) جملة ساقطة في (أ) فقط .

وفي أوائل ذي القعدة منها ، خرج الأمير علي بن شجاع العنسي من مدينة زبيد غازياً المعازبة ، لذنب حصل منهم ، ونقض . وأقام بقرية البدوة ، من الوادي رمع ، يشن الغارات على المعازبة هنالك . وغزاهم من بيت الفقيه ابن عجيل الشريف عبد الله بن سفيان غزوات متعددة ، نال فـيها منهم . ولم يزل كل واحد من الأميرين المذكورين مقيماً بمكانه ، حتى انتظم الصلح بينهم وبين العرب . ثم دخل الأمير علي بن شجاع إلى زبيد . ثم خرج منها في ذي الحجة إلى بيت الفقيه ابن عجيل لقبض خراجي البلاد . وتقدم الشريف عبد الله إلى اللامية ، ثم وردت كتب السلطان إلى الأمير علي بن شجاع يأمره بالارتفاع إلى ١٣٢/٢ مدينة زبيد، وجعل وجه قبض الخراجي / إلى الشريف عبد الله بن سفيان ، فامتثل الأمر الشريف ، ودخل إلى مدينة زبيد ، ولم يحصل من العرب بعد ذلك خلاف .

وفي أول المحرم سنة تسعمائة ، أمر السلطان الملك الظافر بإصلاح ما تشعث من الدار الكبير الناصري ، وعمارة ما يحتاج إلى عمارته ، فابتدىء في ذلك سابع الشهر المذكور ، على يد المعلم[1] علي بن حسن المعمار .

وفي يوم السبت ، ثامن الشهر المذكور ، توفي الفقيه المفتي محيي الدين يحيى بن محمد الصامت الناشري ، رحمه الله تعالى .

وفي ليلة الأربعاء ، التاسعة[2] والعشرين من الشهر المذكور ، توفي شيخنا العلّامة سراج الدين عبد اللطيف بن موسى المشرع عجيل ، نفع الله به ، وكثر الأسف عليه ، إذ كان نفعاً لجميع المسلمين ، ودفن ضحى يومها إلى جنب والده بمقبرة باب سهام ، وكان له مشهد عظيم ، رحمه الله ونفع به .

وفي ليلة السبت ، الحادي والعشرين من ربيع الأول ، طلع الأمير علي بن عمر العنسي ، باستدعاء الملك الظافر له ، إلى تعز ، وبقي ابنه الشجاع بزبيد نائباً ١٣٣/١ عنه . ولم يزل الأمير المذكور عند مولانا / السلطان حتى نزل في صحبة الركاب العالي إلى مدينة زبيد ، ودخلها السلطان الملك الظافر عشية الجمعة ، الثاني عشر

---

(١) في (أ) المعمار

(٢) نلاحظ هنا ان المؤلف أنّث العدد الترتيبي إذ يعود الى كلمة ليلة . وهذا الكلام لا غبار عليه . ولكن ابن الديبع، في مواضع كثيرة من الكتاب ، بل بعد اسطر قلائل ، يذكّر العدد باعتبار الأيام فيقول : «وفي ليلة السبت ، الحادي والعشرين من ربيع الأول ..»

من ربيع الآخر ، وفي صحبته ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الملك ، وعبد الله وعلي ابنا خاله[1] الشيخ احمد بن عامر ، وداود بن علي بن تاج الدين .

وفي يوم الاثنين ، الخامس عشر من الشهر المذكور ، اشترى السلطان الملك الظافر برقع الكعبة المشرفة ، من تركة هارون وكيل وقف الحرم المكي ، وأمر بتعليقه على باب محراب الجامع المبارك الذي أنشأ عمارته بمدينة زبيد ، وبقراءة مولد النبي ﷺ فيه ، فقرىء ليلة الجمعة ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، وجعل القرّاء خمسة في نواحي المسجد المذكور ، وعمل للناس بركة عظيمة كبيرة ، وهي التي جعلها عوضاً عن بركة والده في الجامع المذكور ، وملئت من السكر الأبيض المذاب بالماء المطيب بالمسك والماورد . وكان السقاؤون يدورون بذلك ، ويسقون الناس عموماً ، وحضر السلطان أيده الله تعالى ، في الجامع المذكور تلك الليلة ، وسمع القراءة ، وتمت ليلة ما سمع بمثلها ، تقبل الله منه ، ووفقه لما يرضيه عنه آمين .

١٣٣/١ وفي / هذه السنة ، أمر السلطان [بعمارة مسجد ابن خَرّاج بزبيد ، وكان قد اندرس بنيانُه ، ولم يبق له أثر ، واستولى على وقفه عمر الحجّام . فأمره السلطان بعمارته وألزمه ذلك جزاه الله خيراً . وفيها أمر مولانا][2] السلطان بعمارة مسجّد[3] السابق ، الذي هو غربي رحبة الدار الكبير الناصري ، من مال نفسه . فعمر مدرسة عظيمة ، بديعة الشكل ، كاملة الوصف ، وسميت بالظافرية ، تقبل الله منه ذلك ، وضاعف ثوابه على ما هنالك .

وفي يوم الخميس ، ثامن عشر الشهر المذكور ، قدم الشريف عبد الله بن سفيان إلى زبيد ، من الجهات الشامية ، باستدعاء الملك الظافر له . فخلع عليه خلعة نفيسة ، وصرف له مركوباً من مراكيبه[4] ، ورمحين جيدين من رماحه ، وأعطاه مالاً جزيلاً ، وكان قد خرج قبل قدومه إلى زبيد الأمير علي بن محمد البعداني إلى الجهات المذكورة ، وواجهه الشريف المذكور إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، قادماً على السلطان ، فأمره مولانا السلطان بالخروج على أثره ، وأن يتفقا معاً ويصدرا

---

(١) في (أ) و(د) : خالة .
(٢) [ ] : جملة ساقطة في (ب) .
(٣) في (ب) : مسجده .
(٤) في (أ) : مراكبه .

عن رأي واحد . فامتثل الأمْرَ الشريفَ ، وخرج إلى هنالك يوم السبت العشرين
١٣٤/١ / من الشهر المذكور .

وفي يوم السبت ، السابع والعشرين من الشهر المذكور ، أمر السلطان بعمارة جسر ينفذ إلى خارج مدينة زبيد ، للمياه التي تخرج من مغتسلات مدرسة والده ، الملك المنصور ، وكانت تخرج إلى مصب قريب من المدرسة المذكورة ، فتضرر جيران المدرسة بذلك ، ورفع الأمر إليه ، أعز الله نصره ، فأمر بعمارة الجسر المذكور [من مال نفسه ، فامتثل أمره الشريف وابتدىء في ذلك للتاريخ المذكور][1] وأنفق في ذلك نفقة جزيلة تقبل الله منه .

وللتاريخ المذكور ، أمر بمباشرة المساجد والمدارس بمدينة زبيد ، وإصلاح ما تشعث منها ، وإبدال ما يحتاج إلى إبداله ، وتجديد ما يحتاج إلى التجديد ، وإحياء ما دثر من رسومها الماضية ، وافتقاد ما بقي من آثارها الباقية . وألزم ولاة ذلك إصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه ، وتجديد ما يحتاج إلى تجديده ، فامتثل أمره الشريف إذ كان هو العدل الذي لا يحيف . وللتاريخ المذكور سقطت قبة الدار الكبير الناصري العليي التي على الباب ، وكانت جديدة العمارة ، فكان سقوطها عقب خروج
٢ / ١٣٤ مولانا السلطان منها ، وهو جماعة من أعيان خواصه / وأصحابه ، وكان ذلك من عناية الله لمولانا السلطان ، ألهمه الله القيام منها . فما كان إلّا أن خرج منها فسقطت ، فسبحان ملهم القلوب ما استأثر به من عُلم الغيوب . وكان المنورون إذ ذاك فوقها ينورونها ، فسلم بعضهم ومات بعضهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي مدة إقامة مولانا السلطان بمدينة زبيد ، قدم عليه بكتاب الخادم للزركشي ، وكان أرسل بمال إلى مكة لاشترائه ، فاشتري له بتسعين ديناراً ذهباً ، وقدم به عليه ، وهو أربعة عشر مجلداً كل مجلد منها خمسة وعشرون[2] كراسة خماسيات ، وأكثر من ذلك . ولما وُصل إليه ، أتم الله نعمته عليه ، اغتبط به اغتباطاً كلياً ، وطلب النساخ بزبيد لتحصيله ، ووعدهم بالجزاء الحسن عند تكميله ، فابتدىء في تحصيله بزبيد يوم السبت ، الحادي عشر من جمادى الأولى ، من السنة المذكورة ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً آمين .

(١) [.] : جملة ساقطة في (ب) .
(٢) كذا في النسخ والصواب : خمس وعشرون .

وفي الخامس من جمادى الأولى ، حصل في جزيرة بَرْبَرَة طوفان عظيم ، وغرق في بندرها من السفن ستة وعشرون[1] سفينة ، فيها من الطعام ما ينيف على ألفي طَنّم، ومن الرقيق جملة مستكثرة، / ولا حول ولا قوة إلاّ بالله . ١٣٥/١

وفي يوم الثلاثاء ، الثالث والعشرين من الشهر المذكور ، ولد مولانا تاج الدين عبد الوهاب ابن مولانا السلطان الملك الظافر ، من ابنة عمه الشيخ محمد بن داود بن طاهر ، أقر الله به عين والده وأهليه[2] ، وبارك له وللمسلمين فيه آمين .

ويفرحنا المولود من آل طاهر ولا سيما إن كان من نَسل عامر
إلهي بارك فيه واحرسه دائما وكن لأبيه خير مولى وناصر

وفي يوم السبت ، الثالث من جمادى الآخرة ، خرج الشجاع عمر العقد من محروسة زبيد ، في جمع عظيم من عرب البلاد ، أهل البوادي ، لقطع ثمرة نخل المدبّي ، وواجهه من طريق بيت الفقيه ابن عجيل الأمير علي بن شجاع العنسي، إلى النخل المذكور ، فقطعه . وعاد الأمير إلى زبيد سالما ، فدخلها بعد صلاة الجمعة التاسع من الشهر المذكور ، في أبهة عظيمة .

وفي يوم الأحد ، رابع الشهر المذكور ، قدم الفناجرة من مدينة عدن إلى مدينة زبيد ، وعددهم نيف على أربعين . وكان الملك الظافر أرسلهم ليتحف بهم أهل زبيد فوصلوا ولعبوا بأصناف عجيبة غريبة . وفي يوم الاثنين ، خامس الشهر المذكور، قدم الأميران شمس الدين علي بن محمد البعداني، والشريف عفيف الدين عبد الله بن علي بن سفيان ، من البلاد الشامية ، بأموال عظيمة من خراجي البلاد المذكورة ، وخيل كثيرة تنيف على المائة ، وجمال بحرية نفيسة قريب العشرين ، وكان دخولهما مدينة زبيد دخولاً معظماً . ١٣٥/٢

وفي ليلة الثلاثاء ، السادس من الشهر المذكور ، توفي الشيخ اسماعيل بن احمد المشرع عجيل ، بمدينة زبيد ، رحمه الله تعالى .

وفي عشية الخميس ، الخامس عشر من الشهر المذكور ، طلع مولانا السلطان الملك الظافر إلى مدينة تعز ، على طريق العقبة ، وتصدق مولانا

---

(١) كذا في النسخ والصواب : ست وعشرون .
(٢) في (أ) : اهله .

السلطان ، أيده الله تعالى ، في هذه الأيام بصدقة عظيمة عميمة ، أحسن الله جزاه ، وأدام علوه وارتقاه . ولما استقر مولانا السلطان ، أيده الله بنصره ، بمدينة تعز ، أمر بتخريب درب المنصورة لموجبات أوجبت ذلك ، وأمر بعمارة حصن حَبّ المشهور بالمنعة ، فامتثل أمره الشريف وعمّر كما رسم وأبرم ضاعف الله مجده .

وفي الشهر المذكور ، توفي الشيخ شريف الدين قاسم بن محمد بن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف العراقي ، بمدينة عدن ، وكان شيخاً مباركاً صالحاً سيماء ١/١٣٦ الخير عليه ظاهرة، رحمه الله ونفع به. وفي ليلة / الجمعة ، الرابع عشر من شهر رجب ، توفي شيخنا ، الإمام العلّامة ، الولي المقرب ، جمال الدين محمد الطاهر بن احمد بن عمر بن جعمان ، نفع الله به وبسلفه ، بمنزله من بيت الفقيه ابن عجيل ، ولم يخلف بعده في السادة بني جعمان مثله ، رحمه الله ونفع به .

وفي ليلة الأربعاء ، السادس عشر من رمضان ، توفي الشيخ بدر الدين حسن بن أبي العباس الهتار ، بمدينة زبيد ، ودفن صبح يوم الأربعاء في قبة جده الشيخ الكبير الصالح نجم الدين طلحة بن عيسى الهتار ، رحمهم الله ونفع بهم . وكان له مشهد عظيم رحمه الله .

وفي يوم عيد الفطر ، وهو الأربعاء ، وقع بمدينة زبيد حريق عظيم ابتداؤه من غربي باب سهام ، آخذاً في الشرق واليمن ، وكانت الريح شديدة في ذلك اليوم . وانتهى إلى حائط قريش ، من يماني باب الشبارق ، وتلفت فيه من الأموال والبيوت والبهائم ما لا يحصى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله[١] .

ولما بلغ الخبر إلى مولانا السلطان بذلك ، وكان إذ ذاك ببلده ، أرسل بصدقة جليلة ، من الذهب خمسمائة أشرفي ، ومن الدراهم ستة آلاف دينار ، وأمر بتفريقها بين الضعفاء المحترقة بيوتهم ، الذين لا يقدرون على البناء ، وتصدق ٢ / ١٣٦ / عليهم بخمسين مدّاً من الطعام بالمد الزبيدي ، تقبل الله منه وضاعف ثوابه .

وفي مستهل ذي الحجة منها ، تولى صاحبنا ، الفقيه العلّامة شهاب الدين أحمد ، ابن شيخنا الإمام جمال الدين الطاهر بن أحمد بن جعمان قضاء الأعمال الحيسية ، من قبل مولانا السلطان ، وكانت توليته بالمقرانة . ونزل إلى زبيد

(١) في (أ) زيادة : « يا لطيف لطفك في مثل هذه الحالة ».

فدخلها سادس الشهر المذكور ثم توجه منها إلى مدينة حيس ، ليلة السبت الخامس عشر من الشهر المذكور . وعزل عن الوظيفة المذكورة القاضي عبد الغفار بن ابي القاسم البجلي لموجبات أوجبت ذلك .

وفي عشية يوم الجمعة ، الرابع عشر من الشهر المذكور ، خرج الأمير علي بن شجاع العنسي من محروسة زبيد غازياً العبيد العامريين أهل الحريقة ، واستقر بقرية بيت العُقَار ، وخرج معه بعساكر عظيمة من الخيل والرجل ، من أهل التربية والقرشية والأشاعر والمعازبة . وأمر بضرب باب الهيجة الذي يُسمّى الفرق ، وغزاهم يوم الأحد ، السادس عشر من الشهر المذكور ، فنال كل من الفريقين من الآخر، ثم رجع الأمير إلى بيت العُظقار، ولبث بها أياماً، ثم / تقدم إلى الجهات الشامية ، ودخل قرية الضحي . فجاءه الصميون يستمدونه جنداً على الواعظات ، فأمدهم بطائفة من جنده ، فقُتِلَ من الواعظات سبعة وعشرون نفراً . وكانت الواقعة يوم الثلاثاء ثاني شهر الله المحرم ، أول سنة إحدى وتسعمائة . ١٣٧/١

وفي الشهر المذكور ، حصل طوفان عظيم بناحية بحر الهند ، غرق في بندر الديو عشرة مراكب ، وفي الباحة أربعة ، وتلف فيها من الأموال ما لا ينحصر ، وتغيرت أربعة مراكب ، وانكسرت ادقالهم ، ورموا من حملهم اكثر من النصف ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله .

وفي يوم الاثنين ، الثامن من الشهر المذكور ، اوقع الأمير شمس الدين علي بن محمد بن عيسى البعداني بأهل يُعُر[1] ، من ناحية مُلُص . فقتل منهم سبعين نفراً ، وأسر أربعين . ثم أغار عليهم في اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور ، وتقابل الفريقان بمكان يعرف بذي جود ، فهزمهم الأميرالمذكور هزيمة عظيمة ، وقتل منهم قريب المائة ، وانتهب بلادهم وأموالهم ومواشيهم ، ثم قدم على الملك الظافر ، غرة شهر صفر منها ، وهو إذ ذاك برداع العرش ، قدوماً معظماً، في أبه عظيمة، وجمال زايد. / فكسا السلطان الأسارى، ومَنّ عليهم وأطلقهم جزاه الله خيراً . ١٣٧/٢

---

(١) كذا ضبطها في مخطوطة باريس (أ) . وفي قرة العيون : يَعر ، بفتح الياء (ج ٢ ص ١٩٣ هـ١).

وها هنا انتهى ما قصدت جمعه ، ورجوت من فضل الله نفعه ، وقد بدا لي أن أذكر ها هنا جملة التواريخ من عهد آدم ، عليه الصلاة والسلام ، إلى عهد نبينا ، ومن عهد نبينا ، ﷺ ، إلى عصرنا ، وأن أذكر مدة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، ومدة ملك بني أمية ، والخلافة العباسية ، ومدة الملوك التركية ، بالديار المصرية .

فأقول مستعيناً بالله تعالى : روى عبد الله بن قتيبة ، في كتابه المعارف ، أن آدم عليه الصلاة والسلام عاش ألف سنة ، وكان بينه وبين الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة واثنتان وأربعون سنة . وبين الطوفان وبين موت نوح عليه السلام ثلثمائة سنة وخمسون سنة ، وبين نوح وابراهيم ألف سنة وأربعون سنة ، وبين ابراهيم وموسى تسعمائة سنة ، وبين موسى وداود خمسمائة سنة ، وبين داود وعيسى ألف سنة ومايتا سنة ، وبين عيسى ومحمد ، صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ستمائة سنة وعشرون سنة . فكان من عهد آدم إلى محمد صلى الله عليهما وسلم ، / سبعة آلاف سنة وثمانمائة سنة واثنتان وخمسون سنة ، على ما ذكر ابن قتيبة . ١٣٨/١

قلت : ومن مولد نبينا ، ﷺ ، إلى يومنا هذا ، وهو عام تسعمائة من الهجرة ، تسعمائة سنة واثنتان وخمسون سنة ، مضافةً إلى ما ذكره ابن قتيبة يكون الجميع ثمانية آلاف وثمانماية سنة وخمس سنين ، لأن من مولده ، ﷺ ، إلى مبعثه أربعون سنة ، ومن مبعثه إلى هجرته ، ﷺ ثلاث [عشرة سنة ، ومن هجرته إلى وفاته عشر سنين ، فمدة عمره ، ﷺ ثلاث][1] وستون سنة . ومدة الخلافة بعده ، ﷺ ، ثلاثون سنة . وأول من وليها من الصحابة ، رضي الله عنهم ، أبوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي بن أبي طالب ، ثم ابنه الحسن ، سبط النبي ، ﷺ ، ثم خلع نفسه راضياً ، وسلم الأمر لمعاوية رضي الله عنه ، لخمس بقين من ربيع الأول ، سنة إحدى وأربعين .

وكانت مدة ملك بني أمية ألف شهر ، على ما حكاه المسعودي وغيره وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر . وجملة من ولي الملك منهم أربعة عشر ملكاً أولهم معاوية ، رضي الله عنه ، / وآخرهم مروان الجعدي بن محمد بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية . وتولّى الخلافة بعد آخرهم أبو العباس السفاح ، واسمه ١٣٨/٢

(١) [ ] : جملة ساقطة في (ج) .

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، في أوائل اثنتين وثلاثين ومائة .

وجملة الخلفاء العباسيين الذين سكنوا بغداد واستوطنوها ، ودانت لهم البلاد والعباد ، سبعة وثلاثون خليفة ، أولهم أبو العباس وآخرهم المستعصم بالله .

وجملة ما ملكوا من السنين خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة وأحد عشر شهراً ، قيل وخمسة عشر يوماً . واستشهد المستعصم بالله ليلة الأحد ، الرابع عشر من شهر صفر سنة ست وخمسين وستماية ، قتله التتر صبراً ، ودخلوا بغداد ، وبذلوا السيف في أهلها ، وسلطانهم هولاكو . وأحصيت القتلى يومئذ فكانوا ألف ألف وثمانمائة ألف ، وزالت الدولة العباسية للتاريخ المذكور . ثم صار العقد والحل والتولية والعزل إلى ملوك الترك ، في الديار المصرية ، والخليفة معهم كواحد من ١٣٩/١ العامة ، ليس له قول يسمع ، ولا رأي يتبع . وأول من قام بالسلطنة منهم ، للتاريخ المذكور ، السلطان الملك المنصور علي بن أيبك المعزّي ، ولم تزل مملكة الديار المصرية بأيدي الترك إلى يومنا هذا ، في أواخر المائة التاسعة ، والقائم منهم بأمر السلطنة الآن الملك الأشرف ابو النصر قايْتْباي والله اعلم .

وهذا آخر ما يسر الله جمعه من هذا التاريخ المختصر ، الجامع اللطيف الواسع ، وقد احتوى ، مع جرمه الصغير ، على علم كبير ، ونكت مفيدة ، من علم التاريخ ، يحتاج إليها ذوو البصائر ، ويهتدي عند الوقوف عليها كل حائر ، وذلك بفضل الله وهدايته ، وحسن معونته ورعايته .

وقد رأيت أن أثبت ها هنا الأرجوزة التي نظمتها ، لما سئلتها ، المسماة أحسن السلوك ، في نظم من ولي مدينة زبيد من الملوك ، وأن أذكر بعد ذلك خاتمة ، في ذكر مولدي ومنشأي ، وطلبي للعلم في مبدأي ، وتعديد نعم الله عليَّ ، وما ساقه من الخيرات لا لأُعَرِّفَ بفضلي ، ولكن اقتداء بمن سبق من العلماء قبلي . فقد سبقني إلى ذلك شيخ شيوخنا ، شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقري ، تغمده الله برحمته ، فهو قدوتي في ذلك ، حيث جعل في آخر كتابه ، ١٣٩/٢ عنوان الشرف ، نبذة صالحة من سيرته ، وربما وقف على ذلك أخ منصف فدعا لي بالرحمة ، وعرف مقدار ما أولاني الله من النعمة ، ومن الله أستمد التوفيق ، وأسأله الهداية إلى أحسن طريق آمين . وهذه الأرجوزة المشار إليها :

قال فقير الله عبد الرحمن ابن علي الديبع راجي الغفران
الحمد لله العلي الأمجد وصلِّ يا رب على محمد
وبعد فالتاريخ علْم نافع فاَعْنَ به فكم له منافع
فإن من يعلم علم من مضى لدى جميع العالمين مرتضى
وهاك خذ يا ذا النهى موفقا نظماً فصيحاً واضحاً محققا
فيمن ولي زبيد منذ اختطت إلى زماننا بتسع المائة
وسميته بأحسن السلوك فيمن ولي زبيد من ملوك[1]
فالق سمعاً نحو ما أقول والله عوني وهو لي كفيل

ذكر اختطاط مدينة زبيد ، وذكر بني زياد وولاتهم بها ، ومن وزر لهم .

زبيد بالتحقيق يا أخا الرشد اختطها في شهر شعبان وقد
١٤٠/١ مضى من الهجرة ضعف المائة وأربع من سنوات الهجرة /
محمد نجل زياد الأموي مستخلف المأمون ذي الباس القوي
جعلها المذكور دار ملكه ولم يزل إقليمها في ملكه
وعام خمسة وأربعينا ومايتين مات ذا يقينا
فخلف المذكور إبراهيم سليله الموفق الحليم
وبعد تسع وثمانين مضت ومايتين مات ذا ثم ثبت
في الملك نجله زياد ثم لم تطل به مدته حتى انعدم
ثم أبو الجيش أخو ذا إسحق نخبة ابراهيم زاكي الأعراق
ودام ملكه ثمانين سنة ولثلاثمائة ولسنة
من بعد تسعين توفي عن ولد طفل زياد اسمه هذا أحد
ما قيل بل وقيل إبراهيم وقيل عبد الله يا حليم
ثم تولى أمره رشيد عبد أبيه البطل الشديد
فضبط الملك له وماتا غير بعيد فحوى الثباتا
في أمره عبد رشيد الحسين ابن سلامة الموفق الأمين
كان من الملك له حقيقتُهْ وابن أبي الجيش له تسميتُهْ

---

(١) الزيادة من (ب) .

١٤٠/٢ وكـان عنـد المسلمين مـرتضى فـضبط الملك زمـانـاً وقـضـى /
عـام ثلاث بعـد أربـع المايـه فـرحـمـة الله عـليـه هـاميـه
ثـم أقـامـوا مـن بـنـي زيـاد طفـلاً صغيراً غيـر ذي رشاد
واسم هـذا الطـفـل عبـد الله كفله عبـد الحسين الـزاهي
مـرجـان مقتني نفيس ونـجـاح فـقـتـل الـطفـل نـفيس وأزاح
سنـة سبـع ثـم أربـع مضت من المايين وبذا الطفل انقضت
دولـة الأنـجـاد بـنـي زيـاد فـملكـهـم يـكـون بـالـتـعـداد
مـدتهم بالضبط ضعف المـائة ثـم ثـلاث من سنيـن ضحت

ذكر الوزراء بني نجاح وذكر الصليحيين .

ثـم تـنـافـسـا نـفيس ونـجـاح على تـولي ملك مولاهم فطاح
نـفـيس في باب زبـيـد قـتـلا وأخـذ الـملك نـجـاح سـهـلا
وحـازه من عـام ثنتي عشـره وأربـع المائين بـعـد الهجـره
إلـى وفـاتـه بعـام ثـنـتـين وأربـع مـن المـاي وخمسين
وثـار بـعـده الصليحي علي على بنيـه بـالبـلا حتى ولي
الملك عـام خمسـة وخـمسين وأربـع مـن المائين تـمـضيـن
١٤١/١ ومـات بـالمهجم قـتـلاً قـاتله سعيـد الأحـوال فـهـو صـائله /
لثـلاث السبعين بـعـد الأربـع من المئتين فاستمع قولي وعي[1]
ومـلك الـبـلاد عـامـاً وولـي الملك قهراً احمد نجل علي
أعـني بـه الـمكـرم الصليحي وعـاد لـلأحـول بـالـتـصحيـح
سنـة تسع بعـد تسعين وقـد مضت من المائين أربـع عـدد
فلم يـزل مـالكهـا حتى قتـل سـنـة إحـدى وثمـانـين نـقـل
ثـم اسـتـمـر بـعـده أخـوه جيـاش حتى مـات فـاعلمـوه
عـام ثمـان بعـد تسعين وقـل أربع ماء من قبل تلك يا رجل
ثـم ابنـه الفـاتـك حتى مـاتـا مـن بـعـد خمسمـايـة وفـاتـا
عـام ثـلاث ثم منصـور ابنـه ثم ابنـه فـاتـك كـان دفنـه

---

(١) الزيادة من (ب) .

سنة إحدى وثلاثين مضت … من بعد خمسماية قد انقضت
فابن اخيه فاتك بعد ولي … ابن محمد بن منصور انقل
قتله عبيده في سنة … ثلاث خمسين وخمسماية
ثم انقضت دولتهم موفية … إحدى وأربعين من بعد المية

ذكر دولة بني مهدي

وقام في الملك ابن مهدي علي … سنة اربع ولما أن ولي
١٤١/٢ مات بعامه فقام مهدي … ولده في الملك ثم أرْدي /
بالموت عام ثمان الخمسين … بعد الماء الخمس بغير تخمين
ثم ولي عبد النبي أخوه … بعده ومات فأعلموه
للتسع ستين وخمسماية … قد انقضت من سنوات الهجرة
مدتهم في الملك خمس عَشْره … رأى بها دين الهدى ما يكره

ذكر دولة بني أيوب

وطلب الدين عزيز النصره … فحازه توران رب الشهره
وذاك بعد قتله عبد النبي … فاحفظ هديت ما أقول تصب
ثم ولي توران شاه ملك اليمنْ … ثم أخوه طغتكين ذو المتنْ
للتسع والخمسين والخمسمايه … ولثلاث وتسعين هيه
من بعد خمسماية مات وقد … ولي ابنه المعز بعده عددْ
سنين ثم مات قتلا فى سَنَتْ … ثمان وتسعين وفي الملك ثبتْ
اخوه ايوب بن طُغتكينا … وبعد ستماية مضينا
سنة إحدى عشرة مات وقدْ … وليها المسعود بعده وَسَدْ
خَلّلها من اثنتي عشر إلى … سنة خمس مع عشرين ولا
١٤٢/١ او التي تلي وكان آخرا … ملك بني أيوب عنه أخرا /

ذكر دولة بني رسول

ثم ولي منصورها الرسولي … نيابة الملك فحقق قولي

ثم استقل لثلاثين سنه … بعد المائي الست فكان حسنه
من حسنات الدهر ثم ماتا … سنة سبع الأربعين فاتا
ثم ولي ولده المظفر … ودام ملكه القوي القاهر
لأربع التسعين والستمايه … مات وقد اقام فيما وليه
ولده الأشرف ثم ماتا … بست تسعين ولما فاتا
ولي اخوه الملك المؤيد … وبعد سبعماية تعدد
مات سنة إحدى مع العشرينا … وقد وليه بعده سنينا
سليله المجاهد الرسولي … ومات بالتحقيق يا خليلي
لأربع الستين والسبعماية … وقام في مقامه علانية
ولده الأفضل مات لثمان … من بعد سبعين وفي الملك استبان
الأشرف بن الأفضل الغساني … ومات بالتحقيق والبيان
عام ثلاث وثمانماية … ثم ابنه الناصر عالي الهمة
٢/١٤٢ مات لسبع ولعشرين مضت … بعد الثمان المائة التي خلت /
ثم ابنه المنصور حتى ماتا … عام ثلاثين وبعده اتى
أخوه اسماعيل ثم الظاهر … وكان ملكه العظيم الفاخر
سنة إحدى وثلاثين كما … حققه المؤرخون القدما
ومات يحيى الظاهر بن الاشرف … سنة ثنتين وأربعين في
آخر شهر رجب ثم ولي … سليله الأشرف ما كان ولي
ومات عام خمس أربعينا … بعد ثمان مائة سنينا
ثم وليها بعده المظفر … سليل عمه وذاك عمر
ابن المليك الأشرف الغساني … ولتعز كان ذا استيطان
فخرج الأتراك في زبيد … عن طاعة المظفر السعيد
وملّكوا محمد بن عثمانْ … ابن المليك الأفضل بن غسانْ
أول عام ست أربعينا … ثم العبيد ملكوا المسكينا
أحمد نجل الظاهر بن يوسفا … سليل عبد الله فيما عرفا
ابن المجاهد الرسولي علي … فلم يكن أهلا لما له ولي
وملّكوه في جمادى الآخر … ولقبوه بالمليك الناصر
١/١٤٣ ونهبت زبيد في أيامه … فلقّب الخاسر لاستشآمه /

وخلعوه في ربيع الأول سنة سبع الأربعين فانقل
وملكوا مسعود نجل الأشرف بن المليك الناصر بن الأشرف
من ذلك التاريخ حتى خلعا لتسع خمسين وفيها ودعا
[مع وجود الملك المظفر ونوره المؤيد المستصغر
ابن الملك الظاهر الأشرف في دولة المسعود حقق واعرف
في عام خمس بعد خمسين مضت الى انتهاء دولتهم قد انقطعت][1]
فمائتان وثلاثون سنه وأربع دولتهم مبينه

ذكر دولة بني طاهر الأمويين أدامها الله

وإذا اراد الله رحمة الورا أقام شبلي طاهر ويسرا
عليهما عسيره فقاما وأحرزا الذي عليه حاما
وملكا البلاد ثم أخذا زبيد عام تسع خمسين وذا
من بعد أخذ عدن بعام وكم أنالنا من الأنعام
عليّ المجاهد بن طاهر وصنوه عامر خير ظافر
وملكا البلاد والعبادا وقهرا وحسما الفسادا
وكم لهم يا صاحبي مآثرُ وعام سبعين توفي عامرُ
وعاش بعده علي وقضى عام ثلث وثمانين مضى
ثم ولي المنصور عبد الوهاب ابن اخيهما الحليم الاواب
١٤٣/٢ داود ذي الأيد سليل طاهر أعظم به من مالك وقاهر /
وكم له مآثر حميده كثيرة شهيرة عديده
ومات للأربع والتسعين ثم ولي ابنه صلاح الدين
عامر الظافر خير مالك نجّى به الله من المهالك
فهو خيار من خيار لم تزل دولته تسمو على كل الدول
فاق الملوك بالتقى والدينِ ورحمة الضعيف والمسكين
يعطي الجزيل ويزيل الفقرا ويبذل الدنيا ويبغي الأخرى

---

(١) الزيادة من (ب) .

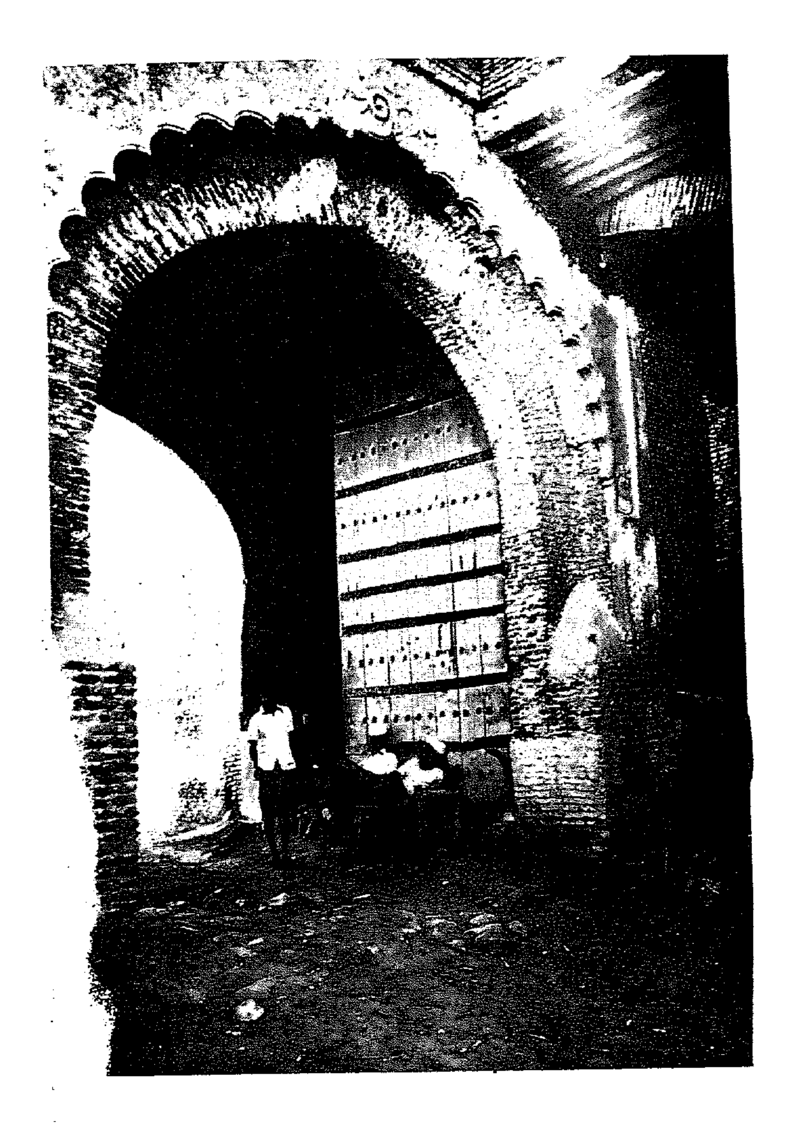
لله كم أحيا بيوت الله   لا زال محروساً بعين الله
وعونه مؤيداً منصورا   مظفراً طول المدا مسرورا[1]
والحمد لله على ما ألهما   وبعد صلى الله ثم سلما
على محمد أجل شافع   وآله وصحبه والتابع

---

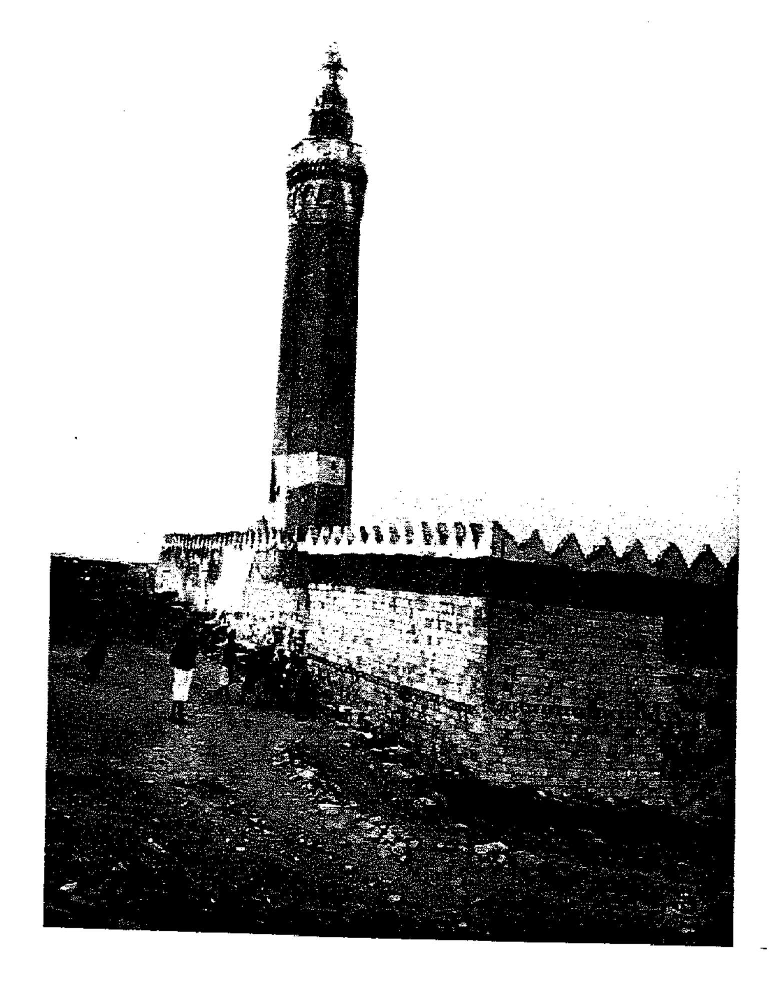
(١) في (ب)، بعد هذا البيت، الزيادة التالية،
وعاش طول عمره سعيدا   ومات بعد ذلك شهيدا
عام ثلاث بعد عشرين سنة   من بعد تسعماية مبينة
خارج صنعاء في ربيع الآخر   مستشهدا في عشرة الأواخر
بوأه الله بأعلى الجنة   فإنه والله محيي السنة
ومن الواضح ان هذه الابيات اضيفت بعد مقتل الملك عامر.



مدخل جامع الأشاعر بزبيد



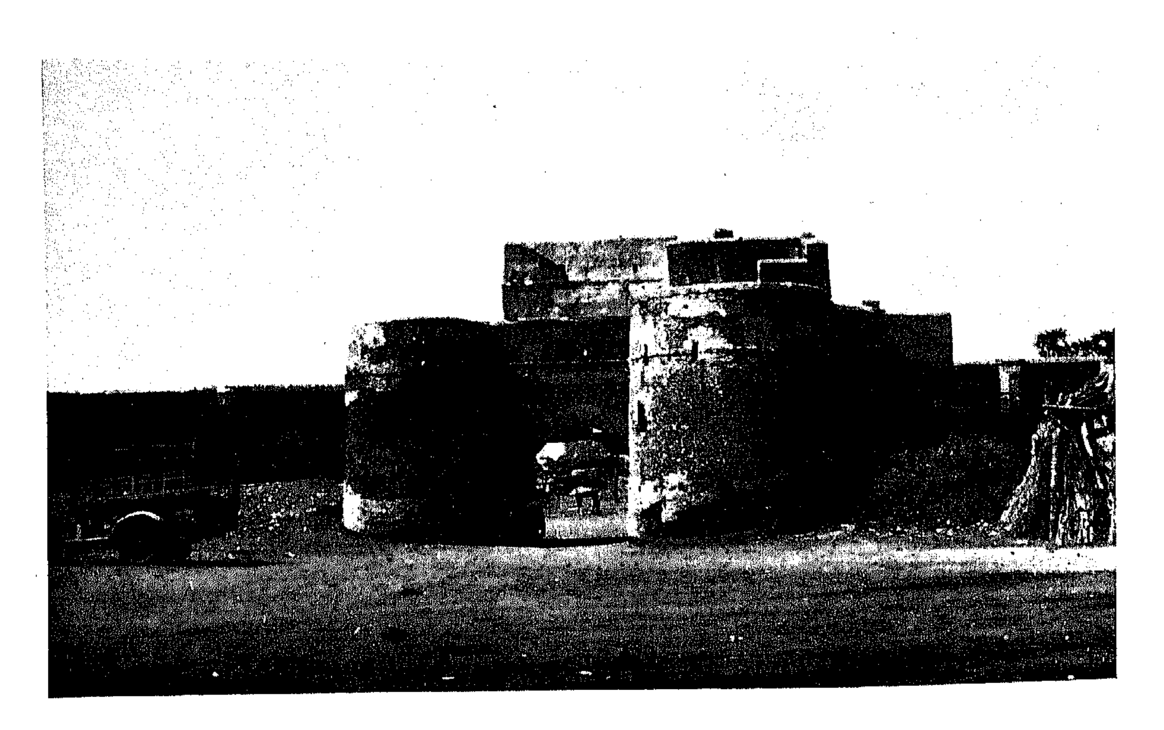
باب سَهام بزبيد وهو غرة المدينة وواجهتها
(منظر من الداخل)



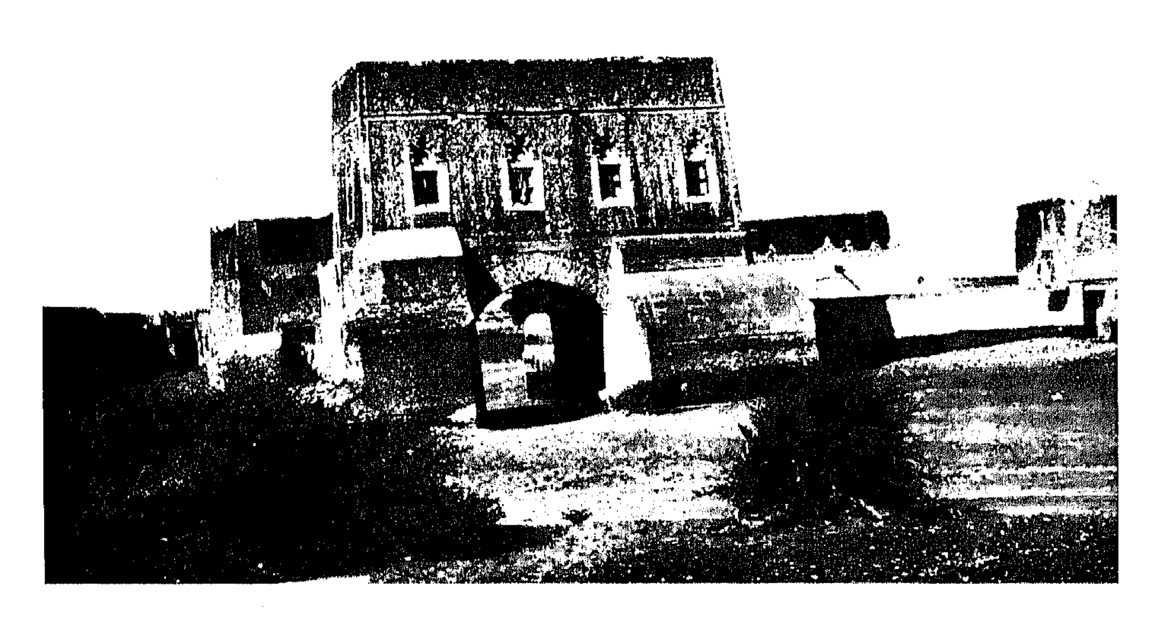
جامع مدينة جند وهو من اقدم الجوامع في العالم



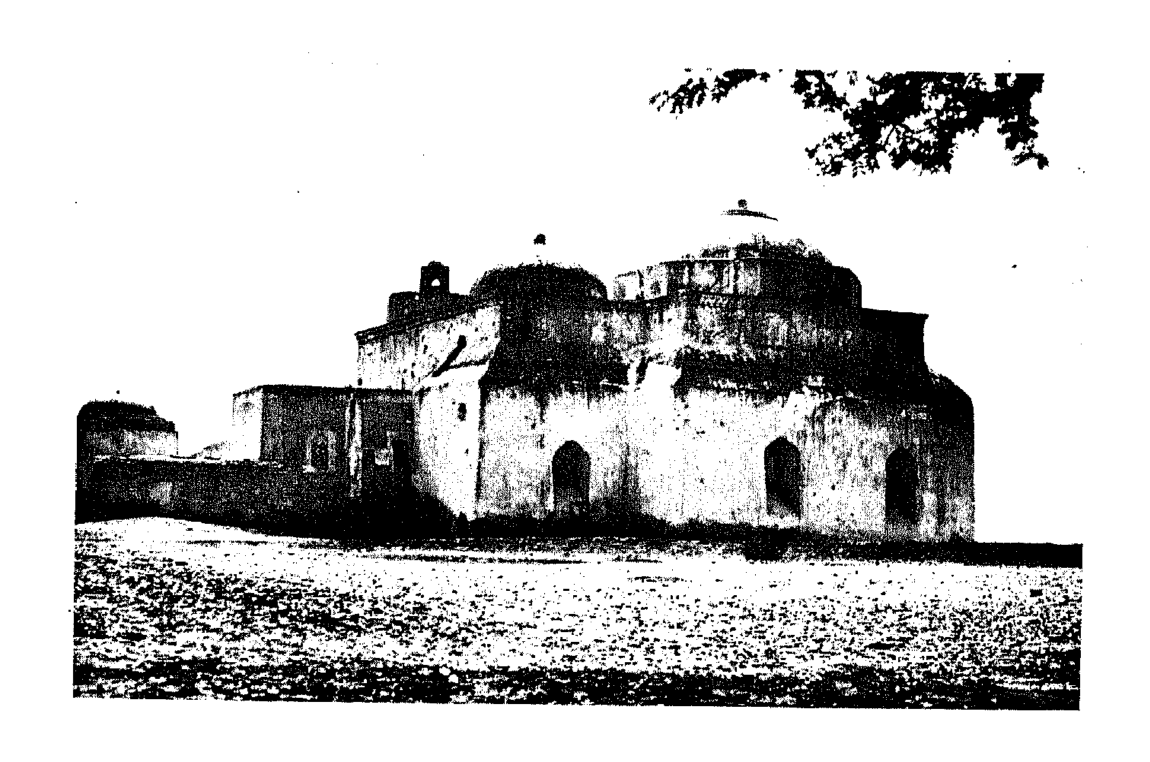
مئذنة من عهد الرسوليين بثعبات



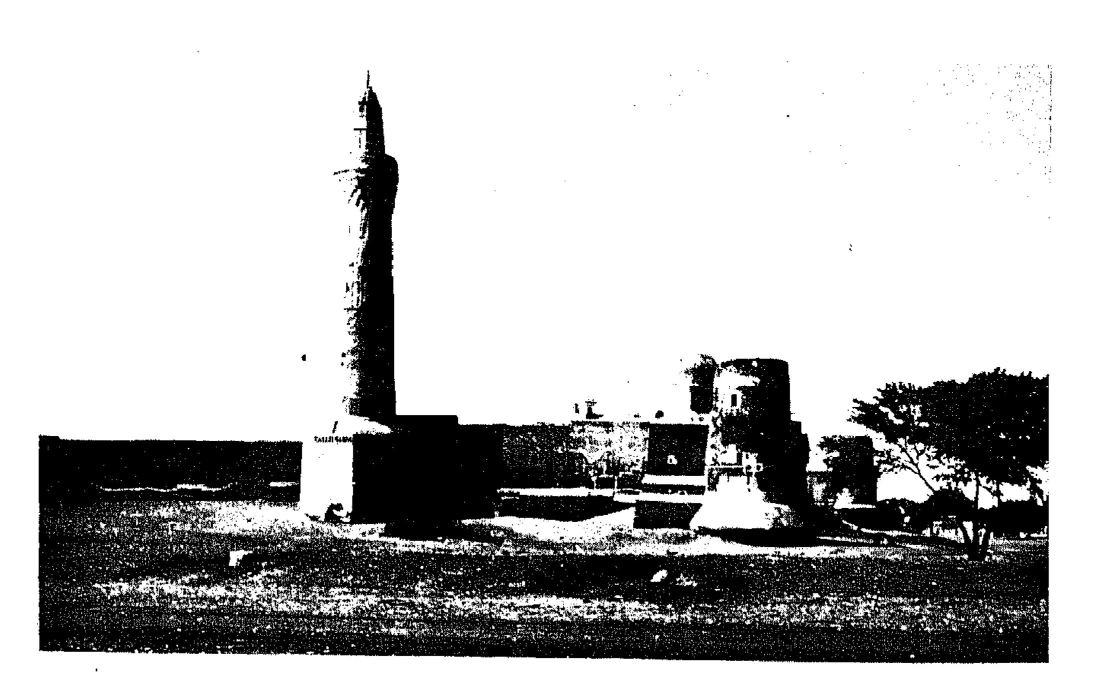
باب شبارق بزبيد ولعله أقدم أبواب هذه المدينة



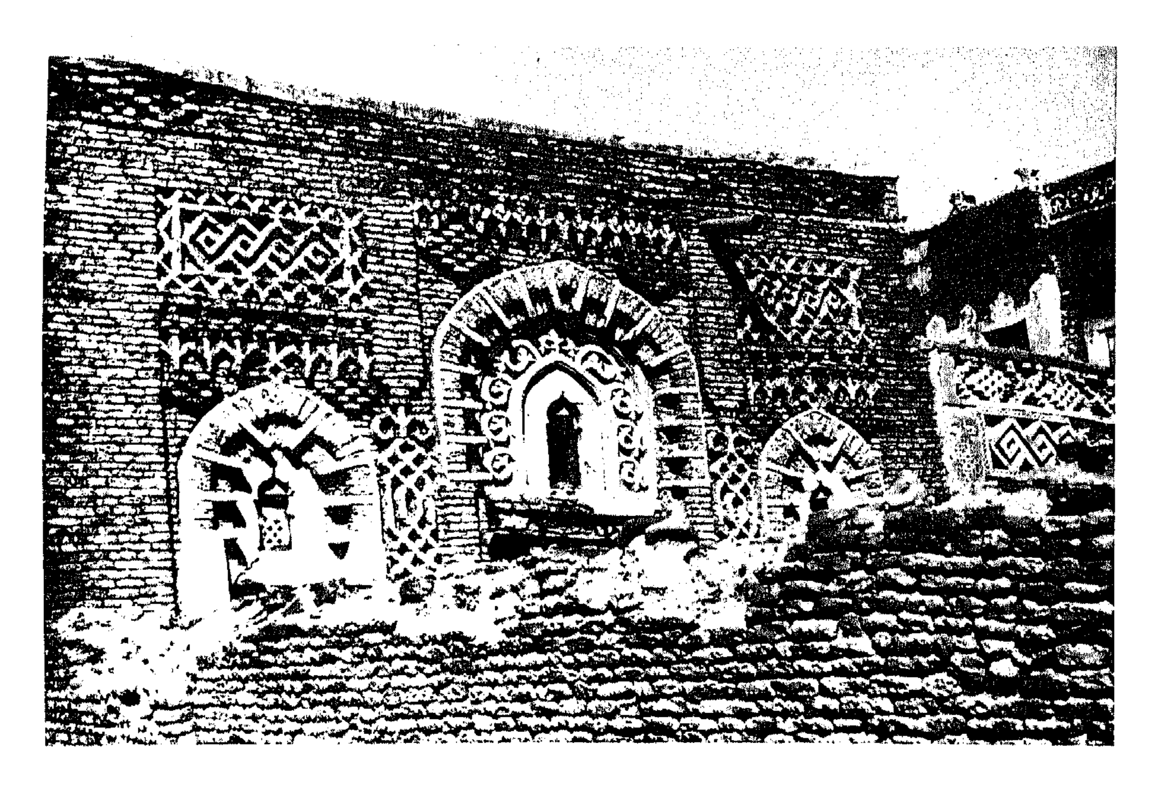
بب سَهام بزبيد وهو المدخل الشمالي للمدينة



جامع مصطفى باشا النشار بزبيد



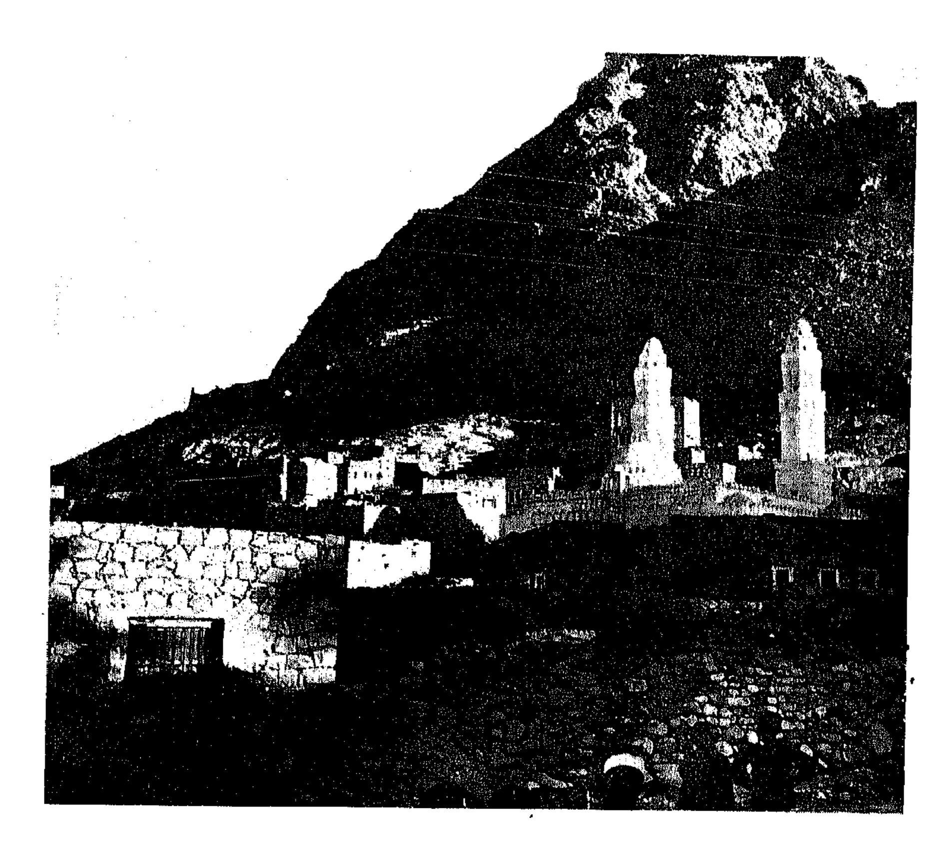
جامع اسكندر باشا الموز بزبيد



الفن المعماري بزبيد : واجهة بيت قديم



من آثار سور تعز



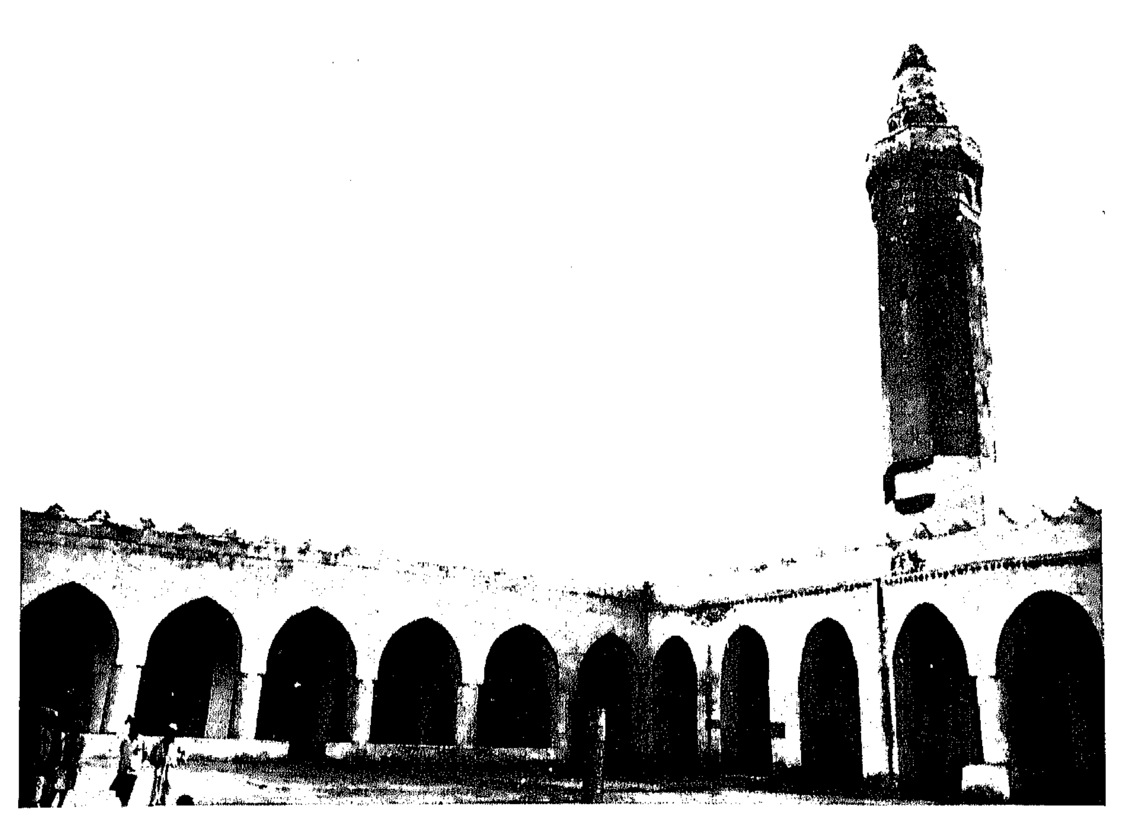
جامع الأشرفية بتعز



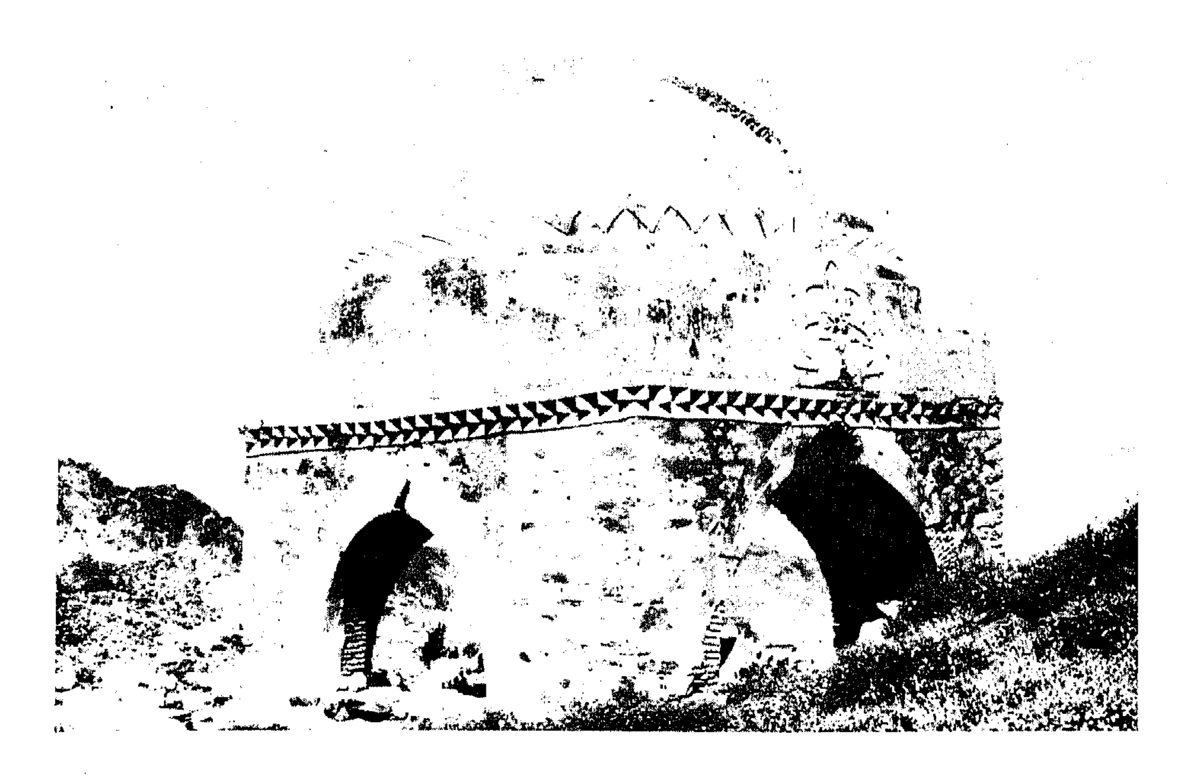
قبر العلامة الفيروزبادي بزبيد



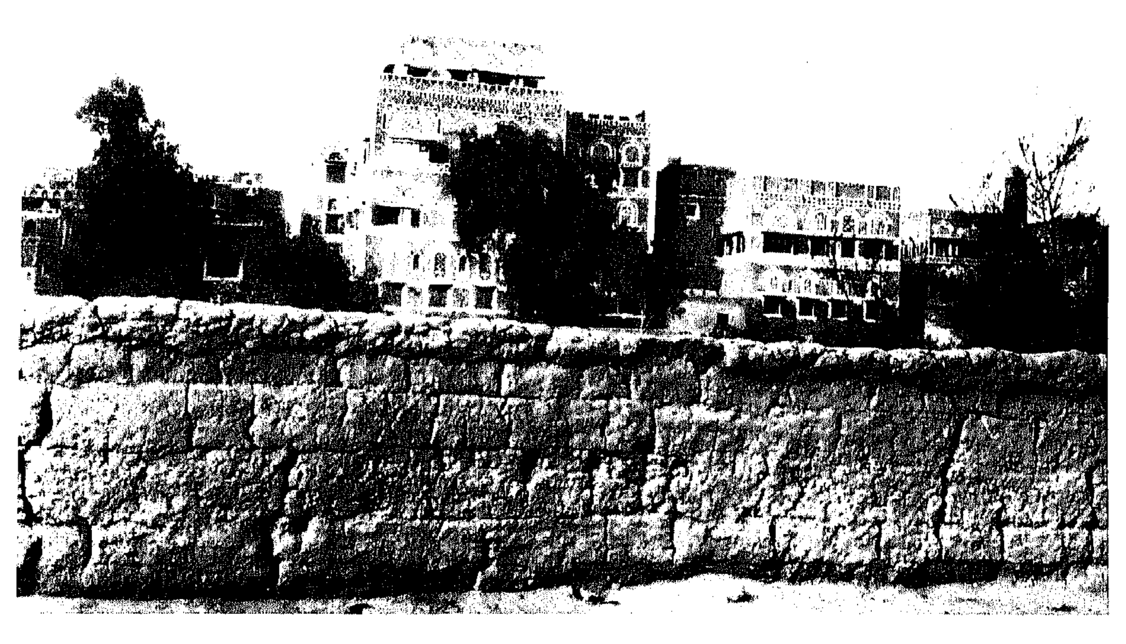
منظر لمدينة جِبْلَة الأثرية مقرّ عز الملكة أروى بنت أحمد



جامع مدينة جند وفي صحنه حجر قائم لعله من قبل الإسلام



استراحة الملك المظفر الرسولي بثعبات (تعز)



بعض بيوت صنعاء في فنها المعماري القديم

خاتمة

قال مؤلفه ، بلغه الله مراده ، وختم له بالسعادة : كان مولدي بمدينة زبيد المحروسة، في آخر يوم الخميس الرابع من المحرم، أول سنة ست وستين وثماني مائة بمنزل والدي منها . وغاب والدي عن مدينة زبيد في آخر السنة التي ولدت فيها ، ولم تره عيني قط. ونشأت / في حجر جدي لأمي، العارف بالله العلّامة الصالح شرف الدين أبي المعروف إسماعيل بن محمد بن مبارز الشافعي ، رحمه الله وانتفعت بدعائه لي في أوقات الأستجابة وغيرها . وهو الذي حدب علي ورباني ، وأطعمني وسقاني ، وكساني وواساني ، وعلمني وأوصاني ، جزاه الله عني بالإحسان ، وقابله بالرحمة والرضوان . وكان المذكور على قدم في عبادة الله ، محافظاً على قيام الليل ، وإحياء ما بين العشاءين، وملازمة الجماعة في الصلوات المفروضات ، تالياً لكتاب الله تعالى ، عارفاً بسنة رسول الله ، ﷺ . أخذ العلم عن غير واحد من أشياخ قطره وغيرهم ، كالعلّامة نور الدين القحري ، والخطيب كمال الدين الضجاعي ، والنفيس العلوي ، والشيخ أبي الفتح المدني ، والمقري شمس الدين الجزري ، والقاضي زين الدين البرنشكي ، وغيرهم رحمهم الله تعالى . وصحب الشيخ الصالح ، شرف الدين أبا المعروف إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي الصوفي ، نفع الله به . وقرأ كتب القوم وحققها ، وكان له اليد الطولى في فتح مغلقها. وكان رحمه الله يؤثرني / حتى على أولاده، الذين لصلبه، آثره الله بحبه وقربه . ثم إني تعلمت القرآن الكريم عند سيدي الفقيه نور الدين علي بن أبي

١٤٤/١ ١٤٤/٢

بكر بن خطاب ، كان الله له ، حتى بلغت سورة يس ، فانتفعت به كثيراً ، وظهرت نجابتي عنده .

ثم انتقلت إلى سيدي وخالي ، الفقيه العلاّمة جمال الدين أبي النجا محمد بن الطيب بن اسماعيل بن مبارز ، جزاه الله عني خيراً . فلما رأى نجابتي أمرني بنقل القرآن العظيم من أول سورة البقرة إلى آخره ، فقرأته عنده شرفاً واحداً حتى ختمته ، وحفظته لذلك الشرف عن ظهر القلب ، وأنا إذ ذاك ابن عشر سنين ، ولله الحمد .

ثم توفى الله والدي إلى رحمته ، ببندر الديو ، من ارض الهند ، في أواخر سنة ست وسبعين ، ولم يحصل لي من ميراثه سوى ثمانية دنانير ذهباً . ثم إني أخذت بعد ختم القرآن على خالي المذكور ، في علم القراءات السبع ، فنقلت الشاطبية ، ثم قرأت القراءات عنده مفردة ومجموعة ، وتم لي ذلك بحمد الله وعونه . ثم أخذت في علم العربية ، على خالي المذكور وعلى غيره ، وأخذت ١٤٥/١ عليه خصوصاً في علم الحساب ، والجبر ، والمقابلة ، والمساحة ، / والفرائض ، والفقه ، حتى انتفعت في كل علم منها .

ثم قرأت كتاب الزُّبَد في الفقه ، للامام شرف الدين البارزي ، على شيخنا ، الإمام العالم العلاّمة ، الصالح المعمر ، تقي الدين ، مفتي المسلمين ، أبي حفص عمر بن محمد الفُتا بن مُعَيْبِد الأشعري ، رحمه الله ، قراءة بحث وتحقيق ، وفهم وتدقيق ، في سنة ثلاث وثمانين وثمانماية .

ثم حججتُ إلى بيت الله الحرام ، في آخرها ، وأنفقت الثمانية الدنانير التي ورثتها من والدي ، رحمه الله ، في تلك الحجة .

ثم قدمت بعد الحج إلى مدينة زبيد ، وقد توفي بها جدي المذكور ، في حال غيبتي ، وكانت وفاته ضحى يوم الأربعاء ، منتصف المحرم ، سنة أربع وثمانين وثمانمائة ، عن ثمانين سنة غير أربعة أشهر ، رحمه الله ، وكان قدومي يوم رابع موته ، فأقمت بزبيد عند خالي المذكور ، في أطيب عيش وأتم سرور ، ولم أزل عنده حتى ذهبت إلى الحجة الثانية ، في أواخر سنة خمس وثمانين ، فحججت ثم رجعت إلى زبيد سالماً غانماً .

ثم مَنَّ الله عليّ بصحبة شيخنا ، الإمام العلاّمة ، المحدث ، بقية أهل ٢/١٤٥ اليمن، زين الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، / كان الله له . فأخذت عليه في علم حديث رسول الله ﷺ ، وكان هو المرشد لي إلى ذلك ، جزاه الله عني أحسن الجزاء . فقرأت عنده صحيحي البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وموطأ الإمام مالك ، والشفا للقاضي عياض ، وعمل اليوم والليلة لابن السنى ، والشمائل للترمذي ، والرسالة للقشيري ، وجميع مؤلفاته ومصنفاته ، وما لا يحصى من الأجزاء والكتب اللطيفة . وبه تخرجت وانتفعت ، وألفت في حياته كتابي المسمى : « بغاية المطلوب ،وأعظم المِنَّة ، فيما يغفر الله به الذنوب ، ويوجب الجنة». وهو الذي تعلمت منه صنعة التأليف والتصنيف ، والترصيف والتصفيف ، وارتحلت في حياته ، بإشارته ، إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، لزيارة الفقهاء بني جعمان ، فأخذت في الفقه على شيخنا ، الإمام الصالح المقرب ، ولي الله تعالى ، جمال الدين أبي أحمد محمد الطاهر بن أحمد بن عمر بن جعمان . فقرأت عليه منهاج الطالبين للنووي جميعه ، ومن كتاب الحاوي ١/١٤٦ الصغير وتفسيره للبارزي، ونظمه / لابن الوردي، إلى ثلث كل كتاب منها، وأخذت في الحديث بها على شيخنا ، الإمام الأوحد ، الصالح ذي الفنون العديدة ، والمآثر الحميدة ، برهان الدين ، أبي اسحاق إبراهيم بن أبي القاسم بن جعمان ، فقرأت عليه كتاب الإذكار للإمام النووي ، والشمائل للترمذي ، وعدة الحصن الحصين للجزري ، وغيرذلك، وسمعت عنده ، بقراءة غيري ، مجالس من صحيحي البخاري ومسلم ، وبعضاً من كتاب الإرشاد ، مختصر الحاوي ، للعلاّمة شرف الدين بن المقري ، وغير ذلك . وانتفعت بدعاء كل واحد من مشايخي المذكورين ، ومحبتهم لي ، رحمهم الله جميعهم ، وشكر سعيهم .

ثم حججت الحجة الثالثة ، في سنة ست وتسعين وثمانمائة ، وزرت بعد الحج قبر سيدنا رسول الله ، ﷺ ، في أواخر ذي الحجة منها ، ثم رجعت إلى مكة المشرفة ، في المحرم من سنة سبع وتسعين . فمنَّ الله عليّ بلقيا الشيخ الإمام ، حافظ العصر ، مسند الدنيا ، فريد الوقت ، شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري الشافعي فيها ، فصحبته ، وانتفعت به ، وأخذت ٢/١٤٦ عليه في علم الحديث النبوي. وسمعت عليه كثيراً من / صحيحي البخاري ومسلم ،

ومن كتاب مشكاة المصابيح للإمام التبريزي ، وجملة من ألفية الحديث للحافظ أبي الفضل العراقي ، ومن شرحها له المسمى بفتح المغيث لشرح ألفية الحديث . وقرأت عليه كتاب بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، للحافظ أبي الفضل بن حجر ، وبعضاً من كتاب سيرة ابن سيد الناس اليعمري ، المسماة بعيون الأثر ، وبعضاً من كتاب رياض الصالحين للنووي ، وثلاثيات البخاري ، وما لا يحصى من الأجزاء والمسلسلات ، وكان يجلني ، ويشير إليّ ، ويعظمني ، ويقدمني على سائر الطلبة ، ويؤثرني ، وأحسن إليّ كثيراً ، جزاه الله عني خير الجزاء .

ثم لما رجعت من الحج إلى وطني ، ألفت كتابي المسمى : « كشف الكربة في شرح دعاء الإمام أبي حربة ». ثم ألفت بعده كتابي التاريخ هذا المسمى : « بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد » .

ولما وقف عليه مولانا السلطان ، صلاح الدين ، الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر ، جدد الله سعوده ، ونصر جنوده ، طلبني إلى مجلسه الشريف العالي ، واستجاده / واستحسنه ، ودعا لي ونبهني على إلحاق أشياء فيه كنت ١٤٧/١ أغفلتها ، واستدراك فوائد لم أكن ذكرتها . ثم اختصرت له منه كتابي المسمى : « بالعقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر »، ذكرت فيه دولة جَدّيّة ووالده ، ومآثرهم الحميدة ، ودولته المباركة الميمونة[1] السعيدة ، فلما وقف عليه مولانا السلطان ، أفاض عليّ مواهب الجود والإحسان ، وأجازني من مواهبه الهنية ، بجائزة ميمونة سنية .

ثم حصلت هذا التاريخ تحصيلاً عظيماً ، وتقدمت به إلى مولانا السلطان ، وهو إذ ذاك بمحروسة المقرانة مقيماً ، وقدمته إليه ، فأثابني بثواب عظيم عليه ، وأفاض عليه من مواهب كرمه ، ما يقصر صوب الغمام عن غزير ديمه . ولم أزل عنده في روض اريض ، وجود فائض عريض ، حتى أذن لي في الرجوع إلى وطني ، وخلع خلعة نفيسة وأكرمني ، وتصدق عليّ بدمنة سلطانية بمدينة زبيد للسكنى ، وأعفى لي قطعة نخل بوادي زبيد ، وصيرني لإحسانه قناً ، وتلافاني بعد التلف وتدارك ، وجعل لي قراءة / الحديث بجامع زبيد على المنبر المبارك، فرجعت ١٤٧/٢

---

(١) في (أ) : المصونة .

مسروراً إلى الوطن في نعمة وافرة ، وحال حسن ، شاكراً لجوده وإحسانه ، معترفاً بفضله وامتنانه ، سائلاً الله تعالى أن يجمع الخلق على طاعته ، وأن يمد في أيام دولته ، وأن يعز بمتابعته كل صبّار شكور ، ويذل بمخالفته كل ختال كفور ، ويجمع له بين نصره العزيز ، وفتحه المبين ، ويجعل كلمة الملك باقية فيه وفي عقبه إلى يوم الدين ، آمين .

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

آخر الكتاب ، والحمد لله الوهاب ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . .

[قال مؤلفه رحمه الله تعالى ،وغفر له، ونفع به ووصل سببي بسببه، فرغت من تعليقه عشية الثلاثاء ، السادس من شهر صفر المبارك من سنة ست وتسعماية والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات](1)

[وكان الفراغ من تعليقه ، بعد صلاة الظهر ، يوم الأحد ، تاسع عشر شهر شوال ، سنة خمس وثمانين وتسعماية ، من الهجرة النبوية](2) .

وفي هامش نسخة باريس (أ): إن المقابلة تمت « على حسب الطاقة والاجتهاد ، على الأم المنسوخ منها ، وعلى نسخة بخط المؤلف ».

وفي نسخة (ج) ، التي كُتِبَتْ سنة ٩٤٢ ، العبارة التالية : « يتلوه كتاب الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد ». ,

---

(١) الزيادة في (ب) .

(٢) نسخة (أ) . وفي (د) : ضحوة الخميس ، السادس من شهر شعبان الكريم ، من سنة ٩٤٣ . وفي (ب) : ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٢٩٠ . وفي (هـ) : محرم الحرام سنة ١٠٥٨ .

تمهيد

من « بغية المستفيد » إلى « الفضل المزيد » .

عاش ابن الديبع في ظل الدولة الظافرية ، ونال من السلطان عامر ، العطايا السنية والهبات الكريمة ، لما رفع إليه مؤلفه « بغية المستفيد » . ثم اختصر له منه كتابه المسمى « بالعقد الباهر ، في تاريخ دولة بني طاهر » ، ذكر فيه دولة جديه ، ووالده ، ومآثرهم ، فأصبح المؤرخ الرسمي للدولة الطاهرية .

ومن البديهي أن يحرص ، عندئذ ، على تدوين كل الحوادث الهامة ، التي وقعت بعد إتمامه « بغية المستفيد »، ويقوم بتسجيلها يوماً بعد يوم . ولذا يختلف « الفضل المزيد » ، في مبناه وأسلوبه ، عن « بغية المستفيد » . فإننا نجد ، في هذا الكتاب ، تاريخاً عاماً لليمن الإسلامي ، مع بعض الإسهاب ، في الحديث ، عن الدولة الطاهرية ، وعن مدينة زبيد ، وهي مسقط رأس المؤلف . أما في كتابه الجديد ، وهو تذييل على الأول ، فإنه يكتفي ببسط أهم الحوادث التي جرت ، خلال العقدين الأولين، من القرن العاشر الهجري ، متبعاً ، في حديثه ، أسلوب اليوميات .

وكانت الدولة الطاهرية ، في ذلك الوقت ، في أوج عزها وذروة قوتها . إذ بسطت سلطانها على قسم كبير من اليمن الأعلى ، بما فيه قصبته صنعاء . ودان

الأشراف ، على كره ودخل ، للملك الظافر . وما كان ليخطر على بال إنسان ، أن هذه الدولة القوية تعيش آخر أيام من عمرها . والواقع أن ابن الديبع ، عندما أخذ بكتابة تذييله ، كان السلطان عامر على قيد الحياة . والدليل على ذلك أننا نجد في بعض المخطوطات ، عند ذكر هذا العاهل ، عبارات التفخيم والتكريم والدعاء له بطول السعادة والعمر . ثم وقع ، بعد ذلك ، من الأمور الهامة التي أفضت إلى تقويض دعائم الدولة الطاهرية . ولذا أبدلت عبارات الدعاء بالترحم على السلطان عامر ، بعد أن قتل في معركة صنعاء سنة ٩٢٣ هـ .

أهمية « الفضل المزيد »

وعلى الرغم من ضآلة المدة التي أرّخ ابن الديبع حوادثها ، في « الفضل المزيد » ، إذ هي لا تزيد على ثلاث وعشرين سنة ، ومن الممكن اختصارها بصفحات قلائل ، فإن لهذا الكتاب أهمية تاريخية واجتماعية تكاد تفوق أهمية « بغية المستفيد » . وذلك لأن المؤلف لم يكتف بالأمور المحلية ، بل تعداها إلى السياسة العامة ، مثل علاقات اليمن مع مصر والحجاز ، أو ظهور مراكب البرتغاليين ، في البحر ، بطريق الهند وهرموز ، سنة ثمان وتسعمائة . وكان لهذا الحادث الأخير أثر كبير في تغيير الاتجاه السياسي العالمي . والواقع أنه يعد أول محاولة في بسط الاستعمار الأوروبي ، على الشرق العربي والإسلامي . فضج اليمنيون بالدعاء على المعتدين ، وأمر السلطان بالقنوت عليهم في الصلوات الخمس ، وفي خطبة يوم الجمعة ، بزبيد ، وعدن ، وغيرهما من البلاد اليمنية . وبذل الأموال العظيمة لمن يتوجه لمحاربتهم ، فخرج من مدينة عدن ، سنة اثنتي عشرة وتسعمائة ، أربعة عشر مركباً ، فيها من المسلمين فوق ستمائة ، ومعهم جماعة من الفقهاء وطلبة العلم ، للجهاد في سبيل الله .

وحاول المماليك أيضاً صد هذا العدوان ، فوصلت مراكبهم ، سنة تسع وتسعمائة ، إلى الجهات اليمنية ، وتوجهت من عدن إلى ديو لمحاربة الافرنج . ولم تستطع هذه القوات الضعيفة أن تطرد البرتغاليين من بحر الهند ، بل إنهم ازدادوا نشاطاً . فغلبوا على مدينة هرموز . وأخذوها ، سنة ثلاث عشرة وتسعمائة . ووصلت مراكبهم إلى بندر عدن ، سنة تسع عشرة وتسعمائة وفتحوا باب الحرب

على الثغر . فردتهم الحامية ، بعد معركة كبيرة ، فرجعوا إلى سفنهم ، ودخلوا البحر الأحمر ، لأول مرة في التاريخ . ثم ساروا إلى الحديدة ، وحاولوا أخذها ، فلم يفلحوا . ولكنهم توفقوا بدخول جزيرة كمران ، وأقاموا بها من أوائل صفر إلى جمادى الأولى . ثم أعادوا الكرة على عدن ، ففشلوا للمرة الثانية ، فأرجأوا أمرها ، وتوجهوا إلى طريق الهند .

ومن المعلوم أن هذه الأمور كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى زوال الدولة الطاهرية ، على يد المماليك . إذ أسرعوا لرد العدوان البرتغالي ، فتخوف منهم السلطان عامر ، ومنع عنهم الميرة ، فأخذوها غصباً ، وخربوا الحديدة . وساعدتهم القوات الزيدية ، وعرب التهامة ، فاحتلّوا زبيد ، وقوضوا دعائم المملكة اليمنية ، كما هو مبسوط في « الفضل المزيد » . ولذا يعد هذا الكتاب من أهم المصادر العربية التي جاء فيها ذكر البرتغاليين ، ومحاولة بسط نفوذهم على الساحل اليمني . ونسمع نغمة غير التي ألفناها في الأبواق البرتغالية .

وعلاوة على ذلك ؛ إننا نعيش ، من خلال يوميات ابن الديبع ، في جو زبيد الاجتماعي ، إذ دوّن ، بأمانة ، أموراً عديدة ، لا يأخذها المؤرخ عادة بعين الاعتبار . فمن ذلك عادة الاستجارة بقبور الأولياء ، وإيداع الأموال في تربتهم ، والاحتماء ببيوت كبار الفقهاء ، والرجال الصالحين ، لإيقاف إجراء الأحكام . ومنها أيضاً تضامن الأسرة ، في حالة قتل أو سرقة ، ووقوع جميع أفرادها تحت طائلة الحكم ، إلى أن يتم القبض على الجاني . ومنها أيضاً التمكين من القصاص ، بدفع القاتل إلى أولياء المقتول ، للأخذ بالثأر منه . . .

ومن قراءة « الفضل المزيد » ، نعلم أن زبيد كانت مقسمة إلى أرباع ، وأن سكان هذه الأرباع لم يكونوا على وفاق فيما بينهم ، وأن حوادث السرقات ، والقتل ، والعدوان ، كانت عديدة ، بزبيد والتهامة . وعلى الرغم من الوعظ ، والإرشاد ، وكثرة الفقهاء ، ورجال العلم والصلاح ، فقد ظهر ، في تلك الأيام ، على ما يقول ابن الديبع ، من الفسق ، والمعاصي ، والفجور ، وشرب الخمور ، وصحبة الأحداث ، ما لم يكن يعهد بمثله قبل ذلك . وحل بالناس حبوب ، تعرف بالنار الفارسي ، وكثرت ببلاد اليمن . فارتاعت الدولة من تعاظم الفساد . وأمر السلطان بنفي المخنثين عن زبيد ، وضربهم ، وتخريب دورهم . وهُجِمَتْ بيوت

الخمارين ، وسمرت ، وأهرقت دنان الخمور. ولا يتكلم ابن الديبع عن سبوت زبيد ، وكان لها شهرة كبيرة ، في الدولة الرسولية .

أما الناحية الأدبية ، فإن المؤلف يكاد يهملها تماماً . وقل ما يتكلم عن مؤلفات معاصريه . وكأني بالأقلام قد جفت ، وبالقرائح قد نضب معينها فلا نجد في « الفضل المزيد » ذكراً سوى لكتاب واحد ، في الصيد ، المسمى « بانتهاز الفرص ، في الصيد والقنص » ، لتقي الدين حمزة بن عبدالله الناشري . ولكن ابن الديبع يشير ، عرضاً ، إلى أمر هام ، إذ يذكر أن السلطان أمر بتقييد رئيس الإسماعيلية ، وإتلاف كتبه ، فأتلفت .

والواقع أن المؤلف أعار كل اهتمامه الناحية السياسية ، وأقام نفسه مؤرخاً للدولة الطاهرية ، فسجل أمور المملكة ، وتحركات السلطان ، وحروبه ، وآثاره العمرانية ، وصدقاته ، وتعرضه للأوقاف . ويظن ابن الديبع أن هذا التعرض كان سبباً لزوال دولته .

ابن الدَّيْبَع

كتاب
الفضل المزيد
غية المس

تحقيق

الدكتور يوسف شلحد

[المقدمة]*

بسم الله الرحمن الرحيم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

٦٩/١ /الحمد لله الذي جعل للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، وأجرى عبادة المؤمنين من عوائده الجميلة على أحسن عادة . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة توجب لقائلها السعادة ، وتبلغه من خير الدارين مراده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأتم نعمته عليه وزاده ﷺ ، وعلى آله واصحابه ، ما نطق ناطق بكلمة الشهادة .

أما بعد ، فإنه لما يسّر الله تعالى ، وله الحمد ، تمام كتابي : بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، الذي أتممتُ تأليفه في آخر تسع المئين ، وأمدني الله تعالى من العمر ، بعد إتمامه بما يزيد على العشرين من السنين ، سألني جماعة من الاخوان التذييل بما وقع ويقع[1] ، في المدة المذكورة وما بعدها[2] ، من الحدثان ، فاستخرتُ الله تعالى وأجبتهم إلى مطلوبهم ، مساعداً لهم في إنالة

ملاحظة : الأرقام في الهامش تشير إلى أرقام ورقات المخطوطة المعتمد عليها . مثلاً ١ /٦٩ معناه : ورقة رقم ٦٩ ، الصفحة الأولى ، من مخطوطة برلين . و٢ /٦٩ : الصفحة الثانية .

(*) العنوان من المحقق .

(١) في (هـ) : واتفق .

(٢) في (هـ) : وما بعد .

مرغوبهم ومحبوبهم ، وكتبت من ذلك ما وقع لي واتفق ، مرتباً له على السنين ، كما تقدم العمل به وسبق ، وسميته « الفضل المَزِيد ، على بُغية المستفيد » ، وأرجو من كرم الله تعالى أن ينفّع به كما نفع بأصله ، وأن يعمنا بطوله وفضله ، إنه سميع الدعاء ، جزيل العطاء ، فأقول مستعيناً بالله ، متوكلاً عليه .

[حوادث سنة إحدى وتسعمائة]*

في يوم الثلاثاء ، ثاني محرم أول سنة إحدى وتسعمائة : أوقع جند السلطان والصُميّون بالواعظات ، فقُتِلَ من الواعظات سبعة وعشرون نفراً . وفي يوم الاثنين ، ثامن الشهر المذكور ، أوقع الأمير شمس الدين علي محمد البَعْداني بأهل يَعَر[1] ، من ناحية مُلُص[2] فقتل منهم سبعين نفساً ، وأسر أربعين . ثم أغار عليهم يوم الثاني عشر من الشهر المذكور ، فهزمهم هزيمة عظيمة ، وقتل منهم ثمانين نفراً بذي جود . وفي صفر منها ، أرسل مولانا السلطان ، الملك الظافر ، الأمير[3] شمس الدين علي بن شجاع العَنْسي ، إلى بيت الفقيه ابن حُشَيْبِر ، وكان إذ ذاك بها ، بخلع نفيسة ، وصرف له محملاً حسناً ، وحملاً نفيساً ، ورمحين جيدين من رماحه ، ورايات عليها مكتوب الألقاب الشريفة ، وأعطاه مالاً جزيلاً ، وحباً جميلاً . ولم يزل الأمير المذكور في البلاد الشامية ، يجبي خراجها ، ويقرر أمورها . ووفدت إليه قبائل العرب ، وقرر معهم رسومها ، وأمرهم أن لا يتعدوها ، حتى قدم إلى زبيد ، صبح يوم الأحد ، العاشر من شهر ربيع الآخر ، في أبهة عظيمة ، والخيل المقبوضة من العرب تقاد تجاهه ، وعدتها نيف على مائة وعشرين فرساً ، ومن الجمال قريب الثلاثين ، ومن الأموال / جملة عظيمة . ٢/٦٩

وقبل دخوله بيوم ، قتل الجَبَرْتي المجْزبي ، شيخ المَعازبة ، لذنوب تواترت منه . والقاتل له أحد جند الأمير ، بمساعدة ابن عمه له . واحتز رأسه ، ودخل به مدينة زبيد.

(*) العنوان من المحقق .

(١) في قرة العيون : يَعَر (ج ٢ ص ١٩٣) . وفي مخطوطة (أ) و(هـ) يُعَر بضم الياء .

(٢) في (و) : مَلُص .

(٣) في (و) : للأمير .

وفي الشهر المذكور ، قُدِمَ إلى مدينة زبيد ، بكتاب فتح الباري ، لشرح البخاري ، للحافظ شهاب الدين بن حجر من البلد الحرام ، وهو أول دخوله اليمن . وكان مولانا السلطان أرسل لاشترائه ، فاشتري له بمال جزيل ، ثم قدم به الرسول إلى مدينة زبيد ، ثم توجه به إلى باب السلطان ، فواجهه به في مدينة تعز ، وهذا الكتاب من آيات الله الكبرى .

ثم توجه الأمير علي بن شجاع ، بجميع ما معه إلى الأبواب الشريفة ، ليواجه السلطان ،بمدينةتعز ،صبح يوم الثلاثاء، الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر . وفي يوم الخميس ، السابع والعشرين من الشهر المذكور ، قدم الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد العطّاب[1] ، من الأبواب الشريفة إلى محروسة زبيد ، وفي صحبته كتاب شرح البخاري المذكور ، بسبب تحصيله . فحصل منه نسخة جيدة ؛ بخطوط معتبرة ، وقوبلت بأصلها ، ووقفت بالجامع الظافري بزبيد ، خلّد الله ملك عامره آمين .

وفي عصر يوم الاثنين ، التاسع من جمادى الأولى ، قدم إلى زبيد الشيخ أبو القاسم بن سالم الشُرْيَاني ، بعد طول خلافه ، وفي صحبته ابن راسين وولده ، على ذمةٍ من السلطان ، وذلك بعد أن خرج الأمير شجاع الدين عمر علي[2] العَنْسي ، من محروسة زبيد ، فأقاموا بها ثلاثة أيام ، ثم توجهوا إلى السلطان ، صبح يوم الخميس ، الثاني عشر من الشهر المذكور ، وفي صحبتهم الشيخ عفيف الدين عبدالله بن مرزوق ، وواجهوا السلطان بمدينة تعز ، فرضي عنهم ، وأكرمهم ، وعفا عنهم ، وكساهم ، وأنعم عليهم ، وألزمهم السكنى بزبيد ، بأهلهم وذريتهم . فرجعوا إلى زبيد ، فدخلوها يوم السبت ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور . وقد أصاب الشُرْيـاني وعك في الطريق ، فلبث بزبيد إلى ليلة الأربعاء ، الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، وتوفي بها ، ودفن صبيحتها ، بمقبرة المشايخ بني مرزوق ، وشيعه جمع عظيم من الدولة وأهل زبيد ، رحمه الله تعالى .

---

(١) في (هـ) : العطّار .

(٢) في (هـ) : عمر بن علي .

وفي ضحى يوم الأربعاء ، السادس عشر من جمادى الآخرة ، قدم الأمير علي بن شجاع ، من الأبواب السلطانية ، إلى مدينة زبيد . وفي آخر يوم الأحد ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، توفي عبد القادر بن حسين الشَّرْعبي ، بمدينة زبيد ، ودفن صبح يوم الاثنين ، رحمه الله . وفي آخر يوم الأربعاء ، منتصف شهر رجب الحرام ، خرج جمع كبير من أهل مدينة زبيد ، وغيرهم من الغرباء الذين بها ، للنظارة بباب الشَّبَارِق ، ينظرون إلى من جاء من زوار مسجد مُعاذ ، رضي الله عنه ، إذ جرت العادة بذلك ، في كل أربعاء من الشهر المذكور . فتداخل الليل ، ١ / ٧٠ وأكثر الناس من خارج المدينة ،/ فأمر الأمير علي بن شجاع بغلق الباب ، فأغلق على أكثر أهل زبيد ، وأمسوا خارج المدينة وكانت عجيبة .

وفي يوم الاثنين ، السادس والعشرين من شهر شعبان ، أمر الأمير المذكور بهجم زاوية الشيخ الغزالي بن طلحة الهتّار ، بمدينة زبيد ، وهي زاوية عظيمة محترمة ، من عهد الشيخ الغزالي المذكور ، من لجأ إليها ، مظلوماً أو خائفاً ، أمن على نفسه وماله . فهجمت الزاوية ، وانتهبت| المعاصر والدكاكين التي فيها ، وسمرت الدكاكين ، ودخلت البيوت ، وحمى الله سبحانه بيت الشيخ ، فلم يقدر أحد على دخوله . والسبب في ذلك أن رجلاً يقال له الدُّوَيْلي العصّار[1] ، وكان عليه دين لرجل يقال له الشُّلوق[2] ، فلم يقدر على تسليمه ، واستجار هنالك . وأن شيخ دار الضرب بزبيد ، إسماعيل بن أبي الغَيْث السُّنْبُلي ، طولب بعشرة آلاف دينار ، وجدت عليه من مال السلطان ، فعجز عن تسليمها . فرسم عليه ، وهرب على الترسيم واستجار هنالك ، قبل هذه الواقعة بثلاثة أيام . فأمر الأمير المذكور بهدم بيته ، وبيع ما وجد فيه من الأثاث وغيره ، ثم بهجم الزاوية المذكورة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ولزم جماعة ممن وجد في الزاوية المذكورة من الناس ، وضربوا ضرباً شنيعاً ، وحبسوا وصودروا بمال . وأما السُّنْبُلي والدُّوَيْلي ، فلم يقدر أحد عليهما ، لكونهما كانا داخل بيت الشيخ ، نفع الله به . ثم وصلت كتب السلطان ، في شهر رمضان ، بالفسح للسُّنْبُلي والصبر بما عليه من المال ، وقرضه ما يحتاجه لقيام بيته ، وإصلاح حاله .

---

(١) في (ج) : وكان عصاراً .

(٢) في (د) و(و) : يعرف بالشلوق .

وفي شهر رمضان ، أمر الملك الظافر أن يُصْنَعَ طعامٌ[1] لقَوْمَة مسجد الجامع بزبيد ، يقوم بكفايتهم ، فطوراً وسحوراً ، فصُنِع ذلك لهم ، وارتفقوا به رفقاً عظيماً . وربما أصاب منه غير القومة من المستحقين ، لكثرته ونفاسته ، جزاه الله خيراً . وفي آخر شوال من السنة المذكورة ، قُتل رجلان من القرشيين الأعلين ، هما محمد بن النجار ويحيى بادي ، رجلاً يعرف بيحيى بن محمد الأعمى ، بنخل وادي زبيد ، بجهة القاعة . فألزم الأمير علي بن شجاع بني علي تحصيل القاتِلَيْن حتى حصلا ، وأودعا دار الأدب بزبيد ، يوم الجمعة ، الحادي عشر من ذي القعدة ، وأدب الأمير بني علي بمال عظيم . وفي ذي القعدة منها ، ارتفعت الأسعار بمدينة زبيد ، لضعف الخريف وقلة أمطاره ، وتلف أكثر زرع الحازة ، وحصل في الزرع آفة عظيمة .

وفي يوم السبت ، الثامن من ذي الحجة ، منها نزل رجل بئراً في حلة درين ، من نخل وادي زبيد ، ليصلحها ، فلما استقر في أسفلها لم يعلم له خبر ، فنزل له آخر فكذلك ، ثم آخر ، ثم آخر ، ثم إن رجلاً حمل مصحفاً وسيفاً ، ونزل ٢/٧٠ لهم فأخرجهم ، وقد مات الأول منهم وفي ظهره على هيئة الضربات / الشديدة ، والباقون مغمى عليهم . فلما أفاقوا سُئلوا عن حالهم ، فذكروا أنهم كانوا يسمعون أصواتاً منكرة ، وريحاً شديدة ، ويسمعون صوت السلاح كقوم يتقاتلون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وفي يوم الاثنين ، العشرين من الشهر المذكور ، طلع بالشيخ إسماعيل السُّنْبُلي ، شيخ دار الضرب ، من مدينة زبيد ، مقيداًمترسماً إلى الأبواب السلطانية . وكان قد هرب من مدينة زبيد إلى قرية التُّرَيْبَة ، واستجار بها ، فأخرج من هنالك بحيلة ، في أوائل الشهر المذكور . وفي السابع من ذي الحجة منها ، توفي سلطان الديار المصرية الملك قايْتْباي ، إلى رحمة الله تعالى .

[حوادث سنة اثنتين وتسعمائة][2]

وفي شهر المحرم ، من سنة اثنتين وتسعمائة ، تصدق الملك الظافر على

---

(١) كذا أيضاً في « قرة العيون » ولكن المحقق يقول في الهامش : « وكان الصواب : طعاماً » . . بمقتضى القانون النحوي (ج ٢ ص ١٩٥) . والواقع أن الفعل بصيغة المجهول .

(٢) جميع العناوين من المحقق .

فقراء زبيد ، بستة آلاف دينار ، ومائة مدّ زبيدي طعاماً ذرة ، تقبل الله منه . وفيها تحرك الشريف محمد بن علي الوشلي للخلاف[1] على الملك الظافر ، وساعده أصحاب ذمار ، وخالف أهل المَصْنَعة ، ولم يظفر أحد منهم بشيء . وفيها أخذ بنو الجَعْد حصن الطياش[2] ، فوق حصن الشُّرَيْف ، على بني واقد ، وخرج الأمير علي بن شجاع ، بسبب ذلك ، من مدينة زبيد ، فحط على الحصن المذكور ، في آخر شهر المحرم فصالحوه وبذلوا له الرهائن ، فأخذها منهم ، وارتفع عنهم إلى بيت الفقيه ابن عُجَيْل ، ثم دخل مدينة زبيد في غرة شهر صفر .

وفي يوم الجمعة ، مستهل شهر صفر منها ، توفي الفقيه عبدالرحمن بن محمد الهبيل[3] ، وكان قد تفقه وبرع ، فحصل له شبه خبال ، ثم مات بسببه ودفن عصر ذلك اليوم ، رحمه الله . [وتوفي قبله ، ليلة الجمعة ، أبو الغيث الجُماعي[4] العصار ، رحمه الله تعالى][5] . وفي يوم السبت ، العشرين من شهر ربيع الأول ، توفي أحمد بن الطاهر الحلواني ، رحمه الله . وفي يوم الخميس ، الخامس والعشرين منه ، توفي أحمد بن عبدالرحمن الشَّرَف ، رحمه الله . وفي الشهر المذكور، أخذ الملك الظافر حصن المَصْنَعَة من جهة صنعاء، وسائر ما هناك، قهراً. وفي الشهر المذكور، قدم على الملك الظافر، من عند الشريف محمد بن بركات، صاحب الحجاز ، بجملة من الجوارح الصائدة ، على سبيل الهدية . وفي ربيع الآخر منها، قدم رسول من الخليفة المتوكل على الله العباسي، من الديار المصرية، بهدية سنية إلى مولانا السلطان، وواجهه بها في مدينة تعز ، في منتصف جُمادى الأولى ، وقابله بالاعزاز والاكرام ، والإحسان والانعام ، وأعطاه مالاً جزيلاً ، وخلعاً نفيسة[6] جزاه الله خيراً . وفي عشية يوم الجمعة ، منتصف جمادى الأولى ، قدم الشريف العفيف ، عبدالله بن علي بن سُفْيان ، من الأبواب السلطانية ، إلى محروسة زبيد مقطعاً الجهات[7] الشامية ، وفي صحبته

---

(١) في (د) : بخلاف .
(٢) في (هـ) : الطاس ، بدون تنقيط .
(٣) في (ج) : الهيل .
(٤) في (و) : الجمعاعي .
(٥) جملة ساقطة في (ج) .
(٦) في (هـ) : وخلع عليه خلعة نفيسة .
(٧) في (هـ) : مقطعات الجهة .

ألف راجل ومائتا فارس ، ودخل زبيد ، وتوجه منها إلى الشام ، عشية الخميس ،
٧١/١ التاسع عشر من الشهر المذكور. وأقام بالشام / مدة ، يجبي خراجها ، ويستخلص أموالها ، وحمدت سيرته ، وأحبه الناس . ولم يزل هنالك حتى قدم مدينة زبيد ، ضحى يوم الثلاثاء ، سلخ شهر رجب ، من السنة المذكورة ، في أبهة عظيمة ، وخيل العرب المقبوضة تقاد تجاهه ، وعدتها مائة فرس ، وأربعة عشر جَمَلاً ، وأموال جليلة .

وفي ظهر يوم السبت ، مستهل جمادى الآخرة ، وقع بمدينة زبيد حريق عظيم ، ابتداؤه من غربي المَنْظَرة ، وانتهاؤه في الشام ، إلى مسجد الشيخ أبي الغيث بن جميل ، وتلفت فيه بيوت واموال جليلة . وفي أول جمادى الآخرة ، قدم السلطان الملك الظافر إلى مدينة تعز ، واقام بها إلى آخر شهر شوال ، وقدم عليه ، في اثناء هذه المدة ، العفيف بن احمد بن منصور. في شهر شعبان ، بخزانة عظيمة من المال من مدينة عدن ، فيها من النقدين وقر خمسة وثلاثين جملاً ، من الذهب والفضة ، ما عدا العروض . وتصدق مولانا ، في هذه المدة ، بأموال جمة على الناس عموماً ، وقصدته العوالم من جميع الجهات ، ولم يصدر احد منهم إلا شاكراً لفضله ، مثنيا عليه لفعله . وقدم عليه رسول من شيخ الإسلام ، أبي السعود [ابن][1] ابراهيم بن ظُهَيْرة الشافعي ، قاضي مكة شرفها الله تعالى ، بكتاب صحيح البخاري ، في مجلد واحد ، فأثابه عليه ثواباً عظيماً ، وأرسل إليه رسولاً ، وأمره باعانته في اقامة رباط البَغْداني الذي بمكة المشرفة ، وعمارته ، وأرسل إلى المدينة الشريفة بمقدمة كريمة من القرآن الكريم ، في غاية الحسن والتذهيب ، وأوقفها بالمسجد الشريف النبوي ، على صاحبه افضل الصلاة والسلام . وأمر أن يشترى بها ضياع وعقارات ، وتوقف على قارىء فيها ، وناظر عليها . وربما قيل إنه أرسل بخصي من خدامه ، للقيام بخدمة هذه المقدمة الشريفة ، والاقامة هنالك .

وفي يوم الخميس ، الحادي عشر من شهر شعبان ، توفي الشيخ شهاب الدين محمد بن داود بن طاهر ، ابن عم مولانا السلطان ، بدار الأدب من حصن تعز ، والسلطان ايده الله تعالى يومئذ مقيم هنالك . فأمر بتجهيزه ، وشيعه مولانا

---

(١) الزيادة من (هـ) .

السلطان، وجملة من معه من الملوك هنالك مشاة. وصلى عليه في جمع عظيم[1]، ودفن في مقبرة الأُجَيْناد، عند والده، بتربة الشيخ أحمد بن محمد الجَبَرْتي، نفع الله به ورحم الجميع امين. وفي عصر يوم الثلاثاء، الثامن والعشرين من الشهر المذكور، توفي شيخنا العلامة، سند[2] الدنيا، حافظ العصر، فريد الوقت، شمس الدين، أبو الخير، محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري القاهري، بالمدينة الشريفة، حال مجاورته بهاء ودفن بالبقيع، صبح يوم الأربعاء، ٢ /٧١ التاسع والعشرين من الشهر المذكور، / بجوار مشهد الإمام مالك بن أنس، رحمهما الله تعالى ونفع بهما. ولم يخلف بعده مثله في مجموع فنونه، رحمه الله ونفع به امين.

وفي شهر رمضان، من السنة المذكورة، اغزى الإمام الملك الظافر طائفة من جيشه، وأمر عليهم الشجاع بن علي بن عمر العَنْسي، [وشمس الدين علي ابن محمد النظاري، على الأحذور[3]، وكانوا يقطعون الطريق، فيما بين عدن وتعز، ويأخذون الأموال. وأصابوا منهم جماعة، وقتلوهم وانتهبوهم، واحتزت رؤوسهم، وقُدم بها إلى باب السلطان، بمدينة تعز. وفي الشهر المذكور، عمل الشيخ علي بن عمر العنسي][4] المكيدة لبني سليمان، وكانوا يقطعون الطريق فيما بين مدينة زبيد وتعز. فأرسل لمشايخهم بالاذن من السلطان، واستدعاهم إلى مدينة زبيد، ليجريهم على قواعدهم القديمة من الجوامك والمرتبات. فدخلوا عليه، وكانوا ثلاثة وخمسين رجلاً من أعيانهم، فرسم على الكل، وقيدهم، وأرسل بهم إلى باب السلطان، وهو إذ ذاك بمدينة تعز. وفيه نُكِبَ بالأمير العفيف ابن منصور، لبلوغه عنه أشياء لا تليق بخدام الملوك، وصادره وقيده وأودعه دار الأدب، إلى التاريخ الآتي ذكره. وفي الشهر المذكور، أمر السلطان بتقييد رئيس الاسماعيلية، سليمان بن حسن[5]، بمدينة تعز، وأودعه دار الأدب. وكان

(١) في (هـ): كثير.
(٢) في (هـ): سيد.
(٣) في (د): الأخدود.
(٤) [ ]: جملة ساقطة في (ج) و(هـ) والزيادة من (د) و(و).
(٥) في قرة العيون: حنش (ج ٢ ص ١٩٦).

يتحدث بما لا يعنيه من المغيبات المستقبلات ، وكان عالم الاسماعيلية . وأمر باحضار كتبه واتلافها ، فاتلفت ولله الحمد .

وفي يوم الثلاثاء ، عاشر من شهر شوال ، قدم الشجاع بن محرم العنسي مدينة زبيد ، مقطعاً الجهات الشامية من قبل مولانا السلطان . فدخلها عصر ذلك اليوم ، وأقام بها إلى السابع عشر من الشهر المذكور ، ثم توجه إلى الجهات الشامية ، من قبل مولانا السلطان . وفي يوم الخميس ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، توجه السلطان الملك الظافر من محروسة تعز إلى ثغر عدن ، بعد أن اطلق العفيف بن أحمد بن منصور من القيد والترسيم ، وأمره بالطلوع صحبة اخيه ، الشيخ عبد الملك بن منصور ، إلى المقرانة . وأطلق بني سليمان من الأسر بالرهائن من أولادهم ونسائهم ، وجعل رهائنهم بمدينة زبيد ، وأجرى لهم الكفاية ، وأطلق رئيس الإسماعيلية من الحبس ، وعفا عنه .

وفي أواخر شهر ذي القعدة منها ، توجه الملك الظافر إلى محروسة المقرانة ، من الثغر المحروس . فدخلها في أوائل ذي الحجة ، وعيّد بها عيد الأضحى . وفي الشهر المذكور ، حصلت للقاضي ابراهيم بن محفوظ المصري زلة ، هرب لاجلها من الأبواب الشريفة . فأمر السلطان بهدم بيته بزبيد ، وقبض ما فيه ، فقبض جميع ما فيه وهدم ، يوم الإثنين ، الخامس عشر من الشهر المذكور ، ٧٢/١ وأرسل الرسل في طلبه ، / فوجد في حدود جهات المِقْرانة ، فلزم وقيد واودع دار الأدب ، بالمقرانة ، إلى التاريخ الآتي ذكره . وفي يوم الاثنين المذكور ، توفي القاضي عفيف الدين عبدالله بن محفوظ المصري ، بقرية المَرَاوغة ، من اعمال الوادي سَهام ، ودفن هنالك ذلك اليوم ، بجوار سيدي الشيخ علي الأَهْدَل ، نفع الله به آمين . وفي الشهر المذكور توفي الفقيه النبيل ، الصالح الأصيل ، جمال الدين محمد المقبول بن أبي بكر الزَيْلَعي ، صاحب قرية اللُحية ، نفع الله به وبسلفه امين .

[حوادث سنة ثلاث وتسعمائة] .

وفي غرة محرم سنة ثلاث وتسعماية ، اغزى الملك الظافر جيشاً على الأحذور ، لذنب حصل منهم . فَقُتِلَ منهم فوق الثلاثين ، واحتزت رؤوسهم ،

وجيء بها إلى الأبواب الشريفة . وفي يوم الخميس ، عاشر الشهر المذكور ، توفي الفقيه العلامة ، جمال الدين محمد بن ابراهيم بن الدنش المكدنس(١) ، فقيه اللامية ومفتيها ، ببلدة سامر ، وكان له بها مشهد عظيم ، رحمه الله تعالى . وفي يوم الثلاثاء ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، توفي صاحب الحجاز واميرها ، الشريف جمال الدين محمد بن بركات ، بوادي الأبْيار خارجاً عن مكة ، وحمل إليها ، فدفن بها ، يوم الأربعاء ، في حوشه رحمه الله تعالى . وولي أمر الحجاز بعده ولده ، الشريف بركات بن محمد . وفي يوم الأربعاء ، سلخ الشهر المذكور ، توفي الفقيه عفيف الدين عبدالله بن أحمد بامَخْرَمَة الحضرمي ، مفتي مدينة عدن [بها ، ودفن بها](٢) ، وكثر الأسف عليه ، رحمه الله ونفع به .

وفي شهر صفر منها ، قلد القاضي جمال الدين ، محمد بن عبد السلام الناشري ، أبا القاسم بن أبي بكر المصري ، أمور الحسبة بزبيد ، وعزل عنها محمد بن أحمد الواشعي ، وكان قد وليها مدة ، بعد العماد يحيى بن محب الدين المصري . وفي آخره ، غزا الأمير الشجاع عمر بن علي العنسي والفقيه محمد النظاري ، في جماعة من العسكر السلطاني ، بني سليمان ، على رأس الوادي زبيد . وكانوا قد بنوا حصناً هنالك ، وأرادوا احداث خلاف ، فظفر الله بهم ، وهدم حصنهم ولم يحصلوا علي شيء .

وفي يوم الاثنين ، الثاني من شهر ربيع الآخر ، توفي الفقيه الصالح المعمر ، جمال الدين محمد النور بن عمر الجَبَرْتي ، من بقية اصحاب الشيخ اسماعيل بن أبي بكر الجبرتي ، نفع الله به ، عن خمس وثمانين سنة ودفن ضحى يومها ، قريباً من ضريح شيخه رحمه الله . وفي ذلك اليوم ، أمر الأمير بزبيد يومئذ ، وهو شمس الدين علي بن شجاع العنسي ، بهجم بيوت الخمارين وسمرها ، وحمل دنان الخمر ، واحضارها إلى باب الدار فاحضرت ، واهرقت / الخمور في رحبة الدار الكبير . وضَرَبَ الخمارين من الرجال والنساء ، ونفاهم عن المدينة . وسُمِرَتْ بيوتهم ، وسمرت دكاكين ابن الوجيه ، من الربع الأعلى ، من مدينة زبيد ، ٢/٧٢

---

(١) في (هـ) : المكبش ، وفي (و) المكدس .
(٢) [ ] ساقطة من (هـ) .

لموجبات أوجبت ذلك . واكبرها ان ابنا لاسماعيل بن الصديق بن ءابكر ، يقال له أحمد ، مرّ عليه ليلاً جماعةٌ من أهل ربع المعاصر ، وهو في دكاكين ابن الوجيه سكران ، فتعرّض لاذاهم ، فهربوا منه إلا ولداً لعبد اللطيف بن خطاب ، ابن قاضي الرقعة ، يقال له أبو العباس ، وابناً لعمه عبد الباقي بن خطاب ، يقال له عثمان ، فإنهما وقفا له . فاخرج جنبية من حقوة ، وطعن بها أبا العباس المذكور طعنات مثخنة ، وجرح ابن عمه ، ثم هرب . فلما رفع الأمر إلى الأمير المذكور امر بذلك ، وباحضار ابن بابكر وابيه واخوته ، وكانوا قد ضمنوا جناياته بحضرة الأمير . فهرب والده ، واستجار ببيت الشيخ الغزالي بزبيد . فأمر الأمير بسمر بيوته ودكاكينه ، والقبض على ما فيها ، والقبض على من وجد من أخوته وأقاربه . فلزم [اخواه الصديق ومحمد][1] ، وابن عمه يوسف بن محفوظ ، وقيدوا واودعوا السجن ، وسمرت بيوتهم ودكاكينهم . ثم مات أبو العباس بن خطاب المجروح ، ليلة الخميس ، الخامسة من الشهر المذكور . فشدد الأمير على من في السجن من أهله[2] ، وضيّق عليهم ، وأمر بهدم بيت والد الجاني ، وبافتقاد ما وجد في دكاكين والده واخوته وابن عمه ، وتنزيله وحفظه .

وفي سحر ليلة الأربعاء ، الرابعة من الشهر المذكور ، توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن الزين مُظَفَّر ، رحمه الله ، ودفن ضحى يومها بمجنة باب القرتب ، بجنب والده ، بجوار سيدي الفقيه أبي بكر بن علي الحداد . وفي عشية يوم الأربعاء ، الحادي عشر من الشهر المذكور ، قدم الأمير عمر بن مفتاح الجُبَني ، من الأبواب الشريفة ، فدخل مدينة زبيد ، وفي صحبته من العساكر نحو مائة وخمسين فارساً ، وخمسمائة راجل ، ثم توجه إلى البلاد الشامية . [وكان الأمير بها][3] حينئذ الشجاع بن محرم العَنْسي ، وخرج معه جمع عظيم من فرسان الدولة والعرب وغيرهم .

وفي الشهر المذكور ، فقد الجزء الأول من خادم العزيز والروضة للزركشي[4]، من خزانة الجامع الظافري بزبيد . ووجد وقد طرح في بئر ، قريباً من باب النخل ،

(١) في (هـ) : [اخوه الصديق بن محمد] .
(٢) المقصود طبعاً أهل الجاني .
(٣) في (ج) : قوة للأمير بها والتصحيح من (هـ) .
(٤) في (هـ) : للشركسي .

بحائط الأعجم ، فاخرج ملفوفاً في كيس ، قد قطع بالسكين قطعاً صغاراً ، ولم يعلم فاعل ذلك . فروجع السلطان في ذلك ، فأمر على الناظر بالجامع المذكور أن يبدل ذلك ، فامتثل أمره الشريف . وذكر السلطان في جوابه أنه فقد ، من الخزانة السلطانية ، الجزء التاسع من فتح الباري لشرح البخاري ، وأمر بابداله من مال نفسه ، فامتثل أمره الشريف رحمه الله[1] .

وفي عشية يوم الخميس ، الثالث من جمادى الأولى ، توفي الفقيه العلامة المتفنن[2]، رضى الدين الصديق بن محمد / الحَكَمي الشهير بالوُزَيْعي[3] ، بمدينة زبيد ، ودفن ليلة الجمعة ، بعد صلاة المغرب ، بتربة القضاة الناشريين ، بعناية القاضي جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري ، رحمه الله تعالى ، وحضر غسله وتكفينه ، وصلى عليه ، وحضر دفنه رحمه الله . وفي سحر ليلة الأربعاء ، السادس عشر من الشهر المذكور ، توفي شيخنا ، القاضي العلامة ، جمال الدين ، مفتي المسلمين ، محمد بن حسين القُمّاط ، بمدينة زبيد ، ودفن ضحى يومها ، وكان له مشهد عظيم ، رحمه الله ونفع به ولم يخلف بعده مثله رحمه الله . وفي ليلة الجمعة ، السابع والعشرين من الشهر المذكور ، ولد مولانا شهاب الدين ، أبو الفتح ، أحمد ابن مولانا السلطان ، الملك الظافر ، رحمه الله تعالى ورحم والده[4] .

١/٧٣

وفي أواخر الشهر المذكور ، تجهز مولانا الملك الظافر ، رحمه الله تعالى[5] ، لغزو بلاد يافع ، لذنوب تقدمت منهم وتواترت . فسار إليهم في جيوش عظيمة لا تكاد تحصى ، خيلًا ورجلًا ، فحط عليهم يوم الثلاثاء ، سابع جمادى الآخرة ، وتقدم اليهم الفقيه جمال الدين محمد النظاري ، يوم الأربعاء ، في موكب عظيم ، وعساكر لا تنحصر ، وتقابل الفريقان ، فانهزمت يافع هزيمة عظيمة ، فسار في اثرهم مولانا السلطان ، في جيش عظيم ، وعدة كاملة ، حتى

---

(١) في (د) : أعز الله نصره .
(٢) في (ج) و(هـ) : المتفن المتفنن . وفي (و) : المتفنن .
(٣) في (هـ) : بالوُدَيْفي .
(٤) في (د) : اقرّ الله به عين الوجود وجعله ايمن مولود .
(٥) في (د) : اعز الله نصره .

جاوز المكان الذي كانوا يقولون لا يمكن مجاوزته . ثم إن الفقيه علياً النظاري لحق في جماعة من اصحابه ، بموضع يقال له ثمر ، وهو الحصن الذي كان فيه عبدالله ابن عامر ، وأخذ الأمير فرحان الظافري في جهة أخرى . وتفرقت العساكر المنصورة في كل جهة . فأمر السلطان الفقيه محمد النظاري أن يلحق ولده إلى ثمر ، فلحقه اليها في جمع عظيم ، واستولى السلطان على الحصن المذكور ، وعلى حصن آخر مقابل له ، يقال له حبطان[1] ، عنوة . ووجد في حبطان خمسين رجلاً ، ومن النساء والأطفال نحو خمسمائة ، فأسر المقاتلة ومنّ على الباقين . ونزلوا من الحصن وتسلمه ليلة الخميس . ودخلت عليه قبائل يافع ، بعد أن اعطاهم الذمة وأمنهم على ارواحهم . ثم سار إلى حصن ثمر ، يوم الخميس ، ووصلوا إليه ودخلوا عليه تائبين معتذرين فقبل منهم . ثم هدم قصابهم . وترك بيوت من دخل منهم تحت الطاعة . ووصله البشير ، يوم الجمعة ، من قبل اخيه عبد الملك ، أنه قتل ناساً يسمون بني قاصد ، من أصحاب تجار عدن ، كانوا قاتلوا ، وثبتوا ساعة وولوا مدبرين ، ولزم منهم جماعة . وتواترت الفتوح بحمد الله ومنه .

وفي يوم الأحد ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، أُسِر الشيخ عبد الباقي بن محمد بن طاهر وقيِّد ، وأودع دار الأدب . وفي ضحى يوم الأحد ، الثاني عشر من جمادى الآخرة، قدم الأمير الشجاع بن محرم العنسي ، من الجهات الشامية / بعد أن بلغ إلى مَوْر ، وبلغت مقادمته، كالشجاع الجُبَني وغيره من الجند ، إلى بلاد الذغد[2] وما حواليها ، وقبض خراجي خور بني عتيبة والخبنتا[3] ، وساير ما هنالك . وقدم إلى زبيد فدخلها في جمال عظيم ، وابهة عظيمة ، والخيل المقبوضة من العرب ، وعدتها نيف وثمانون فرساً ، تجاهه ، ومن النقد فوق اربعين الف دينار ، إلى غير ذلك من البر وغيره . والشجاع الجبني بين يديه مقدم العساكر المنصورة .

٧٣/٢

وفي ذلك اليوم ، توفي الشيخ شمس الدين علي بن عبدالله المزجاجي الصوفي بزبيد ، ودفن بعد عصره ، رحمه الله . وفي صبح يوم الثلاثاء ، الرابع

---

(١) في (هـ) : حبيطان .
(٢) في (هـ) : المرعد . وفي (و) : الرغد .
(٣) في (هـ) : الحبنتا .

عشر من الشهر المذكور ، توفي الفقيه الخطيب شرف الدين أبو القاسم بن عبد الرحمن الدبر[1] ، بمدينة زبيد ، بعد أن أقام بها خطيباً اربع سنين وشهراً ، ودفن ضحى ذلك اليوم ، رحمه الله تعالى ، قريباً من مقابر القضاة الناشريين ، واستمر نايباً عن ولده ، في الخطبة ، الفقيه عفيف الدين عبدالله بن أبي الخير الخزرجي ، ثم استقل بذلك . وفي يوم الجمعة ، سلخ رجب ، توفي الفقيه عفيف الدين عبد الفتاح ، ابن القاضي أبي الفضل أحمد بن علي الناشري ، ودفن بعد عصرها ، رحمه الله .

وفي آخر ليلة السبت ، مستهل شهر شعبان ، قصد الأمير شمس الدين علي ابن عمر العنسي المعازبة غازياً ، لذنب حصل منهم ، ونقض . فأغار عليهم يوم السبت المذكور ، وقتل منهم جماعة ، واسر نحو ثمانية[2] نفراً . منهم الحقار ، احد القاتلين للأمير مَكْرِد بن عمر العَجْلَمي ، فقيده بقيد عظيم . وبلغ الأمير إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، ثم قدم إلى زبيد ، فدخلها ليلة الثلاثاء ، رابع الشهر المذكور ، وحده . ثم اصبح الشيخ الصنديد بن عبدالله العنسي ، فدخل بالرؤوس والأسارى صبح الثلاثاء ، في موكب عظيم . وفي يوم الأحد ، الثاني من شهر شعبان ، توفي قاضي لحج ، الفقيه عبد اللطيف بن محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن الناشري ، معزولاً بزبيد ، ودفن بمقابر اقاربه[3] ، رحمه الله . وفي يوم الأربعاء ، السادس والعشرين من الشهر المذكور ، حصل بناحية أصاب مطر عظيم ، وكان بلاء من الله عز وجل إنما هو كِسَف[4] برد من السحاب ، طول القطعة الكبيرة منه تسعة اذرع ، في عرض مثل ذلك ، ومات بسببه خلائق كثيرون .

وفي ليلة الثامن عشر من رمضانها ، قصد الأمير علي بن عمر العنسي بلاد الزعليين ، لخلاف حصل منهم ، وأقام بقرية الضحى إلى أن ادوا الطاعة ، وطلبوا الصلح ، فصالحهم ثم رجع إلى زبيد ، فدخلها في شهر شوال . وفي يوم عيد الفطر ، وهو الثلاثاء ، وقع بمدينة زبيد حريق عظيم ، احترقت بسببه حافة الهنود

---

(١) كلمة ساقطة في (د) و (هـ) .
(٢) في (هـ) : ثمانية عشر .
(٣) في (هـ) : اهله .
(٤) قِطعَ .

١/٧٤ جميعاً[١] ، غربي الدار المعاصر وما حواليها ، وتلفت فيه اموال عظيمة . وفي / يوم السبت، الخامس من شوالها ، توفي شيخنـــا الفقيه العلامة الصالح ، المجمع على علمه وصلاحه ، جمال الدين ، مفتي المسلمين ، محمد بن أحمد بـا فضـــل الحضرمي ، بمدينة عدن المحروسة ، وعظم مصاب المسلمين . وكان بقية العلماء بها ، وعليه مدار الفتوى بها وبغيرها من البلاد ، ولم يخلق بعده مثله ، رحمه الله . وفي ليلة الإثنين ، الثالث عشر من ذي القعدة منها ، توفي الفقيه ، السيد الشريف ، بدر الدين حسين بن الصديق بن حسين بن عبد الرحمن الأهدل ، بمدينة عدن ، ودفن بها ، رحمه الله ونفع به . وفي يوم الخميس ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، توفي السيد الشريف ، شمس الدين ، يوسف بن عمر بن أحمد البزاز ، ناظر مدينة عدن والمشار إليه بها ، رحمه الله ونفع به امين .

[حوادث سنة أربع وتسعمائة]

وفي ضحى يوم الاثنين ، ثاني المحرم سنة أربع وتسعمائة ، خرج الأمير شمس الدين علي بن عمر العنسي ، من محروسة زبيد إلى الجهات الشامية ، بسبب غدر خصل من الزعليين بمن عندهم من الدولة ، فبلغ إلى قرية تغير[٢] ، وهي قرية الفقهاء بنو بدر[٣] ، فانتهبها وحرقها ، وأغار على الزعليين إلى باب الهيجة ، وحط بموضع يعرف بالقناوص ، عشية يوم السبت ، السابع من الشهر المذكور . فلما كان بعد العشاء ، هجم الزعليون محطة الأمير ، فانهزمت الدولة إلى قرية الضحى ، وانتهب الزعليون المحطة بما فيها ، وأخذوا محمل الأمير ، وفيه كاتبه الفقيه عبدالرحمن بن علي البزاز الشهير بمهجته ، ولم يقتلوا أحداً عن قصد ، بل كان صائحهم يصيح ألا لا يُقْتَل من الناس أحد . ثم طلبوا الصلح بعد ذلك ، وردوا المحمل وكاتب الأمير ، وسلموا أشياء من الخيل والمال ، وتم الصلح ولله الحمد .

---

(١) في (د) و (هـ) : جميعها .

(٢) في قرة العيون : بعير . ويقول المحقق محمد على الأكوع : « قرية لا أعرفها ولا ضبطها » (ج ٢ ص ١٩٧ ملاحظة ٢) . وفي (د) : تغير أيضاً .

(٣) في (هـ) : بنو عبدر . والصواب بمقتضى اللغة والاعراب : بني بدر . ويجوز « بنو بدر » على الحكاية .

وفي ظهر يوم الجمعة ، الثالث عشر من الشهر المذكور ، توفي الفقيه جمال الدين ، محمد بن إسماعيل بن بكر، إلى رحمة الله تعالى ، ودفن بعد عصر ذلك اليوم ، وكان له مشهد عظيم ، رحمه الله . وفي اليوم المذكور أمر القاضي جمال الدين ، محمد بن عبدالسلام الناشري الناسَ بمدينة زبيد بالتأهب للاستسقاء بالتوبة ، ورد المظالم ، وصلة الأرحام ، والبر ، والصدقة ، وصيام ثلاثة أيام ، أولها السبت الرابع عشر من الشهر المذكور ، وآخرها يوم الثلاثاء السابع عشر منه ، وأن يخرجوا في يوم الثلاثاء ، إلى الصحراء ، صائمين بمذلة[1] وخشوع ، ويصلون صلاة الاستسقاء . فامتثل الناس أمره الشريف ، وخرجوا في اليوم المذكور إلى جلة العرق ، قبلي مدينة زبيد ، وصلّى بهم ، بإشارة القاضي جمال الدين ، الفقيه شهاب الدين أحمد بن الطاهر بن جعمان ، قاضي مدينة حيس ، وخطب . وعند خروج القاضي إلى الصلاة ، حملت بين يدي القاضي المقدمات الشريفة من ٧٤/٢ القرآن العظيم ، / وعدتها مائة مقدمة ، وقُرِئَتْ قبل الصلاة ، وحضر الناس من سائر الوادي بما معهم من النعم والمواشي . وكان قد حصل في يوم الاثنين ، قبل خروجهم ، مطر عظيم عام من الشام إلى اليمن ، ونفس الوادي زبيد ولله الحمد .

وفي عصر يوم الخميس ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، قدم الأمير الشجاع عمر بن مفتاح الجبني من الأبواب السلطانية ، وفي صحبته ستون فارساً ومائتا راجل ، تقوية للصنديد العنسي .وكان قد حصل عليه ، من الزعليين ، ضيق بعد أن قتلوا عبداً من عبيد السلطان . فأقام بزبيد إلى عصر السبت ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، ثم توجه إلى الجهات الشامية . وفي عصر يوم الجمعة [هرب عمربن أحمد بن إسماعيل بن شقرا ، من محروسة زبيد ، لتضييق][2] حصل عليه ، من الشيخ عمر بن علي العنسي وإهمال ، فأخرج مركوبه قبله بحيلة ، من باب الشبارق ، وخرج من باب القرتب هارباً إلى مخدومه . فلما علم بذلك الشيخ عمر بن علي أدب البوابين وضربهم ، لكونهم لم يعلموه بخروجه . وفي يوم الخميس ، الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، وصلت كتيبة ، من قبل مولانا السلطان ، إلى مدينة زبيد ، معونة للشيخ علي بن شجاع العنسي ، لما تقدم من

---

(١) في (هـ) : بتذلل .

(٢) [ ] جملة ساقطة من (هـ) .

هجم الزعليين على محطته ليلاً . وكان مقدم الكتيبة النقيب داود بن عمر الحجلي[(١)] ، من أهل عمر[(٢)] في نحو من سبعين فارسا منهم ، وخرج إلى الجهات الشامية في آخر يوم الجمعة بعده . ثم وصلت كتيبة أخرى ، مقدمها الشيخ أبو بكر ابن شريف الجهمي ، في نحو ستين فارساً ، ودخل زبيد آخر يوم الثلاثاء ، مستهل شهر صفر ، والواصلون صحبته من أهل جُبَن ونَعْوَة والمصنعة ثم خرجوا إلى الشام .

وفي عشية يوم الأحد ، الرابع عشر من الشهر المذكور ، توفي شيخنا العلامة الكبير المعمر ، شيخ الإسلام ، نجم الدين يوسف المقري بن يونس بن يحيى الجبائي ، إلى رحمة الله تعالى ، بمدينة زبيد ، ودفن بعد صلاة المغرب من ليلة الاثنين ، إلى جنب سيدي الشيخ أحمد الصياد ، ملاصقاً له ، داخِل المشهد ، من جانب اليمن ، بوصية منه ، وكان له مشهد عظيم لم ترَ العيون مثله ، وصُلّي عليه بجامع زبيد ، وتقدم للصلاة عليه ولده عبدالرحمن ، رحمه الله ونفع به آمين .

وفي يوم الاثنين ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، قدم عمر بن أحمد شقرا من الجهات الشامية ، في صحبة ابن الأهيل ، شيخ الزعليين ، في جماعة من أهله ، بعد أن نزل لهم بأمان من السلطان ، ودخل بهم مدينة زبيد ، ثم طلع بهم إلى تعز ، وواجهوا السلطان بها ، فكساهم ، وأنعم عليهم ، وردهم إلى بلادهم سالمين ، وفي صحبتهم عبدالنبي بن سعيد ، عبد مولانا السلطان ، وجماعة من العساكر ، وتوجهوا إلى الشيخ علي بن عمر العنسي بالشام، في أول شهر ربيع الأول .

١/٧٥ وفي / منتصف شهر ربيع الأول ، قتل سلطان الديار المصرية ، الملك الناصر محمد بن قايتباي ، رحمه الله . وفي يوم الخميس ، الرابع والعشرين من الشهر المذكور ، قدم السلطان الملك الظافر إلى مدينة تعز ، وأقام بها مدة ، وفرّق فيها ، مدة إقامته بها ، صدقات عظيمة عميمة ، تقبل الله منه . وفي يوم الثلاثاء ، سلخ الشهر المذكور ، قدم الفقيه أحمد بن يوسف المقري [المصري][(٣)] إلى

---

(١) في (هـ) : الحجري .
(٢) في (هـ) : غمر .
(٣) الزيادة من (د) .

مدينة زبيد ، من مدينة تعز ، فأقام بها يوم الخميس ، الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر ، ثم طلع إلى تعز متوعكاً .

وفي عشية يوم الأربعاء ، من شهر ربيع الأول ، توفيت السيدة الصالحة أسماء بنت الفقيه العلامة كمال الدين موسى الضجاعي ، بمدينة زبيد ، وكانت صالحة عابدة قارئة ، تقرأ التفاسير وكتب الحديث ، وتُسمع النساء وتعظهن وتؤدبهن . وكان لقولها وقع في القلوب ، وربما كتبت الشفاعات إلى السلطان والقاضي والأمير فتقبل شفاعتها ولا ترد . وصُلّي عليها بعد صلاة الصبح ، بمسجد الأشاعر ، ودفنت بجوار والدها ، صبح الخميس ، ثاني موتها ، رحمها الله . ولم يخلف بعدها مثلها في الدين والصلاح ، في بنات جنسها .

وفي يوم دفنها المذكور، حصل بمدينة زبيد ونواحيها مطر عظيم جداً ، بعد أن كادت النفوس تقنط . ولم يمطر الناس من يوم خروجهم للاستسقاء إلا هذا اليوم ، فلله الحمد والمنة . ثم تتابعت الأمطار بعد ذلك ، وسال الوادي زبيد وسقى جملة من الأرضين .

وفي ليلة السبت ، السادس والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الفقيه العلامة الخطيب ، كمال الدين موسى بن عبدالمنعم الضجاعي ، بعد طول مرضه ، ودفن إلى جنب قبر جده ، الفقيه الصالح علي بن قاسم الحكمي ، رحمه الله تعالى . وفي ليلة الأربعاء ، سلخ الشهر المذكور ، توفي شيخنا ، الفقيه العلامة ، كمال الدين موسى أحمد اللؤلؤي ، المعروف بالمكشكش ، على قرب من مدينة تعز ، وقد خُرِجَ به منها مريضاً إلى مدينة زبيد ، فرُدَّ إلى مدينة تعز ، وغُسّل وكُفن ، وصلي عليه بها ، ثم دفن بمقبرتها الاجيناد ، قريباً من قبر الفقيه نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي ، رحم الله غربته وأسكنه جنته .

وفي الشهر المذكور ، أغار الشريف محمد بن علي الوَشَـلي على الأمير شمس الدين علي محمد البعداني ، عند حصن هداد ، وحط بعساكره على طريق الأمير وعساكره ، وضيّق عليهم غاية ، واجتمع من عساكر الأمير نحو الألف ، وأخذوا طريقاً يعرفونها ، حتى هجموا محطة الوشلي . وصدق الأمير ومن معه في الحملة ، فانهزم / الوشلي ، وقتل من أصحابه جماعة واحتزت رؤوسهم ، وجيء بها إلى ٧٥/٢

الابواب الشريفة بتعز ، والسلطان يومئذ بها ، وأخذت مراكب الوشلي وآلاته ، ولم ينجُ إلا بنفسه ولله الحمد .

وفي أول شهر ربيع الثاني ، تسلم مولانا السلطان حصوناً كثيرة من بلاد أُصاب ، منها نعمان وغيره ، وتصدق على أهلها بمال جزيل ، وأنعم عليهم .

وفي ضحى يوم الاثنين ، الثالث من جُمادى الأولى ، قدم الشيخ شمس الدين علي بن شجاع العنسي من الجهات الشامية ، بعد قبض خراجي البلاد وخيل العرب . وجملة ما قبض من الخيل مائة وعشرة أفراس ، ومن الجمال البحرية النفيسة عشرون جملاً . وكان دخوله مدينة زبيد دخولاً معظماً ، بعد أن أقام في الشام أربعة أشهر ، وأذلّ العرب ودوخها ، وبلغ إلى مور . وبلغت جباته إلى الخور . ثم تقدم إلى الابواب الشريفة بتعز ، فجر يوم الخميس ، السادس من الشهر المذكور ، ودخل مدينة تعز يوم الأحد ، التاسع منه ، دخولاً معظماً ، وواجه السلطان بها ، فأكرمه وأنعم عليه ، وجعل إليه أحكام الباب السلطاني . ولم يزل هنالك إلى أن طلع مولانا السلطان إلى جهة المقرانة ، عصر يوم الخميس ، العاشر من شهر رجب ، بعد أن تصدق ، في تعز ، بصدقات جليلة ، وأمر بصدقة عظيمة لأهل زبيد ، مبلغها ، من النقد ، اثني عشر[1] ألف دينار ، ومن الطعام مائة مدّ زبيدي ، وجعل نظرها إلى الشرفين الجلاد والأحمر ، والعفيف عبدالله بن حسين الشرعبي ، تقبل الله منه . وولى الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد العطاب النظر في الثغر المحروس ، عوضاً عن الشريف عبدالحفيظ بن عمر البزاز ، وكان قد ولي ذلك بعد أخيه يوسف . ثم توجه الأمير إلى بلده المحلاف[2] ، لتجديد العهد بها ، فأقام بها مدة ، ثم نزل إلى زبيد ، فدخلها بعد صلاة المغرب ، من ليلة الأحد ، الخامس من شعبان .

وفي الشهر المذكور ، تسلم مولانا السلطان حصن هداد وسائر ما هنالك ، واستعملت الفرحة لذلك في سائر أقطار المملكة اليمنية ، وكسا المبشرين بذلك كسوات عظيمة فاخرة .

---

(١) كذا في (ج) و(هـ) وساقطة في (د) . والصواب : اثنا عشر .
(٢) في (هـ) : المخلاف .

وفي ليلة السبت ، السادس عشر من شهر رمضان ، توفي الفقيه شمس الدين علي [أبي بكر][1] خطاب إلى رحمة الله تعالى ، ودفن صبح تلك الليلة ، إلى جنب والده ، رحمه الله .

وفي يوم الاثنين ، الثالث من شهر شوال ، لزم أحمد بن إسماعيل بن بابكر ، بقرية التريبة ، من على قبر الشيخ عيسى الهتار . واللازم له بنو السالح والمالكيون وأهل الريان . وسبب ذلك أن الشيخ علي بن عمر العنسي ألزم المذكورين لزمه ، بسبب جنايته على ابن خطاب المقدم ذكره ، وهربه إلى التريبة ، وكونه كان يرى / ١/٧٦ كل ليلة ، في مدينة زبيد ، يدخل من السور ليلاً ، ويمشي في المدينة يتخفر أهلها ، ويخرج في آخر الليل من السور ، ويصبح في التريبة . فألزم الأمير المذكورين لزمه ، وتسليم عشرة آلاف دينار إن عجزوا عن ذلك ، وأن يكون التسليم من عين أموالهم ، لا يستعينون بأحد على ذلك . فلزموه ، ودخلوا به مدينة زبيد ، ضحى ذلك اليوم ، فأمر الأمير بحفظه والتوثق[2] منه ، وأودعه السجن .

وفي الشهر المذكور ، قدم الشريف عبدالحفيظ بن عمر البزاز بأولاد أخيه الشريف يوسف ، من مدينة عدن إلى مدينة زبيد ، فأقاموا بها . وفيه ولّى الأمير علي بن عمر العنسي الفقيه يوسف بن أحمد الحوائجي الحسبة بزبيد ، وعزل عنها أبا القاسم بن أبي بكر المصري ، وحبسه أياماً لعدم قيامه بوظيفته ، ثم أطلقه . وفيه تغيرت الفلوس بمدينة زبيد ، وكثر زيفها[3] ، فأمر الأمير الناس بالمعاملة بها ، ولا يعدون[4] بها سعرها الذي كانت عليه ، ولم يقبل منهم غير ذلك . فامتثلوا . وفي هذه السنة ، ألزم الأمير القرشيين أن لا [يعدوا أحد منهم][5] على أحد ، بنخيل وادي زبيد ، وألزم من تعدى أمْرَه تسليم عشرة آلاف دينار ، وكتب عليهم بذلك محضراً .

---

(١) في (د) : علي بن خطاب . وفي (هـ) و(ج) : علي أبي بكر . والخطأ النحوي بين ولعل الصواب : علي بن أبي بكر .

(٢) في (هـ) : الوثق .

(٣) في (ج) : زيقها أو ريقها .

(٤) كذا في النسخ .

(٥) كذا في الأصل والصواب : يعدو أو يعتدي .

وفي شهر ذي القعدة منها ، أمر السلطان بإطلاق المسجونين في جميع مدائن ملكه ، فامتثل الأمر الشريف وأطلقوا . وفي يوم الأربعاء ، السابع عشر من الشهر المذكور ، فصل الحاج عبدالله بن حسين الشرعبي عن ولاية نظر الجامع الظافري بزبيد ، بالصديق ابن الفقيه عبدالله الهبي . وأطلقت البصائر[1] وسائر ما للمسجد المذكور ، على ابن الهبي ، يوم الخميس ، ثامن الشهر ، بعناية أحمد الدبج بذلك .

وفي ذي الحجة منها ، تصدق السلطان ، الملك الظافر ، بصدقة عظيمة ، في مدينة زبيد وغيرها ، مبلغها عشرة آلاف دينار دراهم ، وخمسون مداً ، بالمد الزبيدي ، طعاماً ذرة .

وفي هذه السنة ، حصل في ثمرة نخل الوادي زبيد ومغلها نقص عظيم جداً . وفي يوم الثلاثاء ، ثامن عشر من ذي الحجة منها ، حصل برق عظيم أصاب رجلاً يحرث على ثورين له ، خارج مدينة زبيد ، قريباً من قرية الفقيه الحداد ، بمجنة باب القرتب ، فأحرق الثورين وسلم الرجل ، بعد أن أصابه منه لفح كاد أن يهلكه ، فسبحان القادر على كل شيء .

[حوادث سنة خمس وتسعمائة]

وفي ليلة الجمعة ، مستهل شهر المحرم سنة خمس وتسعمائة ، حصل برق عظيم وقت صلاة المغرب ، بمدينة زبيد ، احترق بسببه شطر عود نخل في مسجد ابن عبدالفاتح ، المستعمل بربع الجامع ، من مدينة زبيد ، وبقي الشطر الآخر / ٢/٧٦ قائماً ، ورأس النخلة سالماً . ولم يوجد من الشطر المحترق إلا شظايا على عريش هنالك . وانشق بسببه ركن المسجد الغربي الأيمن ، وسقطت دعامته ، فسبحان القادر على ما يشاء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي الشهر المذكور ، نزل صاحب سوق المحرق من الأبواب السلطانية ، فأمسكه عبيد الشيخ يوسف بن عامر بحازة الزعليين ، المعروفة بالمدحاية[2] ،

---

(١) في (هـ) : البساير .

(٢) في قرة العيون : « بالمرجانة » (ج ٢ ص ١٩٨) .

وأرسلوا الخبر إلى الشريف محمد بن علي الوشلي وأطمعوه بقبضه . فاستخفه الفرح بذلك ، وأرسل لهم بفرسين ومال . وأرسل فارسين من أمنائه[1] لقبضه . فلما وصلت رسله إلى العبيد أمسكوهم ، وأخذوا ما معهم من خيل ومال ، وأرسلوا الخبر إلى مولانا السلطان ، وطلبوا منه أماناً ليدخلوا عليه ، ففعل . وواجهوا السلطان ، واستحلفهم لنفسه ، وأباح لهم أخذ ما أخذوه ، ثم رجعوا إلى موضعهم فأقاموا فيه ، وأطلقوا ولد صاحب المحرق .

وفي يوم الثلاثاء ، رابع شهر صفر منها ، أصبح ولد ابن مخارش ، صاحب الجوف ، مقتولاً في مخيم مولانا السلطان ، برداع العرش ، ولم يعرف قاتله . فتعب مولانا السلطان لذلك تعباً عظيماً ، وأمر بالفحص عن القاتل .

وفي الشهر المذكور ، أمر مولانا بعمارة الجانب القبلي ، من الدار الكبير الناصري بزبيد ، وكان قد تداعى للخراب ، فامتثل أمره الشريف، وعمر عمارة متقنة ، وأصلح جميع ما تشعث من الدار المذكور ، وجعل في وسطه شمسية عظيمة ، أضاءت منها جميع بيوته الأرضية . وفرغ من ذلك في آخر جمادى الآخرة منها .

وفي الشهر المذكور ، أمر السلطان بغرس عشرة آلاف عود نخلة ، بنخل الوادي زبيد ، في مكان واحد ، قطعة واحدة ، تدعى بالخيف والربوة ، فامتثل أمره الشريف، وابتدىء في ذلك بالشهر المذكور .

وفي يوم الأربعاء ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، توفي القاضي عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن إسحاق ، ناظر مدينة عدن . وكان ثقة مأموناً ، لم يعلم له خيانة ، تولى نظر الثغر المحروس في الدولة المجاهدية الطاهرية ، ثم المنصورية ، ثم الظافرية ، ولم يتهم بخيانة ، رحمه الله .

وفي أواخر الشهر المذكور ، تجهّز مولانا السلطان لغزو بني عبد[2] ، إذ بلغه أن قاتل ابن مخارش منهم . فلما علموا بذلك لجأوا إلى عدو الله اليهودي الملعون ، الناقض للعهد الذي ببلد بيحان . وكان مخالفاً على السلطان ، ناقضاً

(١) في (هـ) : أبنائه .
(٢) في (د) : عبيد .

للعهد ، ناكثاً للإيمان ، يطعن في دين الإسلام ، ويركب الخيل بالسرج المعرّقة[1] ، ويتطاول على المسلمين . وتبعه خلق كثير من اليهود ، وخصوصاً من كان قد أسلم منهم ثم تهود ، / ومن خالف على مولانا السلطان من المسلمين. ٧٧/١
فتجهز الملك الظافر إلى بيحان ، في عساكر كثيرة ، من جهات المقرانة فما فوقها ، وقدمهم إلى جهات بيحان يوماً بعد يوم موهما ان لا غرض له سوى طلب الصيد . فتقدم الأمير شمس الدين علي محمد البعداني، في جماعة من الأمراء والمقدمين والعساكر إرسالا ، حتى بلغوا إلى ما خلف بيحان ، من الربع الذي هو غير مسكون . ثم تبعهم مولانا السلطان ، موهماً أن غرضه الصيد . فما زال يقطع بالتصيد يوماً فيوماً ، حتى بلغ بيحان فدخلها . فلما علم اليهودي بذلك تنحّى هو ومن معه إلى الربع الذي هو غير مسكون . فلقيتهم العساكر المنصورة ، وانضم الجمعان عليهم ، فقبض اليهودي وجميع ما معه ، ومن معه ، من أمواله وأولاده ودوابه وسائر آلاته . وقبض بنو عبد ، ولزم قاتل ابن مخارش في جمع عظيم من قومه ، وأسر اليهودي . ثم توجه الملك الظافر إلى جهة بني أرض ، فأخذ حصونها وأدوا الطاعة . ثم عاد ظافراً منصوراً إلى رداع العرش، في غرة شهر ربيع الأول .

وفي يوم السبت ، الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول ، ظهرت على الشمس هالة عظيمة ، من ضحوة النهار إلى ما بين الظهر والعصر ، ثم اضمحلت .

وفي سحر ليلة السبت ، الثاني عشر من ربيع الآخر /، توفي القاضي شرف الدين أبو القاسم بن محمد الجلاد ، مستوفي مدينة زبيد وناظرها . ونعم الرجل كان ، ديناً وأمانة وعفة وصيانة . وصلي عليه بجامع زبيد ، ودفن ضحى يومها ، بمشهد سيدي الشيخ أحمد الصياد ، مجاوراً له داخل المشهد . وحضر دفنه جميع أهل البلد ، ولم يتخلف منهم إلا من حبسه عذر ، والحمد لله على كل حال . رحمه الله وبرّد مضجعه . ثم ولي وظيفته بعده ولده محمد ، وسنه إذ ذاك خمس عشرة سنة ، رحمه الله[2] .

---

(١) في (ج) و(هـ) : المغرقة . وفي قرة العيون : المعزوفة (ج ٢ ص ١٩٩) . وفي تاريخ الشحر لبافقيه الشحري (مخطوط) : « السروج المعرقة بالذهب » .
(٢) في (د) و(هـ) : وفقه الله وثبته .

وفي يوم الاثنين ، الثاني عشر من جمادى الأولى ، توفي قاضي تعز ، الفقيه العلامة سراج الدين أبو بكر بن علي بن عمران ، وصلي عليه بجامع زبيد ، يوم الجمعة ، السادس عشر منه .

وفي عشية يوم السبت ، السابع عشر من الشهر المذكور ، قدم الأمير ابن الشجاع عمر بن علي العنسي ، والشجاع عمر بن مفتاح الجبني ، مدينة زبيد ، في عساكر عظيمة ، من الأبواب السلطانية ، للمخرج إلى الجهات الشامية ، [صحبة الشيخ علي بن شجاع العنسي . فأقام الشجاع العنسي بزبيد ، وتوجه والده إلى الجهات الشامية][1] ، وفي صحبته الأمير عمر الجبني ، وسائر العساكر ، عشية يوم الاثنين ، العشرين من الشهر المذكور . وقبل خروجه في ذلك اليوم ، قدم بثلاثة عشر رأساً من الزيديين ، من بني المليل ، قتلهم الصنديد ، بسبب خيانة ظهرت منهم ، وأرسل برؤوسهم . وفي يوم الأحد قبله ، وردت كتب مولانا السلطان ، وفيها استدعاء / الفقيه عبدالعليم بن محمد القماط ، والزام له بالطلوع ومواجهة الملك الظافر حيث كان . فامتثل أمره الشريف ، وطلع وواجه السلطان ببلده ، وولاه قضاء تعز ، فنزل إليها ، ودخلها يوم الرابع والعشرين من جمادى الآخرة . ٢/٧٧

وفي يوم الاثنين ، الثالث من شهر رجب ، كان ختم قراءة : « كتاب موجب دار[2] السلام في بر الوالدين وصلة الأرحام » ، على مؤلفه شيخنا القاضي جمال الدين محمد بن عبدالسلام الناشري . وحضر ختمه جم غفير ، وانشدت قصائد لجماعة من الفضلاء ، في ذلك اليوم .

وفي ذلك اليوم ، قدم الشيخ شمس الدين علي بن شجاع العنسي ، من البلاد الشامية ، بعد أن تجاوز فيها ما لم يتجاوزه أحد قبله من المتقدمين[3] ، ودخل قرية الرعد ، وقبض خراجي البلاد ، ونهب القطبا لأنهم عرب عصاة عتاة ، وأخذ ما وجده لهم بقرية الرعد . وقدم زبيد في أبهة عظيمة وجمال زايد ، وخيل العرب المقبوضة منهم تقاد تجاهه ، وعدتها أكثر من مائة ، ومن الإبل ثمانون رأساً

---

(١) [ ] جملة ساقطة في (هـ)
(٢) في (د) : رد السلام . وفي (هـ) : موجب السلام .
(٣) كذا في النصوص ولعل الصواب : المقدمين .

[ومن الجمال سبع عشرة رأساً ، ومن الدواب الحمير النفيسة أربع رؤوس][1] وكان دخولاً معظماً .

وفي يوم الاثنين ، السابع عشر من الشهر المذكور ، قدم السلطان إلى مدينة تعز من البلاد العليا ، وكان دخوله إليها دخولاً معظماً . وفي صبح يوم الثلاثاء بعده ، توجه الشيخ علي بن شجاع ، وفي صحبته الشجاع الجبني وسائر العساكر السلطانية ، إلى مدينة تعز ، لمواجهة مولانا السلطان بها ، فدخلها يوم الأحد ، الثالث والعشرين من الشهر المذكور ، وواجه السلطان بها . ثم استدعى مولانا السلطان بالكتّاب ، من مدينة زبيد ، وباحمد الدبج ، وعمر العقد ، والمخلص وسائر الضمان ، وشيخ دار الضرب الهادي بن منصور ، وحوسب الشهاب أحمد الدبج ، وطالت إقامته بتعز ، وقيد شيخ دار الضرب الهادي بن منصور ، بسبب خيانة ظهرت منه في دراهمه ، وغش فاحش .

وفي يوم الأحد، الثالث عشر من رمضان، وقع بمدينة زبيد حريق عظيم، ابتداؤه من بيت الوجيه بن إقبال إلى حائط المنظرة ، وتلفت فيه بيوت عظيمة وأموال كثيرة ، وكان يوماً عظيماً . وفي أواخر الشهر المذكور ، عزل محمد بن نوح ، ضامن القيصارية ، بابن عمه الشرف[2] بن سعيد نوح ، فرفق بالناس .

وفي ليلة عيد الفطر ، وهي ليلة الأربعاء ، أصبح عبدالله بن أحمد العريمي مقتولاً ، في قرية المزجاجة ، والقاتل له عبد لعمه عيسى بن علي العريمي ، بإشارة ابنه الصديق . وكان قد ضيق على ابن عمه المذكور ، في حفظ أموال عمه عيسى المذكور ، فأمر العبد بقتله ، فضربه في رأسه بجذل من حطب ، وهو نائم ، ضربتين ، فلم يدرك إلا في آخر رمق ، فمات بسبب /ذلك، وحمل إلى قرية النويدرة ، وغسل بها ، وكفن وصلي عليه ، ودفن عند أهله . [وفي يوم الخميس ، ثاني يوم قتله ، قيّد أحمد بن عيسى العريمي العطار ، وأدخل السجن بغير ذنب][3] .

78/1

---

(١) الزيادة من (هـ) .

(٢) في (هـ) : الشريف .

(٣) جملة ساقطة في (هـ) .

وفي الشهر المذكور ، طلع من المشرق نجم ذو ذؤابة ، وكان طلوعه في برج الحمل ، وذؤابته في اليمن ، وسيره في الشام ، فسبحان القادر على ما يشاء . وفي ليلة الأحد ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، انقض كوكب عظيم من المشرق في المغرب ، وأضاءت له الدنيا ، ووقف ساعة عظيمة ، ثم أضاءت السماء ، فأضاء المكان الذي أصابه منها إضاءة عظيمة ، ثم سقط في جهة المغرب ، وبقي شعاعه ظاهراً في الموضع الذي أضاء به ساعة طويلة ، ثم اضمحل . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الاثنين العشرين من شوالها ، كان قبض الشيخ عبدالله بن عامر[1] ، بعد أن قُبِضَ عبد له بمدينة تعز . وأخبر مولانا السلطان بأشياء عن الشيخ محمد بن عبدالملك ، وعن بعض خدمه ، وعن غيرهم ، وأنهم بايعوا الشيخ عبدالله بن عامر على الفتك بمولانا السلطان ، وتولية الشيخ عبدالله بن عامر ، وأن المطمع لهم في ذلك علي المؤتي ، وأن رأس الفتنة عمار بن المعلى ، شيخ المخلاف . فقيد الشيخ محمد بن عبدالملك يوم الثلاثاء ، رابع عشر من الشهر المذكور ، وقيد بعده الفقيه عبدالله المقري بن يوسف الجبائي ، وعمار بن المعلى ، وأحمد بن محمد بن مزاحم، صاحب بيضا حصي ، وأمر بنفي علي المؤتي وعلي بن عزالدين الظاهري عن بلده ، وقطع جماعة من أصحاب عبدالله وجدوا بتعز . فقتل مزقوق الجازاني نفسه خوفاً ، ولم يثق السلطان بأحد من غلمانه وخدمه ، ولم يبرأ عنده ، من خدمه وعبيده ، من هذه التهمة ، سوى الفقيه محمد النظاري ، والأمير علي بن محمد البعداني ، وعبديه فرحان ومرجان . ثم قُبِض الشيخ عبدالله بن عامر ، في التاريخ المذكور ، بقرية وادي مكسب ، قريباً من يفرس من أعمال الحجرية . والقابض له قوم ضعفاء ، من رعية تلك الجهة ، ولم يعرفه إلا حداد كان عندهم ، من أهل جحاف. فأحاطوا به في بيت ، وأرسلوا إلى صاحب الحجَريـة . فجاء في جماعة ولزمه ، وأرسل الخبر إلى مولانا السلطان ، فأمر بالقدوم به إلى تعز ، فقدم به إلى الاجيناد ، عصر يوم الاثنين ، على جمل ، وخلفه عبد ممسك له ، ولم يكد مولانا السلطان يصدق أنه هو . فلما تحقق أنه

---

(١) في (ج) : عامد .

٧٨/٢ هو ، أدركته شفقة الرحم [وعطفته عليه][١] فأرسل له بعمامة وقميص ورداء ، وأمره بلبس ذلك . فخلع اطماراً كانت عليه ، ولبس ذلك . وأرسل له ببغل من مراكيبه فركبه ، ثم دخل به إلى دار الوعد . ولما دخلا إلى الدار تصافحا وتسالما ، ثم أقعده مولانا السلطان معه في الروشن[٢] وأمره بالإشراف إلى الميدان . ثم نزل مولانا السلطان وأخوه الشيخ عبدالملك ، [فركبا فرسيهما ، وتقدم مولانا السلطان إلى الميدان ، وتأخر أخوه عبدالملك][٣] ولعبا ، والشيخ عبدالله مشرف عليهما ، ينظر إلى لعبهما ، والناس تراه كي لا يشك من في قلبه مرض أنه هو . ثم طلع مولانا السلطان إلى دار القسطال ، والشيخ عبدالله معه على بغل ، وأدخله الدار ، وقيد في تلك الليلة ، وحبس في بعض مقاصير الدار ، ونفس عليه مولانا السلطان ، وبالغ في اكرامه ، والاحسان اليه وزالت بحمد الله الشرور والإحن[٤] ، وخمدت نيران الفتن ، ولله الحمد على ما آسدى من المنن .

ثم أخبر الشيخ عبدالله بن عامر أن محمد بن عبدالملك كان رأساً في الفتنة ، فضاق منه خاطر مولانا السلطان ، وأمر بقبض أمواله حيث كانت ، فقبضت جميعها ، ولم يبق له شيء ، وضيق عليه في القيد ، وحبس في مقصورة أخرى من الدار . وكسا السلطان المبشرين بذلك كسوات عظيمة ، وأعفى للممسكين له أرضهم ، وأطلق لصاحب الحجرية بلاده سنة كاملة ، وفرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً ، وشكروا الله تعالى على سلامة سلطانهم ، وأمنهم في أوطانهم ، وعلى تيسير هذا الفتح المبين ، من غير ضرر على المسلمين ، بل ولا على أحد من العالمين . وكسا المبشرين جميع أعيان الدولة ، من الوزراء والأمراء والكتاب والمتصرفين ، كل واحد على قدر حاله . وكسا الشيخ علي بن شجاع العنسي المبشرين كسوات فاخرة ، وأعطاهم مالاً جزيلاً ، واستعملت الفرحات في جميع أقطار المملكة اليمنية ، وكثر الوافدون للتهنئة على مولانا السلطان ، وعملت خطبٌ ، وخُطِبَ بها في مدينة تعز ، وأنشد لسان حال مولانا السلطان :

---

(١) الزيادة من (هـ) .
(٢) في (هـ) : الروشان .
(٣) الزيادة من (هـ) .
(٤) إحَن جمع إحنة: الأحقاد .

ولــرب أمــر مــتــعــب لــك في عــواقبــه الـرضــا

[والحمد لله ، رب العالمين ، على لطف الله سبحانه وتعالى بسلطاننا ، واطلاعه على جميع من كان من الأعداء ، إذ يبنوه على ما يرضى من القول ، وفضحهم ونصره على الجميع ، ومكنه منهم ، ثم ختم ذلك بلزم الشيخ عبدالله بن عامر ، حتى لم يبق شجن ولا للشرّ ذكر ، فسبحان القادر على ما يشاء ، سبحانه لا يحصى ما علم][1] .

وفي ذي القعدة منها ، تصدق مولانا السلطان على سائر رعاياه بحط البواقي من سنة ثلاث وتسعين ، وأبطل الزيادات المحدثة ، وأمر العمال في سائر أقطار مملكته بالرفق بالرعايا ، والعدل والإنصاف والكف عن الظلم . وأطلق الهادي بن منصور ، شيخ دار الضرب ، وحط من ضمان النخل تسعة آلاف دينار ، وأمر القابض أن لا يأخذ من أهله سوى ما كان ثمنه في سوقه يوم القبض ، وتصدق/في هذا الشهر بصدقات كثيرة[2] على الوافدين إلى أبوابه بمدينة تعز ، وفعل معروفاً كثيراً ، جزاه الله خيراً . ١/٧٩

وفي الشهر المذكور ، رفع جماعة إلى مولانا السلطان ، بمدينة تعز ، قصة يشكون [منها][3] من قاضي موزع ، الفقيه محفوظ الحضرمي ، فطلبه مولانا السلطان إلى مدينة تعز ، وواجه بينه وبين الخصوم . فتعب القاضي لذلك ، وضاق خاطره ، وعزل نفسه عن القضاء ، بمجلس مولانا السلطان . ثم رده مولانا السلطان إلى ولايته ، لتحققه صدقه وديانته وأمانته . وعزل الفقيه محمد الموزعي ، عن قضاء المقرانة ، بالفقيه أبي بكر بن محمد الصايغ[4] .

وفي الشهر المذكور ، اشترى الحاج احمد الدبج جميع طعام المعقاب السلطاني بزبيد ، على أصنافه ، كل مدّ بسبعين ديناراً ثمنية[5] . وفيه قدم الفقيه ابو القاسم المخلص ، إلى مدينة زبيد ، ضامناً الجهات الشامية . وقدم بعده ، بأيام

(١) جملة ساقطة في (ج) .
(٢) أو كبيرة لأن الكلمة غير منقطة .
(٣) كلمة ساقطة من (ج) .
(٤) في (هـ) : الصانع .
(٥) كذا في النسخ .

قلائل ، عيسى بن علي الحجري ، مقدماً فيها ، وخرجا معاً إلى الجهات الشامية ، في اواخر ذي الحجة .

وفي يوم الإثنين ، الثامن عشر من ذي القعدة ، طلع بالشيخ عبدالله بن عامر إلى رداع العرش ، في صحبة الشيخ عبد الملك ابن الملك المنصور ، وعلي بن محمد البعداني ، ومولانا السلطان إذ ذاك مقيم بمدينة تعز .

وفي يوم الإثنين ، ثاني ذي الحجة[1] ، قدم النقيب ريحان [الظافري إلى مدينة زبيد ، وفي صحبته عمر العقد ، ضامناً لنخل وادي زبيد . وكان قدم النقيب][2] ريحان لتنفيذ الصدقة المتقبلة ، على أهل زبيد ، من مولانا السلطان ، ومبلغها من النقد عشرة آلاف دينار ، ومن الطعام مائتا مد ، ولقبض الأموال السلطانية واستخلاصها ، وسكن بدار المعاصر .

ثم إن مولانا السلطان اودع الشيخ محمد بن عبد الملك دار الأدب ، بحصن تعز ، ووجه بالفقيه عبدالله المقري إلى المقرانة ، وتوجه إلى الثغر المحروس ، يوم الخميس ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، وفي صحبته علي بن شجاع العنسي ، والقاضي الشرف الأحمر ، والفقيه محمد الشجون . وفسح لباقي الضمان والكتاب ، فنزلوا إلى مدينة زبيد ، فدخلوها بعد عصر يوم الأحد ، الثاني والعشرين من الشهر المذكور ، بعد أن ضمن سليمان بن خضر وادي زبيد ، وابنُ الموزعي بيتَ الفقيه وما اليها ، ونزلوا في صحبة الدبج إلى زبيد .

وفي يوم الجمعة ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، دفع الوادي زبيد بسيل عظيم لم يعهد مثله ، وسال بخلق ودواب ، واخرب اكثر قرية المزرا ، وجاء بشيء من هدم بيوت ، لا يعلم من اين هو ، فسبحان العليم الحكيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . / وفي آخر يوم من السنة المذكورة ، وقع مطر عظيم[3] ٧٩/٢ بمدينة زبيد وما حواليها ، وكان جمع من الرعاة في البادية ، خارج باب الشبارق فلما وقع عليهم المطر لجأوا إلى العقد الكبير ، الذي هو غربي دار الطويلع ، قبالة

(١) في (هـ) : ذي القعدة .
(٢) [ ] جملة ساقطة في (هـ) .
(٣) كلمة ساقطة من (د) و (هـ) .

بستان حائط لبيق ، واكتن عندهم جماعة من الناس الذين كانوا بالحائط وغيرهم فبينما هم كذلك ، إذ رأوا إلى الغنم تجول بعضها في بعض ، وتتساقط ميتة ، حتى سقط منها نحو ست رؤوس من الغنم ، ثم سكنتا[1] بعد ذلك . فنظروا فإذا بثعبان عظيم تحت ارجلها ميتاً ، وقد وطأته احداهن[2] بظلفها في رأسه فقتلته . ودفع الله شره ، فسبحان القادر على ما يشاء .

[حوادث سنة ست وتسعمائة] .

وفي المحرم من سنة ست وتسعمائة ، كثرت الأمطار والسيول ، ودفع الوادي زبيد دفعات كثيرة ، وبلغ إلى البحر .

وفي ليلة الإثنين ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، توفي شيخنا قاضي الشريعة بزبيد ، الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري ، إلى رحمة الله تعالى ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح بجامع زبيد ، وكان له مشهد عظيم لم ترَ العيون مثله . وكان المذكور من عباد الله الصالحين ، والعلماء العاملين ، وهو خاتمة القضاة الناشريين بزبيد ، رحمه الله تعالى ونفع به .

وفي أوائل شهر صفر منها ، توجه الملك الظافر من مدينة عدن إلى مدينة الحج ، واقام بها مدة ، بعد أن قدم عليه ، وهو بمحروسة عدن ، الأمير الشجاع بن مفتاح الجبني ، بقرب من مائة اسير وسبع رؤوس من أهل دَثينَة . وكان قد تو ترت منهم ذنوب اقتضت ذلك[3] . فأغزى طوائف من جنده عليهم حتى أدوا الطاعة . وفي اثناء اقامة السلطان بمدينة لحج ، بلغته وفاة القاضي محمد بن عبد السلام لناشري ، فاسترجع لذلك ، واستدعى بالقاضي صفي الدين أحمد بن عمر المُزجّد ، من مدينة عدن ، فولاه قضاء زبيد ، واستدعى بالقاضي عبد العليم بن محمد القُمّاط ، من مدينة تعز ، فولاه قضاء عدن ، واستدعى بالقاضي حسن بن أحمد المزجد ، من لحج ، فولاه قضاء تعز . وولى الفقيه [أحمد بن عبدالله

---

(1) في (ج) : سكتت .
(2) كذا في النسخ .
(3) في (هـ) : افضت إلى ذلك .

باحسين الحضرمي](١) قضاء مدينة لحج ، وفصل القاضي محمد بن أحمد العطاب عن نظر مدينة عدن ، وفسح له في النزول إلى زبيد ، فنزل إليها . ثم توجه السلطان إلى محروسة المقرانة ، فدخلها آخر الشهر المذكور .

وفي يوم الجمعة ، الثالث والعشرين من شهر صفر ، كان قدوم القاضي صفي الدين أحمد بن عمر المزجد ، إلى مدينة زبيد ، فقرت العيون بقدومه ، وتوجه / ١/٨٠ أولاد القاضي محمد بن عبد السلام الناشري إلى الأبواب السلطانية ، يوم ثالث قدومه . وفي عشية يوم الخميس ، الرابع عشر من شهر ربيع الأول ، قدم الأميران ريحان والشجاع الجبني ، إلى مدينة زبيد . فاستقرّ الجبني بزبيد اميراً ، وريحان قابضاً وناظراً . وقدم صحبتهما الحاج حسن الدفوفي متولياً أمر الحسبة بزبيد . وفصل عن الوظيفة يوسف بن أحمد الحوائجي . وفصل عن ولاية زبيد بنو العنسي . وتولى الشيخ علي بن شجاع احكام مدينة جبلة وما إليها ، وتولى الشجاع احكام مدينة عدن .

وفي منتصف الشهر المذكور ، توفي القاضي الصالح ، محب الدين احمد بن عبد الحي بن ظهيرة الشافعي ، قاضي جدة ، رحمه الله . ونعم الرجل كان ، ديناً وصلاحاً وعفة وايثاراً للمساكين . وحمل إلى مكة ودفن بها . رحمه الله ونفع به أمين . [واستمر بعده ، في وظيفته ، ولده القاضي جمال الدين ، جعله الله خلفاً مباركاً](٢) .

وفي ليلة الثلاثاء ، السابع والعشرين من الشهر المذكور ، انقض كوكب عظيم على مضي الثلث من الليل ، قبلي بيت الفقيه ابن عُجَيْل ، فجر(٣) على قرية بيت الأكسع ، منتشراً قطعاً كالجمر الكبار ، فوقعت منه قطعة على بيت الشريف عبد الغفار بن احمد السلبعي(٤) ، فاحرقته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الأربعاء ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، أمر الأمير عمر

---

(١) في (هـ) : احمد باحسن .
(٢) [ ] جملة ساقطة في (ج) .
(٣) في (هـ) : فجاز .
(٤) بدون نقط في جميع النسخ .

الجبني بلزم رجل من المسرفين بزبيد ، يعرف بعلي بن أحمد بن جياش الخراساني ، وارسل جماعة للزمه . فوجد بالمدرسة الفرحانية بزبيد ، فهرب على الترسيم ، وتسور جدار المدرسة ، فصاح به الناس ، فدخل المدرسة الشمسية ، عند بيت العلامة يوسف المقري ، فدخل الترسيم بعده المدرسة ، فألقى نفسه في بئرها فمات ، واخرج من البئر ، وستر ، بحصير واحضر إلى باب الدار . فأمر الأمير بطرحه في الجرمية ، خارج باب القرتب . فشفع إليه في دفنه ، فقال يدفن بها ، فغسل وكفن خارج المدينة ، وصلي عليه ، ودفن على قرب من الجرمية . وكان من المسرفين على نفسه وعلى الناس ، تجاوز الله عنه .

وفي يوم الجمعة ، التاسع عشر من جمادى الأولى ، قدم القاضي شرف الدين اسماعيل بن محمد الأحمر ، من الأبواب الشريفة إلى مدينة زبيد ، بعد تَقَدّم مولانا السلطان إلى رداع العرش ، بسبب المخرج السلطاني . وفي الشهر المذكور ، أمر السلطان بافتقاد التركات وأموال اليتامى بزبيد ، وكُتِبَ نَظيرٌ بذلك واطلاقه على القاضي صفي الدين أحمد المزجد ، فامتثل أمره الشريف .

وفي يوم الجمعة ، السادس والعشرين من جمادى الأولى ، ذهب القاضي صفي الدين المزجد إلى الجامع ، لصلاة الجمعة ، فوقع بين يديه مرحام ، / عند بيت الصديق الفشيس[1] ، قريباً من الجامع . فاتهم بذلك جماعة من بني الناشري . وكانوا قد خرجوا إلى المقبرة ، بباب سَهام ، عصر يوم السبت ، في شهادة احمد بن علي العلوي . فقعد الترسيم على الباب ، ومعه اسماء جماعة من بني الناشري ، فلزم منهم نحو عشرة انفس ، وذهب بهم إلى الدار الكبير ، عند الأمير ، وامسوا مترسمين . ثم اطلع القاضي على ذلك ، فكتب إلى الأمير ففسح لهم ، وخرجوا يوم الأحد . ولزم ولد أخي القاضي محمد بن عبد السلام الناشري ، المعروف بن يوسف ، وأودع السجن . وطلع الفقيه علي ابن القاضي محمد بن عبد السلام الناشري إلى الجبل ، قبل لزم ابن عمه ، يوم السبت ، ثم اطلق المعروف بن يوسف المذكور من الحبس والترسيم .

٢/٨٠

وفي ليلة السبت ، الثالث من شهر رجب ، بعث الأمير عمر الجبني سرية

(١) في (هـ) : القَشيش .

لرجل من المعازبة ، يعرف بأحمد الزاهر ، كان منع ما عليه من الخراج ، وتعرض لقطع الطريق ، وأمر عليهم ابنه احمد . فذهبوا فلم يجدوه ، ووجد عياله ونساه[1] ، فقبضوا عليهم ، ودخلوا بهم زبيد ، آخر يوم السبت .

وفي عصر يوم الإثنين ، الخامس من الشهر المذكور ، خرج الشهاب أحمد ابن الأمير عمر الجبني ، لملاقاة الخيل المقبوضة من العرب ، حتى بلغ المراوعة . وفي ضحى يوم الإثنين ، الثاني عشر من شهر رجب ، قدم الأمير عمر الجبني بالخيل المقبوضة من العرب ، ودخل بها مدينة زبيد ، وعدتها نيف وثمانون فرساً .

وفي عصر الخميس ، الخامس عشر من الشهر المذكور ، قدم الفقيه علي بن القاضي محمد بن عبد السلام الناشري ، من الأبواب الشريفة إلى زبيد . وفي الشهر المذكور ، حصل بمدينة زبيد مرض عظيم ، ومات بسببه خلائق لا يحصون ، وكثر الوباء واستمر الدعاء لذلك في الصلوات والخطب . ودام ذلك إلى شهر ذي القعدة ، واشتد في أواخر شعبان ورمضان . فبلغت الموتى فيه ، بزبيد ، في كل يوم فوق الستين نفساً . وكان غالبه في النساء والأطفال . وانتقل إلى بوادي زبيد وحيس وموزع وغيرها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي منتصف شهر شعبان ، أخذ مولانا السلطان بلد الطوالق وسائر ما هنالك قهراً ، بعد أن ادام المحطة عليهم نحو ثلاثة اشهر ، وقتل منهم امماً ، ورماهم بالمنجنيقات ، وضيق عليهم اشد الضيق ، وطلبوا الذمة ، وبذلوا له مرغوبه ، فقبل ذلك ، وارتفع إلى محروسة المقرانة ، وامنت الطرقات ، وانحسم الخلاف ، ولله الحمد . واستعملت الفرحة في جميع اقطار المملكة اليمنية ، خصوصاً في مدينة زبيد .

٨١/١ وفي آخر يوم من شعبان ، وهو السبت ، قدم إلى زبيد قاصد صاحب مصر، / السلطان جَنْبُلاط ، بهدية عظيمة إلى مولانا السلطان ، من جملتها فانوس بلور قدر قامة انسان ، وصندوقان[2] من بلور ، وسيوف عظيمة ، واشياء نفيسة ، ويقال انه رأى في منامه منامات صالحة لمولانا السلطان ، فكتب إليه بذلك .

---

(١) كذا في النسخ . والصواب اما : « ووجدوا عياله ونساءه » ، واما : « ووُجِدَ عيالهُ ونساؤه » .

(٢) في (ج) : صندوقاً والتصحيح من (د) و (هـ) .

وفي سحر ليلة الثلاثاء ، الثالث من رمضان ، توفي الشيخ أبو بكر بن عبدالله المزجاجي ، ودفن ضحى يومها . وكان له مشهد عظيم ، رحمه الله . وفي ليلة السبت ، سابع رمضان ، توفي علي محمد النزاري ، ودفن صبح تلك الليلة ، رحمه الله . وفي ضحى يوم الأحد ، الثامن من رمضان ، توفي الجمال محمد بن أبي الغيث العميري[1] ، ودفن عصر ذلك اليوم ، وحضر دفنه الأمير والقاضي وغيرهما . وفي ضحى يوم الخميس ، الثاني عشر من رمضان ، توفي محتسب زبيد حسن احمد الدفوفي[2] الدمنهوري، وولّى القاضي صفيُّ الدين أحمد بن عمر المزجد وظيفتَه الفقية عثمان بن أبي القاسم الجبيلي ، بعد أن رغب اليه في ذلك .

وفي النصف من رمضان ، توجه قاصد الديار المصرية ، إلى الأبواب السلطانية ، بالهدية الكريمة .

وفي يوم الجمعة ، الحادي والعشرين من رمضان ، توفي الفقيه احمد بن محمد بن طلحة البزاز الصيرفي ، ودفن بعد عصرها ، رحمه الله . وفي ضحى يوم الثلاثاء ، السادس عشر من شوالها ، توفي الشيخ الصالح الأصيل ، شيخ الشيوخ ، جمال الدين محمد المعروف بن اسماعيل الجبرتي الصوفي ، وصلي عليه ، بعد صلاة العصر ، بمسجد الأشاعر ، ودفن في قبر والده ، داخل قبة جده ، الشيخ الكبير اسماعيل بن ابراهيم الجبرتي . وكان له مشهد عظيم لم ترَ العيون مثله ، وكثر الأسف عليه ، رحمه الله ونفع به . واستمر بعده ، في وظيفته ، ولده الشيخ اسماعيل رحمه الله امين[3] . وفي ضحى يوم الخميس ، الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الشيخ الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن محيي الدين الجَبَرتي ، ودفن بعد عصر ذلك اليوم ، رحمه الله .

وفي يوم السبت ، السابع والعشرين من الشهر المذكور ، طرح ولد لمحمد ابن عبدالله الحرجي ، يقال له محمد ، نفسه في بئر ، بمسجد سوق الزدات[4]

---

(١) في (هـ) : القميري .
(٢) في (ج) : الدفوهي .
(٣) في (د) و (هـ) : وفقه الله امين .
(٤) في (ج) : الردات .

بربيد . وكان والده يعلمه القرآن في دكان ، عند باب المسجد ، ويعنف عليه ويكثر ضربه . وقام ودخل المسجد ، والناس ينظرون إليه ، وطرح ثوبه على رأس البئر ، وألقى نفسه فيها ، فانكسر رأسه فيها ومات ، رحمه الله .

وفي يوم الأربعاء ، مستهل ذي القعدة ، توفي النجم الصعدي ، نقيب فقراء الشيخ اسماعيل بن أبي بكر الجبرتي ، ودفن بمجنة شيخه .

٢/٨٠ وفي صبح يوم الأحد ، تاسع عشر الشهر المذكور/ طلع احمد ابن الأمير عمر الجبني إلى الأبواب الشريفة ، باستدعاء السلطان له . وكان تظلم به أهل قرية الهرمة وشكوه إلى مولانا السلطان ، فأمر برد ما أخذه ، وكان فوق من الفي دينار ، وبطلوعه ، فطلع بسبب ذلك .

وفي يوم الثلاثاء ، التاسع والعشرين من ذي القعدة ، قدم عبد الرحمن بن الشرف الأحمر ، من الأبواب الشريفة إلى مدينة زبيد .

وفي يوم الأربعاء ، سلخ ذي القعدة منها ، كانت وقعة الشريف هِزاع بن محمد بن بركات ، مع أخيه صاحب الحجاز الشريف بركات بن محمد ، انكسر فيها الشريف بركات ، وهزم هزيمة عظيمة ما سمع بمثلها . واستولى الركب على خزائنه ونسائه وأمواله ، ولم يبقَ له بقية . والأصل في ذلك أن الملك العادل طُوْمَنْباي[1] ، صاحب مصر ، لما تولى الملك بعد الملك الأشرف جنبلاط ، طرد رجلاً من امراء جنبلاط يقال له قَانْصُوه المحمدني[2] ، ويعرف بالبرج ، فخرج إلى مكة . فلما دخلها ، لم يلتفت إليه أحد من كبرائها ، لا الشريف ولا القاضي ولا غيرهما ، خوفاً من السلطان طومنباي . فلما فقد طومنباي ، وتولى بعده الملك الأشرف قانصوه الغَوْري ، ليلة عيد الفطر ، سنة ست وتسعمائة ، ارسل لِقانصوه البرج إلى مكة ، وجعله نائب الشام . فلما وصلت إليه كتبه بذلك ، وهو بمكة ، في أول ذي القعدة ، جاءه الشريف بركات والقاضي أبو السعود بن ظهيرة للسلام عليه ، فلم يؤذن لهما . وكان في نفسه منهما شيء ، لعدم التفاتهما إليه عند قدومه مكة مطروداً . وكان الشريف هِزاع يومئذ بمكة ، فعامله قانصوه البرج على أن

---

(١) في قرّة العيون : طرنباي (ج ٢ ص ٢٠٢) .

(٢) في قرّة العيون : المجدي (ج ٢ ص ٢٠٢) .

يجعل إليه ولاية مكة ، ويخلع اخاه بركات عنها . وأمره بالخروج إلى ينبع . وأرسل الأمير الحاج المصري أن يواجه هِزاع[1] ، ويطلق المراسيم السلطانية عليه ، ويلبسه الخلع السلطانية ، ففعل ذلك . ولبس الشريف هزاع خلعة اخيه بركات ، وألبس اخاه الجازاني الخلعة التي كان هو يلبسها ، مع أخيه بركات ، وتوجه مع الركب المصري إلى مكة ، ومعه اشراف بني ابراهيم ، في نحو مائة فارس منهم . فلما علم بذلك الشريف بركات خرج إلى وادي مُر ، والتقى الجمعان هناك ، وتقابلا . فانكسر الشريف هزاع مرات ، وقتل من اصحابه نحو الثلاثين ، ومن الركب المصري رجل من الأتراك ، وثلاثة من الحجاج ، ونهبت اطراف القافلة . فلما رأى الركب ذلك حملوا مع الشريف هزاع ، على اخيه بركات ، حملة رجل واحد ، فانكسر بركات ، وقتل ولده المسمى ابا القاسم ، في جماعة من عسكره ، واستولى هزاع والركب المصري على محطة الشريف بركات ، وما فيها من الأموال ، والأمتعة ، والنساء ، والأطفال ، وانتهكت حرمة الاشراف يومئذ ، وانهزم الشريف بركات/إلى حدة[2] . فنهبها ، ثم نزل إلى جدة فنهب اكثرها . ودخل الشريف هزاع ٨٢/١ مكة صحبة الركب المصري ، واضطربت احوال الناس ، وكثر الخوف والنهب في الطرقات ، وانقطعت السبل ، ورجعت حجاج البحر من الطريق ، وكانوا قريباً من جُدّة . وكان عذر الناس بركات[3] ، إذ شكا الناس إليه ما يلقون ، أن يقول اشكوا ذلك إلى سلطان البلد واطلبوا منه امانها ، فقد امنتها حين كنت سلطانها ، واما الآن فانا واحد منكم . فلما استقر هزاع بمكة جاءه الناس يصطرخون من كل جانب : اهلُ القرى والتجار والمسافرون وربما سبوه . فضاق خاطره واضطرب حاله ، فلم ينتظم له امر . فدخل عليه عمّه ابراهيم بن بركات ، وشكا ما يلقى من الناس ، وما هو عليه من التعب . فأمره بالخروج في صحبته إلى جُدة . فخرج اليها ، والشريف بركات يومئذ مقيما بماء يقال له العدّ ، بين حدة وجدة[4] . ثم امر الشريف ابراهيم ابن اخيه الشريف هِزاع بالوقوف بجدة ، وتقدم إلى بركات وقال له : ان اخاك بجدة

(١) كذا في النسخ ، والصواب : « هِزاعاً » لأنه غير ممنوع من الصرف . وفي لسان العرب : سهم هِزاع الذي يبقى في الكنانة وحده .

(٢) في (هـ) المحدة وفي (ج) و(د) حده ، بدون نقط .

(٣) كذا في النسخ ، والجملة غير مستقيمة ، والصواب : وكان عذر بركات إلى الناس .

(٤) انظر الحاشية (٢)

في ألفي فارس من الترك ، لا طاقة لنا بمقاومتهم . فإن احببت تعرضت بينكما بهدنة ، يأمن الناس فيها ويحجون ، إلى عاشوراء المحرم ، على أن يعطيك اخوك هزاع ثلاثة آلاف اشرفي ، قبل يوم النحر ، فإن فعل وإلا فلا ذمة له . ففعل الشريف بركات ذلك ، ظاناً أن قول عمه صحيح ، وهو أن هِزاع[1] في الفي فارس من الترك . فسكن بعض خوف الناس ، ورجع هِزاع إلى مكة ، وكان الحج ضعيفاً . ولم يحج الشريف بركات في هذا العام . وسلم هزاع إلى اخيه ما التزمه له عمه ابراهيم من المال . ولما عزم الركب المصري ، عرف هزاع أنه لا طاقة له بمقاومة اخيه بركات ، وتخوف من الهجوم عليه بمكة ، فتوجه صحبة الركب الشامي إلى ينبع ، وتبعه الشريف بركات ، فحماه الركب الشامي منه . فرجع بركات إلى مكة ودخلها دخولاً معظماً ، وطاف بالبيت واستقرّ بمكة ، وامنت الناس والطرقات ولله الحمد .

وفي اواخر يوم الجمعة ، الثاني من شهر ذي الحجة الحرام ، طلع الأمير عمر الجبني إلى الأبواب الشريفة ، بسبب استدعاء السلطان له ، وكان مريضاً شديد المرض ، وبقي الأمير ريحان بزبيد عوضاً عنه . وفي ضحى يوم الأحد ، الرابع من الشهر المذكور ، توفي الحاج شمس الدين علي بن حسين الشرعبي ، إلى رحمة الله تعالى ، ودفن عصر ذلك اليوم ، إلى جنب والده ، بجوار مشهد الشيخ احمد الصياد ، وكان له مشهد عظيم ، رحمه الله .

[حوادث سنة سبع وتسعمائة] .

وفي أول المحرم ، من سنة سبع وتسعمائة ، خرج الشريف هِزاع من مكة ، ودخلها الشريف بركات واستقر بها .

٨٢/٢ وفي يوم الثلاثاء ، رابع الشهر المذكور ، احترق/ من مدينة زبيد من سوق المسوادة ، آخذاً في الشرق واليمن ، حتى انتهى إلى باب الشبارق ، وتلف فيه من البيوت والأموال ما لا يحصى . وفي يوم الاثنين ، العاشر منه ، وقعت فتنة بين أهل ربع المعاصر واهل السوق ، وكان فيها جراحات ومراجم . وركب جماعة من

---

(١) انظر الحاشية ١ ص ٢٣٤

الدولة ، ودخلوا السوق الكبير ، ولزموا جماعة من اهله بغير ذنب ، فنفي بعضهم ، وضرب بعضهم . وفيه نفس الوادي تنفيسات كثيرة ، فانتفع به الناس ، وكثرت السيول والأمطار ، وانحطت الأسعار . وفي آخره ، توجه النقيب عبد القادر بن فرح النجاشي ، إلى الأبواب الشريفة ، بالأموال السلطانية المقبوضة من الشهاب الدبج ، من تمر الطعام وغيره .

وفي شهر صفر منها ، وصل مرسوم شريف من قبل مولانا السلطان ، للشهاب الدبج ، أن لا ينفّذ من الخطوط الديوانية الا ما كانت عليه علامته ، فامتثل الأمر الشريف . وفي الشهر المذكور ، قدم كتّاب الجهات[1] الشامية بمال الخراج من هنالك ، وتوجهوا بها إلى الأبواب الشريفة ، ووصل ابن مكاوس[2] وابن علاء الدولة ضامنين للجهات الشامية ، من الأبواب الشريفة إلى زبيد ، وتوجها منها إلى الشام .

وفي يوم الاثنين ، السادس من ربيع الأول ، توجه عبدالله بن الشرف الأحمر إلى الأبواب الشريفة ، باستدعاء السلطان له . وفي الشهر المذكور ، اخذ العسكر السلطاني حصن اكمة الجود[3] ومقدمهم الفقيه جمال الدين محمد النظاري . ثم حط على القداسي المفسد ، في حصن له قد تحصن به ، يسمى النصلة ، ومعه جماعة يخيفون السبل ، ويقطعون الطرق ، ويضرون المسلمين ، فقتل القداسي المذكور ، في خمسة من اصحابه ، واسر منهم اربعون رجلاً وقيدوا ، وامنت البلاد ، وانقطع الفساد . ثم توجه الفقيه جمال الدين النظاري والعسكر المنصور ، إلى الأبواب الشريفة ، في غرة الشهر المذكور .

وفي شهر ربيع الآخر ، كثر وفود العرب إلى الأبواب الشريفة السلطانية ، من الصميين والواعظات والمعازبة وغيرهم ، فاجزل السلطان صلاتهم ، ورجعوا إلى بلادهم شاكرين لمعروفه واحسانه .

وفي يوم الاثنين ، ثامن عشر جمادى الأولى ، قطعت يد سارق بزبيد ، يعرف

---

(١) في (ج) : كتاب من الجهات .

(٢) في (هـ) : ابن مكاوش .

(٣) في قرّة العيون : اكمه الحود . ويقول المحقق محمد علي الأكوع : « لا نعرف موقع اكمه الحود المذكورة » (ج ٢ ص ٢٠٣ هامش ٢) .

بابن عَوْمان . وكان قد اكثر الفساد في البلاد ، وسرق من زبيد وغيرها سرقات متعددة ، حتى دخل بيت رجل بزبيد يعرف بحسين بن الزين الخراط ، فسرق له قريباً من الفي دينار دراهم ، فلزم واخرج اكثرها ، ثم قطعت يده لذلك[1] . وفي الشهر المذكور مات رجل يعرف بابن المزجاجي ، مترديا في بئر حش ، في بيته .

وفي غرة شهر جمادى الآخرة ، كانت بين الزعليين والزيديين وقعة ، ومع الزيديين مقدم من جهة الدولة ، يقال له عيسى بن علي الحَجْري . فانكسر الزعليون ، وقتل منهم جماعة ، وحُزَّتْ رؤوسهم ، ودخل بها زبيد يوم الخميس ، ١/٨٣ سادس الشهر / المذكور .

وفيه وصلت الأخبار ، من مكة المشرفة ، بهجوم الشريف هزاع عليها . وهي الوقعة الثانية ، وكانت ضحى يوم الأحد ، التاسع من جمادى الأولى ، بموضع يقال له طرف البر[2] . فانكسر فيها الشريف بركات ، وانهزم هو وعساكره هزيمة عظيمة ، وقتل اخوه ابو دعج[3] ، في سبعة من اشراف بني نمي ، وقتل من الترك الذين مع بركات اربعة عشر نفراً . وكان مع هزاع من الرجل ثلاثة آلاف وخمسمائة ، ومن الخيل مائتا فارس . ومع بركات خمسمائة فارس ورجل كثير . فلما انهزم بركات ، بلغ إلى مسجد الغراب . ووصل الشريف هِزاع إلى ظاهر جدة ، ظهر يوم الثلاثاء من الشهر المذكور ، ونادى بالأمان والاطمئنان ، وفرحت الناس وواجهوه إلى سبيل الأمير ، فاستقر هنالك . وقرر احوالها ، وجعل محمد بن راجح بن شميله وزيره بها ، وعبداً من قواده حاكما ، وارسل اخاه الجازاني إلى مكة لتقرير احوالها . ثم لحقه إليها في عساكره ، وعرض العساكر بها ، وقرأ مرسوماً سلطانياً . ثم وصلت خلع ومراسيم من مصر ، في طريق البحر ، إلى جدة ، صحبة امير يقال له الباش ، يوم الثلاثاء ، الثامن عشر من الشهر المذكور ، فأرسل له الشريف هزاع بستين جملاً ، وثلاثين راحلة ، ومركوب له وامره بالطلوع اليه إلى مكة ، فتوجه إليها يوم الأحد ، الثالث والعشرين من الشهر المذكور . وكان الفقيه عثمان الأحمر يكثر الكلام بما لا يعنيه ، وينال من الشريف هزاع ، ويمخرق بشيء

---

(١) في (هـ) : والحمد لله على ذلك .
(٢) في (د) و (هـ) : يقال له البر . وفي قرة العيون : « طرف البرقا » (ج ٢ ص ٢٠٤) .
(٣) في (هـ) : ابو اعلم وفي (ج) و(د) : أبو دعح ، بـدون نقط .

من الدك[1] على الشريف بركات وغيره ، فأمر الشريف هزاع بشنقه ، فشنق بباب المعلاة ، يوم الجمعة ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور .

وفي عشية الخميس ، الثاني عشر من جمادى الآخرة ، قدم الشريف العفيف بن علي بن سفيان ، من الأبواب الشريفة إلى زبيد ، فدخلها دخولاً معظماً ، في خيل كثيرة ، ورجل كثير ، وأقام بالدار الكبير منها ، إلى عشية يوم الثلاثاء ، السابع عشر من الشهر المذكور ، وتوجه إلى البلاد الشامية ، متولياً أمورها من قبل مولانا السلطان .

وفي آخر جمادى الآخرة ، تجهز مولانا السلطان الملك الظافر ، إلى مدينة ذمار ، في جموع عظيمة من العساكر ، يقال إنه ما جمع مثلها قط ، ثم قدّم العساكر المنصورة قبله ، ثم سار بنفسه ، غرة شهر رجب . فأقام بذمار أياماً ، وجرّد عساكره إلى جمعة الجزع[2] فأخذها قهراً ، بعد أن قتل من أهلها جموعاً كثيرة ، وقبض جميع حصونهم . ثم توجه إلى صنعاء ، يوم الأحد التاسع والعشرين من رجب ، فحط عليها يوم الثلاثاء ، في شهر شعبان .

وفي أوائل رجب منها ، توفي القاضي عفيف الدين عبدالله بن أبي الفضل ظهيرة ، بمكة المشرفة . وفي ليلة الاثنين ، الرابع عشر منه ، توفي صاحبنا العلامة ، جمال الدين ، أبو المكارم بن الرافعي بن ظهيرة ، بمكة المشرفة أيضاً ، رحمه الله . وفي ليلة الثلاثاء ، الثالث والعشرين منه ، توفي الفقيه المقري ، الصالح /المعمر، جمال الدين محمد بن أبي بكر بن بدير ، عن تسعين سنة ، ممتعاً بسمعه وبصره وعقله . وكانت إليه النهاية في علم القراءات السبع ، رحمه الله تعالى . ٢/٨٣

وفيه ، فُصِلَ الفقيه عثمان الجِبْلي[3] عن ولاية الحسبة بزبيد ، بأبي القاسم المصري ، بولاية سلطانية .

---

(١) في (هـ) : الدرك .

(٢) في (د) : الحرع ، بدون نقط . وفي (هـ) : الخزع . وفي « قرة العيون » الخزج ، وهو شمال مدينة ذمار (ج ٢ ص ٢٠٤ هامش ٣) .

(٣) في (هـ) : الجبيلي .

وفي يوم الثلاثاء ، خامس عشر الشهر المذكور ، توفي الشريف هزاع بن محمد بن بركات ، صاحب مكة ، إلى رحمة الله تعالى ، بوادي الأبيار ، وحمل إلى مكة ، فدفن بها ، صبح الأربعاء ، عند أبيه . ولما فرغ من دفنه ، تولى أخوه أحمد الجازاني بعده مكة ، بمساعدة القاضي أبي السعود بن إبراهيم بن ظهيرة ، وربما أعانه بنفقة وسلاح وغير ذلك . ولما علم بركات بذلك ، سار إلى مكة فدخلها في منتصف شعبان . ففرّ منه الجازاني ، واستقر بها بركات ، ولم يقم له أحد . وعلم بما كان من القاضي ، فلم يكد يصدق به . ثم دخل القاضي أبو السعود عليه ، وأظهر الفرح والسرور بقدومه ، وأمره بتفريق جنده ، وقال له : لا حاجة لك إلى هؤلاء ، إنما هم كثرة مصروف . ففرقهم وفسّح لهم . فلما فعل ذلك ، كتب القاضي إلى الشريف الجازاني يذكر له ذلك ، ووعده بالقبض على أخيه ، إذا وصل إلى مكة في يوم الخامس والعشرين من رمضان ، في الحرم الشريف من غير مشقة . ويقال إن أحد خواص الشريف عمل ذلك مكيدة للقاضي ، أو تسبب فيه واستدرج القاضي ، وظن القاضي صداقته . ثم أخذ الكتاب من القاضي ودفعه إلى بركات ، وقد سبقت له ضغائن في قلبه . فلما وقف عليه بركات ، أرسل للقاضي أبي السعود وأوقفه على الكتاب ، فأنكره[1] . فقبض عليه ، واستصفى أمواله ، وسجنه عنده في بيته ، وقيّده وغله ، وعصر عليه العصارات ، وصادر ولده صلاح الدين ، وأخاه سيد الناس ، في خمسة آلاف دينار ذهباً ، وأطلقهما على ذلك . فبيعت ذخائرهم وكتبهم النفيسة بأبخس الأثمان ، ولم يبقَ لهم باقية . ثم أرسل به الشريف بركات إلى جزيرة من جزائر البحر ، في جهة اليمن ، قريبة من حَلْي ، تعرف بالقنفذة ، فسجنه بها ، هو وعياله وخاصته من أهل بيته . فنسأل الله العافية والسلامة .

وفي ليلة السبت ، الثاني من شهر شوال ، توفي القاضي شرف الدين إسماعيل بن محمد بن أحمر ، إلى رحمة الله ، فجأة . وصلي عليه ، بعد صلاة الصبح ، بمسجد الأشاعر ، ودفن ضحى يوم السبت ، رحمه الله . وكان ولده عبدالله حينئذ غائباً ، عند مولانا السلطان ، في حصار صنعاء ، فأقامه في وظيفته ، ونزل إلى زبيد ، فدخلها في أوائل شهر ذي القعدة .

(١) في (هـ) : « فلم يمكنه إلا إنكاره بالكلية » .

وفي يوم الأحد ، السابع عشر من الشهر المذكور، توفي الشيخ عفيف الدين عبدالله بن عامر ، إلى رحمة الله تعالى ، بدار الأدب من رداع العرش ، ومولانا السلطان إذ ذاك محاصر / صنعاء . وكان مرضه من الحمّى المطبقة ، فأقام خمسة ١ / ٨٤ أيام ، ثم توفي اليوم السادس من مرضه. فأحضر الموكل به أعيان البلد ورؤساءها ، وأشهدهم على موته . ثم جُهِّزَ أحسن الجهاز ، وصلي عليه في جمع ، ودفن في مجنة رداع العرش ، رحمه الله تعالى . ولما فرغ من دفنه ، سأل الشيخ يوسف[1] الموكل بهم عن مولانا السلطان أين هو ، فأخبره أنه محاصر صنعاء ، لأخذ الثأر بجده . فسرّ بذلك سروراً عظيماً ، واستدعى بدواة وقرطاس ، وكتب إلى مولانا كتاباً يشكر صنيعه ، ويحثه على المصابرة ، وذكر أن له مالاً عظيماً مودعاً بالمداجر ، كان اذخره لينفقه على صنعاء . وقال له خذه من عند الوديع . وكتب إلى صاحب المداجر بإطلاق المال على السلطان ، وكان مالاً جليلاً ، وشيئاً من آلات الحرب ، كالدروع ونحوها . فسبحان من سخّر لهذا السلطان كل إنسان .

وفي ليلة الأربعاء ، الثامن عشر من الشهر المذكور ، توفي الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن علي المطيب[2] ، أمام مقام الحنفية بجامع زبيد ، وصلي عليه بالجامع المذكور ، بعد صلاة الصبح ، ودفن إلى جنب أبيه وأخيه ، بمقبرة باب سَهام ، رحمه الله . وفي آخر يوم الخميس ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، توفي الفقيه العلامة أبو بكر بن عبدالله قعيش الشافعي ، وصلي عليه بجامع زبيد ، بعد صلاة الجمعة ، ودفن بتربة الشيخ محمد المزجاجي ، رحمه الله ونفّع به . وفي صبح يوم الجمعة ، الخامس من شهر ذي الحجة الحرام ، توفي الفقيه النبيه ، العلامة الصالح المعمر ، عفيف الدين عبدالعليم بن أبي القاسم بن عثمان اقبال ، القرتبي الحنفي ، بمدينة زبيد ، وصلي عليه بالجامع ، بعد صلاة الجمعة ، ودفن بمجنة باب القرتب ، غربي مشهد الفقيه أبي بكر الحداد ، نفع الله به . وكان له مشهد عظيم . ومولده في سنة اثنين[3] وعشرين وثمانمائة، رحمه الله ونفع به .

وفي الشهر المذكور ، كتب الشريف بركات إلى واليه ، بجزيرة القنفذة ،

---

(١) في (هـ) : « ولما فرغ من دفنه الشيخ يوسف قال للموكل بهم » .
(٢) في (هـ) : الطيب .
(٣) كذا . والصواب اثنتين .

يأمره بتغريق القاضي أبي السعود ، وأن لا يراجعه في ذلك . فأخرجه من الجزيرة في سنبوق ، وغرقه في البحر ، يوم الأحد ، الثاني من شهر ذي الحجة الحرام ، وأولاده وعياله ينظرون إليه ، فمات شهيداً غريقاً ، مظلوماً غريباً ، رحمة الله عليه .

وفي سحر ليلة الثلاثاء ، سلخ السنة المذكورة ، توفي الفقيه القاضي ، العلامة الصالح ، صفي الدين ، مفتي المسلمين ، أحمد بن شيخنا العلامة ، الولي المقرب ، جمال الدين محمد الطاهر بن أحمد بن جعمان ، قاضي مدينة حيس ، إلى رحمة الله تعالى ، ببيته من مدينة زبيد ، وغسل وكفن بها ، وصلي عليه ٨٤/٢ بجامعها ، وحملت جنازته على أعناق الرجال / إلى جلة العرق ، ظاهر مدينة زبيد ، وحمل في محمل على جمل ، إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، فدفن بها آخر ذلك اليوم ؛ إلى جنب قبر أبيه وجده ، نفع الله بهم ، بوصية منه ، رحمه الله . وكان له مشهد عظيم . ولم يخلف بعده مثله في بني جعمان ، في العلم والمعرفة ، رحمه الله . واستمر في وظيفته ، قضاء مدينة حيس ، ولده الفقيه جمال الدين محمد الطاهر جعمان ، وفقه الله وثبته .

[حوادث سنة ثمان وتسعمائة]

وفي سحر ليلة الجمعة ، الثالث من المحرم ، أول سنة ثمان وتسعمائة ، توفي امام مسجد الجامع بزبيد في الصلوات ، الفقيه عبدالله بن حسن المقصري ، وصلي عليه بالجامع ، بعد صلاة الصبح ، ودفن قريباً من مشهد الفقيه محمد بن إبراهيم بن دحمان ، رحمه الله . واستمر ولده الفقيه حسن في وظيفته.

وفي الشهر المذكور ، عمل أهل صنعاء المَكيدة العظيمة على مولانا السلطان ، الملك الظافر ، نصره الله تعالى[1] . فخلصه الله تعالى من ذلك بأحسن الوجوه ، ونجّاه من كل سوء ومكروه ، وأبطل كيدهم ومكرهم ، ودفع شرهم وضرهم . وذلك أنه لما أطال مولانا السلطان الحصار على أهل صنعاء ، وضيق عليهم أشد الضيق ، وبلغت منهم القلوب الحناجر ، كتب أهل صنعاء كتاباً إلى محمد بن حسين البهال ، صاحب الجوف وصعدة ، وشكوا إليه ما يجدون من الضيق والحصار ، وبذل له محمد بن عيسى شارب حصن ذي مَرْمَر

(١) في (ج) : رحمه الله .

على نصرته . وتكاثفت الزيدية بأجمعها ، واجتمعوا على نصرة صاحب صنعاء ، وخالفت جميع الزيدية على مولانا السلطان ، من الضرية إلى صنعاء إلى منتهى الشام ، واجتمعوا على استئصال المحطة السلطانية ، بمن فيها وما فيها . وأقبل البَهال وابن عندل والوشلي وصاحب هداد ، كل واحد منهم في عسكر ، ومحطة عظيمة ، وجيوش لا تحصى ، على طريق حضور . فلما علم مولانا السلطان بذلك ، أرسل الأمير محمد البعداني ، في جماعة ، ليأخذوا لهم بمجامع الطرق . فلما علم بهم البهال ، لقيهم إلى شعب البون ، فقابلته العساكر المنصورة ، فنال منهم ونالوا منه ، وانكسر عساكر الأمير وانهزموا ، وقتل منهم جماعة . فلما بلغ الخبر إلى مولانا السلطان بذلك ؛ جمع المحاط كلها محطة واحدة ، إلى أكام الزبيب . ثم أقبل البهال والوشلي ومن معهما إلى المحطة المنصورة ، وأحدقوا بمولانا السلطان ومن معه ، وحصروها عشرة أيام من الداخل والخارج ، وشنوا عليها الغارات ، وبلغت القربة الماء نصف اشرفي . فأرسل مولانا السلطان صاحب قلعة همدان إلى البهال ليسدّ الفتنة ، فشرط على السلطان أن يسلم أخاه عبدالملك ، على سبيل الرهينة ، ويرد جميع ما غير في بلد صنعاء ، من القصر والسور وغير ذلك ، ويسلم له ثمن العنب والخيل والسلاح ، ويكون حدّه حدّ بلد الزيدية ، / من الضرية إلى صنعاء . فطلب مولانا جميع من في المحطة[1] من الزيدية ، وكساهم وأذن لهم في الانصراف ، حتى إذا لم يبق مع السلطان من الزيدية أحد ، طلب أكابر أصحابه وأعيانهم ، واستشارهم فيما يعمل ، وقال : أنا واحد منكم ، وأنتم في بلاد العدو . فأجابوه كلهم نفديك يا مولانا باللحم والدم ، وما منا أحد راجع إلى بطن أمه . فأعطاهم من السلاح ما يحتاجونه ، حتى الصغير ومن لا غنا عنده ، والبايع والمشتري ، وجمع من الجمال قدر ألفي جمل ، فحمل عليها جميع ما معه من الزانة ، والسلاح ، والخيم ، والمدافع ، والمنجنيقات ، والعرادات ، وأحرق منها ما لا يمكن حمله . وكان الناس، من حمل السلاح ، لا يرى منهم إلا حدق العيون . ثم أمر مولانا أخاه عبدالملك بن عبدالوهاب بالتقدم ، في جماعة من الخيل وأهل يافع ، وقال للعسكر قسماً بالله إن خلّف أحد منكم

١/٨٥

(١) في (هـ) : في محطته .

صاحبه لآخذن فيه عينيه[1] . وسار بالناس سيراً حسناً رفيقاً ، من غير تعب ولا تكلف ، وجعل الجمال والدواب والبائعين والمشترين في وسط الناس ، بعد موكب أخيه ، وتعقب على الجميع مولانا السلطان ، في جماعة من الخيل والرجل ، وبني حُبَيْش وأهل الشوافي والعرب . فلما علم أهل صنعاء بذلك اجتمعوا من كل مكان . وكان اجتماعهم في موضع محطة مولانا السلطان ، ثم تجاسروا ولحقوا الناس إلى شيان[2] ، فحمل عليهم مولانا السلطان بنفسه الكريمة ، بمن معه ، فقتلوا منهم قدر مائتي راجل وأحد وستين فارساً ، وأسر منهم جموعاً لا تحصى ، ولم يفقد مولانا السلطان من عسكره المنصور ابن أم ، ولا من الحمولة والآلات ما يساوي درهماً . ونزل مولانا السلطان على أعمال بلاد صنعاء ومطريليها ، وبلاد كِنَن فأخربها ، ولم يدع في الطريق ، من صنعاء إلى ذمار ، قرية إلا استأصلها وخربها ، حتى وصل إلى ذمار سالماً مسلماً بجميع ما معه ومن معه ،ولم يفقدوا شيئاً . وكان ارتفاعه من المحطة يوم الثلاثاء ، سابع محرم ، ووصوله إلى ذمار يوم السبت ، الحادي عشر من الشهر المذكور . فجملة أيام هذه المحطة خمسة أشهر كاملة .

وفي يوم الخميس ، سلخ الشهر المذكور ، قتل إدريس ابن الحاج حسين، الشَّرْعَبي ، ببلده شَرْعَب .

وفي يوم الاثنين ، الحادي عشر من شهر صفر ، خرج الشريف بركات من مكة ، وتوجه إلى جهة اليمن هارباً ، لما سمع بقدوم أخيه أحمد الجازاني [إليها . وخلت مكة عن قائم ثلاثة أيام ، ثم قدمها الشريف الجازاني][3] ، فدخلها يوم الخميس ، النصف من الشهر المذكور ، وقبض على ابن العيني بجدة، يوم الجمعة ، السادس عشر من الشهر المذكور ، وأخذ منه مالاً جزيلاً . وأما الشريف بركات ، فاستقر في الساحل ، مقابلاً لجزيرة القنفذة ، ومنع الذاهب والجايي إلى مكة ومنها ، فضاقت الناس لذلك ضيقاً عظيماً .

٨٥/٢ وفي / ليلة الخميس ، منتصف الشهر المذكور ، احترق من مدينة عدن جانب

---

(١) في (ج) و(د) : « لآخذن فيه عيناه » [كذا] . وفي (هـ) : « لآخذن ما في عيناه » [كذا] وفي كلتا الحالتين الصواب : عينيه .

(٢) في (هـ) : سيان ، ولم يظهر .

(٣) [ ] : جملة ساقطة في (ج) .

عظيم ، من نصف الليل إلى قريب الفجر ، وتلفت فيه بيوت كثيرة من بيوت التجار ، كأبي الليل ، وأحمد بن عبدالسلام ، وأحمد الدملوي ، والحوائجي ، وإسماعيل بن عبد الأول الناشري ، وجانباً من السوق الكبير إلى بيت أبي شكيل ، وجانباً من حافة اليهود ، وحافة الحبوش بأسرها . وأحدقت النار بالمدرسة السفيانية ، وتلفت فيه أموال جليلة . ويقال إنه بلغ عدد البيوت المحترقة تسعمائة بيت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الجمعة ، الثامن عشر من ربيع الأول ، انتقل الأمير ريحان من دار المعاصر إلى الدار الكبير ، بإشارة مولانا السلطان أيده الله ونصره(١) .

وفي ظهر يوم الأحد ، الخامس من جمادى الآخرة(٢) ، أطلق الفقيه عبدالله بن يوسف المقري من الحبس والقيد ، ولله الحمد .

وفي ليلة السبت ، الحادي عشر من جمادى الأولى ، ويومها حصل بمدينة زبيد ونواحيها زلازل ، وتواترت ليلاً ونهاراً ، وأشفق الناس منها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس ، الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، كان تطهير مولانا عفيف الدين عبدالوهاب بن الملك الظافر ، برداع العرش ، وكان ختاناً عظيماً ما سمع بمثله .

وفي أوائل شهر رجب الحرام ، فصل أولاد القاضي شرف الدين الأحمر عن النظر في الأمور السلطانية . وجدد للشهاب الدبج ولاية النظر في جميع الأمور السطانية بزبيد .

وفي منتصف ليلة الأربعاء ، التاسع عشر من رجب منها ، توفي الفقيه العلامة الصالح ، سراج الدين عبداللطيف بن محمد بن يحيى الجهمي ، صاحب قرية المصباح ، من أصاب ، ببلده . وكان معتمد أهل أصاب ومرجعهم ، وحاكمهم وعالمهم ، قرأ على الفقيه أبي بكر البليما(٣) ، والفقيه محمد بن أحمد مفضل الواسطي ، والقاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط ، والفقيه موسى بن زين العابدين الرداد ، وانتفع كثيراً رحمه الله .

---

(١) في (ج) : رحمه الله .

(٢) كذا في الأصول ، ولعل الصواب : ربيع الآخر .

(٣) في (هـ) : البيلما .

وفي هذه السنة ، ظهرت مراكب الافرنج في البحر ، بطريق الهند وهرموز وتلك النواحي ، وأخذوا نحواً من سبعة مراكب ، وقتلوا أهلها قتلاً ذريعاً ، وأخذوا أموالهم جميعها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي ليلة الأحد ، مستهل شعبان ، انهدم جانب من دار الوعد ، بمدينة تعز ، على جماعة من بني رقيم ، كانوا قد باتوا تحت الدار ، ليأخذوا أمتعة من الوعد ، بمدينة تعز ، فمات منهم تحت الهدم سبعة نفر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

[وفي الشهر المذكور ، كانت وقعة الشريف أحمد الجازاني بمكة مع أخيه بركات بالمنحنى ، شرقي مكة ، انكسر فيها الشريف بركات كسرة شنيعة ما سمع بمثلها ، وقتل جميع أعيان أمرائه ،ولم ينج إلا بنفسه ،/في جماعة قليلين من أصحابه ٨٦/١ وانتهبت مكة ، وقتل جمع من أهلها ،وحرق آخرون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله][1] .

وفي ضحى يوم الخميس ، الثاني عشر من الشهر المذكور ، قدم أمير الشام ، حسام الدين عيسى علي الحجري ، من الجهات الشامية إلى مدينة زبيد ، بخيل قبضها من العرب ، نحو التسعين ، وجمال نحو أربعة عشر جملاً ، وأسارى مقيدين على الجمال نحو العشرة . وقبله بثلاثة أيام ، قدم ضامن ذؤال ، العماد يحيى بن إسماعيل النجم ، بمال عظيم ، وخيل نحو العشرين . وفي الشهر المذكور ، حصل من المعازبة خلاف ، ونهبوا إبلاً كثيرة ، وأخافوا الطرق . ثم أصلحوا من قبل وصول المواد السلطانية ، وردوا جميع ما أخذوه ، وسألوا الذمة من مولانا السلطان ، بعد أن طلعوا إليه ، فقابلهم بالعفو والإحسان .

وفي يوم الجمعة ، السابع والعشرين من شعبان ، توفي الإمام محمد بن الناصر ، صاحب صنعاء ، رحمه الله .

وفي يوم الأحد التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، قدم مولانا السلطان من محروسة المقرانة إلى مدينة زبيد ؛ بخمسة وعشرين أسيراً من أهل دثينة ، فدخل بهم مدينة زبيد ، بعد صلاة الجمعة ، رابع رمضان واستدعى السلطان القاضي جمال الدين محمد بن أبي القاسم الجلاد ، فطلع مبادراً إليه ، ليلة السبت الخامس من رمضان .

---

(١) [ ] جملة ساقطة في (هـ) .

وفي الشهر المذكور ، حصلت للقاضي إبراهيم بن محفوظ المصري مكيدة عظيمة ، أفضت إلى تقييده أياماً قليلة ، ثم أطلق .

وفي يوم الخميس ، الثاني عشر من رمضان ، قدم الفقيه علي بن القاضي محمد بن عبدالسلام الناشري ، إلى مدينة زبيد ، من الأبواب السلطانية ، بعد طول مقامه بها ، مشاركاً للحاج عبدالله بن حسين الشرعبي في نظر الوقف ومسجد الأشاعر .

وفي الشهر المذكور ، أمر مولانا السلطان بعمارة مشهد الفقيه أبي بكر بن علي الحداد ، بمجنة باب القرتب ، فامتثل أمره الشريف ، وعمر عمارة حسنة متقنة ، جزاه الله خيراً .

وفي يوم الثلاثاء ، سلخ رمضان ، قدم الشريف عبدالله بن سفيان إلى مدينة زبيد ، من الأبواب السلطانية ، متوجهاً إلى الجهات الشامية . وفي ليلة الأربعاء ، الثالث والعشرين من شوال ، توفي الفقيه رضي الدين أبو بكر بن عمر البليما[1] ، وكان عارفاً بعلم اللغة والعربية ، بزبيد ، ودفن صبيحتها ، عند اخواله بني الناشري ، رحمه الله .

وفي يوم الثلاثاء ، السادس من ذي القعدة الحرام ، قدم بفيلين ، ذكراً وأنثى ، من مدينة تعز إلى مدينة زبيد ، أرسل بهما مولانا السلطان ليراهما من لم يكن يعرف الفيلة قبل ذلك . فارتج الناس للتفرج عليهما ، وجاءوا من سائر البلاد والقرى .

٢/٨٦ وفي يوم الأحد ، الثاني عشر من الشهر / المذكور ، قدم عبدالرحمن بن الشرف الأحمر ، إلى مدينة زبيد ، بذمة سلطانية ، للشرف بن نوح ، ضامن القيسارية . وكان قد استجار ببيت الشيخ الغزالي ، من شهر رمضان ، فلم يقدر على إخراجه من هنالك ، ورجع من حيث جاء .

وفي يوم السبت ، الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، هجم الشريف الجازاني على أخيه بركات بمكة . وكان بركات قد دخلها وحفر بها خنادق . فتقابلا

---

(١) في (هـ) : السليماني .

بأعلى مكة ، داخل باب المعلى . فانكسر عسكر بركات . وكان أهل مكة معه على الجازاني والعرب ، فقاتلوهم ، فقتل من أهل مكة جمع عظيم ، من ضحوة النهار إلى الظهر ، وحرق جماعة كانوا مختفين في حشيش ، ونهبت مكة نهباً ذريعاً ، وفرّ بركات وخرج طريق اليمن ، حتى استقرّ بمكانه الأول .

وفي يوم الأحد ، الخامس والعشرين من ذي القعدة ، قدم القاضي جمال الدين محمد بن أبي القاسم الجلاد ، من الأبواب السلطانية ، مجبوراً مسروراً ، وفي صحبته ضامن البلد ، عمر العقد .

وفي الشهر المذكور ، حصل بمدينة زبيد ونواحيها ، وبمدينة عدن والجبال ، مرض يعرف بالسمندلة ، وهو ريح يأخذ بالمفاصل والأعضاء ويمنع من الحركة ثلاثة أيام ، ويكون معه حمى ، ثم يزول وهو سليم .

وفي آخر الشهر المذكور ، وصل أمير الركب المصري إلى مكة ، في جند عظيم وعدة حرب قوية ، وتغيب عنه الجازاني ، وواجهه الشريف بركات ، فخلع عليه ، وعلى أخيه شرف الدين ، وابن عمه أبيه عنقا ، في المختلع . ولما دخلوا مكة ، اجتمع بهم في مدرسة السلطان قايتباي ، فأمسك الجميع منهم ، وقيدهم وزنجرهم ، وساروا معه إلى عرفات في تلك الحالة ، ثم توجه بالجميع ، بعد الحج ، إلى الديار المصرية .

وفي أواخر الشهر المذكور ، رجع حجاج اليمن ، براً وبحراً إلى مدينة زبيد ، لما بلغهم من اختباط الحجاز ، وأخباره المهولة . ورجع الشيخ عفيف بن مرزوق إلى زبيد ودخلها ، ليس معه أحد ، عشية يوم السبت ، الثامن من ذي الحجة . ونهبت القافلة التي معه ، وقتل منهم جماعة ، وجرح آخرون .

وفي صبح يوم الأحد الذي يليه ، ثبت أول شهر ذي الحجة بالجمعة ، عند قاضي زبيد ،وصَحَّ العيد يوم الأحد المذكور . فأمر القاضي بالخروج إلى المصلى مبادرة ، فخرج الناس وصلوا ، وكان عيداً على غفلة .

وفي عشية ذلك اليوم ، توفي رجل تاجر بمدينة زبيد ، يعرف بالخواجا محمود الجناباذي ، وخلّف مالاً عظيماً . ولم يخلف ذكراً بل خلف خمس بنات . ودفن صبح يوم الاثنين ، رحمه الله .

[حوادث سنة تسع وتسعمائة]

٨٧/١ وفي شهر /محرم من سنة تسع وتسعمائة ،قتل جمع كثير من الطوالق ، كانوا يخيفون الطريق ، فيما بين عدن وتعز .

وفي عشية يوم الجمعة ، السابع والعشرين منه ، توجه مولانا السلطان من مدينة تعز ، بعد أن أطال الإقامة بها ، إلى مدينة عدن . وأمنت الطريق ، فيما بين عدن وتعز ، أماناً عظيماً .

وفيه أمر السلطان بعمارة مدرسة الشيخ الصالح ، شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ، بمدينة زبيد . فامتثل أمره الشريف ،وعمرت عمارة حسنة متقنة ، في غاية الحسن والهيئة ، جزاه الله خيراً .

وفي يوم الثلاثاء ، الحادي والعشرين من صفر ، خرج الأمير ريحان من مدينة زبيد غازياً المطاوقة[1] ، لذنوب تواترت منهم ، من قطع الطرقات وغيرها ، وفي صحبته عمر العقد ، فانذروا به ، فانحازوا إلى الأودية والشعاب الوعرة من بلادهم . فنهبت بيوتهم ودوابهم ، وأقام هنالك أياماً ، حتى لزم جماعة منهم ، واصطلحوا وسلموا الرهائن . ثم عاد إلى مدينة زبيد ، فدخلها عصر يوم الأحد ، السادس والعشرين من الشهر المذكور .

وفي الشهر المذكور ، كان ظهور إبراهيم الخواص ، من بيت الأكسع . وكان من فقراء الشيخ أحمد المشرع ، وتبعه جماعة من أهل النخل والفرس[2] ، واستقر مدة ببيت الأكسع ، وأرسل إليه الأمير ريحان ، فامتنع من الوصول إليه . ثم دخل الهيجة واستقر بها ، واطاعته العبيد العامريون كافة ، وجميع أهل الجبال هنالك وغيرهم ، بتمويهه وكذبه ، واشياء من أنواع السحر كان يخيلها لهم ، فظنوها كرامات . وراج سوقه ، وظهرت له عندهم مكانة . وفي الشهر المذكور كان يتراءى للناس ، فيما بين حائط دار الشجرة ومسجد الحمى[3] ، رجل طويل ، يزيد طوله

---

(١) في (هـ) : المعازبة .

(٢) في قرة العيون : العريش ، ويضيف المحقق في الهامش : « كذا في الأصل ولم يظهر » (ج ٢ ص ٢٠٧ هامش١) .

(٣) في (هـ) : مسجد اكما .

على منارة جامع المملاح ، أسود اللون ذو وفرة ، الخطوة منه الواحدة مقدار ثلاثين ذراعاً . وكان يراه الناس دون بعض . وربما رُئي بطريق النخل ما بين مسجد الرمد ودار الشجرة .

وفي ضحى يوم الأحد ، السابع عشر من ربيع الآخر ، قدم جيش عظيم من الخيل إلى مدينة زبيد ، عليهم إسماعيل بن حتروش[1] ، بسبب الخروج إلى الخواص وجماعته . وفي عصر يوم الاثنين ، الثامن عشر منه ، تقدم [مع][2] الأمير ريحان إليه ، ودخل عليه الأمير الهيجة[3] . فقام معه العبيد والحرابة ، وتقاتلوا هم والأمير ، فنال كل منهم من الآخرين . وثبت الأمير يومئذ ثباتاً حسناً ، وقاتل قتالاً عظيماً ، وكانت سلامة الناس له . ثم رجع إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، فأقام بها إلى أن وصل الفقيه جمال الدين محمد النظاري ، فدخل مدينة زبيد عصر يوم الخميس ، التاسع عشر من جمادى الأولى ، دخولاً معظماً في عساكر عظيمة وأقام بزبيد ، إلى أن وصل الأمير /شجاع الدين عمر بن مفتاح[4] الجبني ، ‏٨٧/٢
فدخل زبيد يوم الأحد ، الثاني والعشرين من الشهر المذكور . ثم تقدم الفقيه محمد النظاري ، والأمير الجبني ، والعساكر المنصورة ، إلى الجهات الشامية ، عشية يوم الاثنين ، الثالث والعشرين من الشهر المذكور .

وفي يوم الأحد ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، وصل المبشرون ، من قبل مولانا السلطان ، إلى زبيد ، بانهزام جيوش محمد بن حسين البهال ، وقتل جماعة من أصحابه ، واستعملت الفرحة لذلك .

ولم يزل الأمير ريحان ببيت الفقيه ابن عجيل ، حتى قدم عليه الفقيه جمال الدين النظاري بها ، وسارا معا إلى الخواص ، وحصروه مدة . ثم أصلح العبيد وجميع من كان مع الخواص ، من أهل قرية الفرس[5] وغيرهم ، وامتنع الخواص بحصن حجران . وقام معه جماعة من بني القحوى[6] . فلما رأى

---

(١) كذا في (ج) . وفي (د) و(هـ) حتروس بدون نقط . وفي قرة العيون : ابن حبروش (جـ ٢ ص ٢٠٧) .
(٢) كلمة ساقطة في (هـ) .
(٣) في (جـ) : الفيحة .
(٤) في (هـ) : ابن محمد
(٥) في (هـ) : المعرش .
(٦) في قرة العيون : بنو البيجوي ، ويقول المحقق : « لا يعرفون » (حـ ٢ ص ٢٠٧ هامش ٢) .

النظاري ذلك ، تقدم إلى الجهات الشامية ، ودخل الأمير ريحان إلى زبيد ، ضحى يوم الاثنين ، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة .

وفي صبح يوم الجمعة ، التاسع من رجب ، قتل الشريف أحمد الجازاني في المطاف الشريف ، عند باب الكعبة المعظمة ، في الشوط الثالث من طوافه ، قتله جماعة من الترك ، بمواطأة من أخيه حميضة ، وكان قد فعل بمكة الأفاعيل . فقتل وترك مطروحاً في المطاف ، إلى ضحوة النهار ، وولوا أخاه حميضة . وطلبوا مالك بن الرومي ليقتلوه ، فهرب إلى جدة ، ووجد قافلة عظيمة ، طالعة إلى مكة من جدة ، فنهبها وسار بها إلى بلده . وخاف أهل جدة على أنفسهم . فأرسل حميضة أخاه أبا القاسم ، فقدم جدة ليلة السبت ، وصاح لأهلها بالامان ، فأمنت الناس وسكنت الفتنة .

وفي سحر ليلة الأحد ، السابع والعشرين من رجب منها ، توفي القاضي جمال الدين محمد بن أبي القاسم الجلاد ، مستوفي زبيد ابن مستوفيها ، ودفن ضحى يومها إلى جنب أبيه ، بمشهد الشيخ أحمد الصياد ، نفع الله به ، وكان له مشهد عظيم .

وفي عشية يوم الاثنين ، الخامس من شعبان ، توفي الشريف عز الدين عبد العزيز بن علي بن سفيان ، فيما بين قرية الجر ومدينة زبيد . وقد قدم به ، من الجهات الشامية ، من عند أخيه الشريف عبد الله مريضاً ، فغسل وكفن بقرية النويدرة ، وصلي عليه ، ودفن صبح يوم الثلاثاء ، بمقبرة جده لأمه محمد بن عليان ، قريباً من مشهد الشيخ الجبرتي ، رحمه الله تعالى .

وفي صبح يوم الأربعاء ، الرابع عشر من الشهر المذكور ، قدم القاضي شمس الدين علي محمد الجراري[1] ، متولياً وظيفة الاستيفاء وتوابعها ، من قبل السلطان ، فنفذت كلمته .

وفي يوم الخميس ، منتصف الشهر المذكور ، قدم الفقيه جمال الدين محمد بن محمد النظاري ، من الجهات الشامية ، بعد أن تجاوز إلى مور وما خلفها . فدخلها بعد ظهر ذلك اليوم دخولاً معظماً ، بخيل تقارب المائة ، وجمال

---

(١) في (هـ) : الجرادي .

فوق العشرين ، /وخمسة رؤوس من رؤوس المفسدين ، وفي صحبته جميع الأمراء ٨٨/١ والمقدمين الذين كانوا بالشام . فأقام بمدينة زبيد أياماً ، ثم قدم عليه ، في اثنائها ، العلم بوفاة أخيه ، الفقيه عبد العليم ، فحزن لذلك حزناً عظيماً ، وأمر بالصلاة عليه ، والقراءة له ثلاثة أيام ، بمسجد الأشاعر ، وحضر القراءة بنفسه ، وأقام العزاء ثلاثة أيام ، آخرها يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان .

وفي يوم الأربعاء ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، قيّد الأمير ريحان جماعة من الضمان بزبيد ، كعمر العقد ، ويحيى النجم ، وابن قرماد ، والصديق بن أحمد بن سعيد وغيرهم ، وطالبهم بأموال الضمان . فباع يحيى نجم بيته بزبيد ، ورهن الصديق بن أحمد بيته ، وسلّم العقد بعض ما طلب منه ، ثم أطلقوا .

وتوجه الفقيه محمد النظاري إلى الأبواب الشريفة ، على طريق حيس ، عشية يوم الثلاثاء ، السابع والعشرين من شعبان .

وفي هذه السنة ، قدم الشريف إبراهيم بن بركات على مولانا السلطان ، إلى محروسة المقرانة ، فوصله بصلات عظيمة ، ونفحات جسيمة ، وكسا جميع من معه من الحاشية . ثم رجع إلى زبيد ، فوافق الفقيه محمد النظاري بها . فأكثر المحارجة على الناس وقلة الانصاف ، بالسب والضرب وغير ذلك . فأمر الفقيه محمد النظاري باحتماله . ولما عزم الفقيه محمد النظاري ، أمر البوابين بتجبيره[1] عن دخول المدينة . فخرج صحبته لوداعه . فلما رجع ، منع من الدخول إلى زبيد . فاستقر بالطليحة ، حتى خرج إليه غلمانه بامتعته ، وتوجه إلى بلده من هنالك .

وفي يوم الاثنين ، الرابع والعشرين من رمضان ، توفي الفقيه العلامة عفيف الدين عبد المجيد بن عبد العليم اقبال ، المعروف بالقرتبي ، بمدينة زبيد . وهو يومئذ رأس المفتين بها ، على مذهب الامام أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، ودفن صبح يوم الثلاثاء ، ثاني موته ، بمجنة باب القرتب ، إلى جنب والده ، قريباً من مشهد الفقيه ابي بكر الحداد ، رحمهم الله تعالى .

---

(١) أي منعه من دخول المدينة .

وفي عصر يوم الجمعة ، الثالث عشر من شوال ، قدم عبد الرحيم وأبو القاسم ، ابنا الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشي ، من الأبواب الشريفة . فأقاما بزبيد ثلاثة أيام ، ثم توجها إلى البلاد الشامية ، عصر يوم الخميس ، الخامس عشر من الشهر المذكور .

وفي الشهر المذكور ، كان دخول مولانا الشيخ تاج الدين عبد الوهاب ، ابن السلطان الملك الظافر ، إلى محروسة المقرانة ، دخولاً معظماً ، ولم يدخلها قبل ذلك من يوم ولادته . وكان يوم دخوله إليها يوماً مشهوداً ، زادت فيه الذبائح على السبعين / وكسا جميع من معه . وتصدق مولانا السلطان فيه بصدقة جليلة ، تقبل الله منه [واقرّ عينه بذلك][1] . ٢/٨٨

وفي الشهر المذكور ، كان طلوع محمد العقد ، ضامن البلاد ، إلى الأبواب الشريفة ، باستدعاء من مولانا السلطان . ثم طلع بعده ، بأيام قلائل ، عامل الديوان ، محمد بن أبي بكر الجلاد ، باستدعاء آخر .

وفي هذا الوقت ، وما قبله وما بعده ، ظهر بمدينة زبيد ، من الفسق والمعاصي والفجور وشرب الخمور وشهدات الزور ، ما لم يكن يعهد بها قبل ذلك ، حتى وجد في شهر رمضان جماعة يشربون الخمر بالنهار . وحكي عن بعضهم أنه باع بنتاً له ، وعن بعضهم أنه تزوج بنت زوجة أبيه . وفشا بين الناس صحبة الأحداث ، وتظاهروا بذلك وحُمِلَ بعض الصبيان من السوق ليلاً ، ودخل به إلى الاماكن المظلمة من السوق،وفُعِلَ به ما فُعِلَ ولم ينتطح[2] في ذلك غيران ، [ولا أنكر عليه إنسان ، والله المستعان][3] ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي هذا الوقت ، استمر دعاء الخطيب على المنبر ، وارتفع تضرعه في كشف ما حلّ بالناس من الحبوب ، المعروفة بالنار الفارسي ، وكان قد كثر ببلاد اليمن وزاد ، وذهب عن الناس وعاد ، واستمر معهم من أوائل سنة ست وتسعمائة فما بعدها ، وحُرّجت منه الصدور ، وضاقت النفوس ، فالله يكشفه عن المسلمين .

---

(١) [ ] ساقطة من (ج) .
(٢) كذا في النسخ .
(٣) الزيادة من (هـ) .

وفي أواخر شوال ، استمر أحمد الدبج ناظراً على مسجدي الجامع والأشاعر ، بزبيد ، وعزل عبد الله بن حسين الشرعبي عن النظر فيها ، وحوسب وعُنّف عليه ، فعزم مبادراً إلى السلطان ليحاسب عنده .

وفي يوم الخميس ، عاشر ذي القعدة ، قطعت يد امرأة سارقة ، تعرف ببنت العكوز ، كانت قد أكثرت من السرقة ، وضربت ، ونفيت ، فسرقت في كل مكان نفيت فيه . وما زالت تسرق ، وتسرق ، وتسرق وتعاقب ، فلا ينكي فيها ذلك ، حتى قطعت يدها ، للتاريخ المذكور ، ولله الحمد .

وفي يوم الأحد ، الثالث عشر من الشهر المذكور ، توفي السيد العلامة ، عفيف الدين بن عبيد الابجي[1] ، الشريف الحسيني ، بطريق مكة ، متوجهاً إليها من زبيد . ودفن بساحل جازان ، رحمه الله ونفع به .

وفي ليلة الاثنين ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، قتل رجلان ، من عبيد السيد أهل محل الشيخ ، بوادي زبيد ، رجلين من عبيد عمر ، عند بئر قطلول ، بطريق تعز ، يعرف أحدهما بالبحري ، والثاني بالحذا . وكانا قد دخلا مدينة زبيد ، على ذمة من الأمير ريحان ، في صحبة الفقيه علي بن عبد الله الحكمي ، وجماعة من الكعبيين . فكساهما الأمير وارسلهما ، الجميع إلى السلطان ، صحبة النقيب عبد القادر بن مرجان . فلما مرّوا بمحل الشيخ ، ورأتهم عبيد السيد ، ثارت فيهم الحمية ، لكونهم قتلوا جماعة منهم في المخرج ، /يوم خرج الفقيه محمد النظاري . فاقتصوا آثارهم حتى بَيَّتوهم ليلاً ، وهم نائمون بالمكان المذكور ، فقتلوهما . ورجع ابن مرجان إلى زبيد ، وأخذ كتباً من الأمير ، وتوجه إلى الأبواب السلطانية . ثم أرسل الأمير للقاتلين ، وقيدهما وحبسهما وشدد عليهما ، وراجع السلطان في ذلك فورد الأمر بالقصاص منهما ، فشنقا خارج باب الشبارق ، ضحى يوم الخميس ، مستهل ذي الحجة الحرام ، وهما ابن حبيب وصاحبه .

١/٨٩

وفي سابع ذي الحجة منها ، قدم الشريف بركات من مصر إلى مكة هارباً ، بمواطأة من الأمير الدويدار[2] الكبير ، وقدم معه بجيش عظيم ، قد جمعه من بني

(١) في (د) : الالحي ، وفي (هـ) : اللاعي .
(٢) في (ج) و(د) : الدوادار . وفي (هـ) : الديودار ، كما هو المشهور اليوم .

لام وأهل الشرق وسائر المفسدين ، فمنع الناس من الوقوف يوم الخميس ، حتى صالحه أمير الحج على أربعة آلاف اشرفي يسلمونها اليه ، ويخلي بينهم وبين الوقوف يوم الجمعة . ففعل ووقف مع الناس بعرفات ومزدلفة ومنى . ونهب أصحابه قافلة اقبلت من جدة ، على باب مكة ، معظمها من أهل زبيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[حوادث سنة عشر وتسعمائة]

وفي المحرم سنة عشر وتسعمائة ، استعادت الدولة حصن الضامر ، بعد استيلاء اصحابه عليه مدة ، واستعملت الفرحة لذلك .

وفي ليلة الثلاثاء ، رابع صفر ، توفي الفقيه الصديق بن عمر الأشكل بزبيد ، رحمه الله . وفي ليلة الأحد ، التاسع والعشرين من صفر أيضاً ، نفس الوادي زبيد تنفيساً عظيماً ، وأخرب المعقم الطاهري ، وأخذ جانباً من مجنة باب القرتب وبعض بيوت حافة الودن ، وبلغ إلى الخندق . وكان سيلاً عظيماً لم يعهد مثله . ثم تواترت السيول والأمطار ، وانحطت الأسعار ، والحمد لله .

وفي الشهر المذكور ، تحرك مولانا ، [أيده الله تعالى][1] ، لغزوة مدينة صنعاء . وهي الغزوة الثانية التي اخذها فيها . فاستعد لذلك استعداداً عظيماً ، وأرسل الفقيه عبد الكريم بن أحمد بن علوان ، وفي صحبته الأمير علي محمد بن عيسى البعداني ، لجمع العرب من تهامة . فدخل مدينة زبيد صبح يوم الجمعة ، الثاني عشر من ربيع الأول .

وفي ليلة الاثنين، الخامس عشر من الشهر المذكور ، انخسف القمر خسوفاً كلياً ، من أول الليل .

وفي عشية يوم الاثنين ، توجه الفقيه عبد الكريم إلى البلاد الشامية . وفي ليلة الجمعة ، التاسع عشر من الشهر ، حصل بمدينة زبيد زلزلة عظيمة ، وزلزلت تلك الليلة مدينة زيلع زلزالاً عظيماً شديداً ، ووقع بعض بيوتها . وخرج أهل البيوت إلى الساحل ، ولم يرجعوا إلى منازلهم /إلا اصباحاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ٨٩/٢

---

(١) في (ج) : رحمه الله .

وفي ضحى يوم الاثنين ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، قدم الفقيه عبد الكريم من الجهات الشامية ، فدخل زبيد ، وفي صحبته جمع من العرب . ثم وقف بزبيد ينتظر باقي الوافدين ، من العرب الشامية والقرشيين وأهل التربية وغيرهم .

وفي ليلة الثلاثاء ، سلخ الشهر المذكور ، انقض كوكب عظيم ، وقت العشاء ، من اليمن في الشام ، مسيره في الشام عرض مدينة زبيد ، وتشظى منه شظايا عظيمة ، ثم حصلت بعده هزة عظيمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي عشية يوم الجمعة ، الثالث من ربيع الأول ، توجه الفقيه عبد الكريم بن علوان إلى الأبواب السلطانية ، وصحبته فرسان العرب ، والواعظات ، والصميون ، والزيديون ، والزعليون ، والقحرى ، والمنسكيون[1] ، والرماة ، واللاميون ، والكعبيون ، والمعازبة ، والقرشيون وسائر العرب .

وفي الشهر المذكور ، توجه مولانا ، الملك الظافر رحمه الله[2] ، إلى مدينة صنعاء ، فأقام برداع العرش أياماً ، ثم سار إلى ذمار ، فدخلها يوم الخميس ، السادس عشر من الشهر المذكور ، في جيوش لا تحصى عدة ، ولا تطاق بجدة . ووجه الشريف ، عبد الله بن سفيان ، إلى مدينة لحج ، في عسكر عظيم ، من عنس والعبيد . ثم توجه من ذمار إلى صنعاء ، يوم الثلاثاء ، الثاني والعشرين منه . ويقال إن جيوشه زادت على مائة وسبعين ألفاً من الرجالة ، ومن الفرسان ، على ثلاثة آلاف . ثم حط على مدينة صنعاء ، في آخر الشهر المذكور ، محطة عظيمة ، ما سمع بمثلها قط ، ولازمهم ، وحاصرهم ، وضيق عليهم ضيقاً عظيماً ، وادام المحطة عليهم إلى التاريخ الآتي ذكره .

وفي الثالث عشر من شهر شعبان ، قدم من ينبع جمع من بني إبراهيم . معهم الشريف حميضة بن محمد بن بركات ، والقائد ملحم ، وتوجهوا نحو جدة أولاً ، قاصدين نهب محمد بن يوسف القاري[3] . فأرسل إليه يحيى بن سبع

---

(١) في قرة العيون : المناسكة (ج ٢ ص٢٠٨) .
(٢) كذا في (ج) . وفي (هـ) : أيده الله تعالى بنصره . (راجع مقدمة المحقق) .
(٣) كذا في النصوص . وفي قرة العيون : الفارسي (ج ٢ ص ٢٠٨) .

قاصداً من ينبع ، فحقق له الخبر . فشحن جميع ما معه في البحر . فلما دخلوا جدة لم يحصلوا على مقصود . فتوجهوا إلى مكة المشرفة . فلما وصلوا إليها خرج عنهم الشريف قايتباي ، وخلّى بينهم وبينها ، فدخلوها . وواجههم الترك المقيمون بمكة : الباش واصحابه ، وقرر[1] أحوالهم ، وانزلوهم في بيوت الأشراف ، ثم ثاروا عليهم بعد ثلاثة أيام ، فقتلوا من بني إبراهيم نيفاً وثلاثين رجلاً ، وانهزم الباقون منهم إلى جدة ، فنهبوها نهباً ذريعاً ، حتى أنهم دخلوا بيت الفقيه عمر بن عباس ، وكانت عنده ودائع للناس . فحملوا من بيته أموالاً عظيمة من جملتها مائة وخمسون قانية[2] مملوءة /من الحاصل باقفالها . وأخذوا الأموال التي كانت [عند قبر الشيخ عبد الله المظلوم بها][3] ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٩٠ /

وفي أواخر شهر شعبان ، قصد جمع من العبيد العامريين قرية قايد ، حازة الوادي زبيد ، فنهبوا منها ثلاثماية رأس بقراً[4] وغير ذلك. فأغار أهل التربية بعدهم وأهل الكدحة ، فقتلوا من العبيد أربعة نفر ، وحزت رؤوسهم ، ودخل بها زبيد واستنقذ منهم جميع ما نهبوه ، ولله الحمد والمنة .

وفي الشهر المذكور ، وجد كنز ذهب بقرية هقرة ، ما بين مدينتي عدن وموزع ، كان بها مسجد قد خرب . فأراد رجل تجديد عمارته فوجد الحفارون ، في الأساس ، كنز ذهب ، شخوصاً[5] مصوراً عليها بسكة لا تشبه سكة الإسلام ، الوزن لكل شخص منها ربع أوقية ذهب . وقد كان قبل ذلك وجد أيضاً ، بمدينة عدن ، كنزاً آخر ، في أساس مسجد ، لكنه دون هذا .

وفي الشهر المذكور ، لزم جماعة من تجار صنعاء ، [في مكان بالبحر يقال له ضراس ، قريباً من مدينة عدن ، ومعهم جملة من أموال تجار صنعاء][6] ،

---

(١) من الواضح أن الفاعل هو الباش ، ولكن سياق الجملة يقتضي الجمع أي : قرروا .
(٢) كذا في (هـ) . وفي (د) و(ج) دون نقط .
(٣) كذا في (ج) و(د) . وفي (هـ) : « عنده ، ففرّ الشيخ عبد الله المظلوم بها ، فأعقبهم ذلك شرعاً فيه ، وان ربك لبالمرصاد .
(٤) كذا في النصوص ، والنصب على التمييز .
(٥) « عملة ذهبية كبيرة تستعملها النساء في اليمن زينة في قلادة تتدلى على صدورهن » (اسماعيل الأكوع : المدارس الاسلامية في اليمن ص١٩٢ رقم١) .
(٦) [ ] جملة ساقطة في (هـ) .

فأسروا ، وأخذ ما معهم ، وأرسل بهم ألى الأبواب السلطانية .

وفي يوم الثلاثاء ، الثامن والعشرين من رمضان، كانت الوقعة المشهورة والفعلة المذكورة ، بين مولانا السلطان والأمير محمد بن الحسين البهال ، صاحب صعدة ، على نحو ثلاثة أميال من مخيم السلطان ، على باب صنعاء ، بموضع يقال له قافل[1] . فانهزم البهال وعسكره هزيمة عظيمة ما سمع بمثلها ، واسر فيها امام الزيدية محمد بن علي الوشلي ، إمام أهل البدعة ورئيسهم ، في جمع عظيم ، وقتل منهم جمع لا يحصى . وتبعهم الناس يأتون بهم وبخيلهم واحداً واثنين . واستولى مولانا السلطان على مخيم البهال ، وما احتوى عليه من الأموال ، والخيام ، والسلاح ، والأزواد ، والنفقات وغير ذلك . وقد كان أهل صنعاء ، لما رأوا الوقعة والتحام الحرب بين مولانا السلطان والبهال ، اخرجوا جماعة من الفرسان ، للاغارة على محطة مولانا السلطان ، على باب صنعاء ، ليشغلوا خاطر مولانا السلطان بذلك عما هو فيه . وقد ترك مولانا السلطان ، في المخيم السلطاني ، أخاه الشيخ عبد الملك ابن الملك المنصور ، في المحطة المنصورة ، فثبت لأهل صنعاء هو ومن معه في محطته ، وناوشوهم القتال ، فانهزم أهل صنعاء وقتل منهم ثلاثة نفر .

ولما أقبل مولانا السلطان من وقعة البهال ظافراً منصوراً ، وتحقق أهل صنعاء قبضه على امامهم الوشلي ، سقط في أيديهم وأرسلوا يطلبون الذمة من مولانا / ٢/ ٩٠ السلطان على تسليم مدينة صنعاء ، فأعطاهم الذمة . وخرج إليه الامام أحمد بن الناصر ، وعبد الله بن مطهر ، ثاني الوقعة فأكرمهما ، وأنزلهما منزلاً يليق بهما ، ثم أنهما سألاه الدمة لمحمد بن عيسى شارب ، فأعطاهما له ذمة . فخرج إليه يوم ثالث الوقعة ، حاملاً للقرآن على رأسه ، وكفنه في حلقه ، فأكرمه ، وأمنه ، وعفا عنه ، وأنزلَه منزلاً يليق به .

ثم تسلم مولانا السلطان ، أيده[2] الله ، مدينة صنعاء ، بجميع ما فيها من الخيل ، والسلاح ، والأموال والامتعة . ودخلها الفقيه جمال الدين محمد بن محمد

---

(١) في قرة العيون : « تنفل » ويقول المحقق : « كذا في الأصول ولا اعرفه » (ج ٢ ص ٢٠٨ ، هامش ٤) .

(٢) في (ج) : رحمه الله .

النظاري يوم الاثنين ، الرابع من شهر شوال ، واستقل بالقصر . واذعن كافة أهل صنعاء بالسمع والطاعة ، وسلموا أنفسهم لأهل السنة والجماعة . ثم دخلها مولانا السلطان ، أعز الله نصره[1] ، ضحى يوم الخميس ، السابع من شهر شوال ، دخولاً معظماً ما سمع بمثله ، واستقر بدار الشريفة بنت الحسن . واضافته الشريفة ضيافة عظيمة ما سمع بمثلها . وتسلم مولانا السلطان جميع الحصون التي حول صنعاء ، سوى ذي مَرْمَر والفصين الآتي ذكر احدهما ، إن شاء الله تعالى . وتسلم أيضاً حصن بني اليماني ، المسمى بكنن . ولم يخالف عليه بعد ذلك إنسان . والحمد لله ، رب العالمين ، على نعمه التي لا تحصى ، ومواهبه التي لا تستقصى .

وفي يوم الخميس ، الثالث عشر من ذي القعدة الحرام ، توفي الفقيه عفيف الدين عبد الباقي ، ابن الفقيه جمال الدين محمد بن محمد النظاري ، بمدينة صنعاء إلى رحمة الله تعالى . ودفن بها ، رحمه الله . وفي يوم الجمعة ، الرابع عشر من الشهر المذكور ، توفي إمام الزيدية ، الشريف محمد بن علي الوشلي أسيراً بمدينة صنعاء ، وصلي عليه بجامعها رحمه الله[2] . وفي منتصف الشهر المذكور ، توفي الفقيه شهاب الدين [أحمد بن عبد الله العنس ، بمدينة عدن ، رحمه الله . وفي يوم الاثنين ، السابع عشر من الشهر المذكور ، توفي الفقيه شهاب الدين أحمد][3] بن محمد الزبيدي المقري ، إلى رحمة الله تعالى ، ببندر المخا ، قافلاً من مدينة عدن ، ودفن بتربة الشيخ علي بن عمر الشاذلي ، رحمه الله .

وفي الشهر المذكور ، فسح مولانا للعساكر السلطانية ، وقبائل العرب ، في الرجوع إلى أوطانهم ، وأعطاهم العطايا الهنية ، والجوائز السنية ، وسارت الركبان في سائر البلدان ، مخبرة بأفعال البر والاحسان ، أدام الله نصره[4] .

وفي ضحى يوم الخميس ، العشرين من الشهر المذكور ، توفي الفقيه الصالح ، تقي الدين عبد السلام ابن القاضي محمد بن عبد السلام الناشري إلى

---

(١) في (ج) : رحمه الله .

(٢) في « بغية الاماني » : « يقال إن عامراً دس إليه سماً في مأكول مات منه » (ج ٢ ص ٦٣٤) .

(٣) [ ] : جملة ساقطة من (هـ) .

(٤) في (جـ) : رحمه الله .

رحمة الله تعالى ، بمدينة زبيد وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الأشاعر ، ودفن إلى جنب قبر والده ، /رحمه الله تعالى . ٩١/١

وفي آخر ذلك اليوم ، قدم الحاج عفيف الدين ، عبد الله[1] بن حسين الشرعبي ، من الأبواب الشريفة ، بعد طول غيبته ، محبوراً مسروراً ، باقياً على نظر الوقف العام ، سوى مسجدي الجامع والأشاعر ، وأعطاه مولانا السلطان عطاء جزيلاً ، وحباً جميلاً ، وكسوات متعددة ، وخيرات متجددة .

وفي يوم الأحد ، الرابع عشر من ذي الحجة الحرام ، توفي قاضي مدينة تعز ، القاضي بدر الدين حسن ابن مولانا ، شيخ الإسلام ، القاضي أحمد بن عمر المزجد ، إلى رحمة الله تعالى . واستمر بعده ، في وظيفته ، القاضي محمد بن علي الناشري ، فلم تحمد سيرته .

وفي يوم الأربعاء ، السابع عشر من الشهر المذكور ، توفي الفقيه الصديق البزاز ، ودفن عصر ذلك اليوم ، إلى جنب أبيه واخيه ، بمجنة باب سهام ، رحمه الله تعالى .

[حوادث سنة إحدى عشرة وتسعمائة]

وفي يوم الخميس ، ثاني شهر المحرم من سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، قدم القاضي محمد علي الناشري ، من الأبواب الشريفة إلى مدينة تعز ، متولياً قضاءها .

وفي يوم الأربعاء ، الثامن عشر من الشهر المذكور ، توجه مولانا السلطان من صنعاء إلى ذمار ، فدخلها يوم الأحد ، الثاني والعشرين منه ، دخولاً معظماً ، وفي صحبته أخوه الشيخ جلال الدين عبد الملك ، وولده مولانا عبد الوهاب ، وأولاد الشيخ أحمد بن عامر ، وولد الشيخ محمد بن عبد الملك . واستخلف مولانا السلطان ، بمدينة صنعاء ، الفقيه جمال الدين محمد بن محمد النظاري ، في ألف راجل وثلاثمائة فارس . فضبط البلد ، واحسن تدبيرها وسياستها ، ورتب على كل باب من أبوابها مائة رجل ، وفي القصر ثلاثمائة راجل ، وذلك بعد أن قدم مولانا

---

(١) كلمة ساقطة من (د) .

السلطان إلى مدينة ذمار ، قبل خروجه[1] من صنعاء بني أسد وسائر المأسورين مع نسائهم وأولادهم ، وبعد أن أرسل الإمام أحمد بن الناصر بجميع ما معه من أولاده وحشمه وذخائره ، إلى مدينة تعز . وامره مولانا بالسكنى فيها ، مجللاً محترماً ، فامتثل أمره .

وفي أوائل شهر صفر منها ، توفي عامل الديوان السلطاني بزبيد ، الجمال محمد بن أبي بكر الجلاد ، برداع العرش ، ودفن هنالك . رحمه الله تعالى .

وفي عشية يوم الجمعة ، التاسع من شهر صفر ، توجه الأمير ريحان ، بالاشارة السلطانية ، إلى البلاد الشامية ، متولياً أمورها ، إضافة إلى زبيد . وترك في زبيد الفقيه عبد الرحمن بن عبد الجبار الشويهر ، نائباً من قبله .

وفي هذه السنة ، ضمن أحمد علي معرعان[2] عاشرة نخل وادي زبيد باربعين /ألف دينار، وظلم الناس ظلماً عنيفاً لم يعهد مثله ، ولم يسامح أحداً من أرباب المسامحات . وفيها كثر المطر في شهر تموز ، وأتلف أكثر ثمر النخل .

٩١/٢

وفي ظهر يوم الجمعة ، سلخ شهر صفر ، حصلت بمدينة زبيد وسائر جهاتها ريح شديدة ، اقتلعت اشجاراً كثيرة وكسرتها ، وهدمت بعض البيوت بزبيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي منتصف شهر ربيع الأول منها ، عزل القاضي عفيف الدين عبد العليم بن محمد القماط ، عن قضاء مدينة عدن ، بالقاضي ابي بكر بن أبي القاسم اليافعي الوقيري . وقدم القاضي عبد العليم ، إلى مدينة زبيد ، في شهر ربيع الآخر ، باقياً على جلالته واحترامه ووظائفه .

وفي عشية يوم الاثنين ، مستهل شهر ربيع الآخر ، قدم الأمير ريحان من الجهات الشامية ، إلى مدينة زبيد ، فدخلها دخولاً حسناً ، بعد أن قرر مع العرب وسائر أهل الشامية رسوماً كثيرة .

وفي سحر ليلة السبت ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الشيخ

---

(١) الظاهر من معنى العبارة أن المؤلف يريد أن يقول : قبل اخراجه .

(٢) كذا في النصوص بدون تنقيط .

الصالح ، نجم الدين طلحة بن أبي العباس الهتار ، بمدينة زبيد ، ودفن بعد عصر ذلك اليوم ، بقبة جده ، الشيخ طلحة بن عيسى الهتار . وكان له مشهد عظيم حضره الأمير والقاضي وغيرهما ، رحمه الله ونفع به .

وفي يوم الأربعاء ، الثامن من شهر جمادى الآخرة ، إنكسر مركب عظيم ، فيه أموال كثيرة ، لجماعة من التجار ، خرج بها من عدن قاصداً جدة ، فانكسر ببطن قعو ، قريباً من باب المندب ، فهلك جميع من فيه سوى أربعة جماعة . ومن جملة من هلك فيه ، ولد الحاج حسين بن أحمد المغربي[1] ، طبيب مولانا السلطان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الثلاثاء ، الرابع عُشر من الشهر المذكور ، قدم الفقيه عبد الكريم بن أحمد بن علوان ، من الأبواب الشريفة إلى مدينة زبيد ، في جمع من العساكر ، خيلاً ورجلاً ، فدخلها وأقام بها إلى عشية يوم الأحد ، العشرين من الشهر المذكور ، وتوجه صحبة الأمير ريحان ، إلى البلاد الشامية .

وفي هذه السنة ، حصل في الزروع[2] والغلات نقص عظيم ، بسبب سقوط الزرع من الرياح والعواصف . وظهر ، في شهر جمادى ، جراد عظيم ، بجهات نخل الوادي زبيد وما يليها ، فاتلف من الزرع كثيراً ، واتلف اكثر ثمر النخل ، ولم يسلم منه إلا القليل ، ثم ارتفع في آخر شهر شوال منها .

وفي يوم الأحد ، الرابع من شهر رجب ، توفي الفقيه محمد بن علي الحبال[3] بمحروسة المقرانة ، رحمه الله تعالى . وفي يوم الثلاثاء منه توفي الشيخ الصالح ، عفيف الدين بن أبي القاسم بن افلح ، بقرية الرزينة ، ودفن بها ، رحمه الله تعالى . وفي الشهر المذكور ، توفي الجمال محمد بن عبد السلام الجبرتي ، التاجر المشهور ، بمدينة عدن ، رحمه الله تعالى .

٩٢/١

وفي يوم الأربعاء ، الرابع عشر من الشهر المذكور ، قدم الفقيه جمال الدين محمد بن محمد النظاري ، من محروسة صنعاء إلى محروسة المقرانة ، فدخلها في

(١) كذا في (هـ) . وفي (ج) و(د) : المعربى ، دون نقط ، ولعلها المغربي .
(٢) في (د) : المزروع ، وفي (هـ) : الزرع .
(٣) في (هـ) : الحمال .

موكب عظيم ، وواجه له مولانا السلطان عبد الوهاب ابن الملك الظافر إلى بعض الطريق ، ونزل مولانا السلطان إلى باب الدار لمواجهته والسلام عليه ، اكراماً له . وكان يوماً معظماً .

وفي يوم الإثنين ، السادس والعشرين من الشهر المذكور ، قدم المبشرون إلى مدينة زبيد ، من الجهات الشامية ، بقبض حصن المحرق ، والبداح ، والسودة ، واللحب وسائر الجهات الشامية ، ولله الحمد والمنة .

وفي ضحى يوم الخميس ، العشرين من شعبان ، قدم الأمير ريحان من الجهات الشامية ، وفي صحبته الفقيه عبد الكريم بن أحمد بن علوان ، إلى مدينة زبيد ، فدخلها دخولاً معظماً ، بخيل مقبوضة من العرب تزيد على السبعين ، واموال مستكثرة .

وفي ليلة السبت ، العاشر من شوال ، توفي صاحب جازان ، الشريف ابو الفوارس[1] احمد بن دريب بن خالد ، إلى رحمة الله تعالى ، واستمر بعده ولده الشريف العزيز ، رحمه الله[2] .

وفي عشية يوم الجمعة ، الثامن عشر من الشهر المذكور ، توجه الفقيه عبد الكريم من مدينة زبيد إلى الأبواب الشريفة ، باستدعاء شريف ، وصحبته جملة مستكثرة من الأموال ، والخيل ، وجماعة من فرسان العرب .

وفي ضحى يوم الجمعة ، الخامس والعشرين منه ، توفي الخواجا جمال الدين محمد بن أبي بكر الناصر ، بمدينة زبيد ، بعد أن قدم اليها من قرية اللحية مريضاً ، ولم يكن له وارث ، فاستولى مولانا السلطان على مخلفه ، رحمه الله تعالى .

وفي يوم الجمعة ، التاسع من ذي القعدة الحرام ، توجه الفقيه جمال الدين محمد بن يحيى الجهمي ، صاحب المصباح ، إلى الأبواب الشريفة ، باستدعاء شريف ، فقدم على مولانا السلطان ، بمحروسة المقرانة ، يوم الأربعاء ، خامس عشر الشهر المذكور ، فأكرمه واجلّه .

---

(١) كذا في النسخ ،والصواب : أبو الغوائر .
(٢) في (هـ) : وفقه الله .

وفي ليلة الحادي عشر من الشهر المذكور ، ورد الأمر الشريف بتقييد النقيب اسماعيل بن الوجيه اقبال ، بمدينة زبيد ، فقيّد تلك الليلة ، ثم طلع به في يوم الاثنين ، ثاني عشر الشهر المذكور ، مقيّداً ، إلى الأبواب الشريفة .

٩٢/٢أ وفي يوم الثلاثاء ، الثالث عشر من ذي القعدة/الحرام توفي الفقيه الصالح ، ابراهيم بن محمد بن علي الحداد ، صاحب الذراع من بلاد صهبان ، ببلده . وكان رجلاً مباركاً ، مشهوراً باطعام الطعام وفعل الخير ، رحمه الله .

وفي آخر يوم الأحد ، الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، دفع الوادي زبيد بسيل عظيم لم يعهد مثله ، يقال انه ارتفع في الهواء مقدار خمسة ابواع ، واخرب جملة من الأراضي الترابي[1] ، وسال ببيوت ، وزروع ، وطعام كثير ، وبني آدم . وعسر الانتفاع به ، واخرب المعقم الطاهري ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي عشية يوم الأحد ، الثامن من ذي الحجة ، قدم مولانا السلطان من الجهات العليا إلى مدينة تعز ، بعد اقامته بمدينة الجَنَد يومين ، فدخلها دخولاً معظماً ، في جيوش عظيمة ، وفي صحبته ولده الشيخ تاج الدين عبد الوهاب ، وصنوه الشيخ جلال الدين عبد الملك ابن الملك المنصور ، وولد الشيخ احمد بن عامر ، وولد الشيخ احمد بن محمد بن داود ، وولد الشيخ عبدالله بن عامر . وقدم معه بالأمير محمد بن عيسى شارب ، وسائر بني الأسد ، وجماعة من أهل صنعاء ، فلله الحمد والمنة .

وفي ليلة الخميس ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، توفي المعلم احمد بن أبي بكر البعداني ، المستعمل بمدينة زبيد إلى رحمة الله تعالى .

وفي يوم الثلاثاء ، السادس والعشرين منه ، توفيت الحرة الطاهرة ، آمنة بنت الخواجا محمد بن عليّان ، ام أولاد الشريف علي ابن سفيان ، وام اولاد الأمير عمر ابن عبد العزيز الحبيشي بعده ، بمدينة تعز ، إلى رحمة الله تعالى . وكانت من أهل الخير والمعروف والصدقات ، ولها مآثر حسنة بمدينة زبيد وغيرها ، رحمها الله تعالى . وتوفي اخوها عليّان بن محمد ، بمدينة زبيد ، ليلة الخميس ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور .

---

(١) في (هـ) : التراب .

وقدم قائد الحج ، من مكة المشرفة ، صبح يوم الجمعة ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، واخبر بضعف الموسم ، وانه لم يحج من الركب احد ، وان مكة آمنة ، وان الشريف بركات حج بالناس ، وان الوقفة كانت الأحد . ووصل العلم بعده أن الفقيه العلامة شرف الدين اسماعيل بن محمد أبا يزيد توفي بمكة ، يوم الأحد ، سادس عشر من ذي الحجة ، وان الشريف احمد المذكور[1] ابن أبي بكر الحسيني ، توفي بها يوم الخميس ، العشرين من الشهر المذكور ، رحمهما الله تعالى .

وفي آخر هذه السنة ، توفي عالم المدينة الشريفة ، شيخنا السيد العلامة ، نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله السمهودي الحسيني ، بالمدينة المشرفة ، ودفن بها ، ولم يخلف بعده مثله ، رحمه الله ونفع به .

[حوادث سنة اثنتي عشرة وتسعمائة] .

١/٩٣ وفي ليلة الاثنين السادس عشر/من المحرم أول سنة اثنتي عشرة وتسعمائة ، توفي الحاج أبكر بن ابراهيم بن أبي علي العطار ، بمدينة زبيد ، رحمه الله تعالى .

وفي يوم الأربعاء ، الثامن عشر من الشهر المذكور ، احترقت قرية محل عامر ، بأعلى الوادي زبيد ، احتراقاً عظيماً ، ولم يسلم منه إلا القليل .

وفي يوم السبت ، الحادي والعشرين منه ، توفي الفقيه احمد الحوائجي ، ناظر الأوقاف ، بمدينة تعز ، رحمه الله .

وفي يوم الأربعاء ، الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، تسلم مولانا السلطان حصن نعمان أصاب ، على يد الفقيه شمس الدين علي محمد النظاري ، والفقيه جمال الدين محمد بن يحيى الجهمي ، صاحب المصباح ، بعد طول المحطة عليه ودوامها . ورتب فيه من يوثق به من قبل مولانا السلطان ، والحمد لله .

وفي ليلة السبت ، الخامس من صفر ، توفي الشيخ جمال الدين محمد

---

(١) كذا في النصوص ، ولم يرد له ذكر في الصفحات السابقة .

الصديق المزجاجي ، صاحب الظاهرة ، بمدينة زبيد . وصلي عليه بعد صلاة الصبح ، بمسجد الأشاعر ، ودفن إلى جنب والده ، بتربة بني المزجاجي، وكان له مشهد عظيم . وحضر يوم ثالث موته ، للعزاء به ، جمع عظيم ، رحمه الله . وفي يوم السبت ، ثالث شهر ربيع الأول ، توفي القاضي جمال الدين محمد الطيب ابن عبد الرحمن بن اسحاق الكاتب ، بمدينة تعز ، ودفن بها ، رحمه الله .

وفي ضحى يوم الأربعاء ، السابع عشر منه ، قدم إلى مدينة زبيد الأمير جمال الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز الحبيشي ، متولياً الجهات الشامية ، وضامناً خراجها ، فأقام بمدينة زبيد ثلاثة أيام ، ثم توجه إلى محل ولايته .

وفي ليلة السبت ، الرابع عشر من شهر ربيع الآخر ، هرب جماعة من الزيديين والكعبيين ، [ومعهم صلاح اسود ومحمد أحمد التروف ، من الكعبيين][1] ، وابن مقيح وعلي بن يوسف ، من الزيديين ، من الأبواب الشريفة بتعز ، إلى بلد الكعبيين ، على الخلاف ، فوصلوها ليلة الإثنين ، السادس عشر من الشهر المذكور ، واتفقوا مع الكعبيين على الخلاف ، والخروج عن طاعة مولانا السلطان . فمرّت بهم صبح يوم الثلثاء ، سابع عشر الشهر المذكور ، قافلة من مدينة زبيد واعمالها ، قاصدة اللامية وغيرها ، تحمل من كل شيء ، ولا علم عند اهلها بخلافهم . فنهبوها باسرها ، وانقطعت الطريق ، وعظم الفساد ، وتفاقم الأمر حتى نهبوا للمخارشة،والصوفة بني خلف، واللاميين ما ينيف على خمسمائة رأس ، من أعلى قرية سامر ، بطريق الهيجة . فقصدهم الأمير محمد بن عبد العزيز الحبيشي غازياً ، يوم الثلاثاء ، ثامن عشر جمادى الأولى ، في جمع من اللاميين وغيرهم . فقرب من باب الهيجة قريباً من غروب الشمس ، فلم يزل مناظراً /لهم ٩٣/٢ حتى غربت الشمس ، فرجع قاصداً المنصورية . فلحقهم من الكعبيين جمع كثير ، خيلاً ورجلاً ، واخذوا اعقاب الناس في الليل . فانكسر اللاميون ، وقتل منهم نحو ستة نفر ، وغلامان للأمير ، ومبارك الحريري ، وسلم الله الأمير ومن معه ، ولم يؤخذ لهم شيء بحمد الله .

وفي الشهر المذكور ، حصل بين القرشيين ، اهل قرية الروية ، خلاف وقتال

---

(١) جملة ساقطة من (هـ) .

وجراحات مثخنة ، وخرج اليهم النقيب محمد بن عمر الشعبي ، نائب الأمير ريحان ، فامسك منهم جماعة ، وقيّد منهم ثلاثة ، واودعهم السجن .

وفي يوم الثلاثاء ، الثاني عشر من جمادى الأولى ، قتل اهل التريبة عبداً من عبيد السلطان ، يقال له فرح الله ، بقرية قايد ، وارتجت قرية قايد لذلك . ثم قتلت العبيد رجلاً من أهل التريبة ، واثخنوا آخرَ ، وهربت جميع الناس من قايد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس ، الرابع من شهر جمادى الآخرة ، قدم الأمير الشريف ، عفيف الدين عبدالله بن علي بن سفيان ، من الأبواب الشريفة إلى مدينة زبيد ، قاصداً الكعبيين . فأقام بمدينة زبيد سبعة أيام[1] ، ثم توجه لمقصوده عشية يوم الإثنين ، ثامن الشهر المذكور .

وفي الشهر المذكور اخذ العسكر المنصور حصن صيرة ، من بلاد شرعب ، على يد الفقيه جمال الدين محمد النظاري ، واستعملت الفرحة لذلك .

وفي يوم الخميس ، ثاني عشر[2] الشهر المذكور ، قدم الأمير عمر الجبني إلى مدينة زبيد ، فدخلها في مائة وخمسين فارساً . وأقام إلى عصر الجمعة ، ثاني دخوله . ثم توجه إلى الشريف العفيف ، فلحقه ببيت الفقيه ابن عُجَيْل .

وفي يوم الأحد ، ثاني عشر[3] من الشهر المذكور ، قدم الشريف المهدي بن أحمد بن دريب ، اخو صاحب جازان ، الشريف العزيز بن أحمد بن دريب ، إلى مدينة زبيد من عند اخيه ، متوجهاً إلى مولانا السلطان بهدية من أخيه . من جملتها اسد صغير ، وتسعة رؤوس من الخيل النفيسة . فأقام بمدينة زبيد خمسة أيام ، ثم توجه إلى السلطان عشية السبت ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور .

وفي الشهر المذكور ، أمر مولانا بتخريب مدينة رُخْمَة ، من شرقي مدينة ذمار . وكان في أهلها شدة وتغلب على الواجبات السلطانية ، وحصل منهم ما

---

(١) كذا في النصوص والخطأ بين : فمن الخميس إلى الاثنين مساء خمسة أيام .
(٢) كذا في النسخ وبالتعداد يتضح أن يوم الخميس يوافق الحادي عشر من جمادى الأخرة .
(٣) كذا في النسخ والصواب : الرابع عشر .

اوجب ذلك ، فاخربت ، بعد أن اخرج اهلها منها ، على الذمة ، بجميع ما معهم من المنقول ، وكان ذلك على يد الأمير محمد علي القمّلي .

وفي يوم الثلاثاء ، مستهل شهر رجب منها ، توفي الفقيه اسماعيل بن علي العجل الحنفي ، رحمه الله ١/بمدينة زبيد . ٩٤/١

وفي عشية يوم الخميس ، العاشر منه ، قدم إلى زبيد الأمير الشجاع بن مُحَرَّم العنسي ، في عسكر عظيم ، من الرجالة فوق الألف . فأقام بزبيد إلى عشية السبت ، الثاني عشر منه ، وتوجه إلى الشريف العفيف ، بالمحطة المنصورة ، على الكعبيين .

وفي ليلة الأحد ، الثالث عشر من الشهر المذكور ، توفي القاضي جمال الدين محمد بن عبد السلام السوادي ، صاحب ذي حَمُد ، من أُصاب ، ببلده ، ودفن بها ، يوم الأحد ، رحمه الله .

وفي يوم الأربعاء سلخ الشهر المذكور ، كانت الوقعة المشهورة والفعلة المذكورة ، بين الأمير الشريف عبدالله بن سفيان ومن معه من الدولة ، وبين الكعبيين ، بسبب نقض حصل من الكعبيين . وذلك انهم كانوا طلبوا من الشريف الذمة ، على أن يؤدوا الخيل والرهائن من نسائهم وأولادهم ، ويستقروا ببلادهم ، ففعل ذلك . فلما تم ذلك طالبهم بالرهائن ، فاعتلوا بأن النساء لم تطعهم على تسليم انفسهن وأولادهن لذلك . وكان الشريف قد تهيأ للأرتحال عنهم ، ولما تحقق ذلك منهم ، لم يرجع إليهم شيئاً ، واخبرهم أنه متوجه إلى جهة اللامية ، وأمر الشجاع بن محرم ، والشجاع الجبني بالتوجه إلى مدينة زبيد ، بعد أن قرر معهما سراً أن يصبحوا الكعبيين ، بكرة يوم الأربعاء . فسروا ليلاً ، وصبحوهم في قراهم بكْرَة ذلك اليوم ، فقتلوا منهم جموعاً كثيرة ، واسروا آخرين ، واستقلعوا من الخيل جملة . واسروا شيخ الكعبيين : محمد الثروف[1] ، وموسى بن المقبول ، في جماعة ، وارسلوا بهم إلى مدينة زبيد ، ونهبوا اموالاً جمة ، من الإبل ، والبقر ، وامتعة البيوت ، وغير ذلك .

---

(١) في (هـ) : الشروف .

وفي يوم الثلاثاء ، السادس من شعبان ، قَتَلَ رجل من بني مارندرّان[1] ، يزعم أنه شريف ، رجلاً من أهل شيراز ، كلاهما اعجميان ، بمدينة زبيد ، بسبب أن الشيرازي اودع عند المارندرّاني مالاً ، إلى وقت سفره . فلما حضره سفره ، طالب المارندرّاني بالمال ، فقال بسم الله ، اذهب معي إلى البيت ، لاعطيك حقك . فذهب معه إلى بيته . فدخله إليه ، وليس به احد غيره ، ثم اغلق الباب ، ووثب على الشيرازي بسكين قد اعدها لذلك ، وطعنه طعنات كثيرة مثخنة ، في مقاتل جسده . فصاح الشيرازي واستغاث ، فجاء الناس ودخلوا عليهما ، فوجدوا الشيرازي في آخر رمق ، فسألوه عن خصمه فأشار إلى المارندرّاني . فانكر المارندرّاني ، وزعم أن عبداً اسود دخل عليهما البيت وطعنهما /معاً. ووجدوا في كتفـ[2] المارندراني طعنة قد طعن بها نفسهّ . فمات المقتول لحينه ، وحمل القاتل إلى الأمير ، فأمر بتقييده وايداعه السجن . ٢/٩٤

وفي الشهر المذكور ، فصل الأمير ريحان عن ولاية زبيد واعمالها ، بالشريف عبدالله بن علي بن سفيان . وحكم نائبه بها يوم الخميس ، الثامن[3] من الشهر المذكور .

وفي يوم الخميس ، السادس عشر[3] من الشهر المذكور ، توجه مولانا السلطان من مدينة تعز إلى محروسة المقرانة ، وقدم القاضي أبو بكر بن أبي القاسم الجلاد إلى مدينة زبيد ، يوم الجمعة السابع عشر من الشهر المذكور ، وقدم بعده القاضي نور الدين الحرازي إلى مدينة زبيد ، يوم الخميس ، الثالث والعشرين[3] من الشهر المذكور ، باقياً[4] على ولايته .

وفي صبح يوم الأحد ، السادس والعشرين من الشهر المذكور ، قدم الأمير الشريف ، عفيف الدين عبدالله بن علي بن سفيان ، من الجهات الشامية إلى زبيد ، وصحبته الشجاع بن محرم العنسي ، والأمير الجبني ، فدخل مدينة زبيد

---

(١) في (د) و (ج) : ماربدران دون نقط ، والضبط من (هـ) .
(٢) في (د) : كفـ .
(٣) إذا كان الخميس يوافق الثامن من الشهر ، فمن البديهي أن الخميس الذي يليه يكون الخامس عشر منه ، والخميس الذي بعده الثاني والعشرين .
(٤) في (ج) : نائباً .

دخولاً معظماً . وقدامه من رؤوس الكعبيين نحو العشرين ، ومن الخيل المقبوضة نحو ذلك ، بعد أن اتفق الصلح بينه وبين طائفة من الكعبيين .

وفي يوم الثلاثاء ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الحاج احمد الدبج بن عبد القادر السباك ، بمدينة تعز ، غريباً شهيداً . وكان عنده ، حين موته ، ولده الصديق وعتيقه ريحان . فجهّز جهازاً حسناً ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح ، يوم الأربعاء ، بجامع عدينة ، وشيعه جمع عظيم من تجار مدينة تعز ورؤسائها ، وحضر دفنه والي مدينة تعز ، الفقيه عبد الكريم بن علوان ، ودفن بجوار الشيخ احمد بن محمد الجبرتي ، صاحب المداجر ، رحمه الله . ثم وردت كتب الفقيه عبد الكريم [بن علوان][1] بذلك ، إلى من بمدينة زبيد من المتصرفين والدولة . فركب الأمير عمر الجبني ، وعبد القادر النجاشي ، وأبو بكر بن القاضي شرف الدين الجلاد ، ونائب الأمير ، ونائب الحرازي ، واحضروا قاضي الشريعة ، القاضي صفي الدين احمد بن عمر المزجد ، ودخلوا بيت الدبج فجأة ، قبل اعلام اهله بموته ، وهجموا على نسائه وأولاده . وقام ولد الجلاد في هذا قياماً عظيماً ، وشمر عن ساق الجد وهجم على النساء ، وأمر عمر بن الوجيه بتفتيشهن بحضرته ففعل . وقبّح فعله عمر الجبني ، رحمه الله ، واستحسنه النجاشي ، وختمت حواصله كلها ، ولم يترك لأولاده نفقة ، وجعل عليهم حراس من قبل الدولة ، وقبضوا على عبده وصبيه جوهر ، وتهددوه ، وحبسوه في الدار ، وضيقوا على أولاده أشد الضيق، وحاول ولد الجلاد فتح حواصله واحصاء ما فيها، فلم يمكنه من / ذلك الأمير ولا القاضي . وذهب ابن الجلاد بنفسه ، وشق الأسواق إلى الخان ، وختم على خزائن عبده جوهر . وحصل بين ولد الجلاد وبين سلمان الدبج مقاولة حتى كاد أن يهسف[2] ولد الدبج ، كل ذلك صبح يوم الخميس ، سلخ الشهر المذكور . ثم طلع سليمان بن الدبج إلى الأبواب الشريفة ، وشكى ما اتفق لهم على مولانا السلطان ، فلم يرضَ شيئاً من ذلك ، ووردت اوامره الشريفة يوم

١/٩٥

(١) ساقطة في (ج) .
(٢) في (د) : يهتف . ولعل هسف من المصطلحات اليمنية ، إذ لم اجد اثراً لهذا الفعل في لسان العرب أو في القاموس المحيط ،والمراد به استعمال العنف والشدة .

الثلاثاء ، ثاني عشر شهر رمضان ، بارتفاع الترسيم عن بيوته وامواله ، وفسّح لهم في قبض ما لهم عند الرعية وغيرهم .

وفي عشية يوم الخميس ، سابع عشر شهر رمضان ، توجه الشيخ الشجاع بن محرم العنسي ، والأمير الجبني ، إلى الأبواب الشريفة ، وفي صحبتهما المال المتحصل من الزيدية ، والخيل والأسرى من العرب ، وهم : محمد بن أحمد الثروف ، وموسى بن المقبول الكعبيين ، واسرى اليعاقبة الملزومين من حيس . وكانوا يقطعون الطريق بين مدينتي تعز وزبيد .

وفي يوم الثلاثاء ، الثامن عشر من رمضان ، قدم المبشرون ، إلى مدينة زبيد ، بقبض حصن ذي مَرْمَر ، واستعملت الفرحة لذلك بمدينة زبيد ، وزينت البيوت والأسواق نصف شهر ، ولله الحمد .

وفي يوم الجمعة ، منتصف الشهر المذكور ، توفي الفقيه علي بن محمد الحضرمي ، شهيداً بوجع بطنه ، ودفن آخر ذلك اليوم ، وشيعه جمع عظيم ، رحمه الله .

وفي الشهر المذكور ، أمر مولانا السلطان ، أيده[1] الله ، بصدقة جليلة ، على أهل مدينة زبيد ، مبلغها عشرة الآف دينار دراهم ، على نظر الأمير والقاضي أحمد بن عمر المزجد ، والفقيه موسى بن زين العابدين الرداد ، والحرازي ، وسائر الأعيان . فلم يزل الحرازي ونائبه ، الفقيه ابراهيم البجلي ، يقللانها ويؤخرانها ويراجعان فيها السلطان ، حتى رد النظر فيها إلى الحرازي ونائبه البجلي ، فكان سبباً لمحقها ، ووضعها في غير مستحقها [جازاهما الله على ذلك .

وفي عشية الثلاثاء ، العشرين من شهر شوال ، توفي الفقيه العلامة ، مفتي مدينة تعز ، الشرف بن وهب ، عن أربع وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة ، قويت شوكة المفسدين][2] ، وقطاع طرق المسلمين ، في

---

(١) في (ج) : رحمه الله .
(٢) [ ] عبارات ساقطة في (هـ) .

البحر بطريق الهند وهرموز . وكان اعظمهم ضرراً طائفة الإفرنج ، فإنهم فعلوا بالمسلمين الأفاعيل ، واخذوا كل سفينة غصباً ، واستحلوا دماء المسلمين واموالهم ونساءهم وأولادهم ، وفعلوا المنكر عياناً ، واستمروا على ذلك زماناً . فبعث أهل ٩٥/٢مدينة عدن / الخبر إلى مولانا السلطان ، فورد امره الشريف بالتجهيز عليهم . وبذل الأموال العظيمة لمن يتوجه اليهم ، فتوجه اليهم ، من مدينة عدن ، اربعة عشر مركباً ، ما بين كبير وصغير ، فيها من المسلمين فوق ستمائة . وتوجه معهم الفقيه اسماعيل الجُرْداني ، والشيخ عثمان العمودي ، وجماعة من طلبة العلم للجهاد في سبيل الله . وكان خروجهم من مدينة عدن ، في البحر ، يوم الخميس ، السابع والعشرين من شوال ، واستمر القنوت عليهم ، في الصلوات الخمس وفي الخطبة يوم الجمعة ، بمدينة زبيد وعدن وغيرهما .

وفي يوم السبت ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، توفي صاحب جازان ، الشريف العزيز بن أحمد بن دريب ، [شهيداً بالسم ، فيما قيل ، بعد أن ولاها اخاه المهدي بن أحمد بن دريب][1] .

وفي ليلة الأربعاء ، الثالث من ذي القعدة الحرام ، احترقت قرية الزريبة احتراقاً عظيماً ، ولم يسلم منها إلا القليل النادر من اطرافها . وتلف في الحريق اموال جليلة ، غير دواب كثيرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الثلاثاء ، السادس عشر من الشهر المذكور ، قدم ترسيم ، من الأبواب الشريفة ، على القاضي محمد الحرازي ، بسبب عبد يقال له بلال ، كان مولانا السلطان ارسله له قبل ذلك . فلما علم الحرازي بذلك ، ذهب به إلى القاضي المطيب ، والقاضي محمد علي الناشري ، قاضي تعز ، وكان حينئذ بزبيد ، وكتب له كتاب عتق ، وأرسله مع الكتاب إلى مولانا السلطان . فلما تحقق القضية ، ارسل له ترسيماً بتسليم الف دينار للديوان السلطاني ، ومائتي دينار للترسيم ، وأمر بطلوعه مترسماً بعد التسليم . وكتب إلى الأمير الشريف العفيف بن علي بن سفيان أنه إذا لم يسلم هُسِفَ ، ولا يعارض الترسيم فيه . فامتثل الشريف ذلك وذهب به الترسيم إلى بيته ، ولم يطلقه إلا في آخر النهار ، بعد أن سلّم اكثر

(١) [ ] عبارة ساقطة من (ج) .

المال ، . وضمن عليه الشريف بالباقي ، وبالطلوع . فأطلق ثم سلّم باقي المال ، يوم الأربعاء ، وطلع صحبة الرسول إلى الأبواب الشريفة ، صبح يوم الجمعة ، التاسع عشر من الشهر المذكور .

وفي ليلة الأربعاء ، السابع عشر من الشهر المذكور ، عمل الفقيه الصالح تقي الدين عمر بن محمد بن جعمان لولديّ ابنه محمد : عبدالله وابي حامد ، عرساً عظيماً ما سمع بمثله ، وحضره الخلق على اختلاف طبقاتهم ، حتى أهل البوادي . وحصل له من الشمع فوق ثلاثمائة منّ[1] ، ومن الدراهم جملة مستكثرة .

وفي عشية يومها ، قتل شاب من أهل المجنبذ ، يعرف بابن علي بن الحاج ، شاباً من أهل الجامع ، يعرف بالصديق بن أحمد بن هاشم . وكانا صاحبين اغرى بينهما الشيطان ، فطعن ابن الحاج ابن هاشم طعنات مثخنة ، والناس ينظرون إليه . فامسكوه /وذهبوا به إلى باب الأمير ، فأمر بحبسه ثم مات المطعون غير ٩٦/١ معيد ، فاعلم الأمير الشريف بذلك ، فأمر بالتضييق على القاتل وتقييده ، ثم ارسل به صباحاً إلى القاضي عبد الرحمن بن الصديق المطيب الحنفي ، وقامت عنده بينة على اقراره بقتله ، ثم انهى الأمر إلى الشريف ، فأمر الشريف بشنقه ، فشنق بظاهر باب الشبارق ، والحمد لله .

وفي يوم الثلاثاء ، الثالث والعشرين من الشهر المذكور ، وقع بين القرشيين بني ابكر ، والجحاوش ومن معهم قتال وجراحات ، بسبب أن الأمير ألزم بني ابكر أن يسكنوا ، هم والجحاوش ومن معهم ، بقرية القرشية ، [وألزمهم تسليم اموال ورقاب إن تعرض أحد منهم للآخر . وأذن للجحاوش في السكنى بقرية القرشية][2] . فتقدم اليها جماعة منهم للسكن ، فخرج اليهم بنو ابكر وقاتلوهم ، وجرحوا منهم جماعة ، ومنعوهم دخول القرية[3] . فرسم الشريف عليهم ، وصادرهم بمال ، ثم ارسل بجميعهم إلى الباب الشريف .

---

(١) منّ : كيل . وفي لسان العرب ، مادة منن : المَنّ المنا ، وهو رطلان .
(٢) جملة ساقطة من (هـ) .
(٣) في (د) و(هـ) : القرشية .

وفي يوم الخميس من ذي الحجة الحرام ، قدم سليمان والصديق ، ولدا أحمد الدبج ، من الأبواب السلطانية ، بعد أن تولى الصديق وظيفة أبيه ، وسليمان نظر مسجدي الجامع والأشاعر ، وبعد أن تقرر لمولانا السلطان عند أبيهما ستون ألف دينار . وضمن المذكوران تسليم ذلك ، وفي يدهما خطوط شريفة بتسليم مفاتيح بيوت والدهما إليهما ، وتمكينهما مما أرادا ، وعدم معارضة الأمير والقاضي لهما في ذلك ، فامتثل أمره الشريف .

[حوادث سنة ثلاث عشرة وتسعمائة]

وفي يوم الأربعاء ، السادس من المحرم الحرام سنة ثلاث عشرة وتسعمائة ، توفي الفقيه الأجل ، نجم الدين طلحة بن محمد بن يحيى الجهمي ، صاحب المصباح ، ببلده من أصاب ، ودفن هنالك بجوار جده ، الفقيه الصالح يحيى بن أحمد الجهمي ، وكثر عليه الأسف ، رحمه الله ، وعوضه الجنة .

وفي يوم الخميس الذي يليه ، فقدت امرأة دلالة بمدينة زبيد تعرف بالتَّعِزِّيّة(١) بعد أن إكْتَرَتْ مصاغاً كثيراً من بيت الفخربن طلحة ، من الذهب ، واللؤلؤ ، وغير ذلك من أنواع الحلي . فسأل أهل المتاع أهلها عنها ، فقالوا إنها من حين أخذت متاعكم لم نرها . فسأل أهل المال أولادها لمن اكترت ذلك ، فقالوا لإسماعيل بن عبداللطيف المحالبي ، فذهبوا إليه وسألوه عنها فأنكر معرفتها أصلاً وارسالها . فلم يقبل أهل المال منه ، وشكوه إلى الأمير الشريف العفيف . فأرسل له وسأله ، فصمم على الإنكار . وكان قد اكترى بيتاً ، بحافة باب النخل ، قريباً من سوق الجد(٢) ، واستأجر حفاراً ، فحفر له حفرة في خزانة منه ، في البيت الذي اكتراه . ٩٦/٢ فَذُهِبَ به إلى / الأمير علي محمد وأخبره بذلك . فأمر جماعة من خدمه أن يذهبوا معه إلى البيت ، ويكشفوا عن الحفرة . فجاء بهم إلى البيت ، وأراهم مكان الحفرة . فنبشوها بعد صلاة الجمعة ، ثامن الشهر المذكور ، فوجدوا المال بأسره ، في قفة في الحفرة . ثم نبشوا باقيها ، فوجدوا المرأة فيها قاعدة ، ويداها على رأسها ، وقد ماتت . وهي كالمتقية لما يلقى فوقها من الحجارة والتراب ، وثيابها

---

(١) والكلمة غير منقطة في (ج) و(د) .
(٢) كذا في النصوص .

عليها . فحملت إلى بيتها وغسلت وكفنت وصلي عليها . وصمّم المتهم بها على الإنكار ، فقيّد مع أخ له ، كان قد طعن ابن عم له من أولاد المحالبي ، وأودعا السجن .

وفي الشهر المذكور ، هرب جماعة من الروم ، من بندر جدة ، في برشتين وثلاثة أغربة ، ومعهم عدد عظيمة ، وبارود ومدافع وغير ذلك . فوصلوا إلى جازان ، وأخذوا من أهلها طعاماً ، ثم ساروا إلى كَمَران ودخلوها ، بعد أن هرب أهلها منها ، ثم ساروا إلى المتينة ، ثم إلى المخا ، ثم إلى مدينة عدن ، ثم ارتفعوا إلى ساحل أبين. ثم قدم جماعة منهم في برشتين وثلاثة أغربة ، في شهر ربيع الآخر ، فلم يدركوا الأولين . وكان في المتأخرين الأمير حسين الكردي على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وفي الشهر المذكور ، حصل من أهل أُصاب خلاف عظيم ، ونقض ، واسترجعوا ثلاثة حصون من الحصون التي قد سلموها ، وهي القنقور والقدمة وبهوان . فلما اتصل علم ذلك بمولانا السلطان ، جرّد كتائب يتبعها كتائب ، على مقدمتها الفقيه شمس الدين علي محمد النظاري ، والأمير ريحان . ولم يزل يجرد إليهم الكتائب ، حتى استعادوا منهم جميع ما أخذوه ، في التاريخ الآتي ذكره .

وفي يوم الثلاثاء ، سلخ شهر ربيع الأول ، قُتِلَ ولد محمد بن أبي بكر بن عثمان ، شيخ اللاميين ، في ثلاثة من خيار أهله ، والقاتل له الكعبيّون والعبيد الحرابة .

وفي ليلة الأربعاء ، مستهل ربيع الآخر ، توفي القاضي نورالدين علي محمد الِحرازي ، مستوفي زبيد ، ودفن صبيحة يومها ، بمجنّة باب القرتب ، بجوار مشهد الفقيه أبي بكر بن علي الحداد ، من جهة القبلة ، رحمه الله تعالى .

وفي اليوم المذكور وقعت بين القرشيين الأعلين[١] والشكارية ، وبين بني علي وبني عبدالله وبني عباس وقعة بقرية التحيتا ، قُتِلَ فيها من بني علي وبني عباس سبعة نفر . وقويت الفتنة بينهم حتى/خرّج إليهم الشريف عسكراً من مدينة ٩٧/١

---

(١) في (د) : القرشيين والأعلين .

زبيد ، ليكفوهم عما هم عليه ، وألزم سكان التحيتا ، من الأعلين والشكارية وبني علي ، الانتقال منها ، فنقل بنو علي مع بني عبدالله إلى قرية الرويّة ، ونقل الأعلون والشكارية إلى ظاهر مدينة زبيد ، وتفرقوا في قرية النويدرة والطليحة والزعاتر ، وتشتت شملهم غاية التشتيت . فلما تحقق بنو عبدالله انتقال أعدائهم من التحيتا ، فرقوا بيوتهم بالمنصر[1] وقبلي تربة الشيخ أبي بكر بن حسّان . ولم يزل الأعلون والشكارية بقرية النويدرة وما يليها ، حتى فسح لهم الشريف ، في آخر شهر رمضان من السنة المذكورة ، وبنوا بقرية المنامة[2] ، قبلي المنصر ، وسكنوا هنالك .

وفي يوم السبت ، رابع الشهر المذكور، توفي الأمير ريحان الظافري بالمحطة المنصورة على أُصاب ، وصلي عليه بجامع زبيد ، وقرىء له ثلاثة أيام بالمدرسة المنصورية ، ووجد له مال عظيم رحمه الله تعالى .

وفي الشهر المذكور ، كان وصول الأمير حسين المصري ، في ثلاث برشات وثلاثة أغربة ، من جدة إلى الجهات اليمنية ،ولم يعلم أحد مقصوده حتى مرّ بباب المندب . فلما قرب من مدينة عدن ، أنزل سنبوقاً فيه قاصد من قبله ، إلى الأمير مرجان الظافري ، يستأذنه في الدخول إلى حُقَّات ، فأذن له . فدخل في غاية ما يكون من الأدب ، لم يضرب نفطاً ، ولا دق حملا[3] ، ولا شوش ولا غوش . فلما استقر بالبندر ، أرسل إليه الأمير مرجان ، بسؤاله ، النقيبَ عبدالقادر بن فرح النجاشي ، والنقيبَ جابر البعداني . فلما وصلا إليه أكرمهما ، وكساهما ، وقال : أبلغا الأمير مني السلام وعرّفاه لولا أني مأخوذ علي ، من قبل السلطان قانصوه ، أن لا أدخل عدن ، لدخلت إليه ، ومثلت بين يديه . ولكن لا يمكنني مخالفة أمر السلطان . واستأذنه في شحنة ما يحتاج إليه من الماء والحطب وغير ذلك . فأذن له الأمير مرجان بذلك ، وأضافه ضيافة عظيمة ، وكسا أصحابه كسوات جميلة ، فقبل ذلك . وأبرز له الأمير مرجان من آلة القتال وعدة الحرب ما بهره . ثم إن الأمير حسين أرسل للأمير مرجان بكسوة عظيمة ، وهدايا نفيسة . ثم توجه حسين ، في

---

(١) في (هـ) : المنتصر .
(٢) في (هـ) : وبنوا قرية المنامة .
(٣) كذا في النصوص ، والمعنى واضح ، ولعل هذه التعابير من اللغة العامية .

عساكره الذين وصلوا صحبته ، إلى بندر الديو ، بسبب قتال الافرنج الذين ظهروا في البحر ، وقطعوا طريق المسلمين ، أظفر الله بهم آمين .

وفي يوم الخميس ، منتصف شهر جمادى الأولى ، قلّد القاضي فخر الدين أبو بكر بن أبي القاسم الجلاد وظيفة الاستيفاء بمدينة زبيد وأعمالها ، وأضيفت الأوامر والنواهي إليه / . ٢/٩٧

وفي هذه السنة ، غلب الافرنج على مدينة هرموز وأخذوها ، وأمنوا[1] المسلمين والتجار والمسافرين منها وإليها . ووصل العلم بذلك إلى مدينة زبيد ، في أواخر شعبان .

وفي الشهر المذكور ، قدم القاضي عفيف الدين عبدالله بن علي الحرازي ، من الأبواب الشريفة إلى مدينة زبيد ، متولياً وظيفة المشارفة في الديوان السعيد السلطاني .

وفيها بوشر الوقف المبارك ، بمدينة زبيد المحروسة ، وأمر على أهل الوظائف بالعمرة ، وإخراج ما يتوجبه لذلك . وبوشرت جملة أراضي ، اتهم أهلها بإدخال الأملاك السلطانية فيها . وأصاب الناس لذلك تعب عظيم ، وعظم الضرر . وكان متولي ذلك الشرف بن محمد الموزعي ، والصديق بن أحمد بن سعيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي رمضانها ، تصدق مولانا السلطان ، على الأرامل واليتامى المنقطعين بزبيد ، بعشرة آلاف دينار دراهم ، وعشرين مداً من الطعام الذرة ، وفرقت قبل العيد ، وانتفع بها خلق ، وحرمها أكثر المستحقين ، تقبل الله منه . وكان متولي تفريقها قاضي الشريعة والمستوفي .

وفي شوالها ، أطلق مولانا السلطان جميع ما بوشر وأدخل في الأملاك السطانية ، لما حقق له أن الأمر على خلاف ما رفع إليه . وأمر برد ذلك على أهله ، وتبرأ منه ، وخرج عنه لوجه الله الكريم ، تقبل الله منه وأثابه .

---

(١) كذا في النصوص . وفي قرة العيون : « وأسروا أهلها المسلمين والتجار » (ج ٢ ص ٢١١) . وعبارة صاحب غاية الأماني توافق ما جاء لبي الفضل المزيد ، إذ يقول : « استولى الافرنج على بندر هرموز ، وأمنوا من فيه من المسلمين والتجار المسافرين » (ج ٢ ص ٦٣٦) .

وفي ذي القعدة منها ، كان وصول مولانا عفيف الدين عبدالملك ابن الملك المنصور ، صنو مولانا السلطان ، إلى الجهة الاصابية ، في عسكر عظيم ، تقوية للمحطة المنصورة ، ولافتقاد سائر ما هنالك .

في يوم الاثنين ، الثالث من الشهر المذكور ، غرقت سفينة إسماعيل الزمخ[1] ، في بطن جابر ، وهلك فيها من الحجاج فوق مائة نفس ، ولم ينج من أهلها إلا القليل النادر .

وفي ضحى يوم السبت ، ثامن الشهر المذكور ، قدم الشريف العفيف ، عبدالله بن سفيان ، من الجهات الشامية إلى زبيد ، فدخلها دخولاً معظماً ، وفي صحبته الشيخ عبدالوهاب بن محرم العنسي . وقبض من خيل العرب نحو خمسين فرساً ، وبنى حصناً في جهة الهيجة ، وصالح الكعبيين ، وأمرهم بالخروج من الهيجة والسكنى في زيدية بني غليس ، وخلّى بينهم وبين اللاميين ان بدأوهم بشر . وأمنت الطريق وسكنت الفتن .

وفي يوم الأربعاء ، العشرين من الشهر المذكور ، توفي السيد الشريف ، الإمام شهاب الدين أحمد بن الناصر ، بمدينة تعز ، وصلي عليه بعد صلاة العصر ، بجامع ذي عدينة ، ودفن بمقابرها الأجيناد ، وكان له مشهد عظيم ، رحمه الله .

١/٩٨ وفي يوم الخميس ،/ السابع من ذي الحجة منها ، أخذ الشيخ عفيف الدين ، عبدالملك ابن الملك المنصور ، حصون أصاب المقدم ذكرها ، قهراً على أهلها ، بعد أن قتل جمعاً كثيراً منهم ، وحاربهم في اليوم الأول حتى غربت الشمس ، وطلع عليهم ، وأمسى تحت الحصن هو وعسكره . فلما كان في جوف الليل ، هرب أهل الحصون منها ، وخرجوا بأولادهم ونسائهم ليلاً ، ثم أصبح الشيخ عبدالملك ، فطلع إلى الحصون ، فلم يجد فيها أحداً ، ولا في معاشيرها أحداً منهم ، فقبضها ، وصاح لمن رجع من أهلها بالأمان ، ورتب فيها من يثق به .

[حوادث سنة أربع عشرة وتسعمائة]

وفي يوم الخميس ، ثامن المحرم من سنة أربع عشر وتسعمائة ، قطعت يد

---

(١) كذا في (ج) . وفي (د) الدمح دون نقط .

رجل سارق مصري . كان قد سرق بزبيد سرقات متعددة ولم يعرف سارقها ، حتى ظفر به في بيت رجل مصري يعرف بالشروطي[1]. فأمسك ولم يوجد معه شيء . فنفي عن البلد ووقف خارجها . فتحيل له جماعات من العجم ، كان قد سرق لهم حرير بزبيد ، فخرجوا إليه وبذلوا له أشياء ، على إخراج سرقتهم ، ووعدوه بالكتمان . فأقر لهم بالسرقة ، وجعل لهم امارة إلى قوم كان يسكن عندهم ، بإطلاقها عليهم . فعلم الأمير الشريف بذلك ، فأمر بإحضاره وسأله عن ذلك ، فأقر بسرقات متعددة قديمة وحديثة ، فأمر بقطع يده فقطعت ، ومات لحينه .

وفي يوم الأحد ، العشرين من الشهر المذكور ، توجه مولانا السلطان من ذمار إلى صنعاء ، لتفقد تلك الجهات ، وتجديد العهد بها . فدخلها دخولاً عظيماً ، في عساكر عظيمة منقاة . وهي ثاني دخلة دخلها ، بعد استيلائه عليها . فأقام بها مدة ، وحَصَرَ أبا ريحان بن شارب ، في حصن ذي مَرْمَر ، زماناً طويلاً ، حتى أخذه ، وأخذ حصن الفصين والعروس ، في شهر ربيع الأول .

وفي المحرم أيضاً منها ، احترق ، من مدينة عدن ، طائفة عظيمة من المدرسة السفيانية إلى حافة اليهود وما هنالك ، واحترق فيها من الآدميين نحو عشرين نفساً ، وتلف من الأموال والبيوت ما لا يحصى .

وفي يوم الجمعة ، التاسع من صفر منها ، احترقت قرية الزريبة ، بأعلى الوادي زبيد ، احتراقاً عظيماً ، ولم يبق منها سوى شرذمة قليلة ، من غربيها ويمانيها ، نحو عشرين بيتاً ، وتلف في الحريق من الأموال ما لا يحصى ، وتضعضعت أحوال أهلها جداً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي ليلة الثلاثاء ، العشرين من الشهر المذكور ، توجه النقيب الصديق بن أحمد بن سعيد ، وأبو القاسم الموزعي ، إلى الابواب السلطانية ، باستدعاء من السلطان . وفي الشهر المذكور ، ارتفعت الأسعار بمدينة زبيد وأعمالها ، فبلغ الطعام الذرة الثمن بعشرة دراهم ، /والدخن بأحد عشر درهماً ، والسمسم بستة دنانير ، والسمن خمس أواق وأقل بدرهم صغير ، وكاد الدر أن يعدم ، وقل وجوده في الدواب . ومات أكثر البهائم جوعاً . ولم يحصل في الصيف مطر ، وضاقت ٩٨/٢

---

(١) في (هـ) : بالسيروطي .

الأحوال ، وعدمت المكاسب ، واستمر ذلك إلى نهاية التاريخ الآتي ذكره .

وفي يوم الثلاثاء ، العشرين من الشهر المذكور ، توفي الشريف عفيف الدين ، عبدالحفيظ بن عمر البزاز ، ناظر المدرسة الوهابية بزبيد ، رحمه الله ، واستمر ولده الشريف عبدالرحمن في وظيفته ، وفقه الله .

وفي يوم الخميس ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الشيخ الشجاع بن محرم العنسي ، بالمحطة المنصورة على حصن ذي مَرْمَر ، وحمل إلى صنعاء ، ودفن هنالك عند قبر المليكي ، رحمه الله . وصلي عليه بجامع زبيد ، وقرىء له ثلاثة أيام بمسجد الأشاعر .

وفي هذه السنة ، كثرت الأمطار في شهر تموز ، وكان أكثرها بأسافل الوادي زبيد والسواحل ، وثمار النخل يومئذ في أحسن أوقاتها ، فتلفت ثمار النخل تلفاً عظيماً ما سمع بمثله ، وحصل فيها الخسران ، وزهد أهل الثمار فيها لمن يأخذها .

وفي فجر يوم الثلاثاء ، عاشر شهر ربيع الأول ، نزل إبراهيم الخواص من الهيجة ، في جمع كثير من العبيد وبني القحوى ، في محمل على جمل ، وتقدم إلى قبر الفقيه أحمد بن موسى عجيل ، فزاره ، وقرأ عنده ، هو وأصحابه ، مقدمة من القرآن الكريم ، وصلى صلاة الصبح في التربة ، ثم عاد راجعاً إلى مكانه . وتعرض له جماعة من الدولة والمعازبة ، فقتل ثلاثة نفر ، ورجع ولم يظفر منه أحد بشيء .

وفي يوم الخميس ، ثاني عشر الشهر المذكور ، وقعت مطرة عظيمة بزبيد ، واستدامت من وقت الضحى إلى بعد صلاة العشاء ، وتلف كثير من البيوت بسببها . ونفس الوادي زبيد ، وسائر الأودية ، نفساً عظيماً . ومع كثرة الأمطار وتواترها ، كان سيل الوادي زبيد قليلاً ، بخلاف المعهود .

وفي يوم الثلاثاء ، السادس والعشرين من الشهر المذكور ، قدم الشيخ العلامة المحدث ، جار الله ، محمد بن محب الدين بن شيخنا الحافظ ، عزالدين ، عبدالعزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي ، إلى مدينة زبيد ، من مدينة عدن ، وأخذ عن جماعة من أعيانها ، ومن أعيان مدينة تعز . ولازمني مدة إقامته بزبيد ، وحمل عني كثيراً من مقروءآتي ومؤلفاتي . وكان عجيباً في ذلك ، زاده الله

من فضله . ولم يزل مقيماً بزبيد ، طالباً للعلم ، حريصاً على ذلك إلى أن توجه إلى مكة المشرفة ، يوم الاثنين ، الحادي عشر من شعبان ، بلغه الله مراده آمين .

١/٩٩ وفي آخر الشهر المذكور ، قدم المبشرون ، إلى مدينة زبيد ، بقبض حصون الظفر والعروس والفصين والريشة ، وقبض أبي ريحان بن شارب ، واستعملت الفرحة لذلك في سائر البلاد . وأخذ أهل زبيد بالحظ الوافر من ذلك ، محبة لسلطانهم .

وفي يوم الثلاثاء ، تاسع شهر جمادى الأولى ، نهب جماعة من الكعبيين جماعة من المواعدة أهل زبيد ، الذين يترددون إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، قريباً من الطنية ببلاد المعازبة ، والمعازبة قيام ينظرون إليهم . وأخذوا لهم ما يساوي ثلاثمائة دينار ذهباً .

وفي الشهر المذكور ، تقرر أحمد بن محمد العقد في ضمان الوادي زبيد . وفيه عزل القاضي محمد بن علي الناشري من قضاء تعز ، بالقاضي أحمد بن أبي بكر بن عمران . وفيه كثر الجراد بمدينة زبيد ، وأكل الزروع المتأخرة وأتلفها .

وفي أواخر الشهر المذكور ، توجه مولانا السلطان من مدينة صنعاء إلى ذمار ، ثم إلى رداع ، ثم إلى المقرانة ، فقدمها سالماً منصوراً ، مؤيداً محبوراً ، في أوائل جمادى الآخرة .

وفي ليلة الأحد ، الثاني عشر من الشهر المذكور ، حصل ببندر مدينة عدن ريح عظيمة ، ودامت إلى الصباح . وزاد البحر زيادة عظيمة ، وطلع الماء إلى فوق درجات باب المدينة ، وكثر الموج ، وغرقت في البحر سفينة مقبلة من جهة ميط وعكيري ، والناس ينظرون إليها ، وكاد ما في البندر من السفن جميعاً أن يغرق ، فسلم الله تعالى ، ولله الحمد .

وفي عصر يوم السبت ، ثالث رجب ، قدم الشيخ عبدالوهاب بن محرم العنسي ، من الأبواب السلطانية إلى مدينة زبيد . فدخلها في نحو ألفي راجل ، وجماعة من الخيل . ثم قدمها بعده الأمير عمر الجبني ، فدخلها عشية الخميس ، ثامن الشهر ، في مائتي فارس وجماعة من الرجل . وأقاما بزبيد ، حتى خرجا صحبة الشريف عبدالله بن سفيان ، إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، عشية الاثنين ،

ثاني عشر من الشهر المذكور ، في جموع كثيرة من الفرسان والرجالة . وانضم إليهم فرسان العرب ، من أهل التريبة ، والفرسة ، والروية ، والمعازبة وغيرهم .

وفي يوم السبت ، الرابع والعشرين من الشهر المذكور ، زار جماعة من أهل ربع المجنبذ قبر الشيخ عيسى الهتار ، بقرية التريبة . فرجعوا من عشية ذلك اليوم ، ونزلوا إلى ربع المعاصر ، عند بيت الغزالي . فخرج لهم من الحوزة جماعة ، منهم ابن الصلع وغيره فهاوشوهم . فضرب ولد من أهل المجنبذ ، يعرف بابن المصري ، آخر من أهل المعاصر ، يعرف بابن عبداللطيف بابكير ، ضربات في رأسه وجنبه فأثخنه ، وحمل إلى بيته ، فمات بعد يومين . وهرب قاتله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٩٩/٢ وفي يوم الأحد ، الحادي والعشرين من شوال ، توفي قاضي /المراوعة ، الفقيه يعقوب بن أبي القاسم الناشري ، رحمه الله . وفي الشهر المذكور ، توفي الفقيه أبو القاسم بن عمر الأهدل ، صاحب المراوعة ، رحمه الله .

وفي هذه السنة ، كثر حجاج اليمن براً وبحراً ، من جميع جهاتها . وغرق ، في بطن جابر ، مركبان فيهما جمع كبير من الحجاج . وكان في أحدهما الخواجا يوسف الهروي ، فأمر ناخوذة المركب ، حين أحسّ بتغيره ، أن يميل إلى جهة البر . وكان الخواجا المذكور قد خرج ، بجميع أمواله وأولاده ، من مدينة عدن قاصداً مكة ، حاجاً ومجاوراً . فسلم هو وأولاده وأمواله ، ولم يفقد منهم إلا مستولدة له وولدها . وأما المركب الآخر ، فلم يوجد له أثر . وكان ذلك يوم الأحد ، سادس ذي القعدة .

وفي الشهر المذكور ، ابتدعت فرضة الاقبال على التجار ، بمدينة زبيد ، وعلى المتسببين .

وفي يوم الخميس ، مستهل ذي الحجة الحرام ، توفي الخواجا جمال الدين محمد بن علي القادري العطار ، التاجر المشهور ، بمدينة تعز ، فجأة ، بعد أن قام من دكانه ، لصلاة الظهر ، بجامع تعز . فسقط على باب المعطارة ، في الدرجة ، فمات لحينه ، وحمل إلى بيته ، وغسل ، وكفن ، ودفن بالاجيناد . وكان موصوفاً بكثرة الصدقة والمعروف ، رحمه الله ، وجزاه خيراً آمين .

وفي الشهر المذكور ، تصدق الجمال محمد بن عمر الشلوق ، بمدينة زبيد ، بصدقة عظيمة على الفقراء والمساكين . وكسا غالب المستحقين من الضعفاء ، والعجائز ، والعميان ، والأيتام ، جزاه الله خيراً آمين .

وفي عصر يوم الأحد ، الحادي عشر من الشهر المذكور ، كانت وقعة بين القرشيين بني أبكر ، سكنة القرشية ، وبني علي ، سكنة الروية ، وبين الأعلين والشكارية ، سكنة المنامة ، بسبب أن رجلاً من الأعلين ، يعرف بابن العطوي ، دخل قرية التحيتا ، وكانوا ممنوعين من دخولها . فواجهه رجل من بني عباس ، يعرف بالحكمي ابن إبراهيم الشريف ، فضربه بجريدة في يده ، وسلبه جنبية من جربه . فرجع إلى جماعته ، وأعلمهم بذلك . فسروا ليلاً لرجل من بني عباس ، يعرف بعبدالباري بن عبدالودود الدعبوش . وكان يحرس أرضاً له . فضربه أحدهم بدبوس في رأسه ضربة عظيمة ، فحمل إلى القرية ، وكتب جماعته بذلك إلى بني أبكر . فحضروا ثالثاً ، في يوم الأحد المذكور ، لمحمد بن علي البيدق ، وكان مات بقرية التحيتا . فكادوا يقتتلون في المقبرة . ثم أمهلوا إلى عشية ذلك اليوم ، ١٠٠/١ وتقابلوا بكدف المنصر ، فقتل جمع من الفريقين . وكان القتل في الشكارية والأعلين ، فقتل من بني علي : ابن أحمد حبيب وموسى الشاذلي بن الرهينة . ومن الشكارية : ابن العبيد ، وابن الشحاب ، وعبدالسلام بن عسيس ، وابن عمه عبدالعليم ، ويحيى بن جوهر ، وأحمد بن الأشرم ، وهو شيخهم ، وأبو قاسم القطاب ، وابن الأخضر، وعفيف إسماعيل أهيف . ومن الأعلين : ابن هَدّر وابن البقار . ثم انتهبت قرية المنامة ، وحرقت ، ووجد فيها ما لا يحصى من الطعام ، وأخذ جميع ما فيها من المواشي . ولم يبق لأهلها بقية . وخلفوا نساءهم وملابسهم وجميع ما يملكونه، وزهدوا في ذلك، حتى قال أحد بني علي لعفيف بن العطاب ، وقد ولّى عن امرأته، وكانت من أجمل النساء، وعليها من اللباس والزينة شيء كثير: يا عفيف ما تشتهي امرأتك هذه فقال : ما عاد إلا أنت ومنعك [1] . ثم وقعت بينهم وقعة أخرى ، عشية يوم الاثنين ، ثاني الوقعة الأولى ، وكانوا في الركبة ، قبلي

---

(١) كذا في النصوص ، والعبارة متقلقلة غير واضحة المعنى .

مسجد الربد . فقتل منهم ، في ذلك اليوم ، ابن برقوق ، وكان أول قتيل من بني أبكر ، والزين بن الرفاعي ، من الشكارية ، وابن الفلهاني ، من الأعلين ، وأحمد بن حبيش ، من الشكارية ، وابن العطوي الذي كان رأس الفتنة ، وابن السمعوط ، من الأعلين ، وغيرهم . وحرقت الركبة ، فتفرق الشكارية والأعلون . وبلغت هزيمتهم إلى حائط دار الشجرة ، وأقاموا بقرية النويدرة والطليحة والزعاتر ، حتى رجعوا إلى التحيتا ، في أوائل سنة عشرين وسبعمائة ، واستقروا في بيوت بني علي بالتحيتا . وخرج بنو علي إلى قرية الروية قهراً .

وفي يوم الخميس ، منتصف ذي الحجة الحرام ، قدم عبد القادر بن فرج[1] النجاشي ، إلى مدينة زبيد ، من الأبواب الشريفة ، وألزم الفقهاء عمارة المساجد والمدارس ، فامتثلوا طائعين .

[حوادث سنة خمس عشرة وتسعمائة]

وفي يوم الإثنين ، العاشر من شهر المحرم الحرام ، أول سنة خمس عشرة وتسعمائة ، طعن ولد لمحمد الرق[2] ، اسمه داود ، اسماعيلَ بنَ الصديق الصفار، تحت كتفه الأيمن ، طعنة مثخنة ، بين الناس ، ثم هرب الطاعن ، واستجار ببيت الفقيه موسى الزين الرداد . فحمل المطعون إلى بيته ، ثم مات ، بعد احد عشر يوماً من طعنه . فاثبت والد المطعون البينة عليه ، ومُكّن من قاتل ابنه . فخرج به إلى المشناقة ، خارج باب الشبارق ، وبكى ابو القاتل بين يدي أبي المقتول ، فرحمه وعفا عنه فخلي سبيله .

وفي ضحى يوم الإثنين ، السابع عشر منه ، زلزلت مدينة زبيد ، وسمعت على السطوح حركات شديدة ، وتقلبت الآنية في الرفوف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي الشهر المذكور ، قصد جماعة من أهل ربع الأعلى بزبيد ، منهم ابن ٢/١٠٠عطيور وابن بنت كعمة ، .ولداً لأحمد بن عمر الجابي من أهل ربع الجامع .

---

(١)في (ح) : ابن فرح .
(١) في (د) : الدق .

فوجدوه في سوق الأساكفة ، قاعداً في دكان ، فطعنوه طعنات مثخنة ، ومروا في بطن السوق ، واسلحتهم في ايديهم ، ولم يتعرض لهم احد ، حتى وصلوا إلى بيت الفقيه موسى الرداد ، واستجاروا هنالك .

وفي الشهر المذكور ، قدم قاصد صاحب جازان ، أحمد الصديق الخياط ، من الأبواب الشريفة ، بعد طلوعه إليها بهدية ، من صاحب جازان : المهدي ، إلى مولانا السلطان ، في نصف ذي الحجة ، من السنة الماضية ، وهي عشر رؤوس من الخيل ، ومائة وخمسون قطعة من الفوة[1] . فأثابه بثواب جميل ، ينيف قيمته على ألف اشرفي ذهباً ، وأعطى قاصده ، ابن الخياط ، مائة اشرفي ، وكساه كسوات عظيمة فاخرة .

وفي عشية يوم الثلاثاء ، السادس والعشرين من الشهر المذكور ، قدم الأمير شمس الدين علي محمد البعداني ، من الأبواب الشريفة إلى مدينة زبيد ، فدخلها دخولاً معظماً ، في عسكر كبير ، من الخيل والرجل . يقال إن الخيل تنيف على ثلاثمائة فارس ، والرجل اكثر من خمسة الآف راجل . فأقام بزبيد إلى عشية الإثنين ، ثاني شهر صفر ، ثم خرج إلى الجهات الشامية ، لتفقد جهاتها ، واصلاح مخاليفها . وفي اثناء اقامته بزبيد ، قطعت يد رجل ، يعرف بيعقوب بن المقدم ، ورجله ، بسبب سرقات ظهرت عليه ، ووجدت عنده . فقطع بسببها ، يوم الخمينس ، ثامن عشر من المحرم ، ومات ليلة الجمعة ، تجاوز الله عنه .

ووصل العلم بأن جماعة دخلوا على الخواص منزله ليلاً ليقتلوه ، فلم يظفروا منه إلا بطعنات غير مثخنة ، ولم يقتل .

وفي يوم الإثنين ، تاسع صفر ، قطعت يد رجل ، يعرف بابن الضلع ، ورجله . وكان قد اكثر الفساد في البلاد ، والطغيان والعناد ، يفعل في مدينة زبيد ما يشاء ليلاً ، ثم يصبح متجوراً في بيت الشيخ الغزالي فما زالت عيون الدولة تراقبه ، ومخالب المنايا تراصده ، ثم امسكوه خارج الجورة وضربوه ضرباً عنيفاً ، [ثم اتوا به إلى الدار الكبير ، فضرب برحبة الدار ضرباً عنيفاً ،][2] ثم حبس.

---

(١) كذا في النصوص . ولعل الصواب : من الفوط ؟
(٢) الزيادة من (هـ) .

وروجع الشريف فيه ، وكان غائباً ، فأمر بقطع يده ورجله ، فقطع وطهرت البلاد من فعله ، ولله الحمد .

وفي الشهر المذكور ، فُصِلَ عبد القادر بن فرج النجاشي عن المباشرة في الحلال وغيره ، واضيف ذلك إلى محمد بن عمر عرمش . ورسم على كاتب النجاشي ، محمد بن الصديق المصري ، وطولب بثمانية آلاف دينار .

وفي يوم السبت ، الرابع عشر من شهر صفر ، انتقل الشكارية والاعلون ، من قرية النويدرة إلى قرية التحيتا ، بعد اخراج بني علي وبني عباس من بيوتهم هنالك ، بأمر الشريف ، وسكن الشكارية والاعلون فيها ، وانتقل بنو علي وبنو ١٠١/١ عباس /إلى قرية الروية ، وإلى المخا ، وإلى غيرها .

ولم يزل الأمير علي محمد البعداني ، في البلاد الشامية ، يصلح امورها وتدبيرها بسياسته . وأقام بقرية الكدحة أياماً . فلما علم الكعبيون والعبيد بذلك ، انحازوا إلى الهيجة ، وحصنوا اماكنهم فيها ، وسدّوا جميع الطرق النافذة اليها . فأتاهم من حيث لم يحتسبوا ، ودخل عليهم الهيجة ، وقذف الله الرعب في قلوبهم ، وحاز الأمير المياه عليهم ، فانقطعوا وطلبوا الصلح ، فصالحهم على اشياء بذلوها قبل دخولهم الهيجة . وهرب الخواص واستجار ببلاد عتم ، عند بني القحوى[1] فأجاروه ، وأقام عندهم ، خائفاً على نفسه ، مذموماً مدحوراً . وأمر الكعبيين بسكنى بلادهم ، [وحفظ الطريق عن الفساد][2] ، فأمتثلوا طائعين ، وخمدت نار الفتن ، وامنت الطرقات ، وزالت المخاوف . ثم قصد الجهات الشامية ، وقرر احوالها ، وتجاوز إلى بيت الفقيه ابن حشيبر ، وارسل رسله إلى الجهات جميعها ، فجبوا خراجها . ثم رجع إلى زبيد سالماً غانماً ، فدخلها يوم السبت ، الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر ، دخولاً معظماً ، في أبهة عظيمة ، وهيئة حسنة ، بخيل مقبوضة من العرب ، تنيف على مائة وعشرين فرساً . وفي صحبته جميع الأمراء والمقدمين ، واستقر بمدينة زبيد ولله الحمد .

وفي يوم الأحد ، الرابع من شهر ربيع الآخر ، توفي الشيخ ابو الغيث

---

(١) في (د) : القحوري .
(٢) الزيادة من (هـ) .

الشَّيْبَكي ، صاحب القرة ، ببلده ، رحمه الله . وفي عشية يوم الإثنين ، خامس الشهر المذكور ، توفي خالي ، العلامة الحبر الفهامة ، المتقن المدقق[1] ، جمال الدين محمد الطيب بن اسماعيل مبارز ، إلى رحمة الله تعالى ، وصلي عليه بعد صلاة العصر ، بمسجد الأشاعر ، ودفن عصر ذلك اليوم ، وكان له مشهد عظيم ، رحمه الله ، ونفع به امين . وفي ذلك اليوم ، توفي فقيه بيت الفقيه ابن حشيبر ، الفقيه عبدالله بن الخطيب بن احمد بن حشيبر ، ببلده ، رحمه الله .

وفي يوم الثلاثاء ، السابع والعشرين منه ، قدم القاضي محمد بن علي الناشري إلى مدينة زبيد ، مفصولاً عن قضاء مدينة عدن ، بالقاضي أحمد بن أبي بكر بن عمران ، قاضي مدينة تعز ، وتولى قضاء مدينة تعز القاضي أبو بكر بن القاضي أبي القاسم الوقيري ، عوضاً عن ابن عمران .

ولم يزل الأمير شمس الدين علي محمد البعداني مقيماً بمدينة زبيد ، والناس بإقامته في غاية ما يكون من الامان والاطمئنان . وراجع مولانا السلطان في صدقة على أهل زبيد ، فتصدق عليهم بألف دينار ذهباً ، بشفاعته ، وفرقت مدة اقامته بزبيد ، ووقعت من الناس موقعاً عظيماً لشدة حاجتهم اليها ، وعَظُمَ امرُ الشريعة واحترامُها . /وقدم عليه الشريف عز الدين بن احمد بن دريب ، اخو صاحب جازان ، بهدية إلى مولانا السلطان ، فاكرمه واحله وسيره إلى الأبواب الشريفة مكرماً . وفصل سليمان بن احمد الدبج عن نظر المسجدين الجامع والأشاعر ، وولى احدهما عبد الرزاق بن احمد قعبل ، ظناً منه أنه اصلح من سليمان احمد الدبج ، فأتْلَفَ المسجدين . وكان بان يدعى اعمى احق من أن يدعى ناظراً ، وخبط وخلط جداً . ولم يزل ناظراً عليهما ، لا ينظر في شيء سوى اخذ معلومهما ، وصرفه في أكل وشرب ، ولهو ولعب وطرب وغير ذلك ، حتى فصل عنهما في التاريخ الآتي ذكره .

١٠١/٢

وامر الأمير بانشاء عين ، في ناحية بئر قطلول ، وجرها من مكان بعيد نحو الف وخمسمائة ذراع ، إلى الطريق ، وجعل لها حوضاً عظيماً ، ومجمعاً للماء ، ومجرى . وارتفق بها الظاعن والمقيم ، وانفق فيها نفقة عظيمة جداً ، تقبل الله

---

(١) في (هـ) : المحقق .

منه . ولم يزل مقيماً بزبيد ، سائراً بالناس احسن سيرة ، محسناً اليهم غاية الإحسان ، حتى توجه إلى مخدومه ، ظهر يوم الثلاثاء ، سابع عشر من جمادى الأولى ، فمرّ على العين التي انشأها ورأى عملها واعجبه . ثم توجه من هنالك إلى مدينة حيس ، وسار منها على طريق بلد بني سيف ، [قابله الله بخير][1] .

وفي مدة اقامته بزبيد ، حصل على الخواجا محمد بن عمر الشلوق شبه الخذب[2] ، وتصدق على الفقراء والمساكين بصدقات جزيلة ، وانفق نفقة جليلة ، خلاف المعهود من اخلاقه وعادته . وكان كثير الذكر والبكاء والخشوع ، وربما رفع صوته بالتهليل ، فيسمع من مسافة بعيدة . وربما وضع جبهته وحده على الأرض كالساجد ، مع حرصه على دنياه ، وضبطه للبيع والشراء ، وعدم الانفاق في غير الصدقة . فتحرك الحكام عليه ، وهموا بالقبض عليه وحفظ امواله . فحاجهم ، وبلغ معهم إلى الأمير . فلما رآه وسمع كلامه ، نهاهم عنه وخلّى سبيله .

وفي يوم الإثنين ، الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، توفي الشيخ محمد لشهابي ، بمدينة زبيد ، وكان متقناً في صنعة البنود والكباسات واشباهها ، رحمه الله . وفي يوم الاثنين الذي يليه ، توفي محمد بن منصور اليافعي ، سفير ابي حماد ، بمدينة زبيد ، رحمه الله . وفي السابع عشر من رجب الفرد الحرام ، توفي امير الجوف ، محمد بن حسين البهال ، رحمه الله .

وفي يوم الخميس ، الثامن عشر منه ، طلع القاضي أبو بكر بن أبي القاسم الجلاد ، إلى الأبواب الشريفة ، بطلب حثيث ، مفصولاً عن وظيفة الاستيفاء ، وقدم بعده ، إلى مدينة زبيد ، القاضي /عبد الصمد بن عبد الرحمن الحرازي ، ١٠٢/١ متولياً وظيفته . فدخلها بعد عصر الجمعة ، السادس والعشرين من الشهر المذكور . واقام الجلاد في الأبواب السلطانية مدة ، ثم توجه إلى صنعاء ، متولياً وظيفة الاستيفاء بها .

وفي يوم الأحد ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، ظهر في السماء ، في آخر الليل من مطلع العقرب ، على هيئة طرف ، قوس قزح ابيض له شعاع

---

(١) في (ج) : رحمه الله .
(٢) الخلل في الرأس .

عظيم وهو أزج[1] ، له رأس مائل نحو مطلع سهيل . واستدام يطلع كل ليلة ، في الوقت المذكور ، نحو ثلاث عشرة ليلة ، ثم اضمحل .

وفي الشهر المذكور ، قدم صاحب حلي ، قيس بن محمد بن دريب الحرامي ، إلى مدينة زبيد ، [وتوجه إلى مولانا السلطان ، فواجهه برداع العرش . فأكرمه السلطان اكراماً عظيماً ، واعطاه مالاً جزيلاً ، وحبا جليلاً ، وكساء جميلاً ، وعاد إلى مدينة زبيد ، وتوجه إلى بلده مكرماً ، في آخر السنة][2] . ثم قدم ابوه ، إلى الأبواب الشريفة ، ثم رجع إلى مدينة زبيد ، فأقام بها مجللاً محترماً ، ثم رجع إلى بلده .

وفي يوم الجمعة ، العاشر من رمضان ، طلع القاضي عفيف الدين عبدالله ابن علي الحرازي ، إلى الأبواب الشريفة . فواجه السلطان وولاه وظيفة الاستيفاء ، بمدينة تعز ، واستقر بها .

وفي يوم الأحد ، الثاني عشر منه ، توفي الشيخ مناع بن سبا ، صاحب حرض ، بمدينة زبيد ، بعد أن قدم إليها من الأبواب السلطانية . فتوفي يوم قدومه غريباً شهيداً ، ودفن بعد عصر ذلك اليوم ، رحمه الله . وفي يوم الخميس ، السابع عشر من رمضان[3] المذكور ، توفي الشريف شهاب الدين أحمد بن حسين بن عبد الرحمن باعلوي ، ببندر زيلع ، ووالده إذ ذاك بها ، رحمه الله وعوضه الجنة . وفي يوم الأربعاء ، العشرين من شهر رمضان ، توفي الفقيه أحمد بن عبدالله الرمى[4] ، رحمه الله بزبيد .

وفي هذه السنة ، فقدت مراكب السلطان الملك الظافر ، الواصلة من الهند ، ولم يسلم منها إلا مركب واحد وطليعتان ، فالله يخلفها عليه .

وفي أواخر شهر رمضان ، قدم ولد الشيخ الصديق بن السهل بن الحكمي ،

---

(١) في النصوص : « وهوارج » ، إلا في (د) ، فالناسخ كَتَبَ : « وهو ارج » ، بدون نقط . والأزَجُ ، في اللغة ، البيت يبنى طولاً .

(٢) [ ] عبارات ساقطة في (هـ) .

(٣) في النصوص : شعبان ، والخطأ بين فأصلحناه .

(٤) كذا في النسخ بدون نقط .

صاحب قرية ابي عريش ، رسولاً من صاحب جازان ، الشريف مهدي ، بهدية حسنة إلى مولانا السلطان ، فيها ثلاث رؤوس من الخيل جيدة ، وشفع إلى مولانا السلطان ، لصاحب جازان الشريف مهدي ، واستعطف له خاطره ، لذنب حصل منه إلى أخيه عز الدين وأهل مدينة حرض . وكان السلطان قد ولى اخاه المذكور ١٠٢/٢ مدينة حرض ، وعضده بابن سبا ، فقبل السلطان الشفاعة ، /واكرم الرسول .

وفي ذي الحجة ، رجع حجاج البر اليمنيون من الواديين ، بسبب تجبير حصل من الشريف بركات لهم . سببه أن الشيخ عفيف بن مرزوق ، في العام الماضي ، سنة أربع عشرة وتسعمائة ، نزل في صحبته جمع كثير من حجاج البحر ، لمخالفة الريح عليهم ، وعدم اجرائه لهم . وفقد الشريف من عادته ، من المعشر الذي كان يصل في البحر ، مبلغاً عظيماً ، وتغير باطنه ، وأمر ابن بركوت ، وكان في جزيرة القنفذة ، ان لا يترك احداً يمر عليهم من الحجاج في البر . فكتب ابن بركوت إلى ابن مرزوق يخبره بذلك إلى جازان ، فلم يلتفت على كتابه . فلما اراد المرور عليه ، منعه ورده وجميع من معه من المشايخ والحجاج ، فرجعوا من حيث جاءوا . وكان وصول اولهم ، إلى زبيد ، يوم عيد ذي الحجة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . واما حجاج البحر ، فولجوا بالسلامة ، وحصل عليهم ، في المعشر ، تعنيف عظيم وحيف جسيم . واقترض الشريف بركات منهم مبلغاً عظيماً ، واتعبهم . وكان ما اقترض من أهل زبيد خاصة ستمائة اشرفي ذهباً ، ومن أهل صنعاء ثمانمائة اشرفي ، ومن أهل بيت الفقيه ابن حشيبر الف اشرفي .

وفي هذه السنة ، حج الفقيه تقي الدين عمر بن محمد بن جعمان وأولاده وعياله ، والشيخ علي محمد السدح[1] ، صاحب الضُنْجوج ، وجمع كثير من أهل زبيد ، وغيرهم .

وفي عشية يوم السبت ، العشرين من ذي الحجة ، توفي الفقيه عمر بن النجار ، منصوب[2] قرية الروية ، من وادي زبيد ، رحمه الله .

---

(١) في (هـ) السرح .

(٢) كذا في النصوص ، والمعروف المصطلح عليه : منصب ، والجمع مناصب (انظر : بغية المستفيد ص ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٦٣) .

[حوادث سنة ست عشرة وتسعمائة] .

وفي يوم الأحد ، الخامس من المحرم ، أول سنة ست عشرة وتسعمائة ، اشيع بمدينة زبيد بتولي الفقيه موسى بن الزين قضاء الأقضية ، ولم يصح ذلك . ووصل ، في ذلك اليوم ، رسول من قبل مولانا السلطان ، إلى القاضي عبد العليم مستدعياً له إلى الأبواب الشريفة . فواجه السلطان برداع العرش ، وأكرمه اكراماً عظيماً ، ولم يزل عنده مجللاً محترماً ، إلى أن ولاه قضاء مدينة اب ، فنزل اليها في شهر رجب .

[وفي يوم الأربعاء، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، توفي القاضي العلامة الصالح ، شهاب الدين احمد بن محمد الضرعاني ، بمدينة تعز ، ودفن بعد صلاة الظهر ، من ذلك اليوم ، رحمه الله تعالى][1] .

وفي أوائل شهر صفر منها ، مطرت مدينة عدن ليلاً مطراً عظيماً ، لم يعهد مثله .

وفي الشهر المذكور ، وجد رجل مقتول بحائط المنظرة ، ولم يعرف قاتله .

وفي شهر ربيع الأول ، فصل عبد الرزاق قعبل عن نظر المسجدين الجامع والأشاعر ، وقبض الحلال وغير ذلك ، وحوسب ، فوجد عليه منكسر كبير . واضيف نظر المسجدين ونظر الحلال إلى الشريف عبدالله بن سفيان ، فولّى فيهما على نظره . ونزل الصديق ، ولد اسماعيل بن النور الهرمي ، من الأبواب الشريفة ، /ضامناً لعاشرة النخل بوادي زبيد ، بأربعين الف دينار . ١٠٣/١

وفي الشهر المذكور ، ورد أمر مولانا السلطان بنفي المخنثين ، من مدينة زبيد ، وضربهم وتخريب بيوتهم . فأمر الشريف عبدالله بن سفيان بهجم بيوتهم ولزمهم . فهجمت بيوتهم صبح يوم الأربعاء ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، ولزم منهم تسعة نفر كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون . فضرب كل واحد منهم مائة عود ، [ونفيوا عن المدينة][2] ، ونهبت بيوتهم ، واريقت خمورهم ،

---

(١) [ ] جملة ساقطة في (هـ) .
(٢) جملة ساقطة في (د) و (هـ) .

ولم يبق لهم باقية . والسبب في ذلك [أن الصديق الصفار][1] ، والد المقتول الذي قدمنا ذكره آنفاً ، طلع إلى الأبواب الشريفة ، وشكى ما اتفق لولده . وسبب ذلك أن جماعة من المخنثين ، بزبيد ، يجمعون الناس في بيوتهم على المعاصي . فأنف مولانا السلطان لذلك ، وأورد امره الشريف بذلك فامتثل .

وفي الشهر المذكور ، ارسل شيخنا الفقيه تقي الدين حمزة بن عبدالله الناشري بكتابه ، الذي ألفه في الصيد ، المسمى « بانتهاز الفرص في الصيد والقنص » إلى الأبواب الشريفة ، بعد أن حصله تحصيلاً عظيماً ، بخط جميل ، ودبجه بالذهب ، وجلده [بالادم][2] ، وكتب عليه جماعة من الأئمة بزبيد ، كالفقيه عمر بن محمد جعمان ، والقاضي صفي الدين احمد بن عمر المزجد ، والفقيه موسى الرداد وغيرهم ، وهو كتاب لم يسبق إلى مثله ، في بابه .

وفي ليلة الخميس ، الثاني عشر من الشهر المذكور ، توفي الخواجا نور الدين علي بن راحات ، بمدينة عدن ، رحمه الله تعالى .

وفي يوم السبت ، الثامن والعشرين من شهر ربيع [الأول][3] ، هاجت ريح شديدة عشية ذلك اليوم ، وأظلمت الدنيا ، ثم انكشفت ، باذن الله تعالى .

وفي الشهر المذكور ، طلع الفقيه ايوب بن ركن الدين المقدشي ، إلى الأبواب الشريفة ، فواجه مولانا السلطان برداع العرش ، فاكرمه وعظمه ، وانزله بمنزل الأمير علي محمد البعداني ، ورفع مرتبته رفعاً عظيماً ، ولم يزل عنده على اكرام عظيم ، وبر جسيم ، وضيافات متنوعة ، حتى عزم على السفر إلى مدينة عدن . فتصدق عليه مولانا ببيت الطواشي جوهر المهايمي بزبيد ، وكان به نازلاً قبل ذلك ، وبأرض تسمى برت العباس وصاحية طيبة[4] ، خارج باب النخل ، مغلهما في كل سنة خمسة عشر مداً ، وثلاثمائة عود من نخل الطواشي جوهر المهايمي . واعطاه اشياء كثيرة خفية وجلية ، وفَسّح له ، وحبس من اصحابه احمد الرانج عنده . وكان طلع صحبة أيوب ، وله به اختصاص عظيم . فشفع فيه أيوب ، فلم

---

(١) الزيادة من (هـ) .
(٢) الزيادة من (هـ) .
(٣) الزيادة من المحقق .
(٤) في النصوص ، بدون نقط ، إلا في (هـ) .

يشفعه فيه . واقام الرانج في الأبواب الشريفة اياماً ثم نزل كما طلع .

١٠٣/٢ وفي شهر ربيع الثاني ، تغير /سكة الدراهم السلطانية ، بمدينة زبيد ، وكثر زيفها ، وتلفت اموال الناس بسبب ذلك ، وبلغت عشر قفال ونصف قفلة باثني عشر دينار دراهم فضة محلقة عدداً ، مع أن وزنها ، اعني المحلقة الإثني عشر ، سبع قفال ونصف قفلة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وفيه ارتفعت الأسعار ، لقلة الأمطار ، وبلغ [الثمن الطعام][1] عشرة دراهم .

وفي ليلة الإثنين ، الخامس من شهر جمادى الآخرة ، توفي الفقيه شمس الدين علي بن موسى المشرع عُجَيْل ، بمدينة زبيد ، ودفن صبح يومها ، رحمه الله تعالى .

وانقض في تلك الليلة كوكب عظيم ، قريباً من نصف الليل ، آخذاً في الشام ، واضاءت الدنيا لذلك اضاءة عظيمة ، حتى لو أن الإنسان حاول رؤ ية الذر بذلك لم يمتنع عليه . ثم غاب في الجهة الشامية ، وبقي اثره في السماء ساعة طويلة .

وفي يوم السبت ، العاشر من الشهر المذكور ، قدم قاصد سلطان مصر ، الملك الأشرف قَانْصُوْه الغَوْري، وهو زين الدين المحتسب ، وصحبته الطواشي بشير ، إلى مدينة زبيد ، بهدايا عظيمة من سلطان مصر . واكرمه الشريف عبدالله ابن علي بن سفيان ، واضافه ، وانزله بمنزل الأمير علي محمد البعداني بزبيد . ولم يزل مقيماً على الكرامة والفخامة ، حتى توجه إلى الأبواب الشريفة ، عشية يوم الأربعاء ، الرابع عشر من الشهر المذكور . فواجه مولانا السلطان ، برداع العرش ، على أحسن حال . وأمر مولانا السلطان ولديه ، الشيخ عبد الوهاب والشيخ احمد ، بالخروج لملاقاتهما[2] فخرجا لذلك ، في ابهة عظيمة ، تبهر العقول ، وجمع عظيم من الجند ، فواجهاهما ، ودخلا بهما في صحبتهما ، فقابلهما مولانا السلطان بالقبول . وعرضت الهدية عليه ، فقبلها ، واجازهما عليها جائزة عظيمة ، ما سمع بمثلها ، من الثياب الفاخرة والدخائر النفيسة ، واعطاهما فيلاً من افياله ، وشحن

(١) كذا في النصوص ، ولعل المقصود بالطعام : البُرّ والذرة .
(٢) اي القاصد والطواشي .

لهما مركباً من جميع ما تصلح هديته للملوك ، وسيرهما إلى مدينة عدن مكرمين . وكتب إلى متوليها مرجان وامره باكرامهما . فاحتفل بهما احتفالاً عظيماً ، وكانت لهما دخلة عظيمة جداً ، وعمل لهما سماطاً عظيماً . اجمع من حضر أنه اعظم من السماط الذي يعمل لمولانا السلطان . كل ذلك باسارة مولانا السلطان فإنه أمر بالمبالغة في اكرامهما . وكان دخولهما عدن يوم السبت ، سلخ شهر رجب .

وفي يوم الخميس ، الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، طلع جماعة من الصاغة والصيارف إلى الأبواب السلطانية ، بعد أن رسم عليهم الأمير ، باشارة السلطان ، بسبب تهمة جماعة منهم بقص الدراهم . واقاموا مترسمين بزبيد ، في ١٠٤/١ الدار مدة ، وراجع فيهم مولانا السلطان ، فرد جوابه بتسييرهم /إليه . فأرسل بهم ، في الشهر المذكور ، ومعهم احمد بن عين الغزال الحموي ، وأحمد بن مفضل العصّار ، وعمر المحور ، لتهمتهم بذلك ايضاً . فواجهوا مولانا السلطان ، وانكروا ما نسب اليهم . [ثم نزل ابن عين الغزال ، في أوائل شهر شعبان ، متولياً ضمان دار الضرب بزبيد ، كل سنة بثلاثة آلاف دينار][1] .

وفي ليلة الأربعاء ، التاسع عشر من شهر رجب المذكور ، حصل بمدينة عدن ، ولحج ، وابين ، والمسيلة[2] ، وتلك النواحي ، مطر عظيم لم يعهد مثله ، من نصف الليل إلى عصر يوم الأربعاء ، وامتلأت الصهاريج كلها ، حتى تفجرت ، وزاد الماء زيادة عظيمة ، حتى سال إلى البحر ، من نصف الليل إلى آخر النهار ، واشتد حتى اشفق الناس وخافوا ، وسقطت بعدن بيوت حجر كثيرة . وسقط بيت بها على أهله ، فهلك منهم ، تحت الردم ، خمس نسوة وعبد . وسال بولد يقال له بو يوسف البُهَيْسي ، فلم يوجد إلا في البحر ، في البرج الذي ترسي عنده المراكب ، وقد مات . وكان بلحج وابين وتلك النواحي اعظم ميما كان بعدن ، وسقطت البيوت ، وسال السيل بالابل والبقر والغنم واكثر الزروع ، ولم يبقَ مكان إلا عمّه المطر ، وسقى الأراضي ، وسال إلى البحر ، ولله الحمد .

وفي الشهر المذكور ، وصل العلم بوجود المركب العمري السلطاني المفقود

---

(١) جملة ساقطة في (هـ) .
(٢) بياض في (ج) . وفي (د) السنبلة . وفي (هـ) . المسيلة .

من العام الماضي ، وإنه انكسر على قرب من جزيرة سقطرى ، وسلم نحو النصف من الحملة ، ولم يفقد ممن فيه سوى عشرة انفس ، وإن الإفرنج اخذوا ما سلم فيه من جزيرة سقطرى .

وفي الشهر المذكور ، توفي الشريف محمد بن حمزة الهدوي ، وهو ابن بنت الأمير محمد البعداني ، بمحروسة زبيد ، وقرىء له ثلاثة ايام ، بمسجد الأشاعر ، رحمه الله تعالى . وفي شهر شعبان ، توفي الشريف عبدالله الأحدب ابن أبي بكر ابن عبدالله باعلوي بمدينة لحج ، وصلي عليه بجامع زبيد ، وقرىء له ثلاثة أيام بمسجد الأشاعر ، رحمه الله تعالى . وفي شهر رمضان ، توفي صاحبنا السيد الشريف الصالح ، وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن علي باعمر باعلوي ، شهيداً غريباً ببلاد الهند ، ببندر الديو وكان فاضلاً مشاركاً في العلوم ، رحمه الله تعالى . وفي سحر ليلة الجمعة ، السادس والعشرين من رمضان ، توفي الفقيه احمد بن يوسف الحوائجي ، وصلي عليه ، بعد صلاة الجمعة ، بالجامع ، رحمه الله تعالى . وفي ليلة السبت ، السابع والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الفقيه عبد الملك بن عبدالله بن أبي الخير الشماحي ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح ، بمسجد الأشاعر ، ودفن عند أهله ، بمقبرة باب سَهام ، قبلي مقابر القضاة الناشريين ، رحمه الله تعالى .

٢/١٠٤ وفي يوم السبت المذكور ، قدمت كتيبة من الجند ، من اهل الخيل ، من الأبواب الشريفة ، فيها نحو مائة فارس ، بسبب المخرج إلى البلاد الشامية .

وفي يوم السبت ، الرابع من شهر شوال ، جهز الأمير الشريف عبد الله بن سفيان خزانة عظيمة من المال ، وطلعت إلى الأبواب الشريفة ، ومبلغها مائة الف دينار واربعون ألفاً .

وفي ذلك اليوم ، قُيِّد عمر بن شقرا ، وطلع به صحبة الخزانة . وفي صحبتهم ولد الشيخ الصديق الحكمي ، صاحب ابي عريش .

وفي عشية يوم الأحد ، خامس الشهر المذكور ، قدم الشيخ عبد الوهاب بن محرم العنسي إلى مدينة زبيد ، من الأبواب الشريفة ، في عسكر ضليع ، يقال إنه ثلاثة آلاف نفس ، قاصداً الشام ، في صحبة الأمير الشريف .

وفي يوم الثلاثاء ، سابع الشهر المذكور ، قدم الصاغة ، والصيارف ، وابن المفضل ، وابن المحوّر ، من الأبواب الشريفة ، إلى مدينة زبيد .

وفي يوم الخميس ، التاسع منه ، قدمت خيل الاداء من الشام إلى مدينة زبيد ، وعدتها احد واربعون فرساً .

وفي عصر يوم الأحد ، الثاني عشر من شوال ، تقدم الشريف عبد الله بن علي بن سفيان ، والشيخ عبد الوهاب بن محرم العنسي ، في العساكر الواصلة من الباب الشريف إلى الجهات الشامية . فأقام ببيت الفقيه ابن عجيل أياماً ، ثم تقدم إلى اللامية ، ثم إلى المراوعة ، ثم إلى قرية الضحى واستقر بها أياماً .

وفي ضحى يوم الثلاثاء ، العشرين من شوال ، زلزلت مدنية زبيد زلزالاً شديداً . ثم زلزلت مرة اخرى ، في نصف ليلة الأربعاء ، سلخ الشهر المذكور . ثم زلزلت ثالثة ، ضحى يوم الأربعاء المذكور . وانقض ، في عصر ذلك اليوم ، كوكب عظيم من المشرق آخذاً في جهة الشام ، ورُئي نهاراً ، وحصل عقيبه رجفة عظيمة كالرعد الشديد ، وزلزلت مدينة موزع ونواحيها زلزالاً عظيماً ما سمع بمثله ، على ما كتب به اليّ قاضيها ، الفقيه محمد بن احمد الموزعي . فقال حدثت في آخر الشهر ، شهر شوال ، واستمرت إلى الآن ، يعني في آخر شهر ذي الحجة ، تتردد ليلاً ونهاراً ، منها زلازل صغار وزلازل كبار . وقد أضرّت باهل الجهات اضراراً عظيماً ، حتى تصدعت البيوت الوثيقة الكبار ، وخربت البيوت الضعيفة البناء ، وما سلم بيت من التشعث ، وتشققت الأرض المعدة للزراعة ، وتهجمت القبور ، واخترط جملة من الآبار . وإلى الآن لم يرفع ، فالله تعالى يرفعها عن المسلمين .

وفي هذه الأيام ، ارتفعت الاسعار بمدينة زبيد ارتفاعاً عظيماً ، وبلغ الثمن[1] ثلاثة دنانير . وفيها كان اكثر ثمر النخل ضعيفاً جداً .

١٠٥/١ وفي يوم السبت ، التاسع من شهر ذي القعدة /الحرام ، قُتِلَ عبد الله بن عمر بن الهادي القرشي ، في طريق القرشية ، بوادي الصنع ، وقد خرج من مدينة

---

(١) لعل المقصود ثمن القمح . (راجع ص ٢٩٢ هامش ١).

زبيد متوجها إلى القرشية ، فخرج عليه اثنان من الأعلين ، يعرف أحدهما بابن عمامة والآخر بابن الجبلي ، وكانا قد رأياه عند خروجه من باب سهام ، وعرفا أنه وحده . فاستعارا سلاحاً من قرية النويدرة ، ولحقاه إلى الموضع المذكور ، فقتلاه مظلوماً شهيداً . وكان في صحبته شفلوت مترسم عليه ، من جهة الدولة ، فلم يغنِ شيئاً . وهرب عنه إلى القرشية ، واعلم اهله بذلك . فخرجوا له فوجدوه مقتولاً . فحملوه إلى قرية القرشية وغسلوه ، وكفنوه ، وصلوا عليه ، ودفنوه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي ليلة الثلاثاء ، العشرين من الشهر المذكور ، طُعِنَ وَلد لزياد الحبيل طعنة مثخنة ، تحت ثندوته ، ولم يكن عنده أحد . وهرب طاعنه ، فمشى خطوات وهو يقول : قتلني فلان ، يعني محيي الدين بن الصديق بن موسى الهجري ثم الحرضي المستعمل[1] . وحمل إلى باب الدار ، على سرير ، فقال لنائب الامير ، خصمي فلان . ثم حمل إلى بيته ، فمات في الطريق ، قبل أن يصلْ إلى بيته . فلما علم نائب الأمير بموته ، ارسل للمتهم بقتله ، فاختفى . فأمر بهجم بيت أبيه ، فاستغاث ابوه بالشريف حسين بن عبد الرحمن باعلوي ، إذ هو جاره وصاحبه ، فاحتمى عليه ، وعلى اولاده وبيته وعرضه ، فسلم . واحضر ولده المتهم إلى نائب الأمير ، فقيده وادخله السجن ، واطلق والده من الترسيم .

وفي عصر يوم الخميس ، التاسع والعشرين من ذي القعدة ، زلزلت مدينة زبيد زلزلة عظيمة . وكذا في ليلة الجمعة ، سلخ الشهر المذكور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي خامس ذي الحجة ، من السنة المذكورة ، كان قبض حصون ابن منّاع ومعاقله المنيعة ، وهي الظاهرة ، والطاحن[2] ، وتنعم، والحميم ، والمصنعة . وذلك ان الشريف عفيف الدين بن سفيان، والشيخ عبد الوهاب النسي تقدموا لهم[3] من قرية الضحى ، في عسكر عظيم . فبلغوا إلى دبسان[4] ، ثم المنقم ، على نية

(١) كذا في النصوص .
(٢) كذا في النصوص . وفي « قرة العيون »: المطاحن (ج٢ ص ٢١٣)
(٣) كذا في الأصل ، والمقصود الجيوش. وكذلك الأمر في « لَهُمْ » والصواب لها ، أي الحصون .
(٤) في « قرة العيون »: ريسان (ج٢ ص ٢١٣). ويقول المحقق « ولعلها ريشان » (ج٢ ص ١١٧).

المبيت به إلى الصباح . فناوشهم اهل الحصن الحرب . فطلع العسكر المنصور عليهم الجبل ، ولازموهم ، واغاروا عليهم من كل جانب . فطلع الشيخ عبد الوهاب بالعسكر المنصور عليهم ، فانهزموا من الشريف إلى المصنعة . فبات الشيخ عبد الوهاب واصحابه بالشريف إلى صبح يوم الأربعاء ، خامس ذي الحجة ، وصبحهم بالعسكر المنصور ، فانهزموا ، وقتل منهم جماعة بالبندق والسيف ، وهربوا ، وتركوا الحصون خالية . فطلع الأمير الشريف بمن معه من العساكر ، وقبضت المعاقل جميعها في يوم وليلة ، ولله الحمد والمنة . كل / هذا ، ولم يحصل على احد من العساكر تشويش ، بطعنة ولا ضربة ، واستعملت الفرحة لذلك بزبيد ، ولبست الأسواق ، وكُسِيَ المبشرون ، وهرب سليمان المناعي في الجبال ، واستجار من كان قد تبعه من الزيديين بتربة الشريف ابراهيم القديمي ، وتشتت حالهم ، وخمدت نيران الفتن ، وزالت المحن ، ولله الحمد على كافة المنن .

٢ / ١٠٥

وفي الحادي عشر منه ، توفي علي المحالبي ، بمدينة عدن . وفي عصر يوم الثلاثاء ، الثامن عشر من الشهر المذكور ، توفي الفقيه رضي الدين الصديق بن عبد العليم اقبال القرتبي ، ودفن آخر ذلك اليوم ، عند والده ، بمجنة باب القرتب ، بجوار مشهد الفقيه ابي بكر بن علي الحداد . وكان له مشهد عظيم . رحمه الله .

وفي اليوم المذكور ، غرقت سفينة لرجل مصري ، يعرف بالحلاف ، على نخل العبيد ، قريباً من ساحل المخا ، ولم ينجُ من اهلها إلا النادر ، وسلم صاحبها . وكان له فيها مال عظيم ، من لبان وغيره .

وفي هذه السنة ، غرق مروس الحانوتي[1] الذي كان اشتراه من ورثة الدبج ، وصاحبه فيه . فغرق هو وجميع ما في المركب من حمل وآدميين ، ولم يسلم من اهله سوى الشاذ النادر .

وفي الشهر المذكور، تصدق مولانا السلطان، على فقراء مدينة زبيد، باثني عشر الف دينار دراهم ، وبنحو سبعة امداد من التمر ، تقبل الله منه ، واثابه .

وفي يوم السبت ، الثاني والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الخواجا عفيف

(١) كذا في (ج) و(د) وفي (هـ) : بروس الحافوقي .

الدين غبد الله بن بدر هلال ، التاجر المشهور ، بمدينة عدن ، رحمه الله تعالى .

وفي الشهر المذكور ، اتفقت بمدينة عدن قضية عظيمة . وذلك أن امرأة ، تعرف بزوجة ابي الخير بن خليل ، طلبت امرأة يافعية دلالة أن تكتري لها مصاغاً . فلما جاءت به ومعها عجوز اخرى ، اطعمتهما حلوى فيها بنج فتغيرتا ونامتا . فعالجت زوجة ابن خليل وجارية لها العجوز ، بادخال الحديد والخوازيق في فرجها ودبرها ، حتى ظنتا أن قد ماتت ، ثم حملتاها وطرحتاها على مزبلة . فأفاقت العجوز ، بعد مضي نصف الليل ، ووجدت من عرفها . وحملها إلى بيتها . ثم خنقت امرأة[1] خليل وجاريتها المرأة الدلالة ، بثوب حتى ماتت . فلما فقدها اهلها ، سألوا عنها العجوز ، فلم تقدر على الكلام ، واشارت إليهم أن يحملوها . فحملوها على سرير ، وهي تشير لهم على الطريق ، حتى وصلوا بها إلى بيت زوجة ابن خليل . فأشارت اليهم أن يهجموا عليها . فوجدوا المقتولة بين يديها ، وقد دهنتها بسليط ، وقد تورمت المقتولة . وقد اوقدت القاتلة وجاريتها ناراً عظيمة ، ليحرقا المقتولة فيها . فقبضوا عليها وعلى جاريتها ، ودفنوا المقتولة . ثم اقرت زوجة ابن خليل وجاريتها | عند الأمير مرجان، والناظر ابن الشماع ، بقتلها ، فقيدتا واودعتا السجن . وروجع السلطان في ذلك ، وطلع اولياء المقتولة إلى السلطان . فرجع جواب السلطان بالتمكين من القصاص . فدفعتا إلى اولياء المقتولة . فذبحت اخت المقتولة زوجة ابن خليل بيدها ، وعَفَتْ عن جاريتها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

١٠٦/١

وفي ليلة الأحد ، سلخ الشهر المذكور ، توفي الفقيه علي بن صالح الناشري ، رحمه الله .

[حوادث سنة سبع عشرة وتسعمائة]

وفي ضحى يوم الخميس ، الرابع من شهر المحرم الحرام ، سنة سبع عشرة وتسعمائة ، توفي الفقيه العالم الصالح ، وجيه الدين ، عبد الرحمن بن شيخنا ، القاضي صفي الدين ، احمد بن عمر المزجد ، إلى رحمة الله تعالى ، وصلي عليه ، بعد صلاة العصر ، بمسجد الأشاعر ، ودفن بجوار الشيخ علي بن

---

(١) في (ج) : بنت خليل ، والتصحيح من (هـ)، مع ان الصواب : امرأة ابن خليل .

المرتضى ، بمقبرة باب سهام ، وأسف عليه والده أسفاً كبيراً ، وصبر واحتسب ، وكان له مشهد عظيم ، وكان قد نجب ودرّس وافتى ، رحمه الله .

وفي يوم الثلاثاء ، السادس عشر من الشهر المذكور ، قدم الشريف عبد الله بن سفيان ، من البلاد الشامية ، وفي صحبته الشيخ عبد الوهاب بن محرم العنسي . فدخلها في هيئة عظيمة ، بخمسة وسبعين فرساً ، مقبوضة من العرب . وكان قد ارسلٰ ، قبل ذلك ، بخيل مقبوضة ، تنيف على الخمسين . فأقام بزبيد وابن العنسي معه .

وفي آخر الشهر المذكور ، قدم الشيخ اسماعيل بن محمد الجبرتي ، من مكة المشرفة ، فبلغ ضامن البلد أن في صحبته جملة من المعشر ، اخذه من اهل زبيد ، من الحرير والكتان وغير ذلك . فأعلم الأمير الشريف بذلك ، وبكى عنده ، وشكى أن عليه مصاريف ، وأن ما معه شيء ، وأن الشيخ اسماعيل قد اخذ جميع المعشر ، وأن غرضه يدخل به صحبته ولا يعطيه منه شيء[1] . فأمر الشريف البوابين أن لا يتركوا الشيخ اسماعيل يدخل بشيء من المعشر . فبلغ ذلك شيخ اسماعيل ، قبل وصوله إلى الباب . فسار بجميع ما معه إلى تربة جده ، الشيخ اسماعيل ، نفع الله به ، وادخل جميع ما معه فيها ، وقال لا أدخل المدينة إلا ان حللت كما يحلل غيري واقام اياماً ، خارج المدينة ، ثم توجه إلى الأبواب الشريفة ، وترك الحوائج في التربة ، مغلقاً عليها . فواجه السلطان وشكى عليه ما لقي ، فارسل معه رسولاً لمسامحة خمسمائة دينار فرجع إلى زبيد ، ودخلها بما معه إلى بيته ، ولم يوجد معه ما يبلغ المبلغ المذكور . وكان في كتاب السلطان أنه إذا لم يوجد معه ما يبلغ ذلك ، سلم الضامن له ما بقي ، فسلّم له الباقي .

١٠٦/٢ وفي شهر صفر منها ، ولدت مولودة بقرية النويذرة ./ وطلب لها من يؤذن في أذنها ، وهو الفقيه الصديق بن عبيهل . فحين بلغ اشهد أن محمداً رسول الله ، سمع الطفلة عندئذ تقول : الله اكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ثلاث مرات ، اخبرني بذلك الفقيه المذكور ، واثنان ممن حضروا ، والعهد عليهم في ذلك .

وفي يوم الاثنين ، خامس شهر ربيع الاول منها ، توفي ضامن البلاد

---

(١) كذا في النصوص كلها والصواب : شيئاً .

اليمانية ، موسى بن معوضة قرماد ، بقرية الحلبوني ، فاخفي موته ، وحمل في محمل ، وجعل عنده ، في المحمل ، اموال السلطان التي قد جمعها من اهل تلك البلاد ، وساروا به إلى موزع ، وقدامه الرماح والمزامير ، حتى دخل به موزع ، ودفن بها ، وسلمت أموال السلطان .

وفي فجر يوم الأربعاء ، الرابع عشر منه ، توفي الشيخ الصالح علي بن اسماعيل المشرع ، إلى رحمة الله تعالى ، ودفن ضحى ذلك اليوم ، إلى جنب والده. وفي آخر ليلة موته ، حصلت زلزلة شديدة بمدينة زبيد . وفي يوم الأربعاء المذكور ، توفي القاضي محمد بن علي الناشري ، بمدينة زبيد ، مفصولاً عن قضاء مدينة عدن . وصلي عليه ، بعد صلاة العصر ، بمسجد الأشاعر ، ودفن إلى جنب والده . رحمه الله تعالى .

وفي الشهر المذكور ، تصدق مولانا السلطان ، على فقراء مدينة زبيد ، بصدقة مبلغها اثني[1] عشر الف دينار ، وتولى تفريقها الفقيه ابراهيم البجلي ، ففرقها .

وفي يوم الاثنين ، السابع عشر من ربيع الآخر ، وهو الخامس من شهر تموز ، حصل بمدينة زبيد مطر عظيم ، من وقت صلاة الظهر إلى العصر . وسقط بيت أحمد المقرطس على جماعة من بني حيان كانوا يسكنون فيه . فمات تحت الردم منهم خمس نسوة ، وسلم طفلان . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس ، العشرين منه ، حصل بمدينة زبيد مطر اعظم من الذي قبله ، وسال الوادي زبيد بسيل عظيم ، وانحطت الأسعار ، ولانت القلوب ، والحمد لله .

وفي عشية يوم الجمعة ، الحادي والعشرين منه ، توجه الشيخ عبد الوهاب بن محرم العنسي من مدينة زبيد إلى الأبواب الشريفة .

وفي يوم الاثنين ، سلخ جمادى الأولى ، توفي العماد بن زين الدين ، وكان شاه بندر مدينة عدن رحمه الله . وفي ليلة الأحد ، العشرين من شهر جمادى

---

(١) كذا في النصوص والصواب : اثنا عشر .

الآخرة، توفي الفقيه الصالح ، ابو القاسم بن علي بن موسى المشرع شهيداً ، بمرجام[1] حصل له ، في ليلة الجمعة ، الحادي عشر من الشهر المذكور ، وهو قاعد بين الناس ، في بيته ، لقراءة مولد النبي ﷺ ، فانكسر رأسه ، واقام تسعة ايام ، ثم مات رحمه الله تعالى . وعوضه الجنة . ولم يعرف قاتله ، ودفن إلى جنب ابيه وجده .

١٠٧/١ وفي الشهر المذكور ، كان الفتح المبين الذي لم يسمع بمثله / في جهات مغارب صنعاء ، على يد الأمير شمس الدين علي محمد البعداني . وذلك أنه توجه من صنعاء إلى جهات المغارب ، يوم السبت ، ثاني شهر جمادى الآخرة ، على طريق بلاد نِهْم . فدخلها في عساكر لا تحصى ، وهرب اهلها إلى رؤوس الجبال ، ولا علم عند الأمير بما انطووا عليه من الخلاف . وتعرضوا للمحطة بالنهب وغيره . فلما تحقق للأمير خلافهم ، شرع في تخريب بلادهم ، وقطع زروعهم . فنزل منهم قدر الفي رام ، يرمون المحطة [بالنشاب والحجر][2] . وكان فتح الحرب منهم . فطلع عليهم العسكر المنصور ، وقتل منهم فوق خمسين نفساً ، منهم كبيرهم ، ونهب ما معهم نهباً عظيماً ، وحمل كل واحد من العسكر قدرته ، وحرقوا ما عجزوا عنه ، واحرقوا الزراعات والأعناب وغيرها ، وخربوا بلادهم جميعها . ثم طلع الأمير إلى جبل ملح ، وتوعر في تلك الجهات حتى اشرف على مأرب ، وعلى معبر بلد ابن مخارش ، وعزم على الخروج إلى بلد ذبيان ، وعيال عبد الله ، من قبائل الطاهر ، ويخرج على ذيفان ، فيأخذ الزرع ، ويرتب المحاط على الحصن ، ويركِّبوا المنجنيقات وغيرها .

وكان قد حصل من اهل ثُلا ما يوجب الادب ، فأدبهم بخمسة عشر الف دينار ، دية مقتول قتلوه عدواناً وظلماً . وقال السلطان لا امان لهم إلا بتسليم الحصن . ومدينة ثلا هذه عظيمة ، في رأس جبل ، وهي متسعة ، وحصنها فوقها ، وجهاتها واسعة ، يقال إنها سبعون بلدة . وثم حصن يقال له البُعَيْرة ، مناظر لها ، إذا الزم رمي حصن ثلا المذكور . فجهّز الأمير جماعة من اهل العروس لطلوع

---

(١) كذا في النسخ والمعنى واضح : اي انه مات بشيء رجم به أو وقع عليه .
(٢) الزيادة من (هـ) .

البعيرة ، [وشرط لهم شيئاً . فدخل عليهم ثمانون رجلاً ، على سبيل المتوعدين وطلعوا البعيرة][1]، في يوم السبت ، رابع الشهر . ولم يشعر بهم صاحب الحصن إلا وهم فيها . فضرب الطبل واستغار ، فأغارت عليه القبائل امثال الجراد من المغارب ، واحاطوا بمن في البعيرة . وكان ابن ناصر الدين ، صاحب كوكبان ، حينئذ في صعدة . وهو يومئذ اقوى الأشراف بالمال والرجال والحصون . فذهب مستنجداً إلى صنعاء ، بولد البهال . ولما رجع ، جعل طريقه علي ثُلا ، واستعان بجموع عظيمة من الأشراف ، فلم يظفروا باحد ممن في البُعَيْرة . وبلغ الخبر إلى الفقيه شمس الدين علي بن محمد النظاري ، وكان حينئذ بمحروسة صنعاء ، قد تركه الأمير بها عند خروجه ، فجهّز خيلاً ورجلاً من صنعاء . ولما بلغ الداعي الخبر ، تجهز بنفسه في ألف راجل معينا لهم .

وبلغ الأميرَ شمس الدين البعداني الخبرُ يوم الأحد ، وقت الغداء ، وهو متوجه من جبل ملح إلى بلد ذيبان . فرجع عن قصده إلى مدينة ثلا . فأغار غارة عظيمة ، لم يسبق إلى مثلها ، وسار سيرة واحدة ، من صبح وقت الغداء ، يوم الأحد ، / إلى صبح يوم الإثنين ، سادس رجب ، فقطع مسافة خمسة أيام على الرواحل في يوم وليلة . فلم يشعروا[2] اهل مدينة ثلا الا وهو محط عليهم ، في سبعمائة فارس وعشرة آلاف راجل . فاستقرّ إلى بعد صلاة الظهر ، وشن الغارات عليهم من كل جانب ، وطلعت عليهم العساكر المنصورة ، ودخلوا المدينة قهراً بالسيف . وكانوا[3] الناس مستعدين طلوعه عليهم ، والأمير شمس الدين بنفسه ، في طائفة من العسكر . ونهب من المدينة قدر ربعها . ثم امر بالكف عن النهب . واسر ابن ناصر الدين صاحب كوكبان ، واعتقل ابن صاحب مُدَع ، وهو شيخ كبير ، واخذ المدفع الكبير الذي كان مع ابن ناصر الدين . ثم حط الأمير وسط ثُلا ، على باب الجامع ، وحصر اهل الحصن ، وكان فيه نحو من اربعمائة نفس أكثرهم نساء . وبذل اهل المغارب جميعها تسليم حصونهم ، وطلبوا الأمان . ثم قبض حصن ثُلا ، وحصون اشيح وكوكبان ، في الثالث عشر من شهر رجب . وهذه جميلة عظيمة ، ما سمع بمثلها قط لاحد ، ولا يكاد يصدق بهذه الغزوة الا من

١٠٧/٢

(١) جملة ساقطة في (ج) والزيادة من (د) و(هـ) .
(٢) كذا في النسخ ، على لغة « أكلوني البراغيث » .
(٣) كذا في الاصل ، والصواب : وكان الناس

رآها ، وطوى الأرض في يوم وليلة [زاده الله فضلاً واعز نصره][1] .

وفي يوم الثلاثاء ، الرابع عشر من شهر رجب ، قدم الشريف عبد القادر بن ابي بكر البزاز مدينة زبيد ، متولياً عمالة الديوان السعيد السلطاني بها . وفي ليلة الأربعاء ، منتصف الشهر المذكور ، عمل احمد بن محمد دهبل الجزار عرساً عظيماً لولده بزبيد ، وحضره جمع عظيم من اهل المدينة والبراري وحيس . وانخسف القمر ، في تلك الليلة خسوفاً عظيماً ، ولم يبق منه إلا اليسير ، واظلمت الدنيا ، وثار الناس الى الصلاة ، في الجامع ، والتضرع والدعاء .

وفي يوم الجمعة ، الرابع والعشرين من الشهر المذكور ، وصل العلم إلى مدينة زبيد بوفاة عبد الرحمن بن الشرف الأحمر مفلوجاً ، وصلي عليه ذلك اليوم ، بعد صلاة العصر ، بمسجد الأشاعر ، ونودي بالقراءة له ثلاثة أيام ، وحضر ، يوم ثالثه ، الشريف عبد الله بن سفيان ، والقاضي عبد الصمد الحرازي ، وجمع كبير ، رحمه الله تعالى .

وفي اواخر الشهر المذكور ، توفي الفقيه أحمد بن يحيى بن غروي الشاعر ، بمدينة تعز ، ودفن بها ، رحمه الله تعالى . وفي شهر شعبان ، توفي الشريف الصالح الزاهد ، جمال الدين محمد بن احمد باعلوي ، بمدينة عدن ، وصلي عليه بجامع زبيد ، آخر جمعة من الشهر المذكور ، وقرىء له ثلاثة ايام ، عند قبر اخيه ، الشريف عبد الرحمن ، رحمهم الله ونفع بهم .

وفي ليلة السبت ، ثالث الشهر المذكور ، احترقت حافة الهنود ، بمدينة زبيد ، احتراقاً عظيماً ، واتى الحريق على جميعها ،/ واخذ جملة من البيوت التي حولها ، واحترق بعض اولاد الهنود ، وتلفت لهم اموال جليلة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ١٠٨/١

وفي يوم الاحد من الشهر المذكور ، غدر بنو الشكاعي بمرتبي حصن الشريف . وذلك أن جماعة من بني الشكاعي طلعوا بشحنة الحصن كالعادة . فأمرهم اصحاب الحصن بالدخول بها ، فوجدوه خالياً من الرجال ، فطمعوا فيه .

---

(١) في (ج) : رحمه الله ورحم سلطانه امين . وفي (هـ) : زاده الله من فضله واعز نصر سلطانه . آمين .

ونزلوا ثانياً وجاءوا بالطعام ، وقد خبأوا فيه اسلحتهم . فلما دخلوا بالطعام ، شهروا اسلحتهم ، وقصدوا مرتبي الحصن فقتلوا النقيب ، ومالوا على بقية اصحابه فقتلوهم ، وتمكنوا من الحصن ، واستقروا به . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس ، الثالث عشر من شهر رمضان ، قصد جمع من اهل قرية الهرمة قرية الشهاليين ، بنخل وادي زبيد ، واهلها قايلون صياماً في نصف النهار . فكبسوهم فيها على غرة . فقتلوا منهم خمسة نفر وهم : الصديق بن احمد قحطان ، واسماعيل بن الصديق المصري ، والعجيلي بن عمر ، وعفيف بن ابراهيم ، والمحبوب ، بسبب دخل بينهم قديم للشهاليين عند الهرامية . وذلك أن رجلاً يعرف بابن الدعدع تزوج امرأة من الهرامية[1] ، في اواخر سنة خمس عشرة وتسعمائة ، فأراد الهرامية ان يمروا بالعروس في قرية الشهاليين ، فمنعهم الشهاليون من ذلك . وحلف الشهاليون بالطلاق ان الهرامية لا يمرون بعروسهم في قريتهم ، وحلف الهرامية بضد ذلك . فتقاوموا على ذلك ، وحصل بينهم جراحات مثخنة . فمات من الهرامية ابن الخليل وابن الكثيبي . فلما كان من شهر رمضان ، في هذه السنة ، ثارت حفيظة الهرامية ، بسبب تعيير نسائهم اياهم في كل وقت بذلك فقصدوا الشهاليين في التاريخ المذكور ، فقتلوا الخمسة المذكورين . ثم قصدوهم يوم الجمعة ثاني الوقعة ، وهم مجتمعون في المجنة ، للقراءة على موتاهم . فلما رآهم الشهاليون هربوا ، ودخلوا البيوت ،فتبعوهم إلى البيوت ، فهربوا منها ، ودخلها الهرامية ، فنهبوها نهباً عظيماً ، ولم يبق لهم باقية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس المذكور ، توفي الشيخ العالم الصالح ، جمال الدين محمد بن اسماعيل المشرع عجيل ، بمدينة زبيد ، ضحى ، وصلي عليه بمسجد الأشاعر ، بعد صلاة العصر ، ودفن إلى جنب أبيه ، قبلي تربة الشيخ اسماعيل بن ابراهيم الجبرتي ، رحمه الله وعوضه الجنة آمين .

وفي يوم الثلاثاء ، الثامن عشر من شهر رمضان ، وصل قاصد ، من الأبواب ١٠٨/٢ السلطانية ، بفصل القاضي عبد الصمد الحرازي عن ولاية /مدينة زبيد ، والزامه الطلوع ، وتفويض امر ولايته إلى القاضي عبد الصمد بن أبي القاسم الجلاد .

---

(١) في (ج) : من الشهاليين الهرامية . والتصحيح من (د) و (هـ) .

فارسلت الكتب إلى الشريف العفيف ، وهو يومئذ ببيت الفقيه ابن عجيل . وكان قد خرج إليها في سابع عشر رمضان ، بسبب المحطة على حصن الشريف . فرجع جواب الشريف بامتثال الأمر الشريف ، وعدم المراجعة في ذلك . فتوجه الحرازي إلى مخدومه ، في سحر يوم الخميس ، العشرين من الشهر المذكور ، ولم يعلم بخروجه احد ، وفتح له باب القرتب ليلاً ، فخرج منه ثم اغلق بعده ، وتوجه على طريق حيس .

وفي شهر شوال ، خسف بفيل السلطان المسمى مرزوق ، بقرية يقال لها الركن ، من زوايا الشيخ صفي الدين ، قطب زمانه وواسطة عقد أقرانه ، أحمد بن علوان نفع الله به ، قريباً من قرية يفرس . وكان قد أدخله[1] بيت بعض الفقراء الشيخ كرهاً ، وسألهم ما لا طاقة لهم بتسليمه . فلم يشعروا حتى غار أكثر الفيل في الأرض ، وكانت من الصفا ، من قبل رجليه ، فصرخ صرخات ومات ، لارحم الله سائسه . وكان عبرة لمن رآه . ولم يقدر أحد على إخراج شيء منه ، من موضع الخسفة .

وفي يوم الاثنين ، الثالث عشر من ذي الحجة الحرام ، طعن ولد لمحمد المجبني اسمه عبدالرحمن ، ولداً لإسماعيل المدور ، اسمه أحمد ، من أهل العلي ، وكانا داخلين في سماع العيد ، مع جماعة الشيخ إسماعيل الجبرتي . فتعرض ابن المدور بجهله لجماعة في آخر الناس، وسفّه عليهم بلسانه ، وانتضى سكيناً كانت معه ليطعن بها . فعالجه ابن المجبني ، وأخذها من يده ، وطعنه بها طعنات مثخنة ، فسقط لحينه ، وحمل إلى بيته ومات بعد يومين . واستجار ابن المجبني ببيت الشيخ إسماعيل الجبرتي . فلما مات ابن المدور ، هجمت الدولة بيت المجبني وأمسكوا والده ، وقيّد وحُبِس . وأمر نائب الشريف بدقّ بيته . فحمى عنه الشيخ إسماعيل ، والتزم حضور الولد ، وأحضره إلى بيت القاضي أحمد بن عمر المزجد ، وقال له احبسه . فقال : كيف أحبس من لم يثبت عليه عندي حق ؟ بل المصلحة أن تذهب به إلى سجن الدولة . فذهب به الشيخ إسماعيل إلى حاكم السياسة فحبسه . [وأفرج عن والده ، وأطلقهٔ ، وأطلق له بيته . وادعى أولياء

---

(١) كذا ، دون ذكر الفاعل ، وهو السائس ، كما تدل عليه نهاية الجملة .

المقتول ، عند القاضي عبدالرحمن المطيب الحنفي ، على القاتل ، وأحضر مقيداً ، إلى مجلس الشرع الشريف . وكاد الحق أن يثبت عليه ، فلم يثبت كما ينبغي فاسد[1]][2] فحبسه إلى وصول مولانا السلطان . ثم أمر بمقابلته هو وخصومه إلى الشريعة . فلم تثبت عليه بينة عادلة فاطلق .

وفي يوم الأربعاء ، الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام ، توفي الشيخ الصالح ، أبو القاسم الحسن بن أحمد المشرع عجيل ، بمكة المشرفة . وكان قد انقطع للمجاورة بالحرمين الشريفين ! فكان يقيم بمكة أياماً وبالمدينة أياماً ، وصلي عليه بالحرم الشريف ، بعد صلاة العصر من ذلك اليوم ، وشيعه جمع عظيم ، وحملت جنازته على الرؤوس ، ودفن بالمعلاة ، رحمه الله . ١/١٠٩

[حوادث سنة ثماني عشرة وتسعمائة]

وفي يوم السبت ، ثامن المحرم ، أول سنة ثماني عشرة وتسعمائة ، توفي الشيخ الصالح ، عفيف الدين ، عبدالله بن عبدالرزاق الجبرتي ، بالمدينة الشريفة بعد الحج والزيارة ، رحمه الله .

وفي يوم الاثنين ، الثامن عشر منه ، احترقت حافة المسراح ، من الربع الأعلى ، بزبيد المحروسة ، وسائر ما هنالك . وبلغ الحريق إلى مسجد فوفله ، وكان ابتداؤه من جوار المدرسة العفيفية ، آخذاً في الشرق والشام . وتلفت فيه أموال جليلة . واحترق فيه ولد حنون ، ومات ليلة الثلاثاء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم السبت ، الثالث والعشرين منه ، قدم أحد بني السنبلي بخيل الأداء ، من الجهات الشامية ، وكانت فوق خمسين رأساً .

وفي ليلة الاثنين ، الثاني من شهر صفر ، توفي القاضي شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المحالبي ، ببيت الفقيه ابن عجيل ، ودفن بتربتها رحمه الله .

---

(١) كذا في (ج) : وفي (هـ): فاسيد . ولعله يريد فأسِدّ ، مِنَ السَّدّ ، العيب ، أي عِيبَ .
(٢) [ ] : هذه العبارات ساقطة في (د) .

وفي يوم الخميس ، الخامس منه ، توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد الموزعي ، بمدينة زبيد ، قافلاً من الحج . وكان فاضلاً عالماً ، ولي قضاء المقرانة ، ثم موزع ، ثم فصل عنها . فحج ومات عقب ذلك ، في التاريخ المذكور ، ودفن بمجنة باب القرتب ، رحمه الله . وفي يوم الاثنين ، سابع[1] الشهر المذكور ، توفي الشيخ الصالح ، شمس الدين علي محمد السدج ، ببلده من أُصاب ، ودفن بها ، رحمه الله ونفع به . وفي ليلة الاثنين ، السادس عشر من الشهر المذكور ، توفي القاضي عفيف الدين عبدالعليم ابن القاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط ، بعد طول مرض ، بمدينة زبيد . وكان قد قدم إليها ، في السنة التي قبلها ، من مدينة إبّ ، متوعكاً ، بعد طلوع ولده ، الفقيه عفيف الدين عبدالله إليه ، فجعله نائباً له ، وقدم إلى مدينة زبيد . فلم يزل بها مريضاً ، حتى قبل موته بأيام وصل ابنه عبدالله إليه باستدعائه له ، فمات بعد قدومه بأيام ، في التاريخ المذكور ، رحمه الله . ونعم الرجل كان ، فقهاً ، وصلاحاً ، وديناً ، وأمانة ، وعفة ، وصيانة ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح ، يوم الاثنين ، بمسجد الأشاعر ، وشيعه خلق كثير ، ودفن إلى جنب والده ، بمجنة باب سَهام رحمه الله .

وفي عصر يوم الأحد ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، قدم مولانا السلطان ، من محروسة المقرانة إلى مدينة تعز ، وفي صحبته ولداه الشيخ عبدالوهاب وأحمد ، وصنوه عبدالملك ، وجمع من بني طاهر . فأقام بمدينة تعز ، حتى توجه منها إلى مدينة زبيد ، في التاريخ الآتي ذكره .

وفي يوم الخميس ، الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، احترقت حافة الهنود بزبيد . وكان ابتداء الحريق ، من قبالة بيت ابن إسحاق ، غربي الخان ، آخذاً في اليمن ، وانتهاؤه إلى بيت العلامة يوسف المقري . وتلفت فيه من البيوت والأموال ما لا يحصى . واحترقت قرية الزريبة أجمعها ، يوم الأربعاء ، مستهل شهر ربيع الآخر ، [ولم يبق منها إلا نحو عشرين بيتاً للمشايخ بني أفلح][2] / ٢٠٩/٢

وفي شهر ربيع الأول ، كان قبض حصن كوكبان ، على يد الأمير شمس

---

(١) كذا في الأصول ، والصواب : التاسع كما يتبين من تعداد الأيام .
(٢) جملة ساقطة في (هـ) .

الدين على محمد البعداني . ووصل المبشر بذلك إلى مولانا السلطان ، وهو بمدينة تعز ، في آخر الشهر المذكور . ثم توجه مولانا أالسلطان ، من مدينة تعز إلى مدينة زبيد ، يوم الثلاثاء ، سلخ شهر ربيع الأول ، على طريق مدينة حيس . فأقام بها نحو أربعة أيام . ثم قدم إلى زبيد ، فدخلها عشية يوم الثلاثاء ، السابع من شهر ربيع الآخر ، دخولاً معظماً . وحصل بقدومه الانس التام ، والسرور الخاص والعام ، وفرج الله بقدومه الشدائد ، وأعاد عوائد الجميل وجميل العوائد . وقدم في صحبته الشيخ عبدالملك وولده الشيخ عبدالوهاب ، وأولاد الشيخ عبدالله بن عامر ، وأولاد الشيخ محمد بن عبدالملك ، وأولاد الشيخ أحمد بن محمد بن داود وجماعة من آل طاهر ، ولم يتخلف عنه أحد منه سوى ولده ، الشيخ شهاب الدين أحمد ، والفقيه جمال الدين النظاري ، والفقيه عمر الجبرتي ، والشريف عبدالرحمن بن حسين باعلوي ، أمرهم بالإقامة بمدينة تعز .

وفي يوم الأحد ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، توفي صاحب الحجاز ، الشريف قايتباي بن محمد بن بركات الحسني[1] ، بالوادي ، وحمل إلى مكة ، فدفن بها ، صبح الاثنين ، الثاني والعشرين منه . وتوفي قبله الخواجا محمد بن يوسف القاري بجدة ، وكان شاه بندرها ، وحمل إلى مكة ، ودفن بها . وفي يوم الاثنين ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الشريف عبدالله بن سفيان ، ببيت الفقيه ابن عجيل ، بعد أن حمل إليها من محطة الشريف ، شديد المرض ، فأقام ببيت الفقيه أبي القاسم بن الطاهر بن جعمان ، يومين أو ثلاثة ، وتوفي عنده . فجهز وصلي عليه ، ودفن بتربة الفقيه أحمد بن موسى ، عند الفقهاء بني جعمان ، رحمه الله . ووصل العلم بذلك إلى زبيد ، صبح يوم الثلاثاء ، فأمر السلطان محمد بن عمر بن عبدالعزيز بالمسير إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، والإحاطة على جميع ما خلفه . وأرسل إلى بلده الظُّبيّات بمثل ذلك ، وإلى كل موضع له فيه ملك أو شركة أو تعلق ، وأمر بالإحاطة على جميع ذلك . وأمر الفقيه محمد بن عبدالعليم البريهي ، ويوسف ابن الأمير عمر بن عبدالعزيز ، وجماعة من الكتاب ، بالمسير إلى الظبيات لقبض ما فيها . فامتثل الأمر الشريف . ثم رفع إلى مسامع السلطان كلام ، في يوسف بن عمر بن

---

(١) كلمة ساقطة من (د) و(هـ) .

عبدالعزيز ، يقتضي أنه خان في بعض ودائع كان الشريف أودعه إياها . فلما قدم من الظبيات ، أمر السلطان بتقييده ، قبل أن يذهب إلى بيته ، وأودعه دار الأدب ، بالدار الكبير .

وفي يوم قدوم مولانا السلطان ، إلى مدينة زبيد ، كان ابتداء المطر الخريفي بزبيد . واستمر ذلك من حين قدومه ، ليلاً ونهاراً ، إلى أواخر شهر رجب ، وتلفت ثمرة النخل ، بسبب ذلك ، تلافاً ما سمع بمثله ، ولم ينتفع منها بشيء . وخربت بيوت مدينة زبيد ، وجاء الوادي زبيد بسيول عظيمة ، اخربت الشرج والأراضي .
١١٠/١ وتلفت الزروع وشبعت/البهائم ، ولان سعر الطعام[١] ، واشتد غلاء الألبان ، واللحم والسمن وغير ذلك .

وفي يوم الأربعاء ، الثالث عشر من جمادى الأولى ، توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن حسن الصَّيَاحي ، مفتي مدينة تعز . وتوفي قبله القاضي علاء القحمي ، بثلاثة أيام ، بمدينة تعز ، رحمهما الله تعالى .

وفي منتصف شهر جمادى الأولى ، تسلم مولانا السلطان حصن الشريف . وسأل بنو الشكاعي الذمة ، من مولانا السلطان ، على يد الفقيه الصالح ، تقي الدين عمر بن محمد بن جعمان ، فأجاب إلى ذلك ، وكتب لهم بالأمان . فدخلوا عليه ، وعفا عنهم ، وأكرمهم ، وكساهم ، وتصدق عليهم بمال جزيل ، ورتب في الحصن ، من قبله ، من يثق به . وانحسمت مادة الخلاف ، في مُخاليف تهامة ، ولله الحمد .

وفي أواخر الشهر ، قدم بلال القارىء ، من محطة الشريف ، بعد قبضه ، وفي صحبته عبدالرحمن بن يحيى النجم ، ضامن البلاد الشامية : فشال ، وذؤال ، وما إليهما . وكان قد استجار ببيت الفقيه ابن عجيل ، عند الفقيه عمر بن جعمان ، وطلب [من السلطان الذمة ، على يد الفقيه المذكور ، ففعل . وقدم إلى زبيد ، ومعه][٢] ولد الفقيه عمر ، الفقيه شهاب الدين أحمد بن عمر جعمان . وأمنه مولانا

---

(١) من الواضح ، أن المؤلف لا يعني بكلمة طعام كل ما يؤكل ، ولكنه يقصد نوعاً واحداً من الأطعمة ، وهو البرّ والذرة .
(٢) جملة ساقطة من (ج) .

السلطان ، بعد أن كان رسم على أصهاره ، أولاد أحمد بن عبدالرحمن ، والشرف الصديق ، وعبد الباقي . وتجور أهل بيته بزبيد ، وصهره عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم الشرف . فأخذهم بذلك ، واتهمهم بالتواطوء على ذلك ، وأمر بالترسيم عليهم ، وحبسهم ، ومصادرتهم في أربعة آلاف دينار ، فسلموها ، وخرجوا .

وكان دخول بلال القاري ، إلى مدينة زبيد ، دخولاً معظماً . وصحبته ، من الكعبيين ، تسعةٌ وأربعون أسيراً مقيدين ، ومن رؤوس المفسدين ، ثلاثة عشر رأساً . ومن خيل الكعبيين ، عشر رؤوس .

وفي عشية يوم الخميس ، السابع من شهر جمادى الآخرة ، قدم الشيخ عبدالوهاب بن محرم العنسي ، من البلاد الشامية ، بعد قبض حصن الشريف ، وبعد خروج الفقيه عبدالكريم بن علوان ، لعمارة الحصن وتحصينه .

ولما مات الشريف العفيف ، في التاريخ المذكور ، طلب السلطان أخوته عبدالرحمن وعبدالرحيم ، وسألهما ما عند أخيهما من أمواله . فقالا لا علم لنا بذلك ، بل ننذر بجميع ما يخصنا من تركته لمولانا السلطان . ففعلا ، وأعطاهما ، تحللاً منهما ، سبعة وعشرين ألف دينار . ونذرت زوجة الشريف العفيف ، بنت الشيخ المعروف الخليفي ، بحصتها من تركه لمولانا السلطان ، فأعطاها ، في مقابلة ذلك ، ألف دينار ، وأرسل كتّابه ، ومنهم أبو بكر بن الشرف الأحمر ، وعبدالقادر بن الشرف الجلاد ، والفقيه يوسف بن عمر بن عبدالعزيز ، والفقيه محمد بن عبدالعليم البريهي ، إلى الظُّبيات ، بسبب قبض ذلك . فقبض جميع ما وجد فيها من الأموال ، والذخائر ، والسلاح ، وغير ذلك . وظفر السلطان بتنزيل الشريف ، بخطه[1] ، بما له من الودائع عند الناس . فطالب بها فسلمت ، وبقي بعضها عند جماعة لم يعترفوا بها ، فرسم عليهم .

وفي يوم الخميس ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، توفي منصوب القرشية ، /الفقيه محمد بن الصديق بن ناصر ، رحمه الله . وتوفي والده ، رحمه الله ، يوم الاثنين ، ثاني شهر رجب منها . ٢/١١٠أ

---

(١) في (ج): لحظه . والتصحيح من (د) .

وفي يوم الاثنين ، سابع شهر جمادي الآخرة ، هرب محمد البندقي[1] ، من مدينة زبيد ليلاً، تسور سورها في جماعة من أصحابه البندقيين، نحو أحد عشر رجلاً، وقصدوا جهة المتينة. ووجدوا سفينة متجهزة، فركب فيها فأحس أهلها بأنه هارب . فحاولوه ، وقرروا عليه ، وقالوا نحن نسير بك حيث نشاء . فقال لهم أنا خائف من السلطان . فقويت ريبتهم ، وقالوا ما للسلطان على هذه البلدة سبيل . ولما بلغ السلطان خبر هربه ، أرسل الطلب في كل جهة له . فلما كان في آخر النهار ، وصل العلم إلى مولانا السلطان بالظفر به ، في قرية المتينة . وأنه قد صار تحت الحفظ فطاب خاطر السلطان بذلك ، وأمر بالقدوم به على أزرى هيئة . فقدم به ماشياً ، حافياً ، حاسر الرأس ، بغير رداء ، مكتوف اليدين ، كتافاً عظيماً ، وأصحابه كذلك . ثم قُيِّدوا وصلبوا في الشمس ، في رحبة الدار ، طول يومهم . وأما هو فقيد بقيدين ، وكادت روحه تزهق من ألم الكتاف ، وحر الشمس . فأمر مولانا السلطان بإدخاله إلى الدار ، وفك الكتاف عنه ، شفقة عليه ، وجعل عليه ترسيماً ، وأطلق أصحابه ، وأدخلهم السجن .

وفي ليلة الأربعاء ، التاسع عشر من الشهر المذكور ، توفي الحاج السكندراني الدلال ، بمدينة زبيد . وكان قد قدم إليها وتدبرها . ولم يكن وارث حاضر ، فأمر مولانا السلطان بالإحاطة على تركته ، ومن جملتها البيت العظيم الذي اشتراه من مخلف محمد[2] الشفليت ، بحافة السائلة ، من ربع المعاصر .

وفي عشية يوم الأربعاء المذكور ، توفي الفقيه الصالح ، شهاب الدين أحمد بن علي الواحدي المقري ، بمدينة زبيد ، ودفن قبل غروب الشمس من اليوم ، غربي مشهد الشيخ أحمد الصياد . وكان رجلاً مباركاً ، له قرب من السلطان ، بل كان يؤمه في الصلوات الخمس ، رحمه الله .

وفي شهر رجب ، كثر الموت بزبيد ، وعمّ الوباء ، وبلغت الموتى في كل يوم إلى قريب مائة نفس . ومات بسببه ، من الأعيان وغيرهم ، خلائق لا يحصون . وفي يوم الثلاثاء ، عاشر رجب ، توفي النقيب بلال القاري الظافري ، ودفن قريباً من مشهد الشيخ أحمد الصياد . وتوفي إبراهيم بن شارب بعده ، يوم

---

(١) كذا ضبطها في (د) و(هـ) . أما في (ج) فبدون نقط .
(٢) كلمة ساقطة في (ج) .

الخميس ، الثاني عشر من الشهر المذكور . وتوفي الحاج شهاب الدين العجمي ، يوم الأربعاء ، الخامس والعشرين منه . وتوفي حسن بن علي دعيش ، ليلة السبت الثامن والعشرين منه . وتوفي الفقيه حسام الدين عيسى عطيفة ، المدرس بجامع زبيد ، ليلة الأحد ، التاسع والعشرين منه . وتوفي الشيخ موسى بن أبي الغيث الخاص ، صاحب المرثاة بها ، يوم الاثنين ، سلخ الشهر المذكور . وتوفي الفقيه السند بن محمد الأمين عجيل ، ليلة الجمعة ، الرابع من شعبان . وتوفي الفقيه محمد الكرماني ، ليلة السبت الخامس منه وتوفي الفقيه الصالح ، حسين بن محمد بن نور الدين ، يوم السبت ، ثاني عشر الشهر المذكور . وتوفي الفقيه أحمد بن حسن النجار ، في ليلة الأحد ، الثالث عشر منه . وتوفي الشيخ علي / بن محمد الجبرتي ، ليلة الاثنين ، ١/١١١ الرابع عشر منه . وتوفي الخواجا عمر بن محمد باحماد ، بزبيد ، ليلة الاثنين ، التاسع والعشرين ، ودفن صبح يومها ، بجوار مشهد الفقيه أبي بكر الحداد ، بمجنة باب القرتب .

وفي أواخر شعبان ، أمر السلطان بمباشرة المساجد والمدارس التي لها وقف بزبيد ، والتحويط على الغلات ، وقبض نصفها للديوان السلطاني ، برسم العمرة . فامتثل أمره الشريف ، وحصل على أكثر الفقهاء بذلك الضرر العظيم ، والحزن الدائم المقيم . وكان المشير بذلك ، على السلطان ، من أعوان الشيطان ، لا جازاه الله على أفعاله ، بحق محمد[1] وآله آمين .

وفي يوم الأربعاء ، مستهل رمضان ، توفي النقيب جوهر جعدان الظافري وكان فكاك الفقيه يوسف بن عمر بن عبدالعزيز من السجن والقيد ، يوم الخميس ، ثاني رمضان ، على تسليم مال عظيم .

وتوفي الشيخ ناصرالدين البقلي الخانكي ، الشهير بابن فليفلة ، بزبيد ، ليلة الجمعة ، العاشر من رمضان . وتوفي الفقيه عبدالرزاق بن الصديق مكيعس ، نائب الشريعة ، بقرية التربية ، يوم الثلاثاء الرابع عشر منه . وتوفي عبداللطيف بن الشرف الأحمر ، ليلة الخميس ، الثالث والعشرين منه . وتوفي الشيخ عبدالله بن يوسف بن أبي العباس المتار ، ليلة الأربعاء ، قبله .

---

(١) في (ج) : بمحمد ، بدلاً من : بحق محمد .

وتوجه الفقيه جمال الدين النظاري ، إلى الجهات الشامية ، آخر الجمعة ، الرابع والعشرين من رمضان .

وفي شهر رمضان وما قبله ، تصدق مولانا السلطان ، على فقراء زبيد ، بصدقة عظيمة ، قيل إن مبلغها عشرة آلاف دينار . فانتفع بها من حصلت له انتفاعاً كلياً . وكانت من أعظم الحسنات ، لوقوعها في وقت الحاجة والضرورة ، ضاعف الله ثوابه آمين .

وفي آخر يوم من رمضان ، أمر مولانا السلطان بنقل مصلى العيد ، من مكانه إلى يماني المجرى ، غربي الحائط المسمى بحائط قريش ، فامتثل أمره الشريف ، وصلى فيه يوم عيد الفطر . وكان عمل الجبانة والمنبر لم يفرغ . ثم صلى فيه لعيد النحر ، وقد تم عمله ، وعمل القنطرة التي على المجرى .

وفي الشهر المذكور ، أحدث مولانا السلطان ، في الدار الكبير ، من جانبه القبلي الشرقي ، بناء كثيراً ، ومناظر ، ودرجاً[1] ، ومنتزهات . وتوفي عبدالله بن محمد الدنبولي[2] ، غلام السلطان ، ليلة الأربعاء ، ثالث شوال . وخرج الأمير عيسى بن علي الحُجُري ، إلى الجهات الشامية ، ليلة الخامس من شوال ، ومعه ضامن البلاد ، علي بن عبدالحق . واطلع السلطان على باطنه ، من بني سبا ومن والاهم ، بعد أن أنعم عليهم وكساهم ، وفسح لهم بالتوجه إلى بلادهم ، فأمر بتجبيرهم وطالبهم بالرهائن .

وفي ضحى يوم الجمعة ، الرابع من ذي القعدة ، توفي الفقيه الخطيب المعمر ، عفيف الدين عبدالمنعم بن موسى الضجاعي ، وصلي عليه ، بعد صلاة الجمعة ، بالجامع المبارك ، ودفن إلى جنب والده ، رحمه الله تعالى .

وفي ذلك اليوم ، توفي يوسف بن أحمد الهندوان العطار ، ودفن بعد صلاة العصر .

١١١/٢ وفي يوم الاثنين ، الثامن من ذي الحجة الحرام ،كان قدوم الشيخ / شهاب

---

(١) في النسخ : ودرج .

(٢) في النسخ : الدنبولي ، بدون نقط .

الدين أحمد ابن مولانا السلطان ، من مدينة تعز إلى زبيد . وفي صحبته الفقيه علي محمد النظاري ، والشريف عبدالرحمن بن حسين باعلوي ، والفقيه عمر الجبرتي . وكان قدومه يوماً عظيماً .

وفي منتصف الشهر المذكور ، أمسك الفقيه عبدالكريم بن أحمد علوان جماعة من المعازبة ، ببيت الفقيه ابن عجيل ، وقيد منهم ، من مشايخهم[1] ، أربعة عشر نفراً ، وأرسل بهم إلى باب السلطان ، بزبيد . فلما وصلوا إلى خارج المدينة ، أمر السلطان بالدخول بهم مترسمين ، إلى دار السلا . ونقل إلى المسامع الكريمة ما غير الخاطر الشريف على الفقيه عبدالكريم بن علوان ، فأرسل له السلطان من أقدمه إلى زبيد ، مترسماً مقيداً ، وفك المعازبة .

[وفي أواخر الشهر المذكور ، تم عمل المخرق الذي أمر مولانا السلطان بسده وردمه بالوادي زبيد ، من غربي قرية القاطع ، قريباً من قرية المغرس . وكان ابتداء عمله في ذي القعدة . وكان الوادي قد أتلف ذلك المكان . فأمر مولانا السلطان بعمل سد عظيم ، في بطن الوادي ، فامتثل أمره الشريف ، وبني بناء محكماً لم يسمع بمثله ، طوله ستة وستون ذراعاً ، وعرضه خمسة عشر ذراعاً ، وارتفاعه في الهواء نحو خمسين ذراعاً . وكان عمله بالأجر والنورة . ثم ردم على البناء من جانبيه بالتراب العظيم ، حتى صار مثل الجبل . فانقطعت غائلة الوادي ، فلله الحمد والمنة][2] .

[حوادث سنة تسع عشرة وتسعمائة]

[وفي ليلة الخميس ، ثاني شهر المحرم ، أول سنة تسع عشرة وتسعمائة ، توفي القاضي عبدالرحمن بن محمد الحِلّي بزبيد ، وصلّي عليه بعد صلاة الصبح ، بمسجد الأشاعر ، ودفن بمجنة باب سَهام ، عند قبر الطاهر[3] الحلواني . وكان مصاهراً إليهم ، رحمه الله . وفي ليلة الأربعاء ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، توفي بزبيد الأمير مفتاح الجبني ، ودفن ضحى يومها ، بعد أن صلي

---

(١) في (د) و(هـ) . وقيد من متنايحهم ، ولعل الصواب . وقيد منهم ومن مشايخهم .
(٢) كل هذا المقطع ساقط في (د) .
(٣) في (هـ) : طاهر .

عليه بمسجد الأشاعر ، بجوار مشهد الشيخ أحمد الصياد ، رحمه الله][1] .

وفي الشهر المذكور ، وصل العلم بقدوم ثمانية عشر مركباً ، إلى بندر عدن ، فيها جمع عظيم من الافرنج ، فجهز مولانا السلطان عسكراً إلى الثغر المحروس ، وأمر بالتحفظ والتحرز ، فامتثل أمره الشريف . وأمر بالقنوت عليهم في الصلوات الخمس ، بمسجد الأشاعر والجامع ، وفي خطبة الجمعة ، يوم الجمعة . وكان وصولهم إلى بندر عدن ليلة الجمعة ، السابع عشر من محرم ، ولم يعلم أحد بوصولهم . فلما كان الصباح ، رآهم أهل عدن في البندر . فأمر الأمير أهل عدن بالتغافل عنهم ، والاشتغال بتحصين البلد من داخلها ، والأخذ بالحزم منهم[2] والتدبير . فأخذ الافرنج شيئاً من حمل المراكب ، فلم يجبهم أحد . فخرجوا إلى الساحل بسلالم قد استعملوها واستصحبوها ، فوق الأربعين ، ونصبوها على أقفر جانب من سور مدينة عدن . فطلعوا عليها إلى السور ، ودخل بعضهم المدينة .

١٢/١ |فأمر الأمير أهل عدن بالخروج لهم ، من باب مكسور . فخرجوا ، وحازوا عليهم السلالم ، وقتلوا منهم جمعاً كثيراً ، وأسروا أربعة نفر . فانهزم الافرنج ورجعوا إلى أماكنهم خائبين ، وارتفعوا عن المكان الذي كانوا قد نزلوا به رأي العين ، وتحققوا أنهم لا قدرة لهم على المدينة ، فأحرقوا الخشب التي كانت في البندر ، وكانت فوق الأربعين ليأمنوا غارتها بعدهم . ثم ساروا إلى باب المندب ، ثم إلى المخا [ومروا بها][3] ، ثم إلى البقعة والمتينة . ولم يدخلوا شيئاً من هذه البنادر ، إذ كان أهلها ، وعساكر السلطان ، يتراءون لهم عليها بالسلاح وعدة الحرب . ثم ساروا إلى الحديدة ، وحاولوا دخولها ، فلم يقدروا . ثم ساروا إلى كمران ، فدخلوها في أوائل صفر ، ونهبوا ما فيها ، وقتلوا من وجدوه بها من الدولة ، ومنهم الشريف محمد بن عبدالعزيز بن سفيان ، وعبدالله بن أحمد العصين[4] وغيرهما . ثم حاولوا دخول الجزيرة ، فلما نزلوا إليها ، وجدوا عساكر السلطان ترقبهم بها ، فانهزموا ورجعوا إلى البحر خائبين .

---

(١) [ ] : مقطع ساقط في (د) .
(٢) كلمة ساقطة في (د) و(هـ)
(٣) الزيادة من (د) و(هـ) .
(٤) في (د) : أحمد بن الغضين .
(٥) في (هـ) : الحرجرة .

وفي ليلة الجمعة ، الرابع والعشرين من الشهر المذكور ، توفي الشريف جعفر بن أبي العباس بن أبي سلطان ، امام مسجد الهند ، بزبيد ، فجأة ، ودفن صبح يوم الجمعة ، رحمه الله .

وفي يوم الإثنين ، الخامس من صفر ، اجتمع طلبة العلم الشريف ، لقراءة صحيح البخاري ، بمسجد الأشاعر ، باشارة من مولانا السلطان ، بسبب الدعاء على طائفة الإفرنج الواصلين إلى عدن ، ثم قرئ في يوم الثلاثاء ، بمسجد الجامع ، وفي يوم الأربعاء ، بالمدرسة المنصورية [الوهابية][1] ، باشارة من مولانا السلطان ، وحضرت جموع كثيرة بسبب ذلك .

وفي عشية يوم الثلاثاء ، سادس الشهر المذكور ، توفي الفقيه ابو القاسم ابن القاضي عبدالله الناشري ، ودفن صبح يوم الأربعاء ، رحمه الله . وفي عشية ذلك اليوم ، توفي احمد بن أبي القاسم العطار ، ودفن آخر ذلك اليوم رحمه الله .

واستمرت القراءة على الإفرنج ، بعد صلاة الجمعة ، بالجامع الظافري بزبيد ، من يوم الجمعة ، تاسع الشهر المذكور ، إلى أن عزموا من كمران . فكان يُقرأ ، في كل يوم جمعة ، فوق العشرين ختمة ، ويتبع بقراءة ليس اربع مرات ، وسورة تبارك الملك ، والصلاة على النبي ﷺ ، والدعاء عقيب ذلك ، بتشتيتهم ، وتفريقهم ، وتمزيقهم ، وتغريقهم .

وفي الشهر المذكور ، تمالأ جمع ، من أهل مدينة صنعاء ، على قتل الأمير علي محمد البعداني غدراً ، وعدواناً ، وظلماً ، وطغياناً ، ففضحهم الله تعالى ، واطلع الأمير على ذلك ، واظفره بهم . فنكل بهم اشد النكال ، واذاقهم شديد الوبال ، ولله الحمد والمنة .

وفي يوم السبت ، تاسع الشهر المذكور ، توفي الفقيه علي محمد الزهري رحمه الله . وفي يوم السبت ، تاسع الشهر المذكور ، توفي الفقيه محمد الأمين الحسيني الخياط المقري ، رحمه الله تعالى . وفي آخر ليلة السبت ، السادس عشر ١١٢/٢ من الشهر المذكور ، توفي الأمير محمد بن عمر بن عبد العزيز الحبيشي ،بزبيد ،

---

(١) كلمة ساقطة من (ج) .

بعد فكاكه من الحبس والقيد والترسيم ، بثمانية أيام ، في بيت اخيه ، الفقيه يوسف ابن عمر بن عبد العزيز ، ودفن ضحى يومها ، بالتربة الطلحية ، تحت الشجرة الحمر ، من الجانب الأيمن ، رحمه الله . وفي يوم الأحد ، الثامن من ربيع الآخر ، توفي الفقيه عبد العزيز بن محمد الجهمي ، صاحب المصباح ، بزبيد ، فجأة ، وصلي عليه ، بعد صلاة العصر ، بمسجد الأشاعر ، ودفن بالقرب من مشهد الشيخ احمد الصياد ، رحمه الله ، وعوضه الجنة آمين .

واقام الافرنج بكمران ، من اوائل صفر إلى نصف جمادى الأولى ، واخربوها ، وطموا آبارها ، وعفوا آثارها ، ثم رجعوا إلى عدن ، فوصلوها يوم الجمعة ، الثامن عشر من الشهر المذكور ، وطرحوا مراكبهم في الأماكن التي طرحوها فيها أول مرة ، وعدتها ستة عشر مركباً ، وتوجه المركبان الباقيان من كمران إلى زيلع ، فاحرقوا ما في بندرها من الخشب ، وكانت نحو العشرة ، ثم لحقوا صحابهم إلى بندر عدن ، فاجتمعوا في بندرها ، يوم الخميس ، رابع عشر من الشهر . وكان لاصحابهم ، لقدومهم من زيلع ، فرح عظيم ، وضربوا المدافع ، ونشروا الاعلام . وكان الافرنج الواصلون قبلهم فتحوا الحرب على مدينة عدن ، فلم يقعوا على طائل ، لتحصين البلاد وخبرة اهل عدن بحربهم ، من الفعلة الأولى . فضربوا المدافع على عدن ، وصدعوا بعض البيوت ، وقتلوا جماعة ، في الأسواق ، بالمدافع التي يضربونها .

ولما وصل اصحابهم من زيلع إستعدوا للحرب واحرقوا ما جاوزهم من المراكب التي بالساحل ، وكانت قدر عشرين مركباً . ثم نزلوا إلى الساحل ليلاً ، في السنابيق ، والبحر حينئذ عار ، وقد استعد أهل عدن بسلاحهم ، ورتبوا في الساحل . فنزلوا من سنابيقهم إلى العرا رجالة ، مستعدين للحرب بالسلاح وغيره . وقد كان أهل جبل صيره ، لما رأوهم متأهبين للنزول ، اعلموا أهل عدن بذلك . فلما نزلوا الساحل ، ثار عليهم المسلمون من كل جانب . وضربت المدافع من البلد ومن مراكبهم . وكانت ضجة عظيمة ، وفتنة قوية . فنصر الله المسلمين عليهم ، وقتل مقدمهم الكبير ، وسبعة رجال منهم . وجرح منهم جمع ، وامسك المسلمون عن لحاقهم إلى البحر ، خوفاً من امتلاء البحر بعد أن حازوا ثلاثة من قتلى الافرنج ، فحزوا رؤوسهم ، واخذوا سلبهم . ورجع الافرنج بالجرحى منهم

إلى مراكبهم ، فمات اكثرهم . فلما كان في اليوم الثاني ، الزمهم المقدم بالنزول ، فلم يفعلوا . فخوفهم من البردغان، فلم يؤثر فيهم ذلك . وانقطع رجاؤهم عن المدينة ، وعن تحريق باقي الخشب الذي في الساحل . وكانت مدافع المسلمين ، كل يوم ، تتلف لهم برشتين أو ثلاث . فارتفعوا بعد ذلك إلى حيث لا تصلهم ١١٣/١ مدافع المسلمين / وضربت عليهم العرادة من صيرة ، فاضرت بهم ضرراً عظيماً ، واخرجتهم من البندر كرهاً . فأقاموا بعد ذلك ثلاثة أيام ، في عيد لهم كما قيل ، ثم توجهوا إلى طريق الهند ، مكسورين ، مخذولين ، مذمومين ، مدحورين ، أول يوم من جمادى الآخرة . لا قابلهم الله بخير ، ولا كتب لهم سلامة .

وفي منتصف ربيع الثاني ، هرب موسى بن المساوي ، شيخ المخارشة ، من مدينة زبيد . تسور الدرب ليلاً ، وقد أُعِدَّ له حصان بقرية النويدرة ، فركبه وتوجه إلى بلاده . فواجهه بعض من يعرفه ، قريباً من بيت الفقيه ابن عجيل . فلما دخل مدينة زبيد ، اشاع بوجوده . فبلغ خبره إلى مولانا السلطان ، وهو حينئذ في حركة السير إلى مدينة تعز ، فترك المسير . وكان النقيب اسماعيل الوجيه اقبال مترسماً عليه ، فطلبه السلطان وسأله عنه ، فاعتل بأنه يحضره ، وقد تحقق السلطان فوته . فغضب على اسماعيل الوجيه ، وقيده ، واودعه دار الأدب ، حتى سار به صحبته ، عند مسيره إلى مدينة تعز ، وأودعه دار الأدب بها . فلم يزل هنالك حتى توفي فيه ، في التاريخ الآتي ذكره . وارسل السلطان الفقيه كريم الدين بن علوان ، فلم يجده ببلاده . وحقق له أنه دخل الهيجة ، فرجع كما ذهب . فأقام ابن المساوي في الهيجة ، خائفاً على نفسه ، إلى أن توجه مولانا السلطان إلى مدينة تعز . فلما تحقّق ذلك ابن المساوي ، طلب الذمة من الفقيه محمد النظاري ، ليقيم ببلده ، وتدرّك بما يحدث في بلاده من الخلاف . ففعل الفقيه ذلك ، وارسل له بكسوة .

وفي اواخر شهر ربيع الثاني ، طلع السلطان ، من مدينة زبيد إلى تعز ، وقد ترك بها الفقيه جمال الدين محمد بن محمد النظاري حاكماً واميراً ، والشرف بن محمد الموزعي مستوفياً ، وعزل القاضي عبد الصمد الجلاد . فضبط الموزعي البلاد ، ووفّر الأموال السلطانية ، واطلع من الخزائن ، إلى باب السلطان ، ما لم يعهد مثله ، وبنى لنفسه داراً عظيمة . وأمر السلطان ، عند طلوعه ، بعمارة الجانب القبلي من الدار الكبير ، فبني بناء محكماً ، في غاية الإحكام والحسن . وأمر

السلطان أيضاً ببناء الجانب الشرقي من الجامع الظافري بزبيد ، فامتثل امره الشريف ، وبني كما رسم . وأمر مولانا السلطان ولده ، مولانا عفيف الدين عبد الوهاب ، بالإقامة في مدينة تعز ، لتوسطها في البلاد ، وجعل اليه امور الناس ، من اهل تهامة وتعز ونواحيهما . فضبط البلاد واحسن سياستها .

وفي مدة اقامة السلطان بمدينة تعز ، قدم عليه اشراف صعدة منها ، باذلين بلادهم . فأكرمهم وأحسن نزلهم ، واستعملت الفرحة، / بمدينة زبيد ، سبعة أيام . ١١٣/٢
وكان قدومهم إليه في شهر ذي القعدة ، من السنة المذكورة .

وفي يوم السبت ، الرابع والعشرين من ذي القعدة ، توفي بزبيد الفقيه الصديق بن محمد القصار ، وكان ذا معرفة تامة في علم الفلك ، ودفن بعد عصر ذلك اليوم ، بجوار مشهد الشيخ أحمد الصياد ، من الجهة الشرقية ، حذاء رأس الشيخ ، بوصية منه ، بعد أن حفر قبره هناك ، باشارته قبل موته ، بنحو شهر رحمه الله .

وفي ذلك اليوم ، توفي القاضي عبد اللطيف بن محمد المحالبي ، بمدينة تعز ، ووصل العلم بوفاته إلى زبيد ، يوم الأربعاء ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور .

ثم طلع السلطان إلى جهة المقرانة ، يوم الأربعاء ، خامس ذي الحجة الحرام . وفي هذا التاريخ ، توفي اسماعيل بن النقيب الوجيه اقبال ، بدار الأدب ، من مدينة تعز ، ودفن بها .

[حوادث سنة عشرين وتسعمائة] .

وفي يوم الأحد ، مستهل محرم ، سنة عشرين وتسعمائة ، قُدِمَ ، من الجهات الشامية ، بخيل جيدة من خيول الاداء ، عدتها ثلاثون فرساً .

وفي ضحى يوم السبت ، سابع الشهر المذكور ، حصل بمدينة زبيد مطرة عظيمة ، لانت بها القلوب بعد قسوتها . ثم حصل ، في ليلة الجمعة ، الرابعة عشرة[1] من الشهر المذكور ، مطر عظيم في زبيد وما حواليها ، حتى اشتبه وقت

---

(١) في النصوص : الرابعة عشر .

صلاة الجمعة على الناس ، وفاتت صلاة الجمعة معظمهم ، من المطر وعدم رؤية الشمس . وكانت صلاة من صلى منهم ، ذلك اليوم ، بالاجتهاد .

ولما كان ليلة السبت ، الخامس عشر من الشهر المذكور ، حصلت بزبيد مطرة عظيمة جداً ، كأفواه القرب ، وعقبتها ريح شديدة كادت تقلع البيوت ، واشفق الناس من ذلك . ونفس الوادي زبيد نفساً عظيماً ، وسقى اكثر الأرض ، واخرب منها كثيراً ، حتى قيل إن بعض الردم ، الذي بناه السلطان الملك الظافر من اسفل قرية المسلب وثمانيها ، شعثه[1] السيل . وسار بخلق كثيرين يزيدون على المائة ، ومات اكثرهم ، وسار بدواب كثيرة ، تنيف على ألف دابة ، من الإبل والبقر والغنم والحمير ، مات اكثرها . وحصل برق مات به جماعة ، وسلم منه جماعة ، بعد أن اصابهم لفح منه . ولانت الأسعار ، ووجد الطعام بعد ما كاد يعدم .

وفي يوم الثلاثاء من صفر ، مات النقيب ريحان الصلاحي ، بمدينة زبيد . وكان قدم اليها مستخلصاً للأموال السلطانية ، في شهر رمضان ، من السنة التي قبلها . فمرض بوجع السل ، حتى توفي في التاريخ المذكور ، وصلي عليه بعد صلاة العصر ، بمسجد الأشاغر ، وشيعه جمع كبير من كبراء الدولة ، والأمير فمن دونه ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن بجوار مشهد الشيخ طلحة الهتار ، رحمه الله وتجاوز عنه .

وفي ليلة الثلاثاء ، منتصف صفر ، حصل بمدينة زبيد ونواحيها مطرة اعظم من التي قبلها ، وسال الوادي زبيد ، ومطر نخل وادي زبيد ، وسال الوادي رمع ، وبلغ إلى قرية المرة ،/ وتنفست الأسعار ، ولانت القلوب ، ولله الحمد . وفي تلك الليلة ، مات ابو الغيث بن محمد العميري[2] ، ودفن بعد صلاة الصبح ، رحمه الله . ١/١١٤

وفي ليلة السبت ، الحادي عشر من شهر ربيع الأول ، توفي الفقيه العلامة ، جمال الدين محمد بن الصديق الصايغ ، إلى رحمة الله تعالى ، بمدينة زبيد ،

---

(١) في (هـ) : شعبه .
(٢) في (هـ) : القماري .

وصلى عليه بعد صلاة الصبح ، بمسجد الأشاعر ، ودفن غربي مشهد الشيخ احمد الصياد ، رحمه الله ، وشيعه جماعة قليلون ، لعدم الاعلام بموته . وحضر القراءة له ، ثلاثة ايام ، والعزاء به ، [جماعة كثير][1] ، وحضر من اعيان الدولة ، الفقيه عبد الحق النظاري ، والشرف الموزعي ، وقاضي الشريعة احمد بن عمر المزجد ، وغيرهم .

وفي مستهل شهر رجب الحرام ، توفي الشيخ شمس الدين علي بن الشجاع العنسي ، برداع العرش ، ودفن هنالك ، رحمه الله تعالى . ونعم الرجل كان ، عقلاً ، ورجاحة ، وديناً ، وامانة ، آنس الله غربته آمين .

ولم يزل السلطان ، [ايده الله بنصره ، مقيماً][2] بالمقرانة المحروسة وما حولها ، من حين طلوعه ، من مدينة زبيد ، إلى شهر شعبان ، وتوجه إلى جهات صنعاء في جيوش كبيرة ، ودخل في طريقه مدينة ذمار ، ثم سار منها إلى صنعاء ، فدخلها يوم الجمعة ، سلخ شعبان ، وصام بها رمضان ، وعيّد بها عيد الفطر ، في ابهة عظيمة ، وجمال زائد ، وجيوش لا يحصي عددها إلا الله تعالى .

ومات ، في هذه المدة ، جمع عظيم ، بمدينة صنعاء ، اكثرهم من الغرباء والجند . وقدم عليه اشراف صعدة ، وهو إذ ذاك بصنعاء ، باذلين السمع والطاعة ، وتسليم مدينة صعدة والتمكين منها . فأكرمهم ، وأنعم عليهم ، وسيّر معهم جماعة من جنده وعساكر ، فغدر بهم ابن البهال ، في الطريق ، وظهر عليهم كمين من أهل صعدة . فثبت لهم جند السلطان ، ولم يظفر[3] أهل صعدة بشيء ، سوى الغدر ، والخيانة ، ونقض العهود ، وكفر النعمة ، والجحود . ولما انتهى الخبر بذلك إلى السلطان ، بعث اليهم جنداً عظيماً ، على مقدمهم الأمير علي محمد البعداني . فلما رأوا ذلك ، انهزموا وولوا مدبرين ، والحمد لله رب العالمين . ورجع الأمير ، إلى مولانا السلطان ، بالعساكر المنصورة . فكان ذلك سبباً لتغيير خاطر مولانا السلطان على اشراف صعدة ، وسبباً لطول مقام مولانا السلطان بمدينة صنعاء ، وعدم الثقة بالاشراف ، حيث كانوا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) كذا في النصوص والصواب : جمع كثير .
(٢) في (ج) : رحمه الله .
(٣) في النصوص : ولم يظفروا ، والتصحيح من المحقق .

وفي مدة اقامة مولانا السلطان بصنعاء ، قدم عليه قاصد سلطان مصر ، الملك الأشرف قانصوه الغوري ، بهدايا نفيسة . وكان قد دخل زبيد ، في شهر شعبان ، واقام بها ثلاثة ايام ، ثم توجه إلى صنعاء ، ولقي السلطان بها ، فاكرم ثوابه ، واحسن معاملته .

١١٤/٢ وفي شعبان /توجه مولانا السلطان عبد الوهاب ابن الملك الظافر ، من مدينة تعز إلى جهات إبّ ، وجبلة ، ونواحيهما ، لافتقاد الحصون والمرتبين هنالك ، وغير ذلك . فأقام بمدينة ابّ اياماً ، وضبط الأمور ، ثم رجع إلى تعز ، فدخلها في رمضان ، وعيّد بها عيد الفطر ، على احسن الأحوال ، ولله الحمد .

وفي ليلة الأربعاء ، الرابع عشر من رمضان ، توفي الفقيه ابو القاسم بن الصديق الصانع ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح ، بمسجد الأشاعر ، ودفن إلى جنب اخيه ، بالقرب من مشهد الشيخ احمد الصياد ، رحمه الله .

وفي اواخر رمضان ، سرق بيت ابن الرزين الصانع ، بزبيد ، بجوار بيت القاضي الشرف الموزعي ، وانكشف سارقه في شوال .

وفي ليلة الجمعة ، الخامس والعشرين من رمضان ، كان ختم القرآن العظيم ، في صلاة التراويح ، بالدار الجديد المعمور ، قبلي الدار الكبير بزبيد ، عند الفقيه جمال الدين محمد النظاري . وحضر الختم جمع كبير ، من اعيان الناس ورؤسائهم . ثم ادخلوا على سماط عظيم من الحلوى ، والطيب ، والمشموم ، عمله الفقيه جمال الدين النظاري ، وكانت ليلة معظمة .

وفي يوم الأحد ، ثاني شوال ، توفي الفقيه محمد بن احمد الشحون ، بمدينة صنعاء ، وصلي عليه بجامع زبيد ، يوم الجمعة ، الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، وقرئ عليه ثلاثة ايام ، عند مشهد الفقيه أبي بكر الحداد ، رحمه الله تعالى .

وفي الشهر المذكور ، تسلم مولانا السلطان حصن ذيفان ، وحصن ظفار صعدة ، من يد ولد البهال ، وارسل معه مولانا السلطان طائفة من الجند ، لقبض مدينة صعدة ، وترك أولاده رهائن بصنعاء ، عند مولانا السلطان . فغدر وخان ،

ونكث العهود والايمان ، ولم يصل إلى مكان ، وانعكست عليه آماله ، ورجع إليه وباله ، ولله الحمد والمنة .

وفي ليلة الأربعاء ، التاسع عشر منه ، اصبحت امرأة من بنات القماط الرعوي ، ممنجة[1] مسلوبة ، وبحلقها آثار خنق ، فلما افاقت سئلت عن خصمها ، فقالت احمد بن عبدالله بن الصامت الناشري ، فرفع امرها إلى الفقيه النظاري ، فأمر باحضاره ، وسأله ، فانكر ، فقال له ان اعترفت بالحق ما اغير عليك ، فاعترف بالسلب فأمره برده .

وفي يوم الجمعة ، الثامن والعشرين منه ، توفي الشريف وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن سفيان ، بمدينة صنعاء ، ودفن صبح يوم السبت . ووصل العلم بوفاته ، إلى زبيد ، الإثنين ، ثامن ذي القعدة ،/ رحمه الله ، وآنس غربته . ١١٥/١
وفي ليلة الأحد ، سلخ شوال ، توفي الفقيه عبدالله بن محمد الحكمي ، نائب ابن ناصر فيما يؤمّ فيه من الصلوات ، بمسجد الأشاعر ، بزبيد ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح ، بمسجد الأشاعر ، ودفن صبح ذلك اليوم ، بمجنة باب سهام ، رحمه الله .

وفي هذه السنة ، حج ولد سلطان الديار المصرية ، الملك الأشرف قانصوه الغوري ، وامرأته حجاً عظيماً ، وفعلا من البر ، والمعروف ، والإحسان ، في الحرمين الشريفين ، ما يجل عن الوصف . ولما رجعا إلى الديار المصرية ، بعد الحج والزيارة ، تجهز معهما أمير الحجاز ، الشريف بركات بن محمد [بن بركات][2] ، باختياره ورضاه ، وتوجه صحبتهما إلى باب السلطان ، فقابله بالإحسان الجزيل ، والبر العريض الطويل ، واكرم نزله ، واعلى محله . ولم يزل عنده مجللاً محترماً ، مقضي الحوائج ، أول داخل وآخر خارج ، إلى أن رجع إلى الحجاز ، متولياً امورها ، ليس لأحد معه كلام والحمد لله .

---

(١) كذا في النصوص ، ولعل الصواب : مبنجة .
(٢) في (ج) : الشريف بركات بن محمد الحسني .

[حوادث سنة احدى وعشرين وتسعمائة] .

وفي شهر محرم الحرام ، سنة احدى وعشرين وتسعمائة ، توفي قاضي الشريعة ، بمدينة تعز ، أبو بكر بن أبي القاسم الوقيري ، رحمه الله تعالى .

وفي آخر يوم منه ، قُتِلَ عبد القادر بن محمد السلاسلي[1] ، بالاذن من الفقيه جمال الدين النظاري ، وكان من المسرفين على نفسه ، ومن المفسدين بزبيد ، يخرج ليلاً وينهب الناس ، ويختفي نهاراً في المساجد المهجورة . فاطلع عليه نائماً ، في مسجد بالقرب من المدينة السابقية ، يعرف بمسجد الريفي . فاخبر به الفقيه محمد النظاري ، فأرسل له من يمسكه أو يقتله . فلما وصلت إليه رسل الأمير ، قاتل عن نفسه قتالاً شديداً حتى قتل .

وفي ضحى يوم الجمعة ، التاسع والعشرين من صفر منها ، قدم الفقيه عفيف الدين عبد الحق بن محمد النظاري ، من الأبواب السلطانية إلى زبيد ، باستدعاء والده له . وكان والده قد مرض وطال مرضه . فلما قدم وقد تماثل والده من مرضه ، استنابه والده بزبيد ، وطلع إلى مدينة اب ، حتى توفي في التاريخ الآتي ذكره .

وفي يوم الخميس ، العاشر من ربيع الآخر ، كانت فعلة المنصورية ، احدى قرى اللامية . وأصلها أن محمد بن أبي بكر بن عثمان ، شيخ اللامية ، كان بينه وبين قرابته بني مقيهب[2] ، دخول متقدمة ، ولم تزل تتجدد إلى حين الوقعة . فاجتمع بنو مقيهب بموسى المساوي المخرشي ، شيخ سامر ، قريباً من حلة حسين ، وتحالفوا جميعاً على قتل محمد بن أبي بكر بن عثمان ، وتواعدوا اليوم بعد اليوم . فوصلهم إلى حلة حسين ، للموعد ، ومعه جمع عظيم من الحرابة وغيرهم ، وقال لبني مقيهب اروني ما تفعلون . فقصد بنو مقيهب بني عثمان ، وتقاتل الفريقان ، وحصل بينهما معركة عظيمة ، قتل فيها احمد بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ، في نحو ستة نفر من الحاكة . فلما رأى ذلك موسى بن المساوي ، نزل بعالمه الذين

---

(١) في (هـ) : الأشلي .

(٢) مقيهب : كذا في النصوص . والكلمة ترددت مراراً . اما في « قرة العيون » فالمحقق يكتب : « مقيصب »(ج ٢ ص ٢٢٠) .

١١٥/٢ معه إلى قرية المنصورية ، قاصداً بيوت / بني عثمان[١] ، فهجمها هو واصحابه ، ونهبوهم نهباً عظيماً ، خصوصاً بيت محمد بن أبي بكر ، فلم يتركوا فيه شيئاً . وكان فيه من الأموال والذخائر ما لا ينحصر . ثم ارتفع هو ومن معه إلى بيت العقار ، واجتمع اهل سامر واهل مقبلة ، وقصدوا المنصورية ، صبح يوم الجمعة ، فنهبوها واحرقوها ثم قصدها موسى بن المساوي واصحابه ، يوم السبت ، فنهبوا ما بقي فيها من البيوت ، واحرقوها ، واصبحت خاوية على عروشها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي عشية يوم الخميس ، الثاني والعشرين من جمادى الأولى ، من السنة المذكورة ، قدم مولانا عبد الوهاب بن الملك الظافر إلى مدينة زبيد ، فدخلها دخولاً معظماً في عساكر عظيمة وخيول مسومـة .

وفي ذلك اليوم ، كانت وفاة الفقيه جمال الدين محمد النظاري ، رحمه الله تعالى ، بمدينة اب ، بعد أن طلع إليها متوعكاً ، بنحو شهر ، وترك ولده عبد الحق عوضاً عنه بزبيد . ووصل العلم بوفاته ، إلى زبيد ، يوم السبت ، الرابع والعشرين من الشهر المذكور . وصلي عليه ، بمسجد الأشاعر بها ، وقرىء له ثلاثة ايام بالمسجد المذكور ، وحضر القراءة له خلق كثير لا يحصون ، وحضر مولانا عبد الوهاب القراءة يوم الثالث ، وتصدق عنه اولاده بصدقة عظيمة ، رحمه الله واسكنه جنته . فنعم الرجل كان عقلا ، وصيانة ، [وديناً ، وامانة ، باذلا للمعروف ، كافياً للآوي ، مغيثاً للملهوف][٢] له صدقات جليلة سراً وعلانية . وكان قطب رجاء المملكة السلطانية الظافرية ، وعين الأعيان في الجهة اليمنية . ومن آثاره المخلدة لذكره ، بناء الجامع ببيت الفقيه ابن عجيل ، عمارة متقنة إلى الغاية ، ومدرسته بمدينة اب . ووقف عليها وقفاً جليلاً ، وجملة من الكتب النفيسة ، وله من الآثار الحسنة ما يجل عن الوصف . وجملة الأمر ، إنه كان كالأب الرحيم لجميع المسلمين ، رحمه الله تعالى ، واكرم مآبه ، واجزل ثوابه آمين .

وفي ذلك اليوم ، اعني يوم الخميس ، اغار الزيديون ، في جمع عظيم ،

---

(١) في (ج) وفي سائر النسخ ، بعد هذه الكلمة ، عبارة مكررة فاسقطناها.
(٢) جملة ساقطة من (ج)

يقال انهم كانوا سبعة آلاف راجل ومائة فارس ، على قرية الضحى ، وبها يومئذ ، من الدولة ، الأمير حسام الدين عيسى بن علي الحجري ، في عسكر قليلين ، فقاتلهم ونصره الله تعالى عليهم . فانهزموا هزيمة ما سمع بمثلها ، وبلغت هزيمتهم إلى بيت حجر ، وقتل منهم فوق خمسمائة ، وحزت رؤوسهم ، ودخل بها زبيد ، في أواخر الشهر المذكور .

ثم توجه الملك المنصور ، من مدينة زبيد إلى الجهات الشامية ، يوم السبت ، الثاني من جمادى الآخرة ، وفي صحبته القاضي الشرف الموزعي ، حتى بلغ قرية الضحى ، فأقام بها مدة ، وبنى بها داراً ، وهم بالهجوم على قرية بيت الفقيه ابن حشيبر . فدخل عليه جماعة من مشايخ الصوفية ، والشريف عمر بن ابراهيم القديمي ، وتكلفوا بالصلح واداء الخيل ، فأدوا اكثرها . ودخل عليه ابو بكر ١١٦/١ النجار ، واخوه ، وغيرهم من/ الزيديين وحلفوا له ، فعفا عنهم ، واحسن اليهم ، وترك عنده أبا بكر النجار ، وفسح للباقين في الرجوع إلى أماكنهم . فلما رجعوا ، نكثوا الايمان وخالفوا . فأمر الملك المنصور [بتقييد][1] أبي بكر النجار ، وحفظ عياله وعيال اخيه ، والترسيم عليهم . وارسل الأمير عيسى بن علي الحجري لابن مفتاح ، وابراهيم النجار ، وسائر المخالفين من الزيديين ، وأمره بمتابعتهم اين كانوا . فما زالوا ينتقلون من موضع إلى موضع ، وهو يتبعهم ، حتى اظفره الله بهم ، ولزمهم ، وقدم بهم على الملك المنصور ، بقرية الضحى ، وبعيالهم ، واموالهم ، ومواشيهم . وبقي منهم جماعة ، ومعهم خيل ، فتوسط لهم المشايخ إلى الملك المنصور ، على يد الفقيه علي النظاري ، وسلموا خيلهم . ثم امر الملك المنصور ، الفقيه علياً النظاري ، بالتقدم إلى جهات مور واعمالها ، لقبض خراجي البلاد ومتابعة المفسدين . وكان احمد علي معروف ، وكافة الزعليين قد دخلوا إلى الملك المنصور ، بقرية الضحى ، على يد محمد بن ابي بكر الأهيل[2] ، وحلفوا له ، وكساهم ، وأنعم عليهم ، وامنهم . فلما رجعوا إلى قومهم ، اظهروا الخلاف ، ونكثوا الايمان ،

---

(١) كلمة ساقطة من (ج) .

(٢) في (هـ): الاهدل .

ودخلوا الهيجة المسماة بالملاقي . فجهز لهم الفقيه شمس الدين النظاري عسكراً عظيماً ، من صهبان والعربيين وغيرهم ، وجعل على مقدمتهم الشيخ تاج الدين بن عبد الباقي العَرْبي ، احد نصحاء السلطان ، وامده بخيل كثيرة . فتقدم اليهم ، فأظفره الله بهم ، واخذهم قهراً بالسيف ، بعد ان تحصنوا بحصونهم المنيعة . فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب . ولَزِمَ شيخَهم احمد علي معروف ، وعياله ، وسائر المخالفين ، واولادهم ونساءهم ، ولم يفلت منهم احد ، وقَدِمَ بهم الى الفقيه شمس الدين النظاري ، بمور ، فارسل بهم إلى باب الملك المنصور ، بقرية الضحى . وحصل من البعجا نقض وموالاة للزيديين ، فاعمل الفقيه شمس الدين الحيلة فيهم ، حتى لزم جميع مشايخهم واهل الفساد منهم . ودخل عليه شيخ الخبثاء ، امير بن خلف ، فاحتفظ به حتى قدم به على الملك المنصور .

وحصل على الملك المنصور توعك وافتقاد ، بقرية الضحى ، فاستدعى بالفقيه شمس الدين النظاري ، من مور . فقدم عليه ، وقد دوخ العرب وأوطأهم . فلما قدم على الملك المنصور ، انتقل مبادراً إلى قرية سامر ، من قرى اللامية ، واعمل الحيلة في امساك ابن المساوي ، فلم يتفق له . فارصد له ، بقرية سامر ، الشيخ محمد بن عامر بن وهبان ، والنقيب أحمد بن سعد مقداد ، وامدهما بعسكر ومال ، وتقدم إلى مدينة زبيد . فلم يزالا يعملان الحيلة في امساكه او قتله حتى غزا يوماً قرية مقبلة ، في جمع من اصحابه المفسدين ، ونهب دواب اهلها . فلما ١١٦/٢ بلغهما الصريخ ، وكانا بقرية سامر ، بادر النقيب احمد بن سعد فركب ، في جماعة من الدولة ، فيهم رجل يقال له المشرعي . وابتدروا إلى باب الهيجة ، قبل أن يدخلها . فوقفوا له هنالك حتى جاء . فلما رآهم لم يعبأ بهم كعادته . وكان شجاعاً لا يقام له . فحمل على ابن سعد [وطعنه ، وكان ممنعاً ، فلم يؤثر فيه][١] . فعطف عليه ابن سعد ، وطعنه طعنة تدأدأ[٢] منها . فلما رأى ذلك المشرعي اعتنقه ، ونزل هو واياه الى الأرض . فنزل احمد بن سعد من فرسه ، فذبحه بيده ، وجعل رأسه في كم قميصه ، وركب فرسه ، وامتنع فلم يقدر احد على أخذ رأس

---

(١) ساقطة من (ج) .

(٢) في (هـ) : تردى .

ابن المساوي منه . ثم أخذ حصانه ، وسلاحه ، واهبته ، وقتل ممن معه جمعاً كثيراً ، ورد الدواب المنهوبة على اهلها ، وتم نصر ما سمع بمثله . وكان قتله يوم الثلاثاء ، رابع شهر ذي الحجة الحرام ، بعد قدوم الملك المنصور ، الى زبيد باربعة وعشرين يوماً .

ثم مَنَّ الله سبحانه وله الحمد بالعافية على الملك المنصور وعيّد عيد الاضحى بها بعد أن قدم عليه برأس ابن المساوي معلقاً في عنق حصانه يوم الجمعة سابع الشهر وكان عيداً عظيماً محتوياً على هذا النصر العظيم والخير العميم .

وفي يوم الأحد ، منتصف شعبان من هذه السنة ، كانت وفاة صاحب القضيب ، الفقيه الصالح جمال الدين محمد المقبول ، ابن الفقيه احمد بن موسى بن أبي بكر ، صاحب الخال الزيلعي ، رحمه الله ، بقرية اللحية ، [ودفن بها إلى جنب جده][١]، رحمه الله ونفع به .

ولما استقر الملك المنصور بزبيد ، بلغه ان الجهاز المصري قدم إلى جزيرة كمران ، فدخلها يوم الأربعاء ، سابع ذي القعدة . فراجع والده بذلك ، فورد جوابه بتحيير[٢] الطعام أن يسحن[٣] في البحر إلى جهة الحجاز ، والأخذ بالحذر منهم ، وامر مولانا عبد الوهاب بالإقامة في زبيد .

ثم خرج مولانا السلطان ، من صنعاء إلى ذمار ، في أواخر ذي القعدة ، فأقام بها اياماً ، ثم توجه إلى رداع ، وعيد هنالك عيد الأضحى . وامر ، في ذلك اليوم ، بفكاك خالَيْه ، الشيخ ابراهيم بن عامر ، أسير والده ، ومحمد بن عامر ، اسيره ، وعبد الباقي بن محمد بن طاهر ، ابن عم ابيه ، أسيره ، ورضي عنهم ، وأنعم عليهم ، ويقال إن عبد الباقي كان قد عمي ، فأمر بقدح عينيه ، فشفي .

---

(١) ساقطة من (هـ)

كذا في النصوص والمراد : المنع كما يظهر من سياق الحديث .

(٤) في (هـ): يسجن ، وفي (ج) و(د) بدون نقط . ولعل الصواب : يشحن . ومعنى العبارة ان السلطان منع من تصدير الطعام الى جهة الحجاز . اما في « قرة العيون » فقد التبس المعنى على المحقق فاثبت العبارة التالية : « فورد جوابه بتجهيز الطعام في البحر إلى جهة الحجاز » (ج٢ ص ٢٢٣).

وفي عشية يوم الخميس ، السابع والعشرين من ذي الحجة ، طلع الفقيه عبد الباقي بن محمد النظاري ، لجمع العساكر السلطانية ، وقدم إلى زبيد ، في منتصف صفر ، من السنة التي تليها ، بجمع عظيم من العساكر ، والفقهاء ، والمشايخ اصحاب الرباطات ، والضعفاء الذين لا غنى فيهم . ففسح منهم لمن فسح ، واخذ من اكثرهم مالاً ، وبقي الضعفاء الذين لا غنى فيهم ، ولا يقدرون على تسليم شيء بزبيد ، حتى خرجوا في أوائل ربيع الأول إلى الشام .

وفي ذي الحجة منها ، خربت قرية الحديدة ، وهرب اهلها منها ، وخلت عن الساكن . /بسبب أن المصريين ، لما دخلوا جزيرة كمران ، حيّرت[1] السفن عن الوصول اليهم بالطعام ، وعن التقدم به إلى جهات جدة[2] ونحوها . فضاق المصريون لذلك ، وارسلوا غرابين أو ثلاثة اغربة يمتارون الطعام من الحديدة ، فأرسل أهل الحديدة بالخبر إلى الملك المنصور ، بزبيد ، فأمدهم بخيل ورجل . فلما وصلوا إلى الحديدة ، طلبوا من اهلها سَبْرة[3] انفسهم وخيلهم ، فلم يقدروا على ذلك . وخرجوا منها مظهرين أن السبب لذلك الخوف من المصريين ، وليس لذلك سبب سوى ما طولبوا به ، مما لا يقدرون عليه . فلما علم المصريون بذلك ، وكانوا في اغربتهم بالبندر ، بخلو الحديدة عن اهلها ، سألوا عن نواب السلطان بها ، فقيل لهم أنهم لا يبيتون إلا في اعلى القرية ، خارجاً عنها ، بموضع يعرف بالمحيا . فسألوهم عن محله ، فأشاروا لهم إلى جهته . فضربوا نحو الجهة المذكورة مدفعاً ، فيه حجر عظيم ، يزيد على عشرة ارطال ، فوقع عندهم ، ولم يغير على أحد منهم . فزادهم ذلك خوفاً ورعباً منهم ، وارسلوا بالحجر إلى زبيد . ثم دخلوا القرية ، فلم يجدوا فيها أحداً . فأخذوا دروف البيوت ، والأخشاب التي وجدوها بالساحل ، وشحنوها في اغربتهم ، وتوجهوا بها إلى كمران ، ثم إلى جدة . وكان يوم وصولها جدة يوماً مشهوداً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

١١٧/١

واقام المصريون بكمران ، وبنوا بها حصاراً[4] عظيماً ، وجبانة ، وصلوا بها صلاة عيد الأضحى . وساعدهم الفقيه ابو بكر بن المقبول الزيلعي ، صاحب اللحية ، على ما يشاءون[5] . وأمروه بالخطبة لصاحب مصر ، ففعل وساعدهم

---

(١) أي مُنِعَت
(٢) في (هـ) : الحديدة .
(٣) اي القوت .
(٤) في (هـ) فقط حصناً
(٥) في النصوص : يشاءوا

بروحه وماله . وكانوا قد وصلوه بصلات من صاحب مصر ، وخلع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولما امر مولانا السلطان بتحيير السفن ، عن المسير بالطعام ، إلى جزيرة كمران وجهاتها ، وعلم المصريون بذلك ، ضاقوا ضيقاً عظيماً . وارسلوا إلى ضامن الحديدة ، من قبل السلطان ، وهو يومئذ محمد بن نوح . وقد كان حيّر ثلاث سفن متجهة نحوهم ، جاءت من جهة زيلع . فنجّلها[1] ، واخرج جميع ما فيها . فارسل اليه حسين رسولاً ، في غراب ، يقول له إما تفسحوا للسفن كالعادة ، وإلا اخربنا البندر . فامتنع من الفسح ، ومعه يومئذ ببندر الحديدة جند من قبل السلطان ، خيلاً ورجلا . فارسل اهل مصر المدافع من البحر ، واخربوا بندر الحديدة . وكان هذا سبب الفتنة بينهم وبين السلطان .

فلما علم الفقيه ابو بكر بن المقبول ، صاحب اللحية بذلك ، طلع اليهم وقال لهم لا تتعبوا انفسكم ، نحن نفتح لكم الطريق ، من بندر اللحية ، ونعينكم . فارسلوا معه ، إلى اللحية ، بغراب فيه مائة مملوك . فتقدم بهم إلى جهات مور ، وبها يومئذ الأمير محمد بن سليمان بن جياش السنبلي ، أميراً من قبل السلطان . ومعهم أقواس البندق ، ولم تكن يومئذ معهودة باليمن .

٢/١١٧ فخرج اليهم الأمير بمن معه من العسكر ، فرموهم بالبندق ، /وقتلوا الأمير محمد بن سليمان ، في جماعة من اصحابه ، واستولوا على مور .

وتقدم جماعة من الزيديين ، وطلعوا إلى الأمير حسين ، بجزيرة كمران ، وبايعوه ، وطلبوا منه أن يرسل معهم ، من جنده ، مائتي مملوك ، وتكلفوا لهم بجوامكهم ، واداء خراجي البلد اليه فارسل معهم مائتي مملوك . فقصدوا بهم قرية الضحى ، وبها جمع من عساكر السلطان ، واميرهم عيسى بن علي الحجري . فلما التقى الجمعان ، انكسر عسكر السلطان ، وقتل منهم جماعة ، ونهب الجند المصريون والزيديون قرية الضحى ، واحرقوها ، وخربت . فانتقل من فيها ، من الدولة إلى قرية العتميه[2] .

---

(١) كذا في النصوص ولعلنا امام بعض المصطلحات الخاصة باليمن .

(٢) في « قرة العيون » الغنيمية . ويقول المحقق : « الغنيمة [كذا] غير معروف » (ج ٢ ص ٢٢٥ رقم ١)

[حوادث سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة]

وفي يوم الاثنين ، التاسع والعشرين من شهر محرم ، سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، توفي الشيخ الشريف شهاب الدين احمد بن ابي بكر بن عبد الله باعلوي ، بمدينة عدن . وكان قد استقام فيها ، بعد وفاة والده ، وأحبَّه اهلها . وكان ذا جاه عظيم ، ودنيا واسعة ، رحمه الله . وفي يوم الخميس من صفر ، توفي الفقيه ، العالم ، جمال الدين محمد بن الفقيه موسى بن عبد المنعم الضجاعي ، احد المدرسين بزبيد ، ودفن بعد صلاة العصر من ذلك اليوم ، عند ابيه وجده ، بعد أن صلي عليه بمسجد الاشاعر ، وكان له مشهد عظيم .

ولما بلغ مولانا السلطان ما جرى من الأمير حسين والزيديين ، ارسل اخاه الشيخ عبد الملك ابن الملك المنصور[1] ، إلى جهات تهامة ، لكشف الأمور ، والسلطان يومئذ بالمقرانة . فوصل الشيخ عبد الملك إلى زبيد ، في عسكر عظيم ، فدخلها يوم الأحد ، الحادي عشر من ربيع الأول ، واقام بها أياماً . وتقدم إلى الجهات الشامية ، عشية يوم الجمعة ، السابع من ربيع الآخر ، حتى بلغ إلى المزحف . فلما علم الأمير حسين بوصوله ، نزل من جزيرة كمران إلى الزيدية ، ونزل بنحو من الف مقاتل ، من اصحاب الامير سلمان ، اهل الروم ، اكثرهم من رماة البندق . وهو شيء عجيب ، لا يكاد احد يقاتل اصحابه إلا غُلِبَ . وهو شيء شبه المدفع ، إلا أنه اطول منه ، وأدق ، مجوف . ويجعل في جوفه قطعة رصاص ، كحبة النبق ، ويحشى من البارود ، ويدفع بنار ، في فتيلة ، من اسفل البندقية ، فلا يصيب احداً إلا هلك او كاد . وربما اصابت البندقة شخصاً ، ونفذت منه إلى آخر ، فقتلتهما

ولما استقر الشيخ عبد الملك بالمزحف ، تقدم اليه ولد صاحب جازان ، الشريف عز الدين بن احمد بن دريب ، في جمع من الترك ، واهل الروم ، والمعازبة[2] . وكان عز الدين المذكور ، عند السلطان الملك الظافر ، في اعلى

---

(١) نلاحظ ان لقب : « الملك المنصور » يطلق ايضاً على ابن السلطان الظافر ، عبد الوهاب بن عامر . (راجع ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، من هذا الكتاب)

(٢) في (ج) : المغاربة ، ويتكرر ذلك في الصفحة التالية ، امافي سائر النسخ ، فبدون نقط .

منزلة ، واخص مكان ، وله عنده من الصنائع والاحسان ، ما شهد به الانس والجان . فلم يرع له حرمة ، ولا راقب فيه ولاء ولا ذمة . فلما التقى الجمعان ، كانت بينهما وقعة عظيمة ، /قاتل فيها الشيخ عبد الملك قتالا عظيماً ، فارساً وراجلاً ، وأبان عن شجاعة عظيمة ، ونفسْ كريمة ، وقتل جماعة من الترك ، واحتزت رؤوس اربعة عشر نفراً منهم . ومات تحت الشيخ عبد الملك يومئذ ثلاثة افراس . وقُتِلَ ، من جند السلطان يومئذ ، الأمير معوضة بن حبان ، والنقيب احمد بن سعد مقداد ، وابن البابلي[1] من العرشيين ، وشيخ المنسكيين [2] . وكان يوماً عظيماً ، ثم افترقوا .

١١٨/١

وتقدم الشيخ عبد الملك الى مدينة زبيد ، فدخلها برؤوس القتلى ، بعد عصر يوم الثلاثاء ، العاشر من شهر جمادى الأولى . ثم نجم النفاق من العرب ، ومالوا إلى الأمير حسين ، وحرضوه على اللحاق بالشيخ عبد الملك إلى زبيد . فسار اليها في عسكر عظيم ، وكان نزوله بنخل وادي زبيد ، بعد ان دخل قرية القرشية والتحتيا وأقام هو وعسكره ثلاثة ايام ، ينتظرون عسكراً يصلهم من طريق البحر ، من قبل الأمير سلمان التركماني ، فلما وصله عسكره اليهم ، تقدموا باجمعهم الى مدينة زبيد ، صبح يوم الجمعة ، التاسع عشر من شهر جمادى الأولى . فوصلوا اليها ضحى ذلك اليوم ، والمدينة مغلقة . فنزلوا خارج باب النخل ، في عساكر عظيمة ، من الترك والتركمان ، والمعازبة[3] ، والشاميين ، ومَنْ انضاف إليهم من العرب ، من اهل جازان ، والزيديين ، ومن والاهم . وفي صحبتهم الشريف عز الدين ، والفقيه المقبول بن ابي بكر الزيلعي . فخرج اليهم الشيخ عبد الملك ، وابن اخيه الشيخ عبد الوهاب بن الملك الظافر ، في عساكرهما . فلما التقى الجمعان ، قاتل الشيخ عبد الملك وابن اخيه قتالاً عظيماً ، لم يسبقا إلى مثله ، وابانا عن شجاعة عظيمة . ثم تخاذل بهم عسكرهم ، فانكسروا ، ودخلوا المدينة ، وقد اصيب الشيخ عبد الوهاب ببندقة . ودخل المدينة ، قبل عمه إلى الدار الكبير ، واستقر فيه . فلحقه عمه إلى باب الدار ،

---

(١) في (ج) : اليابلي .
(٢) في (ج): الميسكين ، وفي (هـ) : المتسكين .
(٣) انظر ص ٣٣١ هامش (٢).

وصاح به ، فخرج ، فجعله بين يديه ، وسار به إلى باب الشبارق ، وقد اصطفت له جموع المصريين ، وفرسان العرب ، ليمسكوه هنالك . فشق الجموع بابن اخيه ، وخلص به منهم ، بعد أن قتل منهم جمعاً لا يحصى ، وأبان عن شجاعة عظيمة ، وقلب حاضر ، وحزم وافر .

ثم توجه ، بمن بقي معه من عسكره ، إلى مدينة تعز ، في ضحى ذلك اليوم ، وفي صحبته علي محمد النظاري ، والشرف الموزعي مستوفي زبيد ، وهو كان اصل هذه الفتنة ، وزوال الدولة الطاهرية . فإنه لما ولاه السلطان الاستيفاء بمدينة زبيد ، جعل يريه انه مظهر للنصيحة ، وحافظ للأموال ، /وضابط لها . وإنما كان يؤسس للسلطان العداوة والبغضاء ، في قلوب الصالحين والعلماء والرعية ، حتى آل الأمر إلى زوال الدولة رأساً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ١١٨/٢

ولما استقر الشيخ عبد الملك ، بمن معه ، في مدينة تعز ، لم يلبث الشيخ عبد الوهاب أن توفي بها ، يوم الأربعاء ، الرابع عشر من جمادى الآخرة ، ودفن إلى جنب الشيخ احمد محمد الجبرتي ، صاحب المداجر ، رحمه الله . ومات بعده الموزعي ، يوم الجمعة الثامن عشر من الشهر المذكور .

وبعد خروج الشيخ عبدالملك من زبيد ، دخلها عسكر الأمير حسين ، ضحى يوم الجمعة المذكور ، فانتهبوها نهباً عظيماً ، وسفكوا الدماء ، وانتهكوا المحارم ، وفعلوا العظائم . واحرقت المدينة ، وحصل على اهل زبيد ، من الفضيحة وهتك الحجاب ، ما لم يكن لأحد في حساب،ودخلها حسين ، بعد العصر ، من ذلك اليوم وبطلت الجمعة ، فلم يصلها احد .

ولما استقر الأمير حسين بالدار ، امر العسكر بالكف عن النهب ، وصاح للناس بالأمان . فلم يمتثل امره احد من العسكر ، واقاموا ينهبون المدينة ثلاثة ايام . وسكنوا البيوت ، واخرجوا اهلها منها ، وسبوا النساء والأولاد ، وجعلوها كدار الحرب .

ثم ان الأمير حسين أمسك التجار والمتسببين بزبيد ، وصادرهم ، وضربهم ، وجعل الزناجير في اعناقهم ، وامسك قاضي الشريعة ، وهو القاضي صفي الدين

احمد بن عمر المزجد ، وامر بطرح الزنجير في حلقه ، فاستسلم وصبر ، فأحسن الله خلاصه ، بعد ثلاثة ايام .

وانتُدِبَ رجلان من اهل مصر ، كانا قد تدبرا مدينة زبيد ، لا يؤ به لهما ، فسعيا بالنميمة على الناس ، يعرف احدهما بالجميل ، والثاني بدوعان ، تقربا إلى حسين بالنميمة على الناس ، فقربهما ، وآنسهما ، وسمِع كلامهما .

وارسل حسين ترسيماً للفقيه الصالح ، شرف الدين اسماعيل بن ابراهيم بن جعمان ، إلى بيت الفقيه بن عجيل ، فقدم عليه مترسماً . وطولب بمال قيل إنه كان عنده للشريف العفيف ابن سفيان ، ولا أصل لذلك . فسأله عن المال فانكر . فأمر بضربه ، فضرب بحضرته ، يوم الجمعة ، خامس شهر جمادى الآخرة ، وحمل إلى الحبس ، بعد أن اتلف من الضرب . فمات فيه ليلة الأحد ، السابع من الشهر المذكور ، ودفن ضحى يومها ، بظاهر باب سهام ، من قبلي تربة القضاة الناشريين . وقبره يزار ويتبرك به ، رحمه الله تعالى .

ثم امر حسين بمصادرة أهل زبيد ، على يد الجميل ودوعان المذكورين . فكتبوا[1] بيوت أهل زبيد واسماءهم /وصادروهم بأكثر من عشرة آلاف اشرفي ، هذا بعد النهب والحريق . ١١٩/١

وكان حسين المذكور قد وعد عساكره ، انه متى أخذ زبيد ، يعطي كل واحد منهم مائة اشرفي انعاماً . فلما دخلوها نهبوها ولم يبقوا بها بقية . ولم يدخلها إلا وقد صارت خلية من الأموال . فطلع اليه العسكر وطالبوه بانجاز ما وعدهم به ، ولازموه في الجامكية ، وهموا بقتله . فاحتال على الخروج إلى البقعة ، ليأتي بالمال ويعطيهم . فخرج إلى البقعة ، وواجه الأمير سلمان بها ، وطلع إلى المركب وخلص منهم .

وكان عند خروجه من زبيد قد استخلف مملوكاً يعرف بِبَرْسْبَاي[2] ، وعضده بابن صاحب جازان . وكان خروجه من زبيد ، بعد أن اقام بها سبعة وعشرين يوماً ،

---

(١) كذا والصواب المثنى : فكتبا .

(٢) في قرة العيون : « برستاي » و« بريستاي » (ج ٢ ص ٢٢٨) .

يصادر أهلها ويأخذ منهم الأموال ، ويذيقهم شديد النكال . فخرج إلى الساحل ، في يوم الخميس ، السابع عشر من جمادى الآخرة ، واقام نحواً من عشرة أيام في الساحل . ثم سار هو وسلمان ، ومعهما بدر الدين حسن الجبجبي ، وكان قد قدم ، من جدة ، على السلطان الملك الظافر ، هارباً من الشريف بركات ، فأكرم نزله وأعلى محله . ثم لما دخل الجند المصريون مدينة زبيد ، انضاف اليهم ، وصار من جملتهم ، وولوه قبض عاشرة النخل . وكان ذلك وقت اخذها ، فقبضها . وسار في صحبتهم ، إلى بندر زيلع ، فوصلوا إليها في آخر الشهر ، واصلحوا مراكبهم هنالك ، وشحنوها ، واستقوا الماء ، وتوجهوا إلى ثغر عدن ، وبها يومئذ الأمير مرجان الظافري ، اميراً من قبل السلطان . وكان توجّههم إليها ، في أوائل شهر رجب ، بجند كثير ، قد استخدموهم ، من يافع وغيرهم .

فوصلوا إلى بندر عدن ، في يوم الثلاثاء ، الثالث عشر من الشهر المذكور ، في احد وعشرين مركباً ، منها برشتان وتسعة عشر غراباً . فلما استقروا ببندر عدن ، بلغهم أن المراكب قد توجهت إلى الهند ، في اليوم الأول من وصولهم . ورأوا قلاع المراكب في البحر . فلحقهم الأمير سلمان ، في جمع من اصحابه . فأدرك المركب السلطاني الهاشمي ، فقبض منه الناخوذة ، والكراني[1] ، والمعلم ، وجعل فيه ناخوذة وكرانياً ، ومعلماً ، من قبله إلى الهند . وكتب معه كتاباً ، إلى صاحب الهند ، ان البلد قد صارت لهم ، وأن المركب إلى جهته .

ثم رجع هو واصحابه إلى جهة عدن ، فنزلوا بساحل ابين ، تحت حصن الخضرا . ونزل جماعة من اصحابه ليستقوا من الثلاج ، فقتل منهم جماعة ، ثم رجع إلى البندر . وكان ابن اخته قد فتح الحرب على اهل مدينة عدن ، في غيبة ١١٩/٢ خاله خلف المراكب . فأقبل هو وأصحابه ، في السنابيق ، إلى البندر ، في الثامن عشر من الشهر المذكور ، وارسلوا بنادقهم ، ومدافعهم ، ونشابهم . فقاتلهم العسكر السلطاني ، فرموهم بالمدافع ، والنشاب حتى هزموهم ، واخرجوهم من البندر . وقتلوا رئيسهم ، ابن اخت سلمان ، بالمدفع ، في جمع كثير من اصحابه ، وجرحوا آخرين . فتراجع العسكر المصري ، وحملوا على البندر ،

(١) في (هـ) : الكمراني .

ودخلوه . فطلع العسكر السلطاني حصن صيرة ، وبقي عسكر المصريين في اسفله ، يرمون بالمدافع على صيرة ، حتى اخربوا دربها . فاجتمع العسكر السلطاني الذين في عدن ، وخرجوا إليهم من الباب الذي عند جبل النوبة . وكان البحر إذ ذاك عارياً . فحمل العسكر السلطاني [على العسكر المصري ، وهم حينئذ تحت درب حصن صيرة ، فهزموهم هزيمة عظيمة ، وقتلوا منهم جمعاً كثيراً ، وجرحوا آخرين ، ورماهم من بحصن صيرة من العسكر السلطاني][1] بالحجارة ، فقتلوا اكثرهم ، وانهزم باقيهم ، وطلعوا المراكب ، وتحصنوا فيها .

ولما رجع الأمير سلمان ، من جهة المراكب التي لحقها ، وتحقق قتل ابن اخته ، وما جرى على اصحابه ، اخذته الحمية . فردّ اصحابه ، ونزل بهم إلى البندر . فلما رأى العسكر السلطاني ، الذين بحصن صيرة ذلك ، نزلوا من الحصن ، ودخلوا بندر عدن . فلما تحقق المصريون خلو حصن صيرة من العسكر السلطاني ، طلعوا ، ومكثوا فيه اياماً ، يرمون منه إلى الدرب المقابل لدار السعادة ، حتى اخربوا منه جانباً ، من قبالة دار السعادة إلى زربية الفُوّة التي في ميدان دار السعادة . ثم حملوا على البندر ، في الثلث الأخير من ليلة الأربعاء ، التاسع عشر من الشهر المذكور . وتلقاهم أهل البلد ، وقاوموهم ، وقاتلوهم من ذلك الوقت إلى طلوع الشمس ، يوم الأربعاء . وكاد العسكر المصري أن يغلب على البلد . وركزوا راياتهم على الدرب الذي اخربوه ، واشفق أهل البلد من ذلك ، وساءت ظنونهم .

ثم حمل العسكر السلطاني ، على العسكر المصري ، حملة واحدة صادقة ، فنصرهم الله تعالى عليهم ، وقتلوهم قتلاً شنيعاً ، واخذوا راياتهم . وخلص الأمير سلمان ، بعد جهد جهيد[2] ، وسلمه الله سبحانه تعالى . فرجع ، بمن بقي من اصحابه ، إلى مراكبهم ، بعد أن حملوا مدافعهم ، وتحصنوا في المراكب ، في يوم العشرين من الشهر المذكور ، قانعين من الغنيمة بالسلامة .

ووصل الشيخ عبد الملك ، فدخل عدن ليلة الجمعة . فلما تحقق المصريون

---

(١) جملة ساقطة من (د) .
(٢) في (هـ) فقط : وقد اصابته ثلاثة سهام .

استقراره بها ، اصبحوا يوم السبت ، الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، راجعين من حيث جاءوا ، منقطعين من الماء . فبلغوا إلى رباك[1] ، ونزل منهم ١٢٠/١ جماعة ليستقوا ، وقد اعد لهم الأمير/مرجان كميناً هنالك . فثار عليهم الكمين ، وقتل منهم فوق الأربعين نفراً ، وجرحوا الآخرين .

وكان في البندر اربعة مراكب : مركب عيسى بن حراف ، ومركب عيسى بن مقيفعة ، وكتنباه موسال ، ومركب رامه . فأخذوها عند انصرافهم ، وساروا بها في صحبتهم . فانفلت منهم مركب رامه ، ومضوا بالباقين .

وأما باقي الجند المصري المقيمين بزبيد ، فإنهم بعد خروج حسين إلى بندر المتنية ، امروا عليهم الأمير برسباي ، ورقوه يوم السبت ويوم الأحد . فمهد برسباي البلاد ، وضبط العسكر ، واقام بزبيد ، إلى يوم الثلاثاء ، ثاني عشر شهر شعبان . وأمر بنصب خيامه خارج باب الشبارق ، من شرقي حائط لبيق . وخرج إليها ، واقام هنالك خمسة أيام يجمع العساكر . ثم توجه بهم إلى مدينة حيس ، يوم الأحد ، السابع عشر من الشهر المذكور . وخرج صحبته بالمدافع الكبار والصغار . فلم تكد تسير في البر ، فردّ اكثرها ، وسار حتى بلغ مدينة حيس ، وضرب خيامه فيها ، بينها وبين قرية السلامة ، ونزل هناك . ومات فرسه الذي تحته ، في حال سيره وفي حال اقامته ، خارج باب الشبارق . واتاه العلم بوفاة الفقيه المقبول بن أبي بكر الزيلعي ، قتله الواعظات أبو القاسم بن جهضم ، والمحجوب بن هبة ربه ، والواعظيين[2] ، بقرية الرعد ، في جماعة من الترك ، نحو اثني عشر نفراً .

ولما رجع باقي الخشب[3] المنكسرة من عدن ، إلى بندر المتينة ، بلغهم خروج الأمير برسباي إلى الجهات اليمانية . فرجعوا إلى بندر المخا ، في البحر ، واجتمعوا بالأمير برسباي هنالك ، وتشاوروا ، ثم افترقوا ، وتوجهت المراكب إلى

---

(١) في النصوص : رباك ، بدون نقط .

(٢) كذا في (ج) . وفي (هـ) : الواعظات . اما في (د) : « قتله الواعظات ابو القاسم . . . والمحجوب الواعظيين » . وفي كلتا الحالتين الخطأ واضح . والصواب : اما « والواعظيون » (ج) واما : «الواعظيان» (د) .

(٣) في (هـ) : الجند .

جدة . وسار الأمير برسباي ، بمن معه ، إلى جهة موزع ، فدخلها بعد أن صالحه صاحبها ، الشيخ عبدالله بن سلامة ، على مال . ودفعه إليه ، على أن لا يتعرض لأهلها بنهب ولا تشويش . فلما دخلها ، لم يجد بها احداً . وعلم أن في بيت الشيخ عبدالله ودائع للناس ، فأمر بنهبه ، ونقض العهد الذي بينه وبينه[1] ، وقتل مقدم الغجر الذي معه ، لاختلاف حصل بينهما . ثم خاف على نفسه ، بعد قتله ، فرجع إلى زبيد ، فدخلها يوم الأحد ، الثامن من شهر رمضان .

وأما السلطان الملك الظافر ، فإنه لما بلغه ما جرى بمدينة زبيد ، من اخذها ، وخروج ولده واخيه منها ، وموت ولده ، وهو يومئذ بالمقرانة ، خرج منها إلى مدينة اب ، فدخلها في أوائل شهر رجب وقام بها إلى اثني عشر شهر شعبان ، ثم توجه إلى زبيد ، وعرّج عن دخول تعز ، واقام بجِذْرار[2] اياماً . ثم ٢ / ١٢٠ انتقل إلى القويرين[3] ، فصام به شهر رمضان وعيد عيد الفطر هنالك ، ثم سار إلى مدينة زبيد .

فلما تحقق الجند المصري ذلك ، ارسلوا اليه رسلاً ، صحبة القاضي صفي الدين احمد بن عمر المزجد ، يطلبون الصلح . فلما اجتمعوا بالسلطان ، وسمع كلامهم ، وكاد أن يميل إلى ذلك . فأشار على السلطان بعض خواصه بعدم القبول ، واوقع في خاطره ان طلب المصريين للصلح إنما هو مكيدة . فاعرض السلطان عن رسلهم ، وردهم خائبين ، وامسك القاضي عنده ، ليقضي الله امراً كان مفعولاً .

ثم سار السلطان ، بعساكره ، إلى قرية التريبة ، وجعل محطته من غربي القرية المذكورة . وخرج إليه الجند المصري ، في يوم الأربعاء ، التاسع من شهر شوال . فكانت بينه وبينهم وقعة عظيمة ، وقتل فيها جماعة منهم ، ورجعوا إلى زبيد ، فدخلوها بعد مغرب ليلة الخميس ، فباتوا بها . ثم تراموا ، وخرجوا إليه صبح يوم الخميس ، العاشر من الشهر المذكور . فكانت بينه وبينهم وقعة اشد من

---

(١) كذا ، والمعنى واضح ، على الرغم من ضعف اللغة ، ولو كتب : « بينهما » ، أو : « بينه وبين صاحب موزع » لأصاب المعنى والمبنى .

(٢) وادي جِذْرار يقع غربي تعز .

(٣) القويرين : موضع قرب زبيد (قرة العيون ج٢ ص ٢٢٨) ، وفي (د) : القورين .

الأولى ، وقاتل في اليومين المذكورين بنفسه ، وبابنه احمد ، وولد خاله الشيخ محمد بن احمد بن عامر ، وعبده فرحان ، ولم يثبت معه سواهم . وابلوا بلاء عظيماً ، وأبانوا عن شجاعة لم يعهد مثلها ، وتخاذل باقي العسكر ، فانكسروا في آخر ذلك اليوم ، والسلطان يومئذ في المعركة . فلما رجع إلى المحطة ، وجد العسكر المصري قد هجم المحطة ، ونهبوا جميع ما فيها من الأموال والذخائر السلطانية . فجمع باقي عسكره ، ورجع بمن بقي معه إلى المحطة التي جاء منها ، من غير اكتراث ، ولا اظهار خوف ، ولا جزع . فلم يلحقه احد من الجند المصري ، لاشتغالهم بالنهب ، وخوفهم من رجوع عسكر السلطان اليهم .

ولما بلغ السلطان في رجوعه إلى عسيق ، وقف بها إلى أن تراجع باقي الجند ، وسار بهم إلى مدينة تعز ، فدخلها يوم السادس عشر من شوال[1] ، [واقام بها . ثم وقف الجند المصري بزبيد ، إلى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة][2] ، وخرجوا إلى جهة حصن الشريف وما يليه ، فلم يظفروا بشيء . وقتل من الأتراك جمع كثير ، ثم رجعوا إلى زبيد ، في سادس ذي الحجة .

[حوادث سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة] .

واما السلطان ، فلم يزل مقيماً بمدينة تعز ، إلى أن طلع إليه الجند المصري ، في اواخر شهر المحرم ، من سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة . وكان وصولهم إلى مدينة تعز ، بعد صبح يوم الجمعة ، السادس من شهر صفر . فلما تراآى الجمعان ، ولّى السلطان من غير قتال ولا حرب ، إلى جهات اب . ودخل العسكر المصري إلى مدينة تعز ، فاستولوا عليها ، وانتهبوا دار السلطنة ، ومالوا على المدينة ، فنهبوها . وقبضوا حصن تعز ، وصادروا التجار بها ، وعملوا بها اعظم مما عملوا بمدينة زبيد . ووقف السلطان بمدينة اب اياماً .

ثم ان الأمير برسباي استناب بتعز الأمير اقباي ، وقلده امورها . وتوحه ، بمن ١٢١/أ معه من الجند ، إلى جهات المقرانة . فخرج السلطان من اب ، وسبقه فدخلها قبله ، واخذ منها نساءه ، وما خف حمله من ذخائره ، وامواله ، وتوجه إلى جهات

---

(١) في (هـ) : من شهر ذي القعدة .
(٢) جملة ساقطة في (هـ) .

١ / ١٢١ الخَلْقة[١]، واقام هنالك . ودخل العسكر المصري المقرانة ، فانتهبوها / ، واخذوا ما بقي في الدار من الأموال ، والذخائر ، وكانت جملة مستكثرة . وظفر الأمير برسباي بجماعة ، كانت عندهم ودائع للسلطان ، فأخذها منهم . ثم قصد بلد آل عمار ، فَقُتِلَ بها ، في جمع كثير من اصحابه ، نحو المائتين . ثم ان الأتراك ولّوا عليهم رجلاً منهم ، يقال له الاسكندر . فأقام بالمقرانة اياماً ، وظفر بالفقيه عمر الجبرتي ، احد خواص السلطان ، فدله على مال عظيم للسلطان ، من الذهب ، فأخذه ، وقسمه في العسكر ، وخنق الجبرتي .

ثم توجه إلى جهات صنعاء ، وكانت بينه وبين عسكر السلطان وقعة ، بجهة الغَفْرة[٢] ، قُتِلَ فيها من الأتراك ، وجموعهم ، واشراف جازان ، خلق كثير . فلما علم السلطان بذلك استخفه الفرح ، ولاحق الجند المصري إلى مدينة صنعاء . فلما علموا بوصوله ، قصدوه قبل أن يحط الأحمال ، فكانت بينه وبينهم وقعة عظيمة ، استشهد فيها مولانا السلطان ، في يوم الجمعة ، الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر . واستشهد ، يوم الخميس الذي قبله ، اخوه عبد الملك . عجل الله بروحهما إلى اعلى الجنان ، وتلقاهما بالمغفرة والرضوان .

وأُسِرَ ولد السلطان ، أبو بكر ، وولد اخيه ، عامر بن عبد الملك ، في اواخر شهر ربيع الثاني ، من سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، تغمد الله أبويهما برحمته الواسعة ، وغفر لهما مغفرة جامعة ، [لخير الدارين جامعة][٣] وقابلهما برضوانه ، وملكهما اعلى مرتبة في جنانه . فلقد اصيب الاسلام ، والمسلمين فيهما ، مصيبة لا جبر لكسرها ، ولا نفع لضرها . فانا لله وانا اليه راجعون ، ثم انا لله وانا اليه منقلبون ، واقول :

أخلاّي[٤] ، ضاع الدين من بعد عامر
وبعد اخيه ، اعدل الناس في الناس

---

(١) يقول محقق قرة العيون : « بلدة بيافع سرو حمير تعرف اليوم بخلاقة وهو حصن وقرية » (ج ٢ ص ٢٣١ هامش ١) .

(٢) الغَفْرة ، بالغين ، كذا في النسخ . وفي « قرة العيون » : العفرة ، بالعين (ج ٢ ص ٢٣٢ هامش ٢) .

(٣) جملة ساقطة في (د) و (هـ) .

(٤) في (هـ) : خَليلَيّ .

فَمُذْ فقدا والله ، والله ، اننا
من الأمر ، والسلوان ، في غاية اليأس

واقول أيضاً ، في المعنى ، لأولهما :

تحطم ، من ركن الصلاح ، مشيدُهُ وقُوّض ، من بنيانه ، كلُ عامر
فما من صلاح فيه ، بعد صلاحه ولا عامرٌ ، والله ، من بعد عامر[1]

٢/١٢١ ثم دخل الجند المصري مدينة صنعاء ، فاستولوا /على ما فيها ، وقتلوا اهلها ، وصادروا تجارها بأموال جليلة ، واستصفوا اموال الأمير علي محمد البعداني . واقاموا بها نحو شهرين ، واكتسبوا فيها ، من الأموال ، ما لا يحصى كثرة . ثم عزموا على التوجه إلى مدينة زبيد . فخنقوا الأميرَ علي محمد البعداني[2] ، وتركوا بصنعاء منهم نحو المائتين ، وساروا إلى زبيد ، على طريق نقيل اليُخار . فلقيتهم جموع بني حُبَيْش ، والشوافي ، وبني سرحة ، إلى اسفل نقيل اليُخار . وكانت بينهم وبينهم وقعة عظيمة ، قتلوا فيها منهم الأبطال ، وانتهبوا الأموال ، واستنقذوا الشيخ عامر بن عبد الملك ، واخذوا عليهم جميع ما اخذوه من تعز ، والمقرانة ، وصنعاء ، وبواديها ، وكانت نحواً من ثمانية آلاف جمل[3] ، من الذخائر ، والنفائس ، والذهب ، والفضة ، والقماش ، والخيل ، والجمال ، والبغال ، والعدد . ثم دخلوا مدينة زبيد ، ليلة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، منهوبين ، مسلوبين ، مغلوبين . فنسأل الله السلامة والعفو والعافية . [والحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله علّى سيدنا محمد ، وآله وصحبه وسلم ، وشرّف ، وكرّم][4] .

ومات ، في هذه السنة ، من الأعيان ، فقيه مدينة تعز ومفتيها ومدرسها ،

---

(١) بيتان ساقطان في (هـ) .
(٢) كذا في النسخ ، على الحكاية .
(٣) كذا في النصوص ، ولعل الصواب : حمل ، إذ ذكر المؤلف الجمال بعد ذلك .
(٤) الزيادة من (د) و (هـ) .

إلى هنا تنتهي نسخة القاهرة: « وكان الفراغ من زبر هذه النسخة المباركة ليلة . . . . ثمانية وعشرين في شهر محرم الحرام سنة ١١٥٨ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

الفقيه عفيف الدين عبد الباري بن سليمان الطويل ، في شهر محرم ، والعلامة الكبير ، مفتي مدينة زبيد وعالمها ، كمال الدين موسى بن زين العابدين الرداد ، عصر يوم الجمعة ، التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، والفقيه الكبير الصالح ، تقي الدين عمر بن محمد بن أبي بكر بن جعمان ، ببيت الفقيه ابن عجيل ، في ليلة الجمعة ، ثاني شهر ربيع الآخر ، رحمة الله عليهم اجمعين .

وكان الملك الظافر ، رحمه الله تعالى ، على جانب عظيم من الدين والتقوى . نشأ في طاعة الله تعالى ، لم تعلم له صبوة . وكان ملازماً للطهارة ، والتلاوة ، والاذكار ، لا يفتر عن ذلك اناء الليل واطراف النهار ، كثير الصدقات وفعل المبرات .

ومن مآثره المخلدة لذكره على الدوام ، والموجبة لحلوله بدار السلام ، في جوار الملك العلام ، عمارة الجامع الأعظم ، بمدينة زبيد ، لم يسبق إلى مثلها ، انفق في ذلك جملة مستكثرة من اموال ، وخالص حلاله . وعمارة المدرسة الظافرية ، من جنوبي الدار الكبير ، بمدينة زبيد ، وعمارة مدرسة الشيخ الكبير إسماعيل بن ابراهيم الجبرتي بها ، وعمارة مشهد الفقيه أبي بكر الحداد ، خارج باب القرتب ، بظاهر مدينة زبيد ، ومدرستان بمدينة تعز ، واجراء العين بها / ، 122/1 والجامع الكبير بالمقرانة ، ومسجد القبة بها ، ومدرسة عظيمة برداع العرش ، ومسجد بداخل مدينة عدن ، وآخر بالمباة ، بظاهر باب البر منها ، وصهريج عظيم بها ، لم يسبق إلى مثله ، وآخر بقرية عسيق ، وما لا يحصى من المساجد ، والصهاريج ، والآبار ، والأسداد ، في الأماكن المحتاج اليها ، والمفاوز المنقطعة . وهو الذي اجرى الثلاج[1] ، إلى مدينة عدن ، من اماكن بعيدة ، وانفق في ذلك اموالاً عديدة . وله من اعمال البر ما لا يحصى كثرة ، ولا يدركه من حاول حصره ، ضاعف الله له الثواب ، واحسن له المرجع والمآب .

وكانت مدة ملكه إلى أن اخذت مدينة زبيد ، ثمانياً وعشرين سنة واحد عشر يوماً ، وإلى انقضاء دولته ، تسعاً وعشرين سنة إلا اياماً . رحمه الله تعالى ، واطاب مثواه ، وجعل جنة الفردوس مأواه .

---

(1) الثلاج : سبق ذكره ص ٣٣٥ . وفي « قرة العيون » التلاح. ويقول المحقق : « كذا في الأصل ، وفي بعض النسخ السلاح ، ولم تظهر كلاهما » (ج ٢ ص ٢٣٤ رقم ٦) .

ومن آثار اخيه ، الشيخ عبد الملك ، رحمه الله ، مدرسة عظيمة بالمقرانة ، واخرى برداع العرش . وله اعمال من البر كثيرة ، ومشاهد ، في الحرب ، محمودة شهيرة .

ولم يكن في الملك الظافر ، رحمه الله تعالى ، خصلة تذم سوى تعرضه للوقف ، ومعارضة الفقهاء فيه . واظن ذلك هو الذي كان سبباً لزوال دولته ، وما في يديه . وانا ناصح ، والنصيحة من الدين ، لكل من يتولى امور المسلمين ، من الملوك والسلاطين ، وسائر المتصرفين ، ان لا يتعرض للوقف واهله ، ولا يبيع عزه بذله . فما سمعت احداً اشتغل به وباهليه ، وتعرض من اولي الأمر للكلام فيه ، الا تغيرت احواله ، وتعثرت اذياله ، وتبلبل باله ، وعظم وباله ، وانعكست آماله ، ووتر أهله وماله . فليحذر الذين يخالفون عن امره ، أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب اليم . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقلت في ذلك ، على سبيل النصيحة ، لمن ارادها (شعر) :

يا صاحبي ، لا تكلم في الوقف ، اولى واصلح
فاننا ما رأينا شخصاً تولاه افلح

وقلت من ابيات ، رثيت بها الملك الظافر ، تغمده الله برحمته ، واسكنه اعلى الفردوس من جنته :

لم نشاهد لعامر قط فيمن	قد رأينا من الملوك مزيدا
عاش في ملكه سعيداً حميداً	وتوفي براً تقياً شهيدا / ١٢٢/٢
بوّ الله روحه جنة الخلد	واعطاه من رضاه مزيدا
فلقد كان للوجود صلاحا	ولدين الله ركناً شديدا

وهذا آخر ما قصدته من جمع هذا الكتاب ، والله سبحانه الموفق والهادي إلى الصواب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1] ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه ، وسلم .

---

(١) ينقطع هنا الكلام في نسخة (و) ، دون ذكر تاريخ المخطوطة .

[وكان الفراغ من نسخ[1] هذا التاريخ المبارك ، ضحى يوم الأربعاء ، تاسع عشر شهر ذي القعدة الحرام ، احد شهور سنة ٩٤٢ هجرية ، على صاحبها افضل الصلاة والسلام . وصلّى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم][2] .

---

(١) في الأصل : نساخة .
(٢) التاريخ المذكور هو تاريخ مخطوطة برلين . اما نسخة (د) فغير مؤرخة . والأقرب إلى الظن انها تمت سنة ٩٤٣ ، كما ذكرناه في المقدمة .

ذيل على الذيل ، مأخوذ من مخطوطة أكادمية الاتحاد السوفيتي . (يقع في سبع صفحات) .

بعد أن أشار الناسخ إلى انتهاء كتاب « الفضل المزيد » إذ وضع في نهاية المخطوطة كلمة : « تمت » أضاف إليها الصفحات التالية . ونحن نثبتها هنا لفائدتها ، بكل تحفظ ، لأنه من الصعب جداً تحقيق مخطوطة ، استناداً إلى نسخة واحدة ، كما هي الحالة في هذا الذيل ، لمؤلف مجهول .

[بعض ما حدث من سنة ٩٢٤ إلى سنة ٩٣١]

١ ولما استشهد مولانا السلطان، عامر بن عبدالوهاب، وأخوه، الشيخ عبدالملك ، بظاهر مدينة صنعاء ، في أواخر شهر ربيع الآخر ، من سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، قام بالأمر بعده ولده ، الشيخ شهاب الدين أحمد بن عامر ، ببلد المقرانة ونواحيها ، إلى شهر المحرم ، سنة أربع وعشرين وتسعمائة . ومات شهيداً بالسم .

ثم قام بعده الشيخ عامر بن عبد الملك بن عبدالوهاب ، قياماً حسناً ، وهو إذ ذاك صغير السن ، وظهرت له شوكة وأمر مطاع ، في بلاد بعدان ، والشوافي ، وسائر الجبال . وبلغ إلى ذمار ، ودوخ أهل تلك الجبال ، إلى شهر رمضان من السنة المذكورة . ومات شهيداً بالسم ، بعد أن ولّى الشيخ محمد بن أحمد بن عامر بن طاهر الأمر .

واستقام محمد بن أحمد بن عامر متولياً ، من التاريخ المذكور ، يخطب له

بمدينة عدن وسائر الجبال . وغزا الترك إلى مدينة تعز ، ونال منهم .

وكان مرجان وعبدالنبي ، عبد السلطان الملك الظافر ، مخادعين له ، يظهران له أن أمور السلطنة إليه ، وأنهما مطيعان الأوامر ، ويبطنان خلاف ذلك ، حتى عزم على التوجه إلى مدينة عدن ، ومرجان بها . فأظهر ما كان يبطنه ، وقال ما قتل أولاد سيدي بالسم إلا هو ، وخلعه عن الولاية ، وولّى الشيخ عبدالملك بن محمد بن عبدالملك بن داود بن طاهر ، وخطب له بمدينة عدن .

وقام الشيخ عبدالملك المذكور بالولاية ، وحاول دخول مدينة عدن . فجعل مرجان يداريه ويقول : البلد بلدك . فأقام بلحج مدة ، يحاول دخول عدن ، ومرجان يماطله بالاذن بذلك ، وهو صابر حتى أذن له مرة في دخولها ، على سبيل التفرج . فلما دخلها ، وأقام بها نحو عشرة أيام ، حاول إخراجه منها بالحيلة ، فلم يتفق له ذلك . فتعب خاطر مرجان لذلك ، وكان سبباً لمرض موته . ثم مات غير بعيد ، ليلة الاثنين ، الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر .

٢ فاستمر الأمر بيد الشيخ عبدالملك ،وتم له الدست وانتظمت ولايته . فأقام بمدينة عدن ، يمهد قواعدها ، ويتفقد حصونها ، ويولي فيها من يثق به ، من ٢٧ شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وتسعمائة .

ولما تم له فيها ما أراد ، استخلف أخاً له وتوجه منها إلى جهة حيان ، في سبع وعشرين ذي القعدة ، سنة سبع وعشرين وتسعمائة . فأقام بها مدة ، يرصد البدو ، ويفادهم [كذا] ، ويراوحهم بالغارات ، حتى دانوا وانقادوا لأوامره ، ثم توجه إلى جهة المقرانة ، فأقام بها مدة ، يقرر رسومها ، ويمهد قواعدها . ثم قصد جهات بعدان ونواحيها ، وأطاعه أهلها كافة ، سوى صاحب التعكر محمد بن عبد الرحمن ، وصاحب حصن خب المغربي بن النظاري . ثم رجع إلى جهة المقرانة ، وغزا مدينة ذمار ودوّخ أهلها . ثم عاد إلى جهة رداع ، وحط على الشيخ محمد بن أحمد واخوته ، برداع ، وقطع زرعها وكرمها ، وضيق عليهم أشد الضيق . ثم ارتفع بنفسه ، وترك المحطة على حالها ، ودخل المقرانة . ثم توجه منها إلى عدن ، فدخلها في أوائل شهر ربيع الأول ، من سنة [ثلاث وتسعمائة][1] .

---

(١) كذا في الأصل ، ولعل المقصود سنة ثلاثين وتسعمائة .

وبلغه وصول سلمان الرومي ، إلى بندر الحديدة ، فأخذ بتحصين مدينة عدن ، والتحفظ من العدو ، وترتيب الجيوش . واستخدم ، من المهرة ، نحواً من ستمائة مقاتل ، وأقام بمدينة عدن مدة ، ثم خرج إلى بلاد حيان ، ثم قصد حصن حب ، وحاصر المغربي فيه أياماً ، حتى شارف أخذه . ثم حصلت مخادعة ، من بعض عسكره ، ونزل عليهم أصحاب الحصن ، وقتلوا منهم جماعة . وخلّص الله تعالى السلطانَ عبدالملك منهم ، ورجع إلى المقرانة ، فأقام بها أياماً . ثم سار إلى حيان ، فأقام بها أياماً ، ثم إلى لحج .

فلما استقر بها ، وصلته كتب من يوسف الأشرفي صاحب حصن تعز ، ببذل الطاعة منه وممن معه من العسكر . فتقدم إلى الدملوة . وخرج إليه يوسف الاشرفي ، في جماعة من كبار أصحابه ، وحلفوا له ، ودخل معهم إلى مدينة تعز ، ٣ في جماعة قليلة من أصحابه ، في آخر شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة . وأقام بها نحو نصف شهر ، ليس معه من العسكر إلا القليل . ثم إن يوسف الاشرفي ، وجانم ، وآخرين منهم ، ركبوا إليه إلى الدار ، وطالبوه بانعام على العسكر . وكان قد أعطاهم ما بذلهم [كذا] ، فأحسّ بالشر منهم . ثم قام من بينهم ، على أنه يريد أن يهيء لهم ضيافة . فلما دخل ، استدعى جمعاً من أصحابه وعبيده ، ورتبهم عنده . ثم استدعى بيوسف الاشرفي ، فلما دخل عليه قتله . ثم استدعى بجانم ، ففعل به كذلك . ثم بفرحان ، وفعل به كذلك . ثم أمر العبيد وأصحابهم [بتفتيش][1] بيوت الترك ، والقبض على من وجد منهم ، فلم يمضِ نصف النهار حتى قبض على جميعهم ، في يوم الأحد ، سادس عشر شوال ، من سنة إحدى وثلاثين وتسعماية ، ولله الحمد والمنة .

وفي شهر رجب ، سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة ، قصد جماعة من المعازبة بيت الفقيه ابن عجيل ، وكانت اقطاعاً لواليها ، قانصوه بن حسين ، وبها يومئذ نائبه . وكان الوالي غائباً . وهجموا الدار ، وأخذوا فرسين لواليها ، وهرب نائبه ، واستجار بقبر الفقيه أحمد بن موسى . فلما بلغ الأميرَ حسيناً الخبرُ ، أغزى طائفة من جنده ، ومن عرب التربية ، وجعل عليهم علي جون مقدماً . فقتل من المعازبة

---

(١) الزيادة من المحقق ، ليستقيم المعنى .

فوق الأربعين نفساً ، وجُزّتْ رؤوسهم ، وقدم بها إلى زبيد . ثم بعد أيام ، أرسل المعازبة للأمير يطلبون أماناً ، ويبذلون الطاعة . فطلب منهم مالاً عظيماً ، يعجزون عن تحصيله . فما زالوا ينهبون الطرق ، ويخيفون الناس ، حتى نهبوا قافلة عظيمة ، في طريق بيت الفقيه ، وعظم ضررهم على المسلمين . فغزاهم الأمير بنفسه ، من مدينة زبيد ، في جمع عظيم من الجند ، وأهل التربية ،/والقرشيين . ٤
فدخلوا الهيجة . فأقام الأمير مدة ، محاصراً لهم على باب الهيجة ، حتى أدوا الطاعة ، وسلموا ما معهم من الخيل . وكانت قليلة ، وقبلها منهم ، وأعطاهم أماناً ، وارتفع عنهم جهة القرشية ، بعد أن قدم إليها عليّ باي المحمدي ، يصيح لأهلها بالأمان والاطمئنان ، على ذمة الله تعالى ورسوله ، ﷺ . ودخل الأمير حسين بعد ذلك إلى القرشية ، فجر يوم الخميس . ودخل عليه مشائخ القرشيين ، وقدموا له الضيافات ، فقبل منهم وجعل [ليضيف من كل من][1] دخل من العسكر بيوتهم ، أو أخذ لهم شيئاً . فلما كان ظهر يوم الخميس ، أمر أصحابه بالاستعداد للهجوم على القرشيين ، على غفلة ، والأخذ بثأر جعفر وأصحابه ، المقتولين في القرشة . وأمر بقتل من وجد من الرجال ، والنساء ، والصبيان ، والأطفال المراضع . وألزم جماعة من الفرسان الوقوف للهاربين ، بمجامع الطرق ، وقتل من مر بهم من قرشي وغيره . وركب بنفسه إلى المسجد الجامع ، فوقف على بابه ، والسيف مصلت . وأمر الجند بدخول المسجد ، وقتل من وجد فيه ، من مصلي ، وقارئ ، وفقير ، ومستجير . فدخلوا ، وقتلوا كل من وجدوا فيه ، حتى معلم الصبيان ، والصبيان الذين يتعلمون فيه القرآن ، وإمام المسجد ، وهو يصلي في المحراب بالناس الظهر ، وجميع من يصلي معه .

واتفق على أهل القرشية ومن جاورهم ، بل ومن قدم إليها ، من غير القرشيين ، من التجار والمتسببين ، من القتل ، والأسر ، والنهب ، وهتك المحارم ، وكشف الحجاب ، حال لم يكن لأحد في حساب ، ولا يرتضيه رب الأرباب . وكانت وقعة عظيمة ، ما سمع بمثلها .

ووقف الأمير ، ليلة الجمعة ويوم الجمعة ، بقرية القرشية ، يستصفي

(١) كذا في الأصل .

٥ الأموال ، ويستأسر من النساء ، والصبيان ، والرجال ، والأطفال ، ويقدم ذلك إلى زبيد ، طائفة بعد أخرى ، رجالاً ونساء ، وأموالاً . ثم ارتفع إلى مدينة زبيد ، فدخلها ضحى يوم السبت ، سادس عشر من الشهر ، مستصحباً جملة من رؤوس القتلى ، نحو المائة ، ومن الرجال ، والنساء ، والأطفال المستأسرين ، ما لا يحصى . ثم أمر ، يوم الأحد ، بجمع البقر المنهوبة ، وكانت كثيرة جداً ، فجمعت . وقذفها في عسكره ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

[عود إلى حوادث سنة أربع وعشرين وتسعمائة]

كانت وقعة اليُخار[1] ، يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة . خصم فيها التركَ بنو حبيش ، وأهل الشوافي ، وبنومسلم ، وأهل زباب . وقدم الأمير اسكندر زبيد ، ليلة السبت تاسع عشرين من الشهر المذكور . ودخل الشريف عزالدين ، صاحب جازان ، صبح السبت ، في العساكر .

وقُتِل الصديق بن الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي ، عصر يوم الجمعة ، لتسع وعشرين من صفر ، سنة أربع وعشرين وتسعمائة . [وقعد فنطاريه في الجيش][2] ، للتاريخ المذكور . وشنق أبو السعادات عبدالقادر بن ظهيرة ، يوم الأحد ، مستهل ربيع الأول . وعزم الأمير اسكندر إلى تعز ، على طريق حيس ، عشية يوم الجمعة ، خامس شهر ربيع الأول ، فدخلها ، وحصل بينه وبين السلمي وقعة ، قتل فيها جمع من الفريقين . فلما رجع السلمي إلى صبر ، نظر راية الترك قد نصبت على بعض حصون صبر . فشاطبه بعسكره و[ ][3] على نفسه . فتوجه إلى طريق بلده . فقعد في الطريق ، وقبض العسكر المصري بعض حصون صبر وقراها ، وأقاموا بتعز مدة . ودخل عبد الوهاب العبسي على الأمير اسكندر بها ، ٦ فأكرمه .

ثم بعد أيام ، ألزمه تسليم مال جزيل ، فأجابه بالسمع والطاعة ، مداهنة ،

---

(١) في النص : محار .
(٢) كذا ، والله أعلم بمراده .
(٣) كلمة غير مقروءة فأسقطناها .

وصبر إلى الليل ، وهرب إلى جهة بحرانة ، واتفق ، مع أخيه عبدالملك ، على الخلاف على الأمير اسكندر .

وكان جانم عند بني العبسي ، في جماعة من الترك ، محاصراً على بحرانة . فخادعهم عبدالملك العبسي ، للضيافة إلى أعلى الحصن . فلما صاروا إلى عنده ، قيّد منهم جماعة وقال لهم : لا سبيل إلى فكاككم حتى يجيء ولدي مروان سالماً . وكان أسيراً بزبيد . فلما بلغ الأمير اسكندر ذلك ، ارسل لمروان إلى زبيد ، وأوصله إلى [زبيد][1] . فلما صار عنده ، أطلق الجماعة الذين أسرهم .

ثم إن جانم أكثر من التوعد ، للأمير اسكندر ، بالهجوم عليه وعلى أصحابه الذين معه بتعز . فأخذ الأمير اسكندر منه بالحذر ، ونزل بمن معه ، من أصحابه الذين يقولون بقوله ، إلى زبيد ، وترك بتعز من يخشى غائلته منهم . وترك الشيخ أبا بكر ابن السلطان عامر أسيراً عندهم ، بحصن تعز ونزل إلى زبيد .

وفي يوم الأحد ، التاسع عشر من شهر جمادى الأولى ، سنة أربع وعشرين وتسعمائة ، كانت وقعة جبلة ، قتل فيها ، من الترك واتباعهم ، فوق ثلاثمائة ، وغنمت جميع حمولتهم وآلاتهم ، واستقلعت خيلهم . وانهزم اسكندر وعزالدين ، ولم يعلم لهم خبر ، حتى وصلوا تعز ، بعد ثلاثة أيام ، في أسوأ حال . وأقاموا بتعز مدة ، ثم نزلوا إلى زبيد ، فدخلوها ، يوم الاثنين ، ثاني عشر جمادى الآخرة ، سنة أربع وعشرين وتسعمائة . واعترضهم الحجري ، في طريقهم ، وأخذ عليهم جميع ما في صحبتهم ، من الجمال والأحمال . ودفع وادي موزع بسيل عظيم ، وهم إذ ذاك في بطن الوادي ، فأخذ منهم جماعة ، وسال بأموال | جزيلة ، وعدد عظيمة . ٧ ولما وصلوا إلى زبيد ، واستقروا بها ، عرضوا عسكرهم ، فكانوا نحو ثلاثمائة رجل ، من الترك والعجم ، ومن اتباعهم ، نحو مائة وخمسين نفساً .

ثم إن درغن تجهز ، بأمر الإسكندر ، إلى جهات موزع ني نحو ثلاثة عشر فارساً ، وسار ، في يوم الجمعة ، سابع رجب . وتجهز رمضان أيضاً ، بأمره إلى جهات الشام ، يوم الاثنين ، عاشر الشهر المذكور . وأقام الأمير اسكندر بزبيد ، هو والشريف عزالدين . وحاول الشريف عزالدين أن يتوجه إلى جهات تلمدة ، (؟)

---

(١) كذا في الأصل ، والظاهر من الكلام أن المقصود : البحرانة .

صحبة رمضان ، فلم يسمح الإسكندر بالفسح له ، بل قال له : أنت يميني ولا سبيل إلى مفارقتك . وأعطاه مبلغاً من المال والطعام . فأقام عنده ، على كره منه .

ولما توجه رمضان ، إلى جهة الشام ، حصل من القرشيين ، على أهل نخل وادي زبيد ، تشويشٌ وهجمٌ على البيوت ، في الليل . وربما خرجوا وسلبوا .

وكان الأمير فارس (؟) ، إذ ذاك ، مقيماً بقرية الفرس . فأغار عليهم ، وقتل منهم اثنين ، وحزت رؤ وسهم[1] ، ودخل بها زبيد . وتزلزل الناس ، وعزموا من النخل إلى زبيد . وبلغ كراء الجمل ثمانية دنانير ، والحمار نصف ذاك .

وفي التاريخ المذكور، يوم وقعة جبلة ، كانت فعلة جازان ، غزاها صاحب حَلْي ، قيس الحرامي ، وحصل بينه وبين صاحبها ، الشريف مهدي ، مقاتلة وانهزم الشريف ، ودخل قيس بلاده ، ونهبها ، وأخربها . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) كذا .

«فهرس « الفضل المزيد »

صفحة

ص

ملحقات الكتاب

١ ـ أهم المراجع
٢ ـ شرح الألفاظ الغريبة والكلمات الفنية
٣ ـ الفهارس
٤ ـ المقدمة باللغة الفرنسية : تاريخ العربية الجنوبية خلال تسعة قرون ٦٢٢ ـ ١٥١٧

أهم المراجع

المخطوط

- الأشْخَر ، جمال الدين محمد بن أبي بكر : هذه الاراحة في علم المساحة (خاص ، زبيد)
- با فقيه الشِّحْري : تاريخ الشِّحْر (مكتبة المُكَلاّ ، حضرموت) .
- البُرَيْهي ، عد الوهاب بن عبد الرحمن : التاريخ الأصغر (مجموعة الكاف ، تريم ، حضرموت) .
- الجَنَدي ، محمد بن يوسف بن يعقوب : السلوك في أخبار العلماء والملوك (باريس)
- الحُبَيْشي ، عبد الرحمن بن محمد : الاعتبار في التواريخ والأخبار (القاهرة) .
- الصَّعْدي ، محمد بن علي الزحيف : مآثر الأبرار في تفضيل مُحَمَّلات جواهر الأخبار (صنعاء) .
- المُطَهَّر ، عيسى بن لطف الله بن ، رَوح الروح فيماحدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح (صنعاء والقاهرة) .

المطبوع

- ابن بطوطة ، رِحْلَة أو تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- ابن حزم (محمد علي بن أحمد بن سعيد : جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- ابن الديبع (عبد الرحمن بن علي) : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد علي الأكوع ، القاهرة ، ١٣٩١ (الجزء الأول) ، ١٣٩٧ (الجزء الثاني) .
- ابن المجاور : تاريخ المُسْتَبْصِر ، تحقيق أوسكر لوفغرين ، ليدن ، بريل ، ١٩٥١ .
- ابن منظور : لسان العرب ، بيروت (الرجوع إلى المواد) .

- أبو فرج الأصبهاني : الأغاني ، دار الفكر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٦ .
- الأكوع ، اسماعيل بن علي ، المدارس الاسلامية في اليمن ، منشورات جامعة صنعاء ، صنعاء ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- با مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، تحقيق أوسكر لوفغرين ، ليدن ، ١٩٥٠ .
- البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- الجاسر ، حَمَد : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، دون تاريخ (ثلاثة أجزاء) .
- الجاسر ، حَمَد : معجم قبائل المملكة العربية السعودية ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، دون تاريخ (في جزءين) .
- الخزرجي ، أبو الحسن ، كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بيسوني عسل ، ليدن ، بريل ، ١٩١٣ (جزءان) .
- الرازي ، أحمد بن عبد الله الرازي الصنعاني : تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق حسين العمري وعبد الجبار زكار ، صنعاء ، ١٩٧٤ .
- الزبيري ، محمد مرتضى ، تاج العروس (الرجوع إلى المواد) .
- العَرَشي ، حسين بن أحمد : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، تحقيق الأب انستاس ماري الكرملي ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
- عُمارة اليمني ، نجم الدين : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، تحقيق محمد علي الأكوع ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
المُقَدّسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، ١٨٧٧ .
النهرّوالي ، قطب الدين : البرق اليماني في الفتح العثماني ، أشرف على طبعه حَمَد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
الهَمْداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد علي الأكوع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب : كتاب الاكليل ، تحقيق محمد علي الأكوع ، الجزء الأول ، بغداد ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، الجزء الثاني ، القاهرة . ١٣٨٦ هـ ، الجزء الثامن ، مطبعة الكاتب العربي ، دمشق ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب : كتاب قصيدة الدامغة ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

يحيى بن الحسين : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م (جزءان) .
- ياقوت الحموي : معجم البلدان (الرجوع إلى المواد) .
- ياقوت الحموي : معجم الأدباء (الرجوع إلى المواد) .
- الفيروز ابادي : القاموس المحيط (الرجوع إلى المواد) .

Dozy, R. Supplément aux dictionnaires arabes.

Lane, E. W.: An arabic - english lexicon.

Encyclopédie de l'Islam.

شرح بعض الألفاظ الغريبة والكلمات الفنيِّة

تحيير السفن	: صرفها عن طريقها وارغامها على أحد اتجاه آخر
جامِكيَّة	: المرتب أو العطاء الذي يناله موظف الدوله .
الجهات	جمع جهة : لقب تفخيم يطلق على بنات كبار موظفي الدولة
الخواجا	: لفب تفخيم يطلق غالباً على كبار التجار .
الدار	: كلمة تفخيم تطلق على نساء الأمراء والأعيان .
الدويدار	: شخص تسند إليه خدمة البيت الكبير .
الدراهم الرباصية	: من الفضة الخالصة .
الروم	لا يراد بهم الجيل المعروف من الناس ولكن الأتراك الذين يحكمهم السلطان القائم على عرش القسطنطينية .
الزِّمام	تجمع على أزمّة : الذي تسند إليه إدارة القصر ، ويُسمَّى أحياناً صاحب الزِّمام .
سَبْرَة	ما يكفي لقوت الانسان
الشخوص	عملة ذهبية كبيرة .
شفاليت	جمع شفلوت (بغية المستفيد ص ١٥٥) وشفليت (الفضل المزيد ص ٣١١) ، يراد بهم المرتزقة من الفرسان وأهل الحرب . ويظهر أن الكلمة فرنسية الأصل . ويقول صاحب البرق اليماني : « الشفاليت طائفة من العرب ملفقين من كل قبيلة يأكلون العلوفة السلطانية ويخدمون العسكر سفراً وحضراً ويربّون شعورهم » (ص ٢٩٧) .
الشيخ	كلمة تفخيم تطلق على أفراد الأسرة المالكة وعلى رؤساء القوم .
ضامن	يجمع على ضمناء ، الذي يقوم بتحصيل ضرائب أو خراج منطقة أو بلد أو أرض لقاء مبلغ معلوم يضمن دفعه لخزينة الدولة .
طواشي	الخصي
العِرافة	الرئاسة على طائفة من الجند لا يقل عددهم على العشرة .

العوارون	لم أجدْ لهذه الكلمة تعريفاً والظاهر من استعمالها انه يراد بها طائفة من الحرس يقومون بحفظ البلد .
الفناجرة	الخيالة الذين يُجيدون ركوب الخيل ويقومون بالألعاب على ظهورها .
قصبة	البلدة الكبيرة أو العاصمة .
لُكّ	قطعة من الذهب وزنها عشرة آلاف دينار .
قال	قيلاً وقائلة وقيلولة ، استراح أو نام وقت الظهر .
المحتسب	مراقب الأسواق والأوزان والمكاييل .
المُدّ	« مكيال وهو رطلان أو رطل وثلث أو ملءُ كفّي الانسان المعتدل إذا ملأهما ومدّ يده بهما » (القاموس المحيط ، مادة مدد) .
المستوفي	الذي يقبض غلات الدولة ويشرف على الدخل والنفقات .
المُشِدّ	موظف يراقب الأعمال والانشاءات التي يقوم بها متعهدو الدولة ويشرف عليها .
المَعَاد	قطعة من الأرض مساحتها عشرة آلاف ذراع مربع .
مقدّم	قائد ، دون الأمير ، يقود العساكر ويتقدمهم .
مَنّ	« كيل وهو رطلان » (لسان العرب ، مادة مَنَنَ) .
المناصب	جمع مَنْصِب ، وجوه القوم يمتازون بالصلاح والدين ويؤ من الناس ببركتهم .
نَقِيل	عقبة
الهَسْف	التعنيف الشديد واستعمال القوة إذا اقتضى الأمر .

الفهارس

ملاحظة هامة

قد تمّ وضع فهارس « بغية المستفيد » قبل الانتهاء من الطبع . ولذا فإن الأرقام المذكورة تشير إلى ورقات المخطوطة المعتمد عليها وقد أثبتنا أرقامها في هوامش الصفحات .

أما « الفضل المزيد » فقد أُعدّت فهارسه بعد استلام مسودات الطبع ولذا فإن الأرقام تشير إلى صفحات الكتاب .

فهرس الاعلام للرجال والنساء

١ - بغية المستفيد

(*) ٨/١ معناه : الورقة ٨ الصفحة الأولى من المخطوطة .

٢ ـ الفضل المزيد

فهرس الاعلام للرجال والنساء
(إلاّ الملك الظافر عامر الثاني)

فهرس الأمم والقبائل والأماكن (إلاّ زبيد)

١ - بغية المستفيد

فهرس الأمم والقبائل والأماكن (إلاّ زبيد)

٢ - الفضل المزيد

فهرس المواضيع

١ - بغية المستفيد

مقدمة المحقق

ص

تمهيد المؤلف

الباب التاسع : في ذكر دولة السلطان تاج الدين عبد الوهاب بن داود بن طاهر ١٥٣

الباب العاشر : في ذكر دولة السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر ١٧٣

خاتمة ٢١٧

فهرس المواضيع

٢ ـ الفضل المزيد

819 Ibn Ziyâd est dépêché au Yémen par le calife.

820 Fondation de Zabid.

829 Yuʿfir ibn ʿAbdallah se révolte à Shibâm, près de Sanaa.

898 Début de l'Imamat zaydite au Yémen.

821-1012 Les Ziyâdides (Zabid).

839-1003 Les Yuʿfirides (Shibâm et Sanaa).

898-1962 Les Zaydites (Saada, Sanaa, Taëz).

1012-1160 Les Najâḥides (Zabid).

1047-1138 Les Çulayḥides (Sanaa et Jibla)

1077-1173 Banu Zurayʿ (Aden).

1099-1173 Banu Ḥâtim (Sanaa).

1158-1173 Banu Mahdi (Zabid).

1173-1229 Les Ayyûbides (Sanaa).

1129-1454 Les Rasûlides (Taèz et Zabid).

1454-1526 Les Ṭâhirides (Miqrâna et Aden).

1497 Vasco de Gama double le Cap de Bonne Espérance.

1516-1538 L'état circassien du Yémen (Zabid).

1538-1636 Le Yémen, une province de l'Empire ottoman.

1636-1849 Le Yémen retrouve son indépendance sous l'égide de l'imamat zaydite.

1839 Occupation d'Aden par les forces britanniques.

1849-1918 Les ottomans réoccupent le Yémen.

Chronologie

575	Fin de l'occupation du Yémen par les Abyssins chrétiens ; le Yémen devient une province de l'empire sassanide.
622	Muḥammad se réfugie à Médine ; c'est l'an 1 de l'Hégire.
628	Mort de Khusraw II, assassiné par son fils.
628-630	L'Islam se répand au Yémen ; Bâdhân conclut un accord avec Muhammad.
630	Prise de La Mekke par Muḥammad.
632	Al-Aswad al ʿAnsî apostasie et prend le pouvoir à Sanaa ; il est tué par ses lieutenants. Mort de Muḥammad ; califat d'Abu Bakr.
633	L'apostasie embrase aussi le Ḥaḍramawt et la Yamâma ; elle est sévèrement réprimée par Abu Bakr. Le Yémen devient une province de l'Etat musulman.
634	Mort d'Abu Bakr ; califat de ʿUmar.
644	Califat de ʿUthmân
656	Assassinat de ʿUthmân ; califat de ʿAli.
657	Bataille de Çiffîn entre les partisans de ʿAli et ceux de Muʿâwiya.
660	Muʿâwiya proclamé calife à Damas ; il envoie une armée contre le Yémen.
661	Mort de ʿAli.
740	Mort de Zayd, fondateur du zaydisme.
746	L'agitation ibâḍite gagne le Ḥaḍramawt où ʿAbdallah ibn Yaḥya al-Kindi, proclamé Imam, se soulève contre le pouvoir umayyade.
747	Sanaa, La Mekke et Médine prises par les Kharidjites ; ils sont écrasés par les forces umayyades.
750	Début du califat abbasside.
757	Maʿn ibn Zâ'ida nommé gouverneur du Yémen.
763	Répression sauvage dans le Ḥaḍramawt.
786	Califat de Harûn al-Rashîd.
809	Mort d'al-Rashîd ; califat d'al- Amîn.
812	Califat d'al-Ma'mûn.
815	Ibn Ṭabâṭabâ se révolte à Kûfa ; Ibrâhîm al-Kâẓim cherche à mettre la main sur le Yémen.

Notes

(1) J. CHELHOD, Introduction à l'histoire sociale et urbaine de Zabid, *Arabica*, t. XXV, fasc. 1, p. 48-88, 1978. On a peut-être remarqué que les noms propres arabes, d'un emploi courant en français, ont été écrits avec leur orthographe usuelle, comme Aden, La Mekke, Médine, Sanaa, Saada, Taëz, Zabid...

(2) HAMIDULLAH M., Le Prophète de l'Islam, t. I, p. 242, 276 s. J. Vrin, Paris, 1959.

(3) Muḥammad Aḥmad NUʿMÂN, *Al-Aṭrâf al-Maʿniyya fî-l-Yaman*, p. 86 ; s.l., 1965.

(4) *Mikhlâf*, terme arabe antéislamique, signifie lieu et résidence d'un *khalîfa* (d'où calife), lieutenant, substantif déjà utilisé par les sud-Arabes avant l'Islam.

(5) L'historien al-Hamdâni nous informe que la vocalisation correcte est *Yuʿfir* quand il s'agit des sud-Arabes. Mais ce nom, qui s'écrit d'ailleurs de la même manière, se prononce *Yaʿfur* lorsqu'il est utilisé par les autres Arabes (HAMDÂNI, *Iklîl*, t. II, p. 71 s. ; édité par al-Akwaʿ, sans lieu ni date).

(6) Ibn BAṬṬÛṬA, *Riḥla*, p. 247 ; Dâr Çâdir-Dâr Bayrût, Bayrût, 1960 ; Voyages d'Ibn Baṭṭûṭa, tr. fr. par Defrémery et Sanguinetti, t. II, p. 163, Anthropos, Paris, 1969.

(7) Ibn BAṬṬÛṬA, *Riḥla*, p. 247 s.

commandée par Ḥusayn al-Kurdi. Celui-ci s'est emparé d'abord de Djedda et l'a fortifiée (1511). Puis, n'ayant pas reçu du sultan du Yémen l'aide matérielle qu'il lui avait demandée, il prit d'assaut Zabid, qui fut livrée au pillage pendant trois jours (1516). C'était la première fois que les Yéménites faisaient connaissance avec les armes à feu : ils en ont éprouvé une grande frayeur. Battus par les Mamlûks qui les ont pourchassés de place forte en place forte jusqu'aux portes de Sanaa, ils ont livré la capitale du Yémen après un combat héroïque dans lequel ᶜÂmir II trouva la mort (1517). Les Ṭâhirides de Taëz et d'Aden opposeront à l'envahisseur un combat d'arrière-garde. Mais la lutte sera inégale et le dernier d'entre eux sera pendu au plus haut mât du vaisseau amiral de la flotte turque en l'an 1538.

C'est avec la mort tragique du dernier souverain ṭâhiride que s'achèvent les chroniques d'Ibn al-Daybaᶜ. Notre aperçu historique qui sert d'introduction aux deux ouvrages édités aujourd'hui n'a nullement la prétention d'en être le résumé fidèle. D'ailleurs, telle n'était point notre intention en le rédigeant. Bien des informations sur des sujets très divers ont été sciemment passées sous silence. Devant l'incroyable enchevêtrement des faits politiques, de nature à dérouter le lecteur non averti, nous nous proposions seulement de présenter un modeste aide-mémoire qui permettrait de situer chronologiquement les événements scrupuleusement consignés par l'historien yéménite.

Joseph CHELHOD

militaires eurent pour résultat de hâter la fin de cette dynastie.

Par ailleurs, le détenteur du pouvoir se méfiait de plus en plus des membres de sa parenté, comme de ses sujets yéménites. Pour maintenir son royaume et diriger les affaires de l'état, il se fiait surtout à ses serviteurs et ses esclaves. Devenus nombreux et puissants, ils avaient mis le sultan en tutelle.

Ainsi al-Muẓaffar, qui prit le pouvoir en 845/1441, vit se dresser successivement contre lui trois membres de sa parenté sur le trône de Zabid. Le dernier d'entre eux, le roi Masʿûd, n'avait que treize ans. Il fit pourtant la guerre à Muẓaffar et put s'emparer du fort de Taëz en 854/1450. Mais l'état moribond ne pouvait s'opposer au despotisme des mercenaires qui étaient les véritables maîtres du pays et y faisaient régner la terreur. Mécontents de Masʿûd, ils proclamèrent un autre sultan à Zabid en 855/1451. Cette ville, mise plusieurs fois à sac, appela à son secours le gouverneur d'Aden, ʿÂmir Ibn Ṭâhir. Celui-ci profita de l'occasion pour occuper la ville et s'emparer du pouvoir (858/1454).

Les Ṭâhirides (1454-1517)

Il faisaient remonter leurs origines aux Umayyades, mais ils appartenaient en réalité à la puissante confédération des Madhḥij, des tribus montagnardes fixées dans la région de Radâʿ, au sud-est de Sanaa. Leurs préférences allaient donc aux hauts plateaux où ils pouvaient compter sur les liens du sang et la solidarité clanique. Aussi ont-ils fait de Miqrâna leur capitale.

Leur premier mouvement, après l'occupation de Zabid, fut d'assurer la sécurité dans la plaine côtière. Ils commencèrent donc par châtier sévèrement les esclaves dont la sédition avait précipité la chute de la précédente dynastie. Maîtres de tout le Yémen inférieur, ils jetèrent alors leur dévolu sur le nord du pays. Mais l'Imam al-Nâçir leur barrait la route de Sanaa. La lutte pour cette dernière ville qu'ils ont occupée pendant deux ans, les mit aux prises avec les forces zaydites et coûta la vie au premier de leurs souverains : ʿÂmir I (1466). Dès lors, son frère ʿAli, qui règna sous le titre de Mujâhid, limita ses ambitions au Yémen méridional, avec ses trois principales villes : Taëz, Zabid et Aden. Cette politique de prudence sera aussi celle de son successeur. Mais ʿÂmir II, qui accéda au trône en 1489, avait des visées autrement audacieuses et réussit là ou son homonyme avait échoué. Il établit donc progressivement sa domination sur les hauts plateaux, disputa Sanaa à l'Imam zaydite et y fit une entrée triomphale en 1504, après un siège épique de six mois. Il était dès lors en mesure de résister victorieusement à ses nombreux ennemis. Mais le coup qui devait lui être fatal, ainsi qu'à sa dynastie, allait venir de l'extérieur.

Vers la fin du XVe siècle, les Portugais faisaient des tentatives pour pénétrer dans l'océan Indien en contournant l'Afrique. Conseillé et peut-être guidé par Ibn Mâjid, le plus grand navigateur arabe du moyen-âge, Vasco de Gama, réussit à franchir le Cap de Bonne Espérance. Bientôt les vaisseaux portugais terroriseront les Arabes depuis Aden jusqu'au Golfe. Pour faire face à ce nouveau danger, les Mamlûks d'Egypte, à l'invitation de la Sublime porte, ont envoyé une flotte dans la mer Rouge,

palmeraies plusieurs samedis de suite, à la recherche de quelques moments de détente. L'instauration, plus exactement la restauration de ces réjouissances qui auraient disparu depuis Teghtakîn, serait due au roi Mu'ayyid. Le sultan lui-même prenait part à la fête. Accompagné de ses intimes et de ses courtisans, il se rendait aux palmeraies où il passait plusieurs jours, puis il allait à la mer. A cette occasion, écrit Ibn Baṭṭûṭa, « il ne reste dans la ville aucun de ses habitants ni des étrangers. Les musiciens sortent aussi et il en est de même des marchands, qui vont débiter les fruits et les sucreries. Les femmes quittent la ville portées par des chameaux dans des litières »(7). Aux dires des chroniqueurs, « des choses très blâmables » se déroulaient pendant ces festivités : promiscuité, chant et allégresse. Quelque sept cents juristes et puritains ont préféré quitter Zabid plutôt que d'assister, impuissants, à un tel dévergondage. Les historiens ne disent rien de l'usage du vin de dattes lors de ces moments de liesse. Nous savons en revanche que les souverains rasûlides s'adonnaient à la boisson et ne s'en cachaient pas.

Sous leur sage administration le Yémen sortit de son isolement et se fit une place parmi les puissances de l'Orient. Ils étaient en effet en relation avec les cours de Dahlak, de Bagdad, du Caire, de Delhi, de Ceylan et de la Chine, avec lesquelles ils échangeaient des cadeaux. C'est l'Inde surtout qui exerçait sur eux la plus grande influence, au point que l'étiquette de la cour était conforme à celle des souverains de ce pays, comme l'avait noté Ibn Baṭṭûṭa.

Le règne des Rasûlides, le plus brillant dans l'histoire du Yémen musulman, fut aussi le plus long : deux cent vingt-cinq ans, si l'on excepte celui des Imams zaydites qui surent garder le pouvoir pendant plus de mille ans. Sans doute, leur fief se limitait souvent à la seule région de Saada. Mais ils eurent parfois la haute main sur une partie importante du Yémen, sans jamais atteindre l'extension territoriale des Rasûlides, moins encore leur splendeur, quand ils étaient au faîte de leur gloire.

A l'instar de tous les souverains de l'Arabie du sud, depuis que cette province musulmane a rejeté l'autorité des Abbassides, les Rasûlides eurent maille à partir avec les Zaydites, comme avec les membres de leur propre famille. Leur pouvoir, surtout quand leur dynastie était au déclin, fut aussi contesté par les mercenaires *mamluks* qui prétendaient imposer leur loi et placer sur le trône l'homme de leur choix. Mais ils eurent surtout à lutter contre le féodalisme tribal qui avait deux principaux foyers d'agitation : le Ḥadramawt et la Tihâma.

Tant que l'état était jeune et fort, les nombreuses tribus de la région, toujours turbulentes et prêtes à la rebellion, acceptaient de mauvaise grâce de faire leur soumission. Elles mettaient donc à profit le moindre signe de faiblesse, notamment lors de l'avènement d'un nouveau roi pour troubler l'ordre public. Mais quand le glas de la ḍécadence avait sonné, les souverains n'étaient plus à même de lutter contre ces mêmes tribus.

Sous le règne du Sultan Ashraf Ismâ'îl (842-845/1438-1441), l'insécurité dans la Tihâma fut à son comble. Les armées rasûlides se sont attaquées aux forces rebelles, remportant parfois des victoires, mais essuyant aussi de sévères défaites. Ces revers

la plus noble extraction. Enfin, leur longue expérience, aux côtés des Ayyûbides, leur avait appris à se méfier des hauts plateaux où les tribus faisaient la loi, tramaient des complots, repoussaient énergiquement tout conquérant et lui opposaient une résistance farouche, dans des forteresses réputées inexpugnables. Sans doute, les nouveaux maîtres du Yémen ne délaisseront pas Sanaa, sur laquelle d'ailleurs ils établiront également leur autorité. Mais celle-ci sera périodiquement mise en cause. Ils se fixeront donc à Taëz, dont ils feront leur capitale, et à Zabid qui deviendra leur résidence d'hiver. Conséquence inattendue de cette politique, le Yémen, aux yeux d'al-Khazraji, le principal historien de cette dynastie, se limitait à Taëz, Zabid et la plaine côtière jusqu'à Aden : il en excluait tacitement tout le nord du pays, y compris Sanaa.

A la mort du roi Masʿûd, le gouverneur du Yémen, ʿUmar Ibn al-Rasûl prit le pouvoir (1229). Selon un schéma devenu coutumier, il établit d'abord son autorité sur Zabid, occupa Taëz après un dur siège et entra presque sans coup férir à Sanaa dont il confia l'administration à son neveu. En l'espace d'un an, il devint le maître de tout le Yémen et fit frapper sa propre monnaie. Pour marquer son indépendance vis-à-vis des souverains d'Egypte, il sollicita et obtint, en 1235, l'investiture du calife de Bagdad. Sa puissance alla en grandissant et s'étendit bientôt depuis Aden jusqu'à La Mekke. Mais à l'instigation de son neveu qui aspirait à devenir le maître incontesté de Sanaa, il fut traîtreusement assassiné par ses propres serviteurs (1249), alors qu'il se trouvait à Janad. Leur forfait accompli, ils choisirent un nouveau roi et mirent le siège devant Zabid.

Une longue lutte pour la succession allait s'ouvrir. Elle finira par le triomphe d'al-Muẓaffar, fils du disparu, qui s'assurera d'abord de l'allégeance de la Tihâma, avant de soumettre le reste du pays. Son long règne (1249-1295) sera surtout marqué par ses guerres contre les Imams zaydites qui lui disputeront sans cesse Sanaa. A l'instar de son illustre père, il accordera une attention particulière à Zabid, qui deviendra ainsi la seconde ville du Yémen. Cette politique sera celle de tous les souverains rasûlides.

Sous leur impulsion et pour concurrencer le zaydisme, la capitale de la Tihâma allait devenir un centre universitaire islamique de première grandeur, essentiellement consacré à l'enseignement du sunnisme. La générosité de la classe dirigeante attirait d'autant plus aisément les savants que ces derniers, honorés, respectés et bien rétribués, voyaient se multiplier à Zabid et ailleurs les établissements religieux.

Un soin particulier était accordé à l'agriculture et à l'arboriculture. Zabid comptait, sous Ashraf II, vingt-six pressoirs à huile. Ce souverain fit aménager, dans la vallée, un magnifique parc auquel il donna curieusement le nom de Siryâqûs (Syracuse ?) et qu'il garnit d'essences rares, d'arbres au bois précieux et de plantes exotiques. C'est à ce même souverain qu'on doit l'introduction du riz à Zabid. De magnifiques palmeraies entouraient la cité, qui possédait aussi, nous informe Ibn Baṭṭûṭa, « beaucoup de jardins et de fruits tels que bananes et autres » (6).

Chaque année, au moment de la récolte des dattes, on prenait le chemin des

son autre frère Teghtakîn qui mata rapidement toutes les rébellions. Pendant les quatorze années de son règne (1183-1196), ce fut pour le Yémen une période de calme relatif et de contrainte. La mort de ce souverain autoritaire fut accueillie avec soulagement ; il aurait même été empoisonné. C'est lui qui donna à Zabid sa quatrième enceinte et imposa lourdement les propriétaires des palmiers-dattiers.

Son successeur, qui n'était autre que son propre fils Ismâ'îl, exerça un pouvoir tyrannique, joua au calife indépendant et ligua contre lui aussi bien les Yéménites que ses propres mercenaires. Sa garde finit par l'assassiner non loin de Zabid, en 1201. Il fut inhumé à l'est de la ville, et son tombeau est encore connu sous le nom de *Qubbat al-khalîfa,* coupole du calife.

Malgré son jeune âge, son frère al-Nâçir fut placé sur le trône. En fait, le pouvoir était exercé, en son nom, par de hauts dignitaires qui portaient le titre d'atabeg. Un de ses ministres se débarrassa de lui en l'empoisonnant ; mais il paya de sa vie cette traîtrise. Devant cette nouvelle flambée de violence, le souverain d'Egypte eut recours à une méthode éprouvée : l'envoi de nouvelles forces. Le sultan Mas'ûd, qui les commandait, occupa d'abord Zabid (1216), prit Taëz et soumit rapidement la plus grande partie du Yémen, à l'exception de Sanaa qui lui résista. Mais en 1218, après un long siège, il y fit son entrée.

Le clan des Rasûlides, entièrement à la dévotion des Banu Ayyûb, fit preuve dans les moments les plus difficiles, de courage et de sagacité. Aussi se vit-il confier les plus hautes fonctions. Un de ses membres, 'Umar ibn al-Rasûl, fut même nommé gouverneur général du Yémen par le sultan Mas'ûd. Ce fut son dernier acte politique en Arabie du sud. Il devait décéder, un peu plus tard, à La Mekke, en 1229, alors qu'il regagnait l'Egypte.

L'occupation du Yémen par les Ayyûbides fut fonc de cinquante-cinq ans, durant lesquels tout autre pouvoir autre que le leur fut soit brisé, soit réduit à l'impuissance. Deux forces avaient résisté aux conquérants Kurdes : d'une part, les tribus du Ḥaḍramawt, d'autre part celles des hauts plateaux du nord Yémen, généralement loyales au zaydisme. C'est ainsi que l'Imam 'Abdallah ibn Ḥamza (qui prit le pouvoir de 583/1187 jusqu'à sa mort en 614/1217), lutta contre Teghtakin, ensuite contre son fils Ismâ'îl, occupa Sanaa et poussa ses conquêtes jusqu'à Damâr. Ce dernier fut même contraint de vivre dans le Yémen inférieur à cause de l'hostilité des montagnards, pour être finalement assassiné par les soldats de sa propre garde. Les Rasûlides, plus fins politiciens et amis des sciences et des lettres, donnèrent au Yémen la prospérité et l'essor qui lui ont fait jusqu'ici défaut.

Les Rasûlides (1129-1454)

Leur rôle de conseillers des Ayyûbides, puis d'administrateurs, les avait familiarisés avec la vie politique yéménite dont ils connaissaient tous les rouages. Ils savaient aussi de quel doigté il fallait faire preuve dans les rapports avec les gens du pays. Quoique d'origine turkmène, ils se réclamaient très habilement d'une descendance ghassanide, qui faisait d'eux des Arabes du sud, au même titre que les Yéménites de

Une plé·.iore d'états éphémères

La dynastie des Çulayḥides, au temps de sa splendeur, avait imposé à l'Arabie du sud une certaine unité politique. Son déclin donna le signal du démembrement de l'Etat. Après les Banu Zurayᶜ, à Aden, les Banu Ḥâtim (1099-1174) tentèrent de constituer, à leur tour, un sultanat indépendant à Sanaa. Ils appartenaient, eux aussi, à la confédération des Hamdân, lesquels n'étaient guère constants dans leur allégeance et leur soutien. Le petit état ainsi formé aura notamment à contenir les assauts de l'Imam zaydite Aḥmad ibn Sulaymân, qui occupera Sanaa en 566/1171.

Dans la plaine côtière, les Banu Najâḥ ne survivront pas longtemps à leurs ennemis traditionnels. Devant leur incapacité à repousser les attaques d'Ibn Mahdi, un autre chef ambitieux qui cherchait à se tailler un royaume sous couvert de la religion, les habitants de Zabid, affamés par un siège très dur qui les avait contraints à manger de la charogne, appelèrent à leur secours l'Imam de Saada (553/1158). Mais celui-ci accusait le souverain de la Tihâma d'homosexualité. Il posa donc comme condition à son assistance militaire la mort du sodomite. C'est ainsi que périt le dernier des Najâḥ des mains de ses propres sujets. Mais ni sa disparition ni les troupes de l'Imam ne suffiront pas à arrêter les assauts d'Ibn Mahdi, qui s'était juré de chasser les Abyssins. Après des combats acharnés, il occupa Zabid, qui devint la capitale d'un nouveau royaume riche et éphémère (1158-1174). Sa faible longévité s'explique par la grande anarchie qui régnait alors au Yémen. Pour s'en faire une idée, il suffit de savoir qu'Ibn Mahdi, aux dires des chroniqueurs, fit main basse sur les richesses de vingt-cinq états, chiffre à peine croyable pour un si petit pays. L'arrivée des Ayyûbides mettra un terme à l'anarchie, comme aux illusions.

Les Ayyûbides en Arabie du sud (1174-1229)

Ibn Mahdi, nous l'avons dit plus haut, avait fini par occuper Zabid, malgré l'appui des forces zaydites pour desserrer l'étreinte des assaillants. Ces derniers poursuivirent leurs attaques contre d'autres centres de la Tihâma, faisant partout des ravages. Pour échapper à ce fléau, des chefs yéménites sollicitèrent l'assistance du Calife d'Egypte. Saladin, alors son ministre, reçut l'ordre de mettre fin au désordre qui régnait au Yémen. Il dépêcha, dans ce but, son frère Tûrânshâh, en 569/1174.

Arrivé avec des forces considérables à Zabid, le conquérant kurde s'empara de la grande métropole de la Tihâma et mit fin brutalement à la dynastie des Mahdides, dont les trois principaux membres furent pendus sous la porte même de leur capitale. Il avait pour conseillers des membres de la famille Rasûl, venus avec lui du Caire. Leur rôle sera déterminant dans la conquête et l'administration du pays, dont ils deviendront ensuite les maîtres. L'action militaire fut menée tambour battant. Après l'occupation de Zabid, Tûrânshâh se rendit à Aden où il mit fin à la dynastie des Zurayᶜ, héritiers et successeurs des Çulayḥides, déclara la guerre aux petits seigneurs de la montagne et occupa Sanaa. Il soumit ainsi à son autorité l'ensemble du pays. Au bout d'une année, il regagna l'Egypte, laissant à ses préfets le soin d'administrer la nouvelle province, apparemment soumise et pacifiée. Mais sans chef énergique à sa tête, elle ne devait pas tarder à retomber dans l'anarchie. Saladin dépêcha alors

à La Mekke pendant une quinzaine d'années. Ayant acquis ainsi une certaine notoriété, il jugea alors le moment opportun pour une action d'envergure. A la tête d'une soixantaine de partisans qui lui avaient juré fidélité, il prit possession, en 429/1038, de Jabal Masâr, véritable nid d'aigle à l'ouest de Sanaa, dans les montagnes de Ḥarâz. A son appel, les tribus de cette région se soulevèrent. Appuyé par tous les shiites du Yémen, il rencontra quand même une vive résistance et vit se dresser contre lui les petits princes qui avaient profité de la chute des Ziyâdides pour se proclamer indépendants. Vainqueur d'une première coalition, il conquit rapidement le Yémen supérieur et occupa Sanaa, après en avoir chassé les Yuᶜfirides. Mais il a vite compris qu'il ne pouvait venir à bout de ses rivaux, tant qu'ils recevaient de Najâḥ aide et assistance. Il s'appliqua donc à séduire le maître de Zabid, à lui faire de nombreuses concessions. Il réussit finalement à le faire empoisonner par une esclave, en 1060. Il put alors occuper Zabid, soumit le Ḥaḍramawt à son autorité et s'employa à en extirper les derniers germes de l'ibâḍisme.

La mort de Najâḥ, loin de mettre fin au conflit, le transforma en rivalité entre deux clans, voire entre deux races. En effet, le nouveau maître de la Tihâma pourchassa les Abyssins qu'il massacra en grand nombre. Mais les fils de Najâḥ réussirent à s'échapper et épièrent dans l'ombre les mouvements de leur ennemi. L'un d'eux, le prénommé Saᶜid, à la tête de ses partisans, surprit Çulayḥi alors qu'il se rendait en pèlerinage à La Mekke et le tua (1067).

La victoire de Saᶜid fut de courte durée. En effet, à l'appel de sa mère, prisonnière de l'abyssin, Mukarram al-Çulayḥi marcha sur Zabid et la prit d'assaut en 1068. Son succès sera également éphémère car les vaincus ne tarderont pas à réintégrer leur capitale. Saᶜid régna jusqu'en 1088, date à laquelle il fut tué sous les murs de sa ville, victime d'un stratagème ourdi par la célèbre reine 'Arwa, épouse de Mukarram. Son frère Jayyâsh échappa au massacre, gagna l'Inde où il ne resta que quelques mois, retourna la même année au Yémen et reprit Zabid.

La lutte pour l'hégémonie opposa longtemps les deux dynasties rivales. Mais en 1092 (?), les Najâḥ infligèrent une défaite si sévère aux Çulayḥides qu'ils durent abandonner définitivement la Tihâma à leurs vainqueurs. Leur dynastie allait bientôt s'éteindre, avec la mort de la reine 'Arwa, en 1138, âgée de quatre-vingt-dix ans.

Les Banu Zurayᶜ (1078-1174), à Aden et dans le Ḥaḍramawt

Quand ᶜAli al-Çulayḥi occupa Aden en 1063, le célèbre port et les régions qui en dépendaient, c'est-à-dire Laḥj, 'Abyan, Shiḥr et le Ḥaḍramawt, étaient sous l'autorité des Banu Maᶜn. Le nouveau maître du Yémen maintînt ces derniers au pouvoir, moyennant le paiement d'un tribut annuel. A sa mort, ils revinrent sur leur allégeance, ce qui poussa son fils, al-Mukarram, à leur faire la guerre. Vainqueur, il chassa les rebelles et confia l'administration de toutes les régions du sud à deux de ses partisans : ᶜAbbâs et Masᶜud, de la famille Zurayᶜ, appartenant, comme lui, à la grande confédération des Hamdân. Mais selon un scénario classique au Yémen, l'allégeance ne survit pas à la faiblesse du suzerain. Un arrière petit-fils de ᶜAbbâs, le prénommé Sabâ, domina la branche collatérale et proclama son indépendance.

le Ḥaḍramawt, et dont le fer de lance de ses armées était formé de mercenaires sinon abyssins, du moins fortement métissés. L'unité nationale à laquelle le peuple aspirait confusément était constamment contrariée par les ambitions personnelles. De sorte qu'elle sera l'oeuvre de l'étranger, imposée à la pointe de l'épée, condamnée de ce fait à l'échec précisément parce qu'elle blessait l'orgueil national.

Les Banu Najâḥ (1016-1150)

La disparition des Yuʿfirides laissa le champ libre aux Ziyâdides dont la puissance, après la mise à sac de Zabid par ʿAli Ibn al-Faḍl, fut sérieusement ébranlée. Le dernier de leurs souverains ne laissa, à sa mort, qu'un enfant en bas âge. Celui-ci fut donc placé sous tutelle, et le pouvoir exercé, en son nom, par un affranchi nubien, Ḥusayn ibn Salâma. Il remplit son ministère avec beaucoup d'éclat, se révéla un grand capitaine, un excellent administrateur et un bâtisseur infatigable. Il redonna au royaume son ancien éclat, et son autorité s'étendit même sur Aden et le Ḥaḍramawt. Mais sa régence (1001-1012), en dépit de toute l'habileté déployée, ne pouvait résoudre les problèmes majeurs de la dynastie : l'absence d'un héritier capable de prendre en main les rênes du royaume d'une part, et l'ascendance de plus en plus grande prise par la garde prétorienne d'autre part. Les Ziyâdides appartenaient en effet à la tribu des Umayyades, des Arabes du nord. De ce fait, ils se sentaient plus ou moins étrangers au Yémen. Aussi se sont-ils appuyés, pour asseoir leur autorité, sur des serviteurs abyssins dont le nombre allait en s'accroissant. A la mort de Ḥusayn ibn Salâma, ils avaient pratiquement la main sur tous les rouages de l'Etat.

L'héritier des ziyâdides était un tout jeune garçon. Il fut donc placé sous la tutelle de sa tante paternelle et d'un affranchi de Ḥusayn ibn Salâma, un certain Marjân, qui confia la direction du royaume à deux esclaves abyssins, Najâḥ et Nafîs. Celui-ci, de nature despotique, jugea le moment opportun pour mettre fin à la dynastie moribonde. Il profita de l'absence de son acolyte pour emmurer vivants le dernier rejeton des ziyâdides et sa tante et s'emparer du pouvoir (407/1016).

La lutte ne tarda pas à éclater entre les deux nouveaux maîtres de Zabid. Najâḥ, plus fin politicien et meilleur diplomate que Nafîs, souleva la population contre lui et lui fit payer de sa vie sa traîtrise. Resté seul, il proclama son allégeance au calife abbasside qui, en échange, le reconnut comme son vassal sur la Tihâma. Ambitieux et doué d'une forte personnalité, Najâḥ agrandit rapidement son domaine et fut craint et respecté même dans le Yémen supérieur. Il est le fondateur de la dynastie des Banu Najâḥ qui régna sur Zabid pendant 134 ans.

Les Çulayḥides (1038-1138)

Cette longue domination fut interrompue par les incursions des Çulayḥides, dynastie yéménite d'obédience fatimite qui établit son autorité sur Zabid à plusieurs reprises. En effet, dans les hauts plateaux, le mouvement ismaélien, après le cuisant échec des carmates, avait repris sa propagande. Son principal instigateur, Ali al-Çulayḥi, appartenait au clan des Yâm, de la célèbre confédération des Hamdân. Fils d'un qâḍi, lui-même très versé dans la science religieuse, il avait conduit les pèlerins de sa tribu

au Najrân. Sa tentative de soumettre Sanaa à son autorité se heurta à l'opposition des Yu^c^firides. Néanmoins, malgré cet échec, il réussit à implanter solidement le zaydisme au Yémen. L'imamat ne disparaîtra de ce pays qu'en 1962, avec l'avènement de la République.

Les Carmates au Yémen (884-915)

La secte des Carmates, aux principes collectivistes, de la branche shiite de l'Islam, fut introduite au Yémen vers 270/884, par deux missionnaires : ^cAli ibn al-Faḍl, d'origine yéménite, et Ibn Ḥawshab. Après une habile propagande religieuse, faite séparément par les deux protagonistes, ce qui permit à chacun d'eux de rassembler autour de lui de nombreux partisans, séduits par leurs bonnes paroles et leur piété apparente, il passèrent à l'action. Le mouvement se propagea, sur un terrain bien préparé, avec la rapidité d'un feu de brousse. ^cAli ibn al-Faḍl, plus ambitieux et actif que son acolyte, alla de victoire en victoire et finit par investir Sanaa et en chasser le maître, 'As^cad ibn Abi Yu^cfir (293/906). La même année il occupa Zabid qu'il livra au pillage et à l'incendie.

Une unité nationale introuvable

Maître d'une grande partie du Yémen, Ibn al-Faḍl lutta victorieusement à la fois contre les forces de l'imam, appelé par les habitants de Sanaa pour les délivrer des Carmates, et contre celles de 'As^cad ibn Abi Yu^cfir, qui dut plus d'une fois s'avouer vaincu. Ce dernier accepta finalement la suzeraineté d'Ibn al-Faḍl ; il redevint donc gouverneur de Sanaa pour le compte de son vainqueur. La chance lui sourit enfin : le décès de l'Imam al-Hâdi (298/911), fut suivi de celui d'Ibn al-Faḍl (303/915), mort empoisonné disent les chroniqueurs. Il reconquit donc le pays, n'ayant devant lui que des forces disparates, dépourvues de dirigeants. Pendant près de trente ans, il fut le véritable maître du Yémen, évitant les querelles inutiles avec les zaydites, cantonnés à Saada, comme avec les ziyâdides, alors au déclin. Mais les successeurs de 'As^cad n'avaient ni son énergie, ni son habileté politique. Sa mort sonnait le glas de l'hégémonie yu^cfiride. La lutte entre les principales forces rivales (ziyâdides, zaydites, yu^cfirides) reprenait de plus belle. Sanaa changeait souvent de maître. Le dernier des Yu^cfirides, 'As^cad ibn ^cAbdallah (mort en 393/1003) accepta la suzeraineté de l'imam al-Qâsim. Quant au califat abbasside, sa mise en tutelle par le pouvoir prétorien et les troubles qui agitaient l'empire ne lui permettaient guère de reprendre en main une province ballottée par le vent de l'insurrection et dont les chefs aspiraient à l'indépendance.

Si nous nous sommes quelque peu étendu sur cette partie de l'histoire du Yémen, bien qu'en fait, elle en soit la moins brillante, c'est à cause de son incidence sur les événements qui vont suivre et qui en porteront profondément la marque. Les forces qui s'affronteront pendant plusieurs centaines d'années sont déjà en place : le zaydisme implanté principalement à Saada et appuyé par plusieurs tribus du nord ; l'ismaélisme qui garda de profondes racines dans les hauts plateaux de Ḥarâz, malgré l'extinction du carmétisme ; le féodalisme tribal opposé à tout pouvoir central ; enfin, dans la plaine côtière, le souverain de Zabid dont l'autorité s'étendait sur Aden, voire sur

témoignage de satisfaction pour son action dans une région sans cesse agitée, l'appuya par une armée forte d'un millier de cavaliers. Grâce à cet appréciable renfort, il devint le maître incontesté de tout le Yémen inférieur, y compris Janad et le Ḥaḍramawt. Quant au Yémen supérieur, c'est-à-dire la région de Sanaa et des hauts plateaux, il était administré par un autre gouverneur, nommé également par le calife. Mais il ne tardera pas à échapper à l'autorité de Bagdad.

Bien qu'Ibn Ziyâd se conduisit en véritable potentat, il ne renia jamais son allégeance au califat abbasside. En revanche, celui-ci voyait en lui plus qu'un simple agent. Il affichait à son égard l'attitude d'un suzerain envers un puissant vassal. Il l'était effectivement, puisqu'il réussit à jeter les bases d'une dynastie qui se maintint honorablement, parfois même avec éclat, pendant près de deux siècles.

Les Yu'firides

Tandis que les Ziyâdides régnaient à Zabid et tentaient d'étendre leur domination, par deçà la plaine côtière, sur une partie des hauts plateaux, le *mikhlâf* de Sanaa allait être, à son tour, le théâtre de violentes secousses. Le Prince Muhammad ibn Yu'fir, dont le père avait déjà tenté de rejeter l'autorité des abbassides, fut nommé, en 258/872, gouverneur du Yémen supérieur pour le compte de ces derniers. C'était l'occasion inespérée de réaliser une vieille ambition. Il fit preuve de beaucoup de détermination pour soumettre, en sus du *mikhlâf* de Sanaa, le Janad et le Ḥaḍramawt, pourtant gagnés nominalement à Ibn Ziyâd.

Ainsi, tout en administrant la région pour le compte des Abbassides, sous l'égide des Ziyâdides, les Yu'firides travaillaient en fait à jeter les bases d'un état autonome, le deuxième au Yémen, ayant pour siège Shibâm, au nord-ouest de Sanaa. Mais le Prince Yu'fir, pour des raisons qui ne seraient pas sans rapport avec une crise de mysticisme, se fit remplacer, à la suite de son pèlerinage à La Mekke (262/876), par son fils Ibrâhîm. Le nouveau gouverneur garda le pouvoir pendant une quinzaine d'années, marquées par des soubresauts. Sa tyrannie dressa contre lui à la fois les *abnâ'* (iraniens) et leurs rivaux, les Banu Shihâb. Il mécontenta aussi les principales tribus montagnardes, notamment les Hamdân. Accusé de l'assassinat de son propre père et de son oncle paternel, il fut exécuté, en représailles, en 279/892. Pour ramener l'ordre, le calife dépêcha un nouvel agent. Mais l'unité se refit autour de As'ad ibn Abi Yu'fir en 282/896. Il aura la lourde tâche de soutenir la lutte à la fois contre l'Imamat zaydite et contre les carmates.

L'imamat zaydite : al-Hâdi (898-911)

On ne parlera pas ici du zaydisme en tant que secte religieuse ayant sa propre doctrine du pouvoir. On est intéressé seulement par son implantation au Yémen et la part qu'il prendra dans les luttes politiques. Les tentatives d'y instaurer un régime zaydite remontent à l'an 280/893, quand Yaḥya ibn Al-Ḥusayn al-Rassî, plus connu sous le nom d'al-Hâdi, y effectua une visite d'exploration qui se solda par un échec. Invité, plus tard, par plusieurs tribus de la confédération des Khawlân, qui lui accordèrent leur soutien militaire, il s'empara de Saada en 897, et étendit sa conquête

et la défaite de son armée mirent fin à son mouvement, malgré l'opposition acharnée d'Ibrahim al-Kāẓim. Pour réprimer de nouvelles velléités d'indépendance, surtout dans la Tihâma, toujours en effervescence, le calife al-Ma'mûn dépêcha au Yémen le prénomé Ibn Ziyâd, en l'an 203/819, pour rétablir l'ordre dans la plaine côtière. A cet effet il devait y bâtir une nouvelle ville. C'est ainsi qu'en 820, Zabid, jadis simple bourg appelé Ḥuçayb, devint le siège d'Ibn Ziyâd et, plus tard, la capitale du Yémen inférieur.

La *yamâniyya* (ou le sectarisme yéménite) ne désarmait point et souhaitait l'indépendance. Ses aspirations allaient bientôt se concrétiser, mais d'une manière si disparate qu'elles ne tiraient pas à conséquence. En effet, elles étaient non seulement dépourvues de cohésion et d'unité, mais, plus grave encore, les chefs qui cherchaient à les réaliser travaillaient les uns contre les autres, ce qui ne pouvait que profiter au pouvoir central.

Les états indépendants

Le premier mouvement séparatiste eut lieu dans la Tihâma. Il fut réprimé grâce à l'énergique gouverneur Ibn Ziyâd, avec l'aide des armées du calife. Nous verrons bientôt comment ce chef ambitieux imposa son autorité à une grande partie du Yémen, avant de se déclarer indépendant vis-à-vis du pouvoir abbasside.

Dans les hauts plateaux du Yémen, plus précisément à Shibâm, ville fortifiée proche de Sanaa, un notable d'une grande famille yéménite : Yuᶜfir (5) Ibn Abdul-raḥmân s'opposa ouvertement, dès 214/819, au gouverneur du Yémen nommé par le calife. Bagdad dépêcha contre lui des forces importantes. Il fut donc contraint à la soumission et paya tribut. Son fils reprendra le flambeau et réussira à se faire reconnaître par le pouvoir central comme chef autonome vers 872.

Dans les dernières années du neuvième siècle, plus précisément en 284/898 prenait pied à Saada le premier Imam Zaydite, fondateur d'une théocratie qui a pu se maintenir au Yémen jusqu'à la révolution du 26 septembre 1962.

Ainsi, le troisième siècle de l'Hégire (ou le neuvième siècle de l'ère chrétienne) est marqué par trois événements d'une importance capitale pour l'Arabie du sud. Ils portent en effet en eux, en même temps que les germes de l'indépendance, un levain de discorde qui empoisonnera l'unité nationale et l'empêchera de se réaliser jusqu'à nos jours.

Les Ziyâdides

Nous avons noté plus haut qu'à la suite du soulèvement des tribus de la Tihâma — les ᶜAkk et les Ashâᶜira — le calife al-Ma'mûm nomma Ibn Ziyâd gouverneur de cette région. Il parvint à y rétablir l'ordre, nous dit Ibn al-Daybaᶜ, mais au prix de durs combats et d'une lutte sans merci. La Tihâma pacifiée, du moins provisoirement, il y fit construire une ville, Zabid, qu'il fortifia. Politicien habile, il sut gagner l'estime et la confiance de son chef. Celui-ci, pour renforcer le pouvoir de son agent et en

laquelle son être frémit, quand elle est gouvernée par un pouvoir national. Aussi se contente-t-il de citer les noms des différents agents qui se sont succédé sur le *mikhlâf* de Sanaa devenu, entre-temps, plus important que celui de Janad. C'est à peine s'il mentionne Maᶜn ibn Zâ'ida (757), pour nous informer qu'il se livra à des représailles sauvages dans le Ḥaḍramawt, qui eut à déplorer quinze mille morts. En fait, il s'agit d'un coup terrible dont la conséquence immédiate fut une prise de conscience nationale et, à moyen terme, une tentative pour libérer toute l'Arabie du sud de l'autorité de Bagdad.

En réprimant ainsi, avec une sévérité extrême, l'aspiration à l'indépendance, Maᶜn réussit à en retarder l'échéance. Ses successeurs n'étaient pas de la même trempe que lui et parvenaient difficilement à faire face aux troubles suscités par un mécontentement quasi général. En l'espace de trente-cinq ans (765-800), dix-huit gouverneurs se sont succédé sur le siège de Sanaa. Le dernier en date, Muḥammad ibn Barmak, de l'aveu même des auteurs yéménites, était un bon agent qui avait à cœur les intérêts du peuple. Sa mansuétude fut interprétée comme une faiblesse, et la Tihâma ne reconnaissait plus son autorité. Hârun al-Rachîd, le puissant calife de Bagdad, a voulu briser la rebellion dans l'œuf. Il fit de son affranchi Ḥammâd al-Barbari son agent sur Sanaa et lui prescrivit la sévérité. Les instructions du calife furent appliquées avec une implacable dureté. Les troubles cessèrent, les impôts furent payés et la prospérité gagna tout le pays, disent les chroniqueurs. Mais, à la longue, la tyrannie du nouveau gouverneur ne pouvait qu'inciter à la révolte. Celle-ci éclata en effet et ne put être écrasée que grâce aux renforts envoyés par la capitale de l'empire.

En même temps, l'antagonisme entre les Arabes du nord et les Arabes du sud prit des proportions alarmantes. Malheureusement le califat abbasside n'a rien fait pour détendre la situation, bien au contraire. Sa politique anti-alide sensibilisait les Yéménites, traditionnellement dévoués aux *ahl-al-bayt*, « gens de la maison du Prophète ». En l'an 176/792, une lutte armée opposa les Nizârites (Arabes du nord) aux Yéménites de Syrie et l'on eut à déplorer, de part et d'autre, de nombreuses victimes.

A la mort de Harûn al-Rachîd, la lutte entre les deux prétendants au trône : al-Amîn et al-Ma'mûm ne fit qu'attiser les haines ethniques. Ce dernier finit par l'emporter et son règne est considéré, à juste titre, comme l'âge d'or de l'Islam. Mais la division entre les deux branches de la communauté arabe ne faisait que grandir. Les Arabes du sud ne craignaient pas de défier le pouvoir central et leur grand poète Diᶜbil eut l'audace de braver le Prince des croyants, en lui rappelant même le sort de son frère.

De leur côté, les Alides, mécontents d'avoir été évincés par les Abbassides travaillaient également à affaiblir le califat. En l'an 199/815, Ibn Ṭabâṭabâ prenait le pouvoir à Kûfa et remportait une victoire sur les forces loyalistes. Les conséquences de cette révolte se firent sentir d'abord dans les deux villes saintes de l'Islam, un moment ralliées aux insurgés ; ensuite au Yémen même où Ibrâhîm al-Kâẓim jugea le moment opportun pour en faire une province indépendante, nominalement sous l'autorité d'Ibn Ṭabâṭabâ. Mais la mort subite de celui-ci, la capture de son capitaine

surtout parmi les *thaqafites*, c'est-à-dire de la tribu du célèbre Ḥajjâj ibn Yûsuf et presque aussi despotes que lui. De sorte que lorsque le Kindite ʿAbdallah ibn Yaḥya fut gagné à la cause ibâḍite, toute cette province qui avait retrouvé une partie de sa vitalité, était prête à briser ses chaînes. Proclamé Imam, il prit le titre de Ṭâlib al-Ḥaqq, se plaça à la tête de la rebellion et chassa le représentant du pouvoir central. Conseillé et aidé par Abu Ḥamza, originaire de Baçra, Kharijite intrépide et valeureux capitaine, il décida de marcher sur Sanaa. La grande métropole yéménite ne put résister à l'assaut de deux mille guerriers, d'une incroyable audace. Le Yémen tout entier tomba ainsi entre leurs mains. Abu Ḥamza prit ensuite la cité sainte de La Mekke sans coup férir. Médine que défendait une armée forte de huit mille hommes fut soumise à son tour au pouvoir ibâḍite (130/748). Plein de confiance, le vainqueur se proposait d'attaquer le califat dans son propre fief : en Syrie.

Quoique son attention fût sollicitée par de nombreuses révoltes, l'énergique calife dépêcha une armée aguerrie forte de quatre mille hommes, commandée par un soldat de métier :ʿAbdul-Malik ibn ʿAṭiyya. Abu Ḥamza ne put lui opposer qu'une petite troupe décidée de six cents personnes. Malgré leur témérité, la lutte était trop inégale et les Kharijites furent exterminés. Ibn ʿAtiyya investit alors Médine. Il lança ensuite ses soldats contre Abu Ḥamza et ses partisans réfugiés à La Mekke. L'issue de la bataille fut fatale aux Ibâḍites qui périrent presque jusqu'au dernier. Abu Ḥamza y trouva aussi la mort. Ceux qui réussirent à s'échapper sont allés rejoindre les Kharijites de Sanaa, commandés par l'Imam en personne. Celui-ci décida imprudemment d'attaquer Ibn ʿAṭiyya, bien que ses fidèles fussent très inférieurs en nombre. Leur courage leur assura un premier succès. Mais en dépit de leur bravoure, ils furent battus et périrent avec leur chef.

Ibn ʿAṭiyya reçut l'ordre d'en finir avec les insurgés. Il occupa donc Sanaa et marcha sur le Ḥaḍramawt où il remporta un nouveau succès dû, comme les précédents, à un défaut de commandement dans les rangs ibâḍites, trop confiants dans leur courage. Un repli stratégique, tant à Medine qu'à La Mekke, leur aurait permis d'opposer aux armées du calife des troupes presque aussi nombreuses. Le sort de l'ibâḍisme aurait été différent. L'état instauré par l'Imam Ṭâlib al-Ḥaqq dura seize mois seulement. Une année après la sanglante répression qui endeuilla le Ḥaḍramawt, les Abbassides jetaient bas la dynastie umayyade et prenaient le pouvoir (132/750).

Sous le califat abbasside

La guerre contre l'ibâḍisme laissa l'Arabie du sud et plus particulièrement le Ḥaḍramawt presque aussi exsangues qu'après la *ridda* et l'appel du Calife à la guerre sainte. Le nouvel état, alors dans la force de la jeunesse, entendait faire respecter sa loi dans toutes les provinces de l'empire, notamment dans celles où régnait une agitation endémique. Les gouverneurs étaient donc choisis pour leur dévouement à la cause, mais aussi pour leur capacité et leur énergie qui leur permettaient de réprimer toute velléité de révolte. L'auteur yéménite Ibn al-Daybaʿ parle de cette période de l'histoire de son pays, comme d'ailleurs de celle qui l'a précédée, avec une indifférence qui nous semble intentionnelle, peut-être pour nous faire comprendre que cette province administrée par l'étranger n'avait rien de commun avec celle pour

d'écarter les anciens compagnons du Prophète, de pieux musulmans, jugés incapables de donner au gouvernement les structures nouvelles qu'exigeait l'empire. D'autre part, elle plaça, à chaque poste clé, un homme à sa dévotion. Il s'en suivit une agitation dans toutes les provinces musulmanes, habilement entretenue par les partisans de la *sabaiyya*, secte musulmane qui déclarait ʿAli héritier de droit divin de Muḥammad. Les agents du Calife étaient ouvertement critiqués. Lui-même aligna contre lui une grande partie des musulmans, notamment parmi les Ançars et les Yéménites. On exigea finalement son abdication. Il paya de sa vie son refus de se démettre.

Loin de calmer les esprits, l'accession de ʿAli au califat ne fit qu'accentuer le déchirement de la communauté. Dans la guerre qui s'en suivit entre ses partisans et ceux qui voulaient venger le sang du calife assassiné, on trouvait des Yéménites dans les deux camps. Les Hamdân, Madhḥij, Bajîla et Kinda s'étaient déclarés pour ʿAli. Les Sakûm et Ḥimyar avaient pris le parti de l'aristocratie qurayshite. D'autres grandes tribus comme les 'Azd et les 'Ashaʿir étaient divisées sur elles-mêmes et soutenaient qui le nouveau calife, qui ses adversaires.

Quelle était la situation intérieure du Yémen durant ces tragiques événements ? Saigné par les guerres contre l'apostasie, vidé des meilleurs des siens partis à la recherche de la gloire et de la toison d'or, il se souciait avant tout de panser ses blessures et de retrouver ses forces. Sa faiblesse ne lui permettait guère d'opposer la moindre résistance aux représentants du pouvoir central. Ces derniers, tant qu'ils étaient sévèrement contrôlés par l'inflexible calife ʿUmar qui ne tolérait aucune sorte de prévarication, ne pouvaient s'écarter de la ligne de conduite qui leur était tracée. ʿUthmân, son successeur, n'avait pas la même poigne. Les préfets avaient donc profité de sa mansuétude pour détourner, à leur profit, une partie des fonds publics. L'un d'eux, Yaʿla ibn Munya, amassa une fortune colossale au Yémen. Destitué par ʿAli, il se rallia aux opposants du nouveau calife et soutint leur cause financièrement.

Sous les Umayyades

La disparition de ʿAli (40/661) laissa le champ libre à Muʿâwiya. L'Arabie du sud fut administrée par des gouverneurs nommés par le calife de Damas. Il ne semble pas qu'elle ait manifesté une réelle velléité d'indépendance durant le règne des Umayyades (41-132/662-750). Le seul événement politique grave eut lieu dans le Ḥaḍramawt, précisément à un moment où l'État, frappé de décrépitude, vivait ses derniers jours (129/747). Malgré l'énergie et la détermination de Mirwân ibn Muḥammad, tous les efforts qu'il déploya pour redresser la situation et sauver le trône n'ont pu avoir raison des forces qui travaillaient à sa perte. Partout dans les provinces les révoltes éclataient. Les Abbassides, comme les Alides, jugeaient le moment propice pour renverser le régime. A leur tour, les Kharidjites, qui ont toujours considéré les Umayyades comme des usurpateurs, cherchaient aussi à en précipiter la fin. Plus grave encore, la maison Umayyade était divisée sur elle-même.

C'est dans ce climat de troubles et d'agitation que la propagande ibâdite frappa dans le Ḥaḍramawt où elle avait trouvé un terrain particulièrement favorable. L'Arabie du sud était en effet gouvernée par des agents à la dévotion des Umayyades, choisis

de l'Arabie, mesure qui sera rapportée ultérieurement, sauf en ce qui concerne le Ḥijâz. Muḥammad a-t-il songé à jeter les bases d'un empire ? Bien qu'une telle question sorte des limites de cette introduction, il nous semble opportun de la poser puisque l'occasion se présente. Il ne fait pas de doute que son dessein était d'unifier tous les habitants de l'Arabie dans une même foi et de mettre un terme aux rivalités tribales. Mais il serait hasardeux de lui prêter des intentions plus ambitieuses.

L'Arabie du sud, une province musulmane

Dès que l'Islam avait pris pied en Arabie du sud, celle-ci fut divisée en trois *mikhlâf* (4), (pl. *makhâlîf*) ou gouvernorats. Le *mikhlâf* de Janad était le plus important : il embrassait en effet toute la plaine côtière, y compris Aden et Laḥj. Celui de Sanaa comprenait une grande partie des hauts plateaux, depuis Saada et Najrân, au nord, jusqu'à la ville de Janad, au sud. Celui du Ḥaḍramawt, enfin, était le plus petit des trois : il était limité au district qui porte encore son nom et avait pour ville principale Shibâm.

Ces divisions administratives ne signifiaient nullement que chaque *mikhlâf* avait à sa tête un *ʿâmil* ou agent nommé directement par le pouvoir central. Il arrivait que le gouverneur désigné par le calife eût la haute main sur toute la province. Il lui incombait donc de choisir ses subordonnés pour en diriger les différentes parties.

Le premier gouverneur du Yémen, nommé par Muḥammad lui-même, était le persan Badhân. A sa mort, son fils Shahr lui succéda. Mais l'autorité de ce dernier se limitait à Sanaa. Janad avait à sa tête Yaʿla ibn Munya (nom de sa mère, on dit aussi ibn Umayya). Abu Mûsa al-Ashʿari était le gouverneur de Ma'rib. Le Ḥaḍramawt était administré par trois agents. Mais tous étaient soumis à l'autorité spirituelle de Muʿâdh ibn Jabal, agent itinérant chargé surtout d'enseigner la doctrine et la loi.

La *ridda* et la guerre qui s'en suivit amenèrent de nombreux changements dans l'appareil administratif de l'Arabie du sud. La paix revenue, Abu Bakr et, après lui, ʿUmar songèrent à prevenir tout mouvement de révolte contre le jeune état, en utilisant la guerre contre l'étranger comme dérivatif aux mœurs belliqueuses des Bédouins.

Répondant à l'appel du calife, les Yéménites avaient rejoint les rangs des premières armées musulmanes. Mais ils partaient à la guerre accompagnés de leurs femmes et leurs enfants, caressant l'espoir de trouver ailleurs des terres plus clémentes. Cette migration massive porta un coup dur à leur patrie d'origine, privée des plus entreprenants et des plus éclairés de ses hommes.

Nous n'avons pas à parler ici de la lutte pour le pouvoir, après l'assassinat du calife ʿUmar, entre le clan des Umayyades qui réussit à faire élire *ʿUthmân* à la magistrature suprême, et celui des Hâshimites dont le champion *ʿAli*, cousin et gendre du Prophète, fut évincé pour la troisième fois. Mais ce qu'il importe de souligner c'est que la victoire des Umayyades portait en elle les germes de la guerre civile. Cette branche rivale de la parenté de Muḥammad, qui avait pris longtemps la tête de l'opposition à l'Islam avant d'être vaincue par lui, tenait ainsi sa revanche. Son premier soin fut donc

apparemment de haut rang puisqu'on lui donnait le titre de *ᶜabhala*, réservé d'habitude à un souverain. Il s'agissait du célèbre al-Aswad, de la tribu des ᶜAns, rameau des Madhḥij, honni par les historiens musulmans, mais considéré aujourd'hui, par plus d'un Yéménite, comme un héros de l'indépendance nationale (3). Deux notables de marque se sont ralliés à lui : ᶜAmru ibn Maᶜdikarib et Qays ibn Makshuḥ. Al-Aswad marcha sur Sanaa, défit la coalition irano-musulmane, en tua le commandant Shahr ibn Bâdhân et s'empara de la grande métropole.

Son exemple fut suivi par d'autres chefs arabes qui aspiraient également à secouer le joug du pouvoir musulman et revendiquaient, eux aussi, le titre de prophète. On dénombre plusieurs centres de résistance, en dehors du Yémen proprement dit : Musaylima prit la tête de la révolte dans la Yamâma, Dhu-l-Tâj Laqîṭ al-Azdi dans l'Oman, Ṭulayḥa, dans les tribus des 'Asad et Ghutafân, enfin, Sujâḥ, la prophétesse, chez les Banu Tamîn.

C'est dans la Yamâma que les musulmans rencontrèrent la plus forte opposition. Musaylima a pu y réunir des forces considérables : quarante mille combattants, disent les chroniqueurs. Après deux victoires sur les armées musulmanes, il fut défait par le grand capitaine Khâlid ibn al-Wâlid. Mais c'est le mouvement d'al-ᶜAnsi qui connut la plus grande extension. Le Ḥaḍramawt s'est rallié en effet à lui. Suivi d'abord par les Banu Wâ'ila ibn Muᶜâwiya, sa cause fut embrassée ensuite par l'autre branche des Kinda : les Banu Ḥârith. Bien au courant des rivalités tribales, les musulmans surent les exploiter à leur profit. Quant aux insurgés, ils manœuvrèrent pitoyablement.

Après avoir défait les Persans et tué leur chef, al-Aswad commit l'imprudence d'épouser sa veuve et de placer à leur tête deux des leurs : Fayrûz et Dâdhaway. Des pourparlers secrets aboutirent à son assassinat par ces derniers, avec la complicité de son épouse et l'aide de son propre lieutenant Qays ibn Makshuḥ. Nommé gouverneur de Sanaa par le calife Abu Bakr, Fayrûz vit se dresser contre lui ce même Qays qui avait espéré obtenir lui-même ce poste. Il prit donc la tête de l'opposition, notamment contre les *abnâ'*, les fils (des iraniens) avec lesquels il voulait en finir, soit en les massacrant, soit en les contraignant à retourner dans leur pays d'origine. Mais ces derniers, soutenus par les musulmans de La Mekke et aidés par la grande tribu des Khawlân à laquelle appartenait la mère de Fayrûz, purent réprimer la révolte.

Dans la province de Ḥaḍramawt, les Kinda royaux eurent d'abord contre eux la confédération des Ḥaḍramawt, leurs adversaires traditionnels. Mais des fractions de l'autre branche des Kinda, les Sakûn, se dressèrent aussi contre eux et aidèrent les musulmans. En outre, les assaillants recevaient constamment des renforts envoyés par le calife. Les révoltés ne pouvaient tenir tête à des forces aussi importantes. La reddition fut négociée. Les Ḥaḍramis perdirent un grand nombre de combattants. Il y aurait eu aussi un millier de captives.

Sous couvert de guerre contre l'apostasie, le jeune état musulman chercha à imposer son hégémonie à l'ensemble de la Péninsule arabe. Les juifs et les chrétiens furent contraints de reconnaître son autorité et de payer la *jizya*, avant d'être expulsés hors

musulmans de la première heure. En réalité, si des conversions individuelles, parmi les Yéménites, ne peuvent être systématiquement écartées par la critique avant la soumission de La Mekke, leur adhésion, plus ou moins collective, à la foi nouvelle n'aura eu lieu qu'après cet événement.

La conversion du Yémen à l'Islam, d'une manière générale, ne fut ni spontanée, ni totalement désintéressée. Et lorsque les chroniqueurs prétendent que la grande confédération des Hamdân embrassa la foi nouvelle en l'espace d'une journée, nous devrions simplement comprendre qu'un ou plusieurs de ses hauts dignitaires se sont ralliés à la cause politique de l'Islam, ou même se sont convertis, sans admettre pour autant que tous leurs administrés aient accepté, d'un même élan, la religion prêchée par Muḥammad.

Plus problématique et autrement plus lourde de conséquences fut la conversion de Badhân, le gouverneur persan du Yémen. Les historiens arabes donnent une version miraculeuse de cette conversion. L'empereur de Perse, furieux du message envoyé par Muḥammad qui le conviait à embrasser l'Islam, intima l'ordre à son vassal de faire escorter, jusqu'à la cour impériale, l'auteur de la missive irrespectueuse. Mais lorsque les agents de Badhân arrivèrent à Médine, ils furent reçus par le Prophète qui leur dit: « faites savoir à votre maître que cette nuit mon Seigneur tua le sien ». La nouvelle de l'assassinat de l'empereur par son fils vint confirmer la prédiction de Muḥammad. Badhân crut en lui et embrassa l'Islam. Un auteur musulman contemporain, connu pourtant pour son prosélytisme, attribue sans ambages l'adhésion de Badhân à l'opportunisme politique. La position des Iraniens domiciliés au Yémen était très critique, observe justement M. Hamidullah. Détestés des gens du pays qui voyaient en eux des occupants, ils avaient essayé de rallier à leur cause quelques familles influentes en épousant des femmes arabes. Leur situation devint plus précaire après la victoire d'Héraclius sur la Perse sassanide. Ils auraient donc embrassé l'Islam dans le but de s'assurer de la protection de Muḥammad contre l'agitation anti-persane (2). Grâce à cette allégeance, Badhân garda le pouvoir sur le Yémen, soumis maintenant à l'influence politique de l'Islam. C'est ce qui semble expliquer, du moins partiellement, le succès rapide du champion de l'indépendance nationale, al-Aswad al-ʿAnsî, contre les représentants de Muḥammad.

La *ridda* ou apostasie

Nous ne pouvons donc accepter qu'avec beaucoup de réserve et de prudence les récits des chroniqueurs concernant la conversion des yéménites. Celle-ci semble avoir été avant tout de nature politique. A l'instar de ces Arabes du désert qui disaient « nous croyons », on pourrait apostropher la plupart des convertis yéménites en ces termes empruntés au Coran : « dites : nous avons embrassé l'Islam, mais la foi n'est pas encore entrée en nos coeurs » (XLIX, 39). Celle-ci était bien chancelante. Au premier mouvement d'opposition à l'Islam, avant même le décès de l'Apôtre d'Allah, et plus encore après, l'Arabie du sud abjurait en masse. Seules les rivalités tribales, adroitement exploitées par les musulmans permirent à ces derniers, non sans difficulté, de réprimer la *ridda* ou apostasie. Celle-ci commença par la révolte d'un chef,

familiarisés avec la langue arabe.

Une autre éventualité s'offrait à nous : celle de rédiger une introduction historique, comme l'avait fait C. Th. Johannsen pour sa traduction latine, très succinte, de la *Bughyat*, publiée à Bonn en 1828. Nous avons opté finalement pour cette solution, mais en schématisant à l'extrême et en négligeant l'histoire de la pensée et de l'art en Arabie du Sud depuis l'Islam, car elle est encore entièrement à écrire.

Introduction historique

L'Arabie du sud à la veille de l'Islam

Deux événements importants avaient marqué la vie politique du Yémen durant la seconde moitié du VIe siècle après J.C. : d'une part, la fin de l'occupation abyssine, en 575, par suite d'une guerre pour l'indépendance, animée, disent les chroniqueurs, par le fameux Sayf Ibn Dhī Yazan, dont la geste a fourni la matière d'un grand roman populaire ; d'autre part, des soulèvements intérieurs contre ce même héros de légende qui a fini par être assassiné. La Perse, soucieuse de chasser les Abyssins du Yémen, alliés de Byzance, son ennemi héréditaire, avait contribué militairement à la lutte yéménite pour la libération nationale. La disparition de son protégé, Dhi Yazan, lui fournit le prétexte d'une nouvelle intervention armée ; elle s'installa donc dans le pays pendant une cinquantaine d'années. Ainsi à la veille de l'Islam, le Yémen n'était plus qu'une dépendance de la Perse, administré par des gouverneurs persans.

Comme il arrive bien souvent lors d'une occupation d'un territoire par l'étranger, la nation, divisée et déchirée, cherchait à refaire son unité afin de rejeter l'envahisseur. Mais les rivalités dont Dhī Yazan fut déjà victime ne favorisaient guère un tel mouvement. De leur côté, les gouverneurs persans mettaient à profit l'antagonisme tribal, pour s'assurer de l'appui d'une partie de la population. Adroitement, ils tentaient de s'intégrer à la population locale et n'hésitaient pas à choisir leurs épouses dans les familles arabes influentes. Chosroès, le roi sassanide, avait certes le bras long. Néanmoins l'administration de l'empire et la lutte contre les Byzantins retenaient toute son attention. De sorte que son vassal, qui gouvernait en son nom l'Arabie heureuse, ne redoutait guère les conséquences d'une politique qui visait à l'autonomie de cette province éloignée dont il aspirait à devenir le chef tout puissant. Mais le mouvement national qui couvait dans l'ensemble de la Péninsule arabe allait bouleverser cette stratégie et menacer la sécurité de ces intrus : les Persans. Ils devront leur salut à l'Islam.

L'Islam en Arabie du sud

Bien des auteurs ont tenté d'écrire l'histoire de l'islamisation de l'Arabie du sud. Malheureusement, les matériaux sur lesquels ils s'appuient – et dans l'état actuel de la recherche on n'en possède point d'autres – sont très souvent entâchés de subjectivité et peu dignes de confiance. En effet, à cause du système de rétribution instauré par le calife ʿUmar, qui avantageait les premiers convertis, les Yéménites se disaient tous des

haut, l'auteur change de genre. Il ne s'agit plus d'annales, mais de faits quotidiennement notés qui ne manquent ni d'intérêt ni de pittoresque. Les événements consignés dans ce supplément débordent souvent le cadre local et s'inscrivent dans un contexte international. A notre connaissance, c'est la première fois qu'un auteur arabe contemporain de l'entrée des Portugais dans l'océan Indien et la mer Rouge en parle dans plusieurs endroits de son journal. Les réactions arabes à cette tentative de colonisation y sont fidèlement relatées. Emu par les nouvelles qu'il reçoit de différentes parties de son royaume, le souverain Ṭâhiride ordonne d'armer contre l'envahisseur quatorze navires sur lesquels s'embarquent des volontaires parmi lesquels on compte de nombreux étudiants en théologie. Des prières publiques sont récitées dans toutes les mosquées, afin que Dieu écarte ce danger et fasse couler les bateaux des ennemis de l'Islam Mais les Portugais continuent leur progression. Ils occupent Ormuz en 913/1507 et s'attaquent au port d'Aden le 17 *muḥarram* 919/1513. Ils sont repoussés, avec de lourdes pertes, nous informe Ibn al-Dayba'. Les envahisseurs récidivent le 18 *Jumâda al-'ûla* 920, sans plus de succès. Découragés par ce nouvel échec, ils regagnent leurs bases.

Si l'histoire de Zabid, à laquelle nous avons déjà consacré un article (1), demeure au centre des préoccupations de l'auteur, il est aussi intéressé par tout ce qui se passe au Yémen, voire dans les autres parties de la Péninsule arabe, particulièrement à l'époque des Ṭâhirides. Les deux ouvrages que nous éditons aujourd'hui constituent ainsi une importante contribution à l'histoire de la mer Rouge et de ses relations avec l'Inde et la Méditerranée.

Il ne nous semble pas nécessaire de parler ici de la vie de l'auteur, de ses maîtres et de son œuvre puisqu'il s'est donné la peine lui-même de nous renseigner dans une autobiographie placée à la fin de la *Bughyat*. Nous ne dirons pas non plus grand-chose des manuscrits utilisés pour la mise au point de cette édition critique, car ils ont été décrits dans l'introduction rédigée en arabe. Précisons néanmoins que l'exemplaire de la Bibliothèque Nationale de Paris s/n° 6069 du fonds arabe nous a servi de base pour la *Bughyat al-mustafîd*, et que nous avons utilisé l'exemplaire de Berlin (s/n° 9764 – Sprenger 183, IIe V), comme référence pour le *Faḍl*. Par acquit de conscience, nous avons publié aussi un document annexe, sept feuillets en tout, d'un auteur inconnu, placé à la fin du *Faḍl*, dans le manuscrit de l'Académie des sciences de l'Union soviétique, microfilmé par les soins du Centre d'études yéménites d'Aden.

Vu l'importance historique, anthropologique et culturelle de l'œuvre que nous éditions, le lecteur occidental serait en droit de se demander pourquoi nous avons omis de la traduire en français. C'eût été assurément une heureuse initiative. Plusieurs considérations nous ont empêché de nous atteler à une telle tâche. Abstraction faite du temps (qui nous fait cruellement défaut) qu'aurait exigé la traduction annotée et commentée de quelque cinq cents pages, la publication aurait posé des problèmes insolubles tant sur le plan du financement que sur celui de la diffusion. Qu'on imagine un peu le prix de vente d'un tel ouvrage. Il serait si exorbitant que ses éventuels acquéreurs atteindraient difficilement la centaine. En outre, la nature même de l'oeuvre la destinerait à un public restreint, limité surtout aux arabisants et aux orientalistes, c'est-à-dire à des érudits qui, de par leur spécialisation, seraient plus ou moins

et dont une partie importante se trouve en Occident. Leur publication revêt dès lors une importance capitale car elle permettrait d'éclairer une longue période de l'histoire de l'Arabie.

Les deux ouvrages que nous éditons aujourd'hui, par leur qualité et l'intérêt des événements qui y sont décrits répondent précisément à l'attente de l'historien. Ils constituent en effet l'œuvre principale d'un célèbre auteur yéménite, Ibn al-Dayba', né et mort à Zabid (866/1461 - 944/1537). Il a été témoin des grands événements dont son pays fut le théâtre entre la fin du XVe siècle et le début du XVIe siècle et qui réduisirent cette région au rang de simple province de l'empire ottoman. La contribution essentielle de l'auteur concerne sa ville natale. Aussi donne-t-il au premier de ces deux livres le titre suivant : « Le souhait de celui qui s'intéresse aux événements de la ville de Zabid », *Bughyat al-mustafīd fī 'akhbâr madînat Zabîd*. Mais qu'on ne s'y trompe pas. S'il accorde à la capitale de la Tihâma une attention particulière, il ne néglige pas pour autant les autres parties du Yémen, y compris le Ḥaḍramawt. De fait cet ouvrage commence par un condensé de l'histoire de cette région depuis l'Hégire jusqu'à la fondation de Zabid par Ibn Ziyâd en l'an 204/820. L'exposé devient ensuite plus circonstancié, plus riche en détails, à mesure qu'on avance dans le temps. Il gagne aussi en précision, puisque le centre de l'intérêt se porte désormais sur les parties du Yémen soumises à l'autorité du sultan. Le style adopté est généralement celui des chroniques et des annales. Mais il change insensiblement dès que l'auteur raconte les événements dont il est témoin. C'est un journal que le lecteur a alors entre les mains. La rédaction s'arrête à l'an un du dixième siècle de l'Hégire (1495).

Ibn al-Dayba' dédie son livre au sultan 'Âmir II, qui accède au trône du Yémen en l'an 494/1489. Le souverain manifeste son intérêt pour cette œuvre dont une bonne partie est consacrée aux Ṭâhirides. Il attire même l'attention de l'auteur, précise celui-ci, sur des omissions et lui fait des remarques sur des points de détails qui ont échappé à sa vigilance. Il apporte donc sa contribution personnelle à ce travail dont il récompense généreusement l'auteur. Il l'investit même de la charge de lecteur du Ḥadîth dans la grande mosquée de Zabid. Dès lors Ibn al-Dayba' se considère comme l'historiographe du roi.

Une vingtaine d'années plus tard, ayant noté, jour après jour, les principaux événements qui ont marqué le règne de son protecteur, il rédige un nouveau livre conçu comme la suite du premier. Il donne à ce supplément un titre assez curieux, qui s'explique d'ailleurs par les impératifs de la prose rimée. Il l'intitule en effet : *al-Faḍl al-mazîd 'ala bughyat al-mustafîd fî 'akkbâr madînat Zabîd*, ou « le mérite surajouté au souhait de celui qui s'intéresse aux événements de la ville de Zabid ». Désignons-le plus simplement par : « Le surcroît de mérite ». Commencé probablement du vivant de 'Âmir II, alors que celui-ci était au zénith de sa gloire, après qu'il eut conquis Sanaa (1504) et réduit, comme une peau de chagrin, le territoire soumis à la juridiction zaydite. L'ouvrage s'achève avec la mort tragique de ce souverain, tombé, après des combats héroïques contre les Mamluks d'Egypte, sous les murs de cette même ville, en 1517. En somme ce supplément, assez long pour former un ouvrage à part, raconte simplement les péripéties de vingt-deux ans de règne. C'est évidemment beaucoup pour un laps de temps relativement court. Mais comme nous le disions plus

NEUF SIECLES D'HISTOIRE DE L'ARABIE DU SUD (622 - 1517)

Préambule

Le lecteur occidental qui voudrait se pencher sur l'histoire de l'Arabie du Sud, célèbre surtout par la prestigieuse reine de Saba qui aurait rendu visite à Salomon, serait stupéfait de constater combien est pauvre, en la matière, la bibliothèque de « l'honnête homme » de cette dernière partie du XXe siècle. Pour juger de notre degré d'ignorance, qui témoigne en même temps du peu d'intérêt qu'on accorde à cette partie du monde, devenue paradoxalement zone touristique, il suffirait de feuilleter n'importe quel traité d'histoire. A l'exception des ouvrages spécialisés, peu accessibles à un large public, l'Arabia Felix des auteurs classiques est à peine mentionnée dans les livres consacrés aux peuples de l'Orient ancien. Le Yémen ou pays de la droite, terme par lequel les géographes arabes désignent la partie méridionale de l'Arabie, n'est guère plus avantagé. Il n'est pas rare qu'il soit passé sous silence dans des travaux sur l'Islam et sa civilisation. Cette négligence est d'autant moins pardonnable qu'à partir du deuxième siècle de l'Hégire et jusqu'aux temps modernes l'histoire du Yémen touche de très près à celle de l'ensemble de la Péninsule et la domine même partiellement. Plus grave encore, l'histoire de la mer Rouge et de la pénétration des Portugais dans l'océan Indien restera incomplète et entâchée de partialité tant qu'on n'aura pas étudié les sources arabes.

Depuis la double révolution yéménite qui donna naissance à deux républiques aux options et aux orientations diamétralement opposées, le touriste pressé trouve à sa disposition quelques guides hâtivement rédigés et émaillés de nombreuses erreurs. Mais leurs auteurs semblent tout ignorer de l'histoire du Yémen depuis sa conversion à l'Islam.

De ce point de vue, le lecteur arabe serait bien mieux servi. Quoi de plus normal d'ailleurs que des historiens yéménites parlent de leur pays ! Malheureusement, leurs travaux se distinguent si peu les uns des autres qu'ils semblent avoir été coulés dans un même moule. En réalité, le véritable avantage du lecteur arabe c'est la possibilité qui lui est offerte de pouvoir consulter les annales et les chroniques yéménites, documents de base de toute recherche historique. Mais alors on se place sur le terrain de l'érudition, qui est l'apanage d'une minorité aussi bien en Orient qu'en Occident. D'ailleurs, même considérée sous cet angle, l'histoire du Yémen musulman demeure fort obscure. Si les documents de première main ne font point défaut, ils sont même en surabondance, en revanche ils sont difficilement accessibles. Il s'agit généralement d'œuvres manuscrites, éparpillées dans les grandes bibliothèques du monde savant

Ibn al -DAYBA'
(1461-1537)

NEUF SIECLES D'HISTOIRE DE L'ARABIE DU SUD: 622-1517

"Le souhait de celui qui s'intéresse aux événements de la ville de Zabid"

suivi du supplément

"Le surcoît de mérite"

édition critique, avec introduction et notes

par

Joseph CHELHOD
MAÎTRE DE RECHERCHE AU C.N.R.S. (PARIS)

The Yemeni Center for Research & Studies
P. O. Box 1128
Tel. : 73258
Address : YAMANAT
Y. A. R. - SANA'A

NEUF SIECLES D'HISTOIRE
DE L'ARABIE DU SUD.622-1517